



مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٢٧، ع ١، ٢٩٦ صفحة (٢٠١٩)

ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩

رقم الإيداع : ١٤ / ٠٢٩٤



مجلة جامعة الملك عبد العزيز

الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢٧ العدد ١

٢٠١٩ م

مركز النشر العالمي

جامعة الملك عبد العزيز

ص ب : ٨٠٩٠ - جدة : ٢١٥٨٩

المملكة العربية السعودية

<http://spc.kau.edu.sa>

■ هيئة التحرير ■

رئيسا	أ.د/ أحمد بن محمد صالح عزب aazab@kau.edu.sa
عضووا	أ.د/ محمد بن جعفر عارف Marif@kau.edu.sa
عضووا	أ.د/ عبد الرحمن بن رجا الله السلمي aralsulami@kau.edu.sa
عضووا	أ.د/ محمد بن صالح ناهي الغامدي Msalghamdi1@kau.edu.sa
عضووا	أ.د/ آمال بنت يحيى الشيف Ayalshaikh@kau.edu.sa
عضووا	أ.د/ سامية بنت عبد الله بخاري Sbukare@kau.edu.sa
عضووا	أ.د/ زكريا بن أحمد الشربيني zalsherpeny@kau.edu.sa
عضووا	أ.د/ نهى بنت سليمان الشرفا Nalshurafa@kau.edu.sa
عضووا	د. زيني بن طلال الحازمي Zalhazmi@kau.edu.sa
عضووا	د. سليمان مصطفى آيدن slaydinn@hotmail.com

المحتويات

القسم العربي

الصفحة

- الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان
علي محمد إبراهيم شهاب ١
- أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية دراسة فقهية مقارنة
فاطمة بنت عويض الجلسي الحربي ٣٣
- تباین الرؤى حول كتاب البديع لابن المعتز دراسة في آراء الباحثين المعاصرين
عبدالله بن عبد الرحمن بانقيب ٦٩
- رسالۃ الاشتباه بِرَفْعِ الاشْتِبَاهِ فِي عَلَیِ النُّحَا
محمد بن عيسى بن كنان الخلوتى الصالحي الدمشقى ٩٧
- صورة المرأة في مدح ابن حمديس دراسة موضوعية فنية
أنور يعقوب زمان ١٣١
- موضوعات علم المعاني في سورة القلم
سارة بنت نجر العتيبي ١٧٧
- أثر الバاعث الدينی في نشأة البلاغة العربية قراءة في حقبة التكوين إلى التأليف المستقل
وائل العمري ٢١١

- المشكلات التي تواجه الطالب الجامعية المتزوجة في المجتمع السعودي
خليل عبد المقصود عبد الحميد إبراهيم و نجلاء بنت فهد بن محمد الشيباني ٢٢٩
- الإنداج الأكاديمي وعلاقته بالقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة في ضوء بعض
المتغيرات الديموغرافية ١
شروق غرم الله الزهراني ٢٥٥
- العلاقة بين الاتجاه نحو الإرشاد الأكاديمي وتقدير الذات لدى عينة من طلاب(مستخلص عربي)
د. أحمد نزار محمد قبيسي، أ.د. محمد سعيد الغامدي و د. عصام عبد اللطيف العقاد ٢٩٦

الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان

د. علي محمد إبراهيم شهاب

أستاذ الكتاب والسنة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية العلوم والآداب ببلقرن-جامعة بيشة

مستخلاص. الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فموضوع البحث هو الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس بالموضوعات. والدراسة تهدف إلى توضيح أساليب القرآن الحكيم ودورها في بناء عقل الإنسان وسلامته.

فإن الناظر في القرآن الكريم سيلحظ دعوته المتكررة لـإعمال النظر والتفكير، وقد كان لهذه الدعوة - ومثيلاتها - أثراً كبيراً في بناء عقل الإنسان وسلامته، قال تعالى: ﴿كُتبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ مُّبَرَّأُ
لِيَدْبَرُوا إِيْنَتِهِ وَلَيَسْتَدْكِرُ أُولُوا الْأَلْبَيْ﴾^(١).
لقد نزل القرآن الكريم في فترة عصيبة، كانت فيها البشرية تتخطى في ظلمات الخرافية والجهل،

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستهينه ونستغفره، وننعواذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصلى الله على أشرف خلقه، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد.

(١) سورة ص، آية: ٢٩.

وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنِ ۝ عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝^(٤)، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقِرَاءَةَ هِيَ الْبَوَابَةُ الرَّئِيسَةُ لِلْعِلْمِ، وَيُسْتَطِعُ الْإِنْسَانُ مِنْ خَلَالِهَا أَنْ يَقْفِي عَلَى حَقَائِقِ الْأَمْرِ وَمَعْرِفَتِهَا، وَبِالْتَّالِي يَكُونُ دُخُولُه لِلْإِسْلَامِ دُخُولاً صَحِيحًا سَلِيمًا.

لَقَدْ كَانَ لِدُعَوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُتَكَرِّرَةِ لِلتَّعْقِلِ وَالْتَّفَكُّرِ وَالْتَّذَكُّرِ؛ بِالْغَيْرِ الْأَثْرِ فِي فَكَرِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا لَنَا سُلْطَانًا وَمَجْدًا، فَأَبْدَعُوا فِي الْابْتِكَارِ وَالْتَّطْوِيرِ وَالْتَّجَدِيدِ، وَكَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَمَلِيَاتِ التَّعْقِلِ الَّتِي يَطْلُبُهَا مِنَ الْإِنْسَانِ - يَمْدُهُم بِأَجْوَابَةِ نُوْعِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْإِلَهِ وَالْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ وَالْمَبْدَأِ وَالْمَصِيرِ.

وَقَدْ ارْتَضَتْ حِكْمَةُ الْقُرْآنِ مِنَ الْإِنْسَانِ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ لَهُ دُورٌ مُتَبَّصِّرٌ، فَيَقُولُ بِوَاجْبِ الْاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ طَبِيعَةَ الْحَيَاةِ فِي تَطْوِيرِ مُسْتَمِرٌ، وَمِنْ غَيْرِ الْلَّائِقِ أَنْ يَقْفِي الْإِنْسَانُ فِيهَا مَوْقِفَ الْمُتَفَرِّجِ؛ لَا سِيمَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ أَسَسَ لِبَنَاءِ عُقْلَيَّةٍ مُفْتَحَةٍ تَرْحِبُ بِالْاجْتِهَادِ ضَمِّنَ ضَوَابِطٍ مُحدَّدةٍ^(٥)، وَهُوَ إِلَى ذَلِكَ يَذْمُمُ التَّقْلِيدَ وَالْمَقْلِدِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ عَقُولَهُمْ رَهِينَةً لِعَادَاتِ أَفْوَهِهَا، أَوْ مُسْلِمَاتِ وَرَثُوهَا عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ دُونَ أَيِّ مُسْتَدِّدٍ أَوْ دَلِيلٍ، وَالْقُرْآنُ عِنْدَمَا يَأْمُرُ بِالْتَّجَاوِبِ مَعَ مَعْطَيَاتِ الْحَيَاةِ الْمُتَجَدِّدَةِ، وَاِكْتِشَافِ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ إِنَّهُ بِذَلِكَ يَفْتَحُ بَابًا لِلْعُقْلِ، يَرْفَدُهُ بِالْجَدِيدِ، يَقُولُ

(٤) سورة العلق، آية: ١-٥.

(٥) قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْزَانُ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْزَانُ»، البخاري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام، باب: الكتاب والسنة، ١٠٨/٩.

فَالْعَرَبُ حِينَهَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِدِينِ سَمَاوِيِّ، وَالشَّرْكُ بِاللَّهِ كَانَ سَائِدًا بَيْنَهُمْ، وَمَا زَالَ الشَّرْكُ يَقْوِي فِيهِمْ حَتَّى أَصْبَحَ الَّذِينَ يَمْيِيزُونَ بَيْنَ الْإِلَهَةِ وَالْوَسْطَاءِ شَوَّادَ فِي الْأَمْمَةِ، يَقُولُ أَبُو رَجَاءُ الْعَطَارِدِيُّ: «كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَحْيَرُ مِنْهُ الْقَيْنَاءُ، وَأَحْدَنَا الْأَخْرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُنُوْنًا مِنْ ثُرَابٍ، ثُمَّ جِنَّا بِالشَّاءِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَعَنَاهُ بِهِ...»^(١).

وَلَمْ تَلْبِثِ النَّصَارَانِيَّةُ هِيَ الْأُخْرَى حَتَّى انْحَرَفَتْ عَنْ مَسَارِهَا السَّمَاوِيِّ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا سَلَكَ بِهَا الرُّومَانُ مَسَالِكَهُمُ الْوَثِيقَةِ، فَقَالُوا بِتَعْدِيدِ الْإِلَهَةِ، وَظَهَرَتْ فَكْرَةُ تَجْمُعِ الْإِلَهَةِ الْثَّلَاثَةِ فِي وَاحِدٍ، ثُمَّ صَارَتْ شَيْئًا فَشَيْئًا هِيَ الْعِقِيدَةُ النَّصَارَانِيَّةُ الْمُعْتَمِدَةُ فِي الْكَنِيسَةِ.

وَاسْتَمْرَرَ الْوَضْعُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَزَّلَتْ دُعَوةُ الْحَقِّ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي عَامٍ (٦١٠ م)^(٢)؛ تَدْعُو لِقَيْمٍ وَمِبَادَىٰ وَاضْحَةٍ تَتَسَجَّمُ مَعَ فَطْرَةِ التَّوْحِيدِ الَّتِي أَوْدَعَهَا الْمُولَى عَزَّ وَجَلَ فِي الْإِنْسَانِ، وَلَأَنَّهَا دُعَوةُ الْحَقِّ فَهِيَ لَا تَخْشَى شَيْئًا، وَلَذَا جَاءَ الْأَمْرُ بِالْقِرَاءَةِ فِي أُولَئِكَ الْأَيَّامِ مِنْ نَزْلَةِ الْوَحْيِ^(٣)، قَالَ:

﴿أَفَرَأَيْسَمْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَفَرَأَ

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير(بيروت: دار طوق النجا، ١٤٢٢هـ)، ح ٣٧٦، كتاب المغازي، باب: وفدي بنى حنيفة، ١٧١/٥.

(٢) انظر: المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم (بيروت: دار الهلال، ١٤٢٧هـ)، ص ٥٦.

(٣) بَدْلِيلٌ حَدِيثٌ بَدِئِيُّ الْوَحْيِ، وَفِيهِ: (فَأَخْذَنِي فَغَطَنِي الْثَّالِثَةُ حَتَّى بَلَغَ مِنِي الْجَهَدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي قَالَ: أَفَرَأَيْسَمْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَفَرَأَيْسَمْ رَبِّكَ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنِ عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجِفُ بِوَادِرِهِ إِلَى أَنْ قَالَتْ: ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرْقَةٌ أَنْ تَوْفِي وَفَتَرَ الْوَحْيِ، انظر: صحيح البخاري، ١٧٣/٦.

٢- المقارنة بين نظرة القرآن للعقل، ونظرة أصحاب الملل الأخرى له، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

● أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة للكشف عن الموضوعات الآتية:

- ١- إبراز المآثر التي سوف تجنيها البشرية حال التزامها بمنهج القرآن الكريم.
- ٢- إظهار إسهامات الوحي المتنوعة والشاملة حتى لأدق الموضوعات، كموضوعنا هذا.
- ٣- إيصال دور أساليب القرآن في بناء عقل الإنسان وسلامته.

● الدراسات السابقة:

من خلال البحث في قاعدة الرسائل الجامعية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وغيرها من الواقع الالكتروني، فإني لم أقف على دراسة أكاديمية تبحث في هذا الموضوع بشكل خاص، والله أعلم.

● حدود البحث:

سيكون حد البحث مقتضياً على أساليب القرآن الحكيم ودورها في بناء عقل الإنسان وسلامته، وسوف يشتمل البحث بالضرورة على بيان معاني الحكمة في اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - ومعاني بعض مرادفاتها، بالإضافة لمعنى العقل، وغيرها من الموضوعات الفرعية.

تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ ثُمَّ اَلَّهُ يُنِيشُّ النَّسَاءَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).
 ولا شك أن الوقوف على تلك الدعوات التي يتناولها القرآن من الأمور البالغة الأهمية، لأنها تعين على معرفة أسباب تميز المسلم في شخصيته، بالإضافة إلى الوقوف على أساليب القرآن وطريقته في بناء عقل الإنسان، كما أنها تؤسس لنشر فكر ثقافي وحضاري صحيح في المجتمعات المسلمة، إلى غير ذلك من الفوائد.

و فكرة البحث قائمة على إبراز الأسلوب القرآني ودوره الحكيم في رحلة البناء والتثبيت لهذا المخلوق العظيم، وهذا مما يزيد البحث أهمية، وأحسب أن الموضوعات التي يتناولها هذا البحث لم تبحث بشكل كافٍ، كما هو الحال في الدراسات والأبحاث الأكademie، حيث الاستقراء والتدقيق، والاستشهاد بالحجج والبراهين، وقد آثرت أن يكون البحث بعنوان: (الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان).

● أهمية الدراسة:

بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه في المقدمة، وهناك نقاط أخرى تبين أهمية الموضوع وأسباب اختياره، من أهمها:

- ١- إبراز القيم والمبادئ الإسلامية من خلال الوقوف على آيات القرآن الحكيم.

(١) سورة العنكبوت، آية: ٢٠.

(٢) انظر: عبدالكريم بكار، تجدد الوعي، ط٣ (دمشق: دار القلم، ٢٠١٠م)، ص ١٤٧ - ١٥٨ "بتصرف".

● منهج الدراسة:

استلزم موضوع البحث سلوك العديد من المناهج، منها:

١- المنهج الاستقرائي: القائم على جمع النصوص.

٢- المنهج التحليلي: القائم على تحليل بعض النظريات، والكشف عن دلالة الآيات القرآنية وأثارها المعرفية.

٣- المنهج النقدي: من خلال نقد المصادر والمناهج التي تتعارض مع نهج السلف في فهم النصوص والاستدلال.

٤- المنهج المقارن: من خلال المقارنة بين أسلوب القرآن وطريقته في البناء، مع باقي الأساليب والنظريات الفلسفية الأخرى.

● إجراءات الدراسة:

وقد التزمت في كتابته ما يلي:

١- كتبت الآيات حسب الرسم العثماني.

٢- عزوت الآيات إلى سورها، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٣- خرجت الأحاديث، مكتفيًا بال الصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرجته باختصار.

٤- عزوت الأقوال إلى أصحابها ووثقتها من كتب أصحابها، فإن لم أستطع وثيقتها من المصادر والمراجع الأخرى.

٥- ذكرت تفاصيل المصادر والمراجع في ثبت مستقل في آخر البحث.

وهو مرتب على النحو التالي:

المقدمة: عرفت فيها بالموضوع وأهميته، وأسباب عنايتي به.

المبحث الأول: نظرة القرآن الحكيم للإنسان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بنظرية القرآن للدور المنتظر من الإنسان.

المطلب الثاني: بيان معانى الحكمة في اللغة، وبعض ما جاء من معانٍها في كلام العلماء والمفسرين.

المبحث الثاني: العقل في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقل.

المطلب الثاني: وظيفة العقل عند الإنسان.

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في رحلة بناء عقل الإنسان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالأسلوب القرآني.

المطلب الثاني: أسلوب الحث والتعزيز في رحلة بناء العقل.

المطلب الثالث: أسلوب النهي والتحذير في رحلة بناء العقل.

المبحث الرابع: أثر القرآن الكريم في عقل الإنسان وسلامته.

الخاتمة: فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

أرضه^(٤)، ومنحه القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، حتى يكون سبباً في بناء الأرض، وانتشار ذريته في أرجاء المعمورة بالتطور والتقدم، وكلما ارتقى الإنسان في سلم المعارف، زاد نفعه، وكثُر خيره، وعمت بركته، لا سيما إن كان نصيبه من المعرفة قد ارتقى إلى خالقه وسديده ومولاه.

قال الدكتور خليل: (إننا حيّثما تنقلنا في أرجاء القرآن الفسيحة لمطالعة الآيات والمقطوع الخاصة بخلق الكون وتهيئة الظروف الصالحة للحياة على الأرض، وتمعنا فيها، وجدناها ترتبط ارتباطاً عضوياً أصيلاً بالدور المنتظر الذي بعث الإنسان لكي يلعبه، وبالقصد والجذوى والنظام والإعمار والغاية التي بعث من أجلها، وهي كلها قواعد أساسية لأى نشاط فعال هادف منظم متطور على الأرض...).

وال المسلم يدرك حقيقة التسخير، وهو مطالب بأن يتعامل مع الأرض التي يسكنها انطلاقاً من كونه خليفة الله في أرضه، فهي مجاله، وهي بيته التي خلقها المولى عز وجل من أجله، وإن جمالها وعطاءها لن يتجلّ إلا إذا أعمل فيها الإنسان عقله^(٦)، قال تعالى: ﴿أَلَرْتَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً فَالْوَالْأَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُنَسِّفُ الْأَيْمَانَ وَنَحْنُ نُسْبِحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَغْلَبُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٣٠.

(٥) انظر: د. عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م) ص١٧٦.

(٦) وقد ارتبط بناء الأرض وعمارتها في فكر المسلمين وثقافتهم بالإيمان بالله، حيث قال عليه الصلاة والسلام:(الإيمان بضمّ وسبيعون - أو بضمّ وسبعين - شعبان، فأقضنها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماتة

وبكل حال فإنني لا أدعي الإحاطة بكتابتي في هذا الموضوع ولا شمول البحث فيه، لما يعتريني من النقص والقصور، ثم لتشعب الموضوع وسعنته هذا.. وإنني أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن يكون من العلوم التي ينتفع بها، والله ولني التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... .

المبحث الأول: نظرة القرآن الحكيم للإنسان.

المطلب الأول: التعريف بنظرة القرآن للدور

المنتظر من الإنسان:

يقول المولى عز وجل في محكم التزيل:

﴿سَرِّيْهُمْ ءَاءِيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١).

إن الإنسان هو الكائن المعجز في خلقه، المكرم^(٢) في أصل نشاته؛ خلقه الله تعالى بيده، ونفح فيه من روحه، وأسجد له ملائكته^(٣)، واستخلفه في

(١) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّقْنَا بَيْنَ عَادَمَ وَهَامَلَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْأَطْيَابِتُ وَقَضَيْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْنَاهُ خَلَقْنَا تَقْضِيَاهُ﴾، سورة الأسراء، آية: ٧٠.

(٣) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرَكَ بَنْ طَيْنَ ⑥ فَلَمَّا سَوَّيْتُهُ وَنَجَّيْتُهُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعَعْرُوا لَهُ سَجِدَيْنَ ⑦ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَمْجَعُونَ ⑧ إِلَّا إِلَيْسَ أَنْجَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ⑨ قَالَ يَأْتِيَلِيَشُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِيَا خَلَقْتُ بَيْتَنَى أَنْسَجَجَرَ أَنْكَنَ مِنَ الْعَالِيَّنَ ⑩﴾، سورة ص: ٧٥-٧١.

وقال: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنَاتِ وَالْحُسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا يَأْلِحُّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»^(١)، وقال سبحانه: «وَجَعَلْنَا أَيْلَلَ وَالنَّهَارَ أَيْتَيْنِ فَمَحْوَنَا إِيَّاهَا أَيْلَلَ وَجَعَلْنَا إِيَّاهَا أَنَّهَارَ مُبْصِرَةً لِتَبَغُّو فَضْلًا مَنْ رَئِكُمْ وَلَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنَاتِ وَالْحُسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّهُ تَفْصِيلًا»^(٢)، وهذه الآيات تستحدث يقطة الإنسان حتى يفطن للدور الذي ينتظره، فهو في دار ابتلاء واختبار، وهذه الدار تتطلب منه عملاً وإبداعاً.

والمولى الكريم ميز الإنسان بأدوات العلم والمعرفة، وذلك حتى يقوم بواجهه على أتم وجه، قال تعالى: «ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»^(٣)، والمعنى ثم استخلفناكم في الأرض من بعد إهلاك أولئك القرون التي تسمعون أخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر^(٤).

المطلب الثاني: بيان معانى الحكمة في اللغة، وبعض ما جاء من معانيها في كلام العلماء والمفسرين.

الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنه، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفية وأحكمنه إذا أخذت على يديه ومنعته عن الفساد، قال الشاعر:

(٦) سورة يوئيس، آية: ٥.

(٧) سورة الأسراء، آية: ١٢.

(٨) سورة يوئيس، آية: ٤.

(٩) العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث، بدون)، ١٢٧/٤.

السموات وما في الأرض وأسبع علیکم نعمه، ظاهره وباطنته ومن الناس من يجدل في الله يعني على ولا هدى ولاكتبه مني^(١) قال تعالى: «وَسَحَرَ لَكُمُ الْشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِيْنَ وَسَحَرَ لَكُمُ الْأَيْلَلَ وَالنَّهَارَ»^(٢)، وقال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي سَحَرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيْقًا»^(٣)، ولم تقصر الآيات القرآنية على ذكر الدور الذي ينتظر الإنسان على الأرض، حتى طالبته بالإتقان والإحسان، قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحَسَنُ عَمَالًا»^(٤)، وقال تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»^(٥)

الأَدَى عن الطَّرِيق...، انظر: صحيح مسلم، ح ٣٥، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، ٦٣/١، وفي الحديث أيضاً: (لا يبولن أحدكم في الماء الذائب ثم يغسلن منه)، انظر: صحيح البخاري، ح ٢٣٩، كتاب الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، ٥٧/١، وفي مسلم برقم (٢٨٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: (أنعوا اللعانيين، قلوا: وما اللعاني يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلّى في طريق الناس، أو في ظلّهم)، انظر: صحيح مسلم، ح ٢٦٩، كتاب الطهارة، باب: النهي من التخلّي في الطرق، والظلل، ٢٢٦/١، ونصوص الوحي تطلب من الإنسان المحافظة على الأرض حتى آخر رقم من حياتهم، يقول عليه الصلاة والسلام: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيْدِ أَحَدِكُمْ فَسَيِّلْهُ، فَإِنْ أَسْتَطَعْ أَنْ لَا يَئُومَ حَتَّى يَعْرِسَهَا فَلْيَئُومْ)، مسند أحمد، ح ١٢٩٨١، ٢٩٦/٢٠، وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من مسلم يغرس عرساً، أو يزرع زرعاً، فليأكل منه طير أو إنسان أو بيبيقة، إلا كان له به صدقة)، انظر: صحيح البخاري، ح ٢٢٢٠، كتاب المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ١٠٣/٣، وصحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٥٥٣، كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، ١١٨٩/٣.

(١) سورة لقمان، آية: ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٢، ٣٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٤.

(٤) سورة هود، آية: ٧.

(٥) سورة يوئيس، آية: ٣.

وَالْحِكْمَةِ^(٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ^(٦)﴾، ولذا جاءت الحكمة بمعنى النبوة، والرسالة، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، وقد جاءت بمعنى الحِلْم، وهو ضبط النفس والطَّبْع عن هيجان الغضب، وهذا المعنى قريب من معنى العدل، كما تُطلق الحكمة على الورع والإصابة ، والتَّفَكُّر في أمر الله واتِّباعه، والحكمة من الله: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام.^(٧)

وعند التأمل والتدقيق في معاني الحكمة نجد أنها تدور حول المنع، فالعلم يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل، والعدل يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم، والحلم يمنع صاحبه من التسرع والغضب^(٨)، وهذا ما يفسر موقف الإسلام الحاسم من المعاصي والآثام.

قال الشيخ الشنقيطي: (والتحقيق أن الله يشرع الأحكام من أجل حكم باهرة ومصالح عظيمة، ولكن المصلحة في جميع ذلك راجعة إلى المخلوقين الذين هم في غاية الفقر وال الحاجة إلى ما يشرع لهم خالقهم من الحكم والمصالح وهو جل وعلا غني لذاته الغني

(٤) سورة مریم، آية: ١٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٤٨.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٧) انظر: أحمد بن فارس، المرجع السابق، ٩١/٢، ومحمد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)، ٤١٩، ومحمد بن مكرم بن علي، وابن منظور، مرجع سابق، ١٠٤/١٢، والزبيدي، مرجع سابق، تحقيق، ٥٢١/٣١.

(٨) الفحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٣هـ)، ٢٤/١.

**أَبْنِي حَنِيفَةَ أَحْكَمُوا سُفَهَاءَكُمْ * * * إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا^(١)**

والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حَكَمْتُ فَلَمَّا تَحْكِمَ مَنْعَهُ عَمَّا يَرِيدُ، وَحُكِّمَ فَلَمَّا فِي كَذَا، إِذَا جُعِلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ، والمُحَكَّمُ: المجرَّبُ المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة: **لَيْتَ الْمُحَكَّمَ وَالْمَوْعَظَ صَوْتَكُمَا * * * تَحْتَ
الثَّرَابِ إِذَا مَا الْبَاطِلُ انْكَشَفَ^(٢)**

والحكمة، بالكسر: العَدْلُ في القضاء كالْحُكْمُ، وَالْحِكْمَةُ: الْعِلْمُ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَالْعَمَلُ بِمُقْضَاهَا.

وقال الجوهرى : الْحُكْمُ : الْحِكْمَةُ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْحَكِيمُ: الْعَالِمُ، وَصَاحِبُ الْحِكْمَةِ، وَقَدْ حَكَمَ كَرْمُ: صار حَكِيمًا، قال التَّمِيرُ بْنُ تَوْلَبَ: **وَأَبْغِضُ بَعِيشَكَ بُغْضًا رُوَيْدًا * * * إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ
أَنْ تَحْكُمَ^(٣)**

**وَالْحُكْمُ الْعِلْمُ وَالْفَقْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَنَا
الْحُكْمَ صَدِيقًا^(٤)﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ**

(١) قاله جرير لبني حنيفة، وكان ميلهم مع الفرزدق، انظر: الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محسن الشعر وأدبها، تحقيق: محمد محبي الدين عبدالحميد، ط٥ (بدون: دار الجيل، ١٩٨١م)، ١٦٨/٢.

(٢) أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة، انظر: أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٩١/٢، ومحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصارى، لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١٤٣/١٢، محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، ناج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بدون: دار الهداية)، بدون)، ٥١٦/٣١.

(٣) أي: إذا حاولت أن تكون حكيمًا، انظر: ابن منظور، مرجع سابق، ٥٢١/٣١، ١٤٠/١٢، والزبيدي، مرجع سابق، ١٤٠/٣١.

الملحوظ جداً هذا التذليل الذي ختمت به الآية الكريمة؛ جعلني الله وإياكم من أولي الألباب المؤيدين بالحكمة وفصل الخطاب.

المبحث الثاني: العقل في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف العقل.

العقل في اللغة: قال الراغب الأصفهاني: وأصل العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقل، وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها، وعقل لسانه: كفه^(٥)، وهنا نلاحظ اشتراك العقل والحكمة في أصل إرادة المعن.

أما التعبير القرآني للعقل، فقد جاء مجرداً من آل التعريف بمعنى التعقل^(٦)، والذي يشير بدوره إلى الوظيفة العملية للعقل، ويمكن حصر هذه الأفعال على النحو التالي:

أ- ورد بصيغة (عقلُوه) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحْرِقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُنَّ يَعْلَمُونَ﴾^(٧).

ب- ورد بصيغة (تعقلُون) في أربعة وعشرين موضعًا في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِإِلَيْهِ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَأْوِلُونَ الْكِتَبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، (دمشق)، بيروت: دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٢هـ / ١٩٨٥م.

(٦) وتكرر ذلك في القرآن الكريم في تسعه وأربعين موضعًا، انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهوس لأنفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٧م)، ص: ٥٧٥.

(٧) سورة البقرة، آية رقم: ٧٥.

(٨) سورة البقرة، آية رقم: ٤.

المطلق سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بحاله وكماله^(٩).

وسر الشيخ عبد الرحمن السعدي المراد من الحكمة، فقال: (هي العلوم النافعة والمعارف الصافية، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، ثم قال: وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام)^(١٠).

ونخلص من ذلك إلى أن الحكمة تعني القصد والاعتدال، وإدراك العلل^(١١) والغايات، وهذا لا يكون إلا صبر طويل، ومجاهدة للنفس، يقول تعالى: ﴿يُؤْقِنُ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَيَ حَيْرَةً كَثِيرًا وَمَا يَدَّكِرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١٢)، ولعل من

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، ٢٥٦١.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معاذ اللويحيق (بدون: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م) ٩٥٧/١.

(٣) والسلف الصالح - رحمهم الله تعالى - لا يختلفون في تعليل أحكام الله، فهي معللة بجلب المصالح، ودرء المفاسد، يقول ابن القيم: وجمهور الأمة يثبت حكمته سبحانه والغايات محمودة في أعماله فليس مع النفة سمع ولا عقل ولا إجماع بل السمع والعقل والإجماع والفترة تشهد ببطلان قولهم، والله الموفق للصواب وجماع ذلك إن كمال الرب تعالى وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وقدرتها، وإحسانه، ومحده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أعماله صادرة منه لا لحكمة ولا لغاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد ببطلانه، انظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليق، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨)، ٤/٢٠٤.

(٤) سورة البقرة، آية رقم: ٢٦٩.

جزء منه، كما هو مشاع في أوساط المدارس الفلسفية الغربية، قال تعالى: ﴿أَفَمَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَفَإِذَا ذُكِرَ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١)، يقول الفخر الرازى: فيه دلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلًّا للتعقل^(٢)، كما جاء التأكيد على جهة القلب في الآية ذاتها، بقوله: بُلْجَحْ لَذْ فَلَا يَقْبِلُ بَعْدَهَا تَأْوِيلَ.

وعلى أساس ذلك عرَّف الشنقيطي العقل، فقال: (هو نور روحاني تُدرك به النفس العلوم النظرية والضرورية، وأن من خلقه وأبرزه من العدم إلى الوجود، وزين به العقلاً وأكرمه به أعلم بمكانه الذي جعله فيه من جملة الفلاسفة الكفرة الخالية قلوبهم من نور سماويٍ وتعليم إلهي)^(٣)، ثم قال في

سورة الجاثية، آية: ٢٣، وقال سبحانه: ﴿فَلَا يَتَبَرَّوْنَ الْقُوَّاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفَقَلَهَا﴾ انظر سورة محمد، آية: ٢٤، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: (يَا مُؤْلِّبَ الْقُلُوبِ تَبَثُّ قَلْبِي عَلَى دِينِكِ)، قال أنس رضي الله عنه، فقلنا يا رسول الله أمنًا بك وبما جئت به، فهل تخافُ علينا؟ قال: فَقَالَ : (عَمِّ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصْنَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُفْلِبُهَا)، انظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، سنن الترمذى، تحقيق: بشار عواد معروف،(بيروت: دار المغرب، ١٩٩٨م) ح ٢١٤٠، أبواب القرآن، باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ١٦/٤، وحسنه الترمذى.^(٤) سورة الحج، آية: ٤٦.^(٥)

(٦) الرازى، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب، ط٣(بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠ھـ) ٢٣/٢٣، ٢٣٤.

(٧) منقول من كلام الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، العنبر النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد السبت، ط٢(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ١٤٢٦ھـ)، ١٥٩/١، ومجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطي،(الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ٢٠٠٧م) ٨٦/١.

﴿أَعْلَمُكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١)، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ج- ورد بصيغة (تعقل) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كَانَ نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كَانَ فِي أَعْجَبِ السَّاعِدِ﴾^(٣).

د- ورد بصيغة (يَعْقِلُهَا) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾^(٤).

٥- ورد بصيغة (يَعْقِلُونَ) في اثنين وعشرين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفُ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمَسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَنْتَ لِقُومٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٥)، قوله تعالى: ﴿أَوْلَوْ كَانَ إِبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٦).

وقد عَبَّر المولى سبحانه وتعالى عن التعقل بألفاظ أخرى^(٧)، وكان من اللافت للنظر أن ينسب القرآن العقل إلى القلب^(٨) وليس إلى الرأس ولا إلى

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٢٤٢.

(٢) سورة يوسف، آية رقم: ٢.

(٣) سورة الملك، آية رقم: ١٠.

(٤) سورة العنكبوت، آية رقم: ٤٣.

(٥) سورة البقرة، آية رقم: ١٦٤.

(٦) سورة البقرة، آية رقم: ١٧٠.

(٧) كالحجر، وأولي النهى، وأولي الأنبياء.

(٨) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِيَهُمْ كَبِيرًا مِنْ لَحْنٍ وَلَا يَقْهُونَ بِهَا﴾

انظر: سورة الأعراف، آية: ١٧٩، وقال سبحانه: ﴿لَوْمَةً لَا يَتَفَعَّلُ مَالَ وَلَا

بَئْنَ﴾^(٩) إِلَّا مَنْ أَنِّي اللَّهُ يَقْلِبُ سَلِيمًا﴾، انظر: سورة الشعراء، آية: ٨٩-٨٨،

وقوله: ﴿خَتَّرَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِنَا﴾ انظر: سورة البقرة، آية: ٧، وقال سبحانه:

:﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ لَقَى أَسْمَعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ انظر:

سورة ق، آية: ٣٧، وقال: ﴿أَوْعَيْتَ مَنْ أَنْجَدَ إِلَيْهِ، هُوَ هُوَ وَأَنْجَدَ اللَّهُ عَلَى عَلِيٍّ وَجَاهَ عَلَى

سَمْعِيهِ وَقَلْبِهِ وَجَاهَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَّوَهُ فَنِيَ بِهِدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَدْرُونَ﴾ انظر:

والسنة النبوية)، ولا تعارض في ذلك بين العقل والنقل بل هو توافق وتناغم وانسجام، يقول الدكتور راجح كردي: (وهذه ميزة القرآن الكريم على غيره فيما يتعلق بمصادر المعرفة، فالقرآن يأخذ على المذاهب البشرية انشطاريته في تحديد طريق المعرفة، فيأخذ على التجربيين حصرهم لطرق المعرفة بالحواس باعتبارهم العقل حساً أو انعكاساً لأثر الحواس، كما يأخذ على العقليين تطرفهم في تقديس العقل وتجاوزهم في تقدير دوره في المعرفة، فالقرآن لا يؤيد فكرة الصراع بين الحس والعقل، بل يجعلهما منسجمين انسجام الفطرة الإنسانية المخلوقة بإحكام وتكامل فيما بين أجزائهما^(٥).

وبنفس هذا التوافق والانسجام في العلوم والمعارف، يكون التوافق والانسجام بين سائر أعضاء الإنسان^(٦)، والمحصلة في نهاية الأمر واحدة، حيث الألوهية المطلقة لله تعالى.

والقرآن يمضي قدما في تغيير ذلك، فتجده يذكر هذا التوافق والانسجام فيما هو أبعد من ذلك، حيث الكون بما فيه من أجرام وأفلاك مع صديقه الإنسان، حيث يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا﴾

موضع آخر: (والله عز وجل لم يكذب اليهود عندما
نسبوا العقل إلى القلب، فقالوا: قُلُوبُنَا غُفْرٌ بسكون
اللام يعنون: أنَّ عليها غلافاً، أي: غشاء يمنعها من
فهم ما تقول؛ فأقرُّهم الله على أنَّ قلوبهم هي محل
الفهم والإدراك؛ لأنها محلُ العقل، ولكن كذبُهم في
ادعائهم أنَّ عليها غلافاً مانعاً لها من الفهم، فقال -
على سبيل الإضمار الإبطالي، فقال سبحانه: ﴿بِلَّ
طَبَاعَ اللَّهِ عَلَيْهَا يُكَفِّرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، كما أن
المشركين كانوا يعلمون أيضاً بأنَّ محلَ العقل القلب،
والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا فُؤُبُنَا فِي أَكْيَنَتِي مِمَّا نَدْعُونَا
إِلَيْهِ وَفِي إِذَا نَبَرْ وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾^(٢)، ولم يكذبُهم
الله في ذلك، ولكنه وبَحْثَمْ على كفرهم، فقال: ﴿قُلْ
إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَبَجَعَلُونَ لَهُ
أَنَّدَارًا﴾^(٣).

المطلب الثاني: وظيفة العقل عند الإنسان:

لقد بالغ فلاسفة اليونان في تقدير العقل حتى
جعلوه حَكْماً على الشريعة، فكل ما وافق عليه العقل
 فهو من الشريعة، وكل ما خالف العقل - بتصورهم
 - لا يعد من الشريعة، وتبعهم في ذلك بعض
 المؤثرين بتلك المدارس، كالفارابي وغيره، والصواب
 أن العقل ما هو إلا وسيلة لفهم الوحي (القرآن الكريم)

(٥) راجح عبدالحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، (الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ٦٢٥/٢.

(٦) ويمكن أن نستأنس في ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو توادع له سائر الجسد بالسهر والحمق)، انظر: صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ٤٦٨٥، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاضدهم، ٤٦٨١٢.

(١) سورة النساء، آية: ١٥٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ٥.

(٣) سورة فصلت، آية: ٩.

(٤) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين، أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحث والدراسات،(بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٥)، ٢٧٥/٥، وكتاب: مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين البكى الشنقيطي، مترجم سابق ٩٤/١، يتصرف.

المطلب الثاني: أسلوب الحث والتعزيز في رحلة بناء العقل:

١- التأكيد على إعمال العقل في قضايا الخلق؛ منها:

أ- الكون والآفاق: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ أَيَّلَلِ وَالنَّهَارِ لَذِكْرٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقَعْدَةً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٥)، والقرآن في هذه الآيات يقدم نموذجاً عظيماً من الخلق، ففي السموات والأرض من مظاهر القدرة والإبداع ما يدهش الإنسان، وربما تخللت آيات الكون أسئلة دقيقة تدعوا إلى التحليل، والمقارنة، وبعضها يستحق العقل للاستنباط والاستنتاج^(٦)، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبْلًا لَعَاهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٧) وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن عايتها معرضون وهو الذي خلق أيل ونهار وسمسم ولقمر كل في فلك يسبحون﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ

لَكُمْ وَسَخَرَ لَكُمُ الْفُلُكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾^(٩).

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في رحلة بناء عقل الإنسان.

المطلب الأول: المراد بالأسلوب القرآني:

ويطلق الأسلوب في اللغة على الطريق الممتد، ويقال للسطح من النخيل أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفنان منه، وفي اصطلاح البلاغيين: هو طريقة اختيار الألفاظ وتتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيصال والتأثير، أو هو العبارات.^(١٠)

فالأسلوب القرآني: هو طريقته في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، ولهذا الأسلوب القرآني خصائصه الفنية، وسماته البلاغية، ولطائفه اللغوية، وسوانحه العقلية، وتأثيره الخاص في النفوس السوية، وفي النفوس الجامحة أيضاً، وله جمال يعرف ولا يوصف، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمَعَ نَفْرَةً مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجِيبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ شَرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(١١)، فمهما قيل فيه فهو أسمى وأرفع من أن تحيط بكنه العقول، أو تعبر عنه ألسنة المتكلمين أو أقلام الكاتبين.^(١٢)

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

(٢) انظر: د مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط٣(دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥م)، ١٤٤-١٤٣/١.

(٣) سورة الجن، من آية: ٢-١.

(٤) انظر: المرجع السابق، ودكتور محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ط٢ (بدون: دار المنار، ١٩٩٩م)، ٣٢٧/١، "بتصريف".

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩٠-١٩١.

(٦) وهذه الدراسات التنموية والفكيرية بطبيعة الحال بحاجة إلى مراصد بحثية، وأجهزة تقنية، وتحتاج إلى معامل وأدوات للتنقيب، والبحث والتحليل، وغيرها من الأمور التي من شأنها أن تتحقق معاني استخلاف الإنسان في الأرض.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٣٣-٣٠.

وَلَدِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَعَلَا بِعَصْبُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يَصْنُونَ^(٦)، وَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿أَرْتَ أَنْخَدُوا إِلَهَهُمْ مِنْ أَلْرَضٍ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾^(٧) لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَنَّا يَصْنُونَ^(٨)، وَرِبِّا جَاءَ التَّهْدِيدُ الصَّرِيحُ لِمَنْ يَغْفُلُ عَنِ الْفَهْمِ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَعْثَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ بِشَيْئًا وَيُذِيقَ بَعْصَكُمْ بَأْسًا بَعْضًا أَنْظُرْنِي كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَاهُمْ يَقْهُمُونَ﴾^(٩).

بـ-الإنسان: وخلق الإنسان بحد ذاته عظمة وعبرة، ومن أعظم الشواهد الدالة على عظيم خلق الله وبديع صنعته، قال تعالى: ﴿وَفِي أَفْسِكُهُ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١٠)، قال ابن العربي: (ليرى أنـ الباريـ تعالى لا يُعْدـرـ علىـ جـدـهـ لـظـهـورـ آيـاتـهـ فيـ أـفـعالـهـ ...ـ وـلاـ يـحـيطـ بـهـ لـكـبـرـيـائـهـ وـعـظـمـتـهـ،ـ فـإـذـاـ وـقـفـ مـتـفـكـراـ فـيـ هـذـاـ نـادـاهـ الـاعـتـبارـ) ^(١١)،ـ وـمـنـ الـأـدـلـةـ أـيـضاـ قـولـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَلَقَدْ حَلَقَنَا إِلـاـسـنـ مـنـ سـلـلـةـ مـنـ طـلـيـنـ﴾^(١٢) ثـمـ جـعـلـنـهـ نـطـفـةـ فـيـ قـرـارـ مـكـيـنـ^(١٣) ثـمـ حـلـقـنـاـ الـنـطـفـةـ عـلـقـةـ فـخـلـقـنـاـ الـعـلـقـةـ مـضـعـةـ فـخـلـقـنـاـ الـمـضـعـةـ عـظـلـمـاـ فـكـسـوـنـاـ الـعـلـمـ لـحـمـاـ ثـمـ حـلـقـاـ اـخـرـ فـتـبـارـكـ اللـهـ أـحـسـنـ الـخـالـقـينـ^(١٤) ثـمـ إـنـكـ بـعـدـ دـالـكـ لـمـيـتـونـ^(١٥) ثـمـ إـنـكـ كـمـ يـوـمـ الـقيـمةـ^(١٦) وـلـقـدـ حـلـقـنـاـ فـوـقـكـ سـبـعـ

الـدـىـ حـلـقـ الـسـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ قـادـرـ عـلـىـ أـنـ يـخـلـقـ مـشـاهـمـ وـجـعـلـ لـهـمـ أـجـلـاـ لـأـرـبـ فـيـهـ فـابـ الـظـلـالـمـونـ إـلـاـ كـفـورـ﴾^(١٧)، وـقـولـهـ: ﴿لـخـلـقـ الـسـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ أـكـبـرـ مـنـ خـلـقـ الـنـاسـ وـلـكـنـ أـكـثـرـ الـنـاسـ لـأـ يـعـلـمـونـ﴾^(١٨) وـمـاـ يـسـتـوـيـ الـأـغـمـىـ وـالـبـصـيرـ وـالـذـينـ ءـامـنـوـ وـعـمـلـوـ الـصـالـحـاتـ وـلـأـ الـمـسـىـءـ قـيلـاـ مـاـ تـسـدـكـرـوـنـ﴾^(١٩)، وـقـولـهـ تـعـالـىـ: ﴿أَوَلَمْ يـرـ الـذـينـ كـفـرـوـ أـنـ الـسـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ كـانـتـ رـتـقـاـ فـتـقـهـمـاـ وـجـعـلـنـاـ مـنـ الـمـاءـ كـلـ شـئـ حـيـ أـفـلـاـ يـؤـمـنـونـ﴾^(٢٠) وـجـعـلـنـاـ فـيـ الـأـرـضـ رـوـسـيـ أـنـ تـمـيـدـ بـيـهـ وـجـعـلـنـاـ فـيـهـاـ فـيـجـاجـاـ سـبـلـاـ لـعـاهـمـ يـهـمـدـونـ^(٢١) وـجـعـلـنـاـ الـسـمـاءـ سـقـفـاـ مـحـفـوـطاـ وـهـمـ عـنـ ءـاـيـتـهـ مـعـرـضـوـنـ^(٢٢) وـهـوـ الـذـىـ حـلـقـ الـيـمـ وـالـنـهـارـ وـالـشـمـسـ وـالـقـمـرـ كـلـ فـلـكـ يـسـبـحـونـ﴾^(٢٣)، وـقـولـهـ تـعـالـىـ: ﴿الـلـهـ الـذـىـ رـفـعـ الـسـمـوـاتـ بـعـيـرـ عـمـدـ تـرـوـنـهـاـ لـمـ أـسـوـيـ عـلـىـ الـعـرـشـ وـسـحـرـ الـشـمـسـ وـالـقـمـرـ كـلـ يـجـرـيـ لـأـجـلـ مـسـمـيـ يـدـبـرـ الـأـمـرـ يـفـصـلـ الـآـيـاتـ لـعـلـكـمـ بـلـيـقـاءـ رـيـكـوـنـوـنـ﴾^(٢٤)، وـقـولـهـ: ﴿الـلـهـ الـذـىـ خـلـقـ الـسـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـأـنـزـلـ مـنـ الـسـمـاءـ مـاءـ فـأـحـجـ بـهـ مـنـ الـشـرـمـ رـزـقـاـ لـكـمـ وـسـحـرـ لـكـمـ الـفـلـكـ لـتـجـرـيـ فـيـ الـبـحـرـ بـأـمـرـهـ وـسـحـرـ لـكـمـ الـأـنـهـرـ﴾^(٢٥).

كـمـ أـنـ هـنـاكـ آـيـاتـ أـخـرىـ قدـ استـخـدـمـتـ الـاسـتـبعـادـ لـامـتـنـاعـ تـصـورـ ذـلـكـ بـالـعـقـلـ،ـ حـيـثـ يـقـولـ تـعـالـىـ: ﴿مـا أـنـجـدـ اللـهـ مـنـ

(٦) سورة المؤمنون، آية: ٩٠.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٢١-٢٢.

(٨) سورة الأنعام، آية: ٦٥.

(٩) سورة الذاريات، آية: ٢١.

(١٠) أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، بدون)، ٢١٥/٣.

(١) سورة الإسراء، آية: ٩٩.

(٢) سورة غافر، آية: ٥٧-٥٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٣٣-٣٠.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

الْعَلِمُ قَلِيلًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٧)، والنصوص في فضل العلم والتعلم في القرآن الكريم، وفي التراث الإسلامي متوافرة، ولعل القسم بالقلم، وننزل أقرأ في أول الوحي خير شاهد ودليل.

وبقدر ما جاء في نصوص الوحي من مدح للعلم والعلماء، كان الذم بأقبح الأوصاف لمن لا يتبع علمه بعمل، يقول تعالى: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ بَأْبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ إِلَيْتَنَا فَأَنْسَخَ مِنْهَا فَأَبْعَثَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِيْنَ وَأَنْوَى شَيْئَنَا رَوْفَنَهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَتَّبَعَهُ هَوَيْهُ فَمَنْكَلُهُ كَمَثْلِ الْكَلَبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَدَّبُوا بِإِيمَانِهِمْ فَأَقْصَصُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^(٨)»، وقال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ كَبُرُ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٩)، وقال تعالى: «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْمُرْبُودِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(١٠)»، ولاحظ في هذا النوع من الآيات تذليلها بما يستحب العقل على التفكير.

٣- التشديد على الضبط والإتقان والجودة:

إن تربية نفس الإنسان وفكره على اتقان الأعمال وتجويدها من الأمور الهامة التي أكدت عليها نصوص الوحي، واعتنت بها عناية فائقة، فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ

طَرَيْقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ^(١)»، وقال تعالى: «وَمَنْ تُعْمَرُ نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ^(٢)»، وقال تعالى: «أَيُحَسِّبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يُنْزَكِ سُدَىٰ^(٣) إِلَّا يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّا يُمْكِنُ^(٤) كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَىٰ^(٥) فَجَعَلَ مِنْهُ الْرَّوْحَىْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ^(٦) إِلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَىَّ أَنْ يُحْكِمَ الْمَوْقَفَ^(٧)».

٤- الحث على العلم والعمل به:

يعتبر العلم والتعلم أساساً للدور الإنساني في هذه الحياة، وقد امتن المولى الكريم على البشرية بما هيأ لهم من أدوات وأسباب بعد أن كانوا صفراء في هذا الوجود، فقال سبحانه: «هَلْ أَنْتَ عَلَى الْإِنْسَنِ حِلْ مِنَ الْدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا^(٨) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ فَجَعَنَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا^(٩) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا^(١٠)».

كما رفع القرآن الكريم من مكانة أهل العلم إلى أعلى المناصب والرتب، حيث يقول: «يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرٌ^(١١)»، كما قرن سبحانه شهادتهم بشهادته جل جلاله، وشهادة الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام^(١٢)، فقال: «شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُو

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٢-١٧.

(٢) سورة يس، آية: ٦٨.

(٣) سورة القيمة، آية: ٣٦-٤٠.

(٤) سورة الإنسان، آية: ٣-١.

(٥) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٦) انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامه، ط٢(بدون: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ٢/٤٢.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٧٥-١٧٦.

(٩) سورة الصاف: ٣-٢.

(١٠) سورة البقرة، آية: ٤٤.

شَيْءٌ إِنَّهُ وَخَيْرٌ بِمَا تَعْلَمُونَ^(٣)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبَعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلَقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوِيتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ^(٤)﴾ أي: خلل ونقص، يقول السعدي في تفسيره: (إِذَا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات، ولما كان كمالها معلوماً، أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أي: أعده إليها، ناظراً معتبراً ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: نقص واحتلال، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَتَنِ﴾ المراد بذلك: كثرة التكرار ﴿يَتَقَبَّلَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَلِسًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: عاجزاً عن أن يرى خلا أو فطوراً، ولو حرص غاية الحرص^(٥).

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلَقِينَ^(٦)﴾ الذي بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفح فيه من روحه وجعل له السمع والبصر والفؤاد، فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق^(٧). كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ^(٨)﴾.

٤- التشجيع على النظر والاجتهاد :

والتأمل في آيات القرآن يجد أنها قد أجملت القول في أحكام المعاملات، وذلك لأن حاجة الناس إليها متعددة فسمحت بالاجتهاد، ولكن في إطار

أحدكم عملاً أن يتقنه^(٩)، وقد تكررت المطالبة بالتحسين والتجويد بألفاظ متنوعة، كالإتقان والإحسان والصدق، وقد ربط الشاعر الحكيم تلك المعاني والتعبيرات ببنقوى الله، وأداء الأمانة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوِيَ اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ^(١٠)﴾ والصدق في هذه الآية يشمل جميع الأقوال والأعمال، قال تعالى: ﴿فُلِّ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكُونِي وَمَحْيَانِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١١)﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^(١٢)﴾، ورتب المولى سبحانه وتعالى على ذلك امتحان الإنسان في هذه الحياة، فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِبَيْلُوكُ أَيْكُو أَحَسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ^(١٣)﴾. وفي معنى الإحسان، يقول تعالى: ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(١٤)﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلِيُحِدَّ أَحْدَكُمْ شَفْرَتَهُ وَلِيُرِحَّ ذَبِيْحَتَهُ^(١٥)).

والله سبحانه وتعالى يستحبث في الإنسان كذلك جانب القدوة، وذلك عندما يأمره بالنظر إلى بديع صنعه، فيبصر في خلق الرحمن أعلى درجات الإتقان والجودة، قال تعالى: ﴿صُنِعَ أَلْوَانُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ

(١) أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م)، ح ٤٣٨٦، مسند عاشة، ٣٤٩/٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف (١١١٣)، ١٠٦/٣.

(٢) سورة التوبية، آية: ١١٩.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٣-١٦٢.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ٩٥.

(٦) صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٩٥٥، كتاب الأيمان، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ١٥٤٨/٣.

(٧) سورة النمل، آية: ٨٨.

(٨) سورة الملك، آية: ٣.

(٩) السعدي، مرجع سابق، سورة الملك، ١/٨٧٥.

(١٠) سورة المؤمنون، آية: ١٤.

(١١) المرجع السابق، ١/٥٤٨.

(١٢) سورة التين، آية: ٤.

الأوائل، هو الذي أدى إلى سيادة الحضارة الإسلامية لقرون طويلة على العالم شرقيه وغربيه، بل ساهمت في بروز عصر النهضة الأوربية من خلال نزعة كرسها مفهوم عمارة الكون^(٤).

٥- العناية بفهم حقيقة الأشياء وجواهرها:

لقد فطر المولى عز وجل الإنسان على محبة الحق والوقوف إلى جانبه، إلا أن الحق عصي على من لا يبذل في سبيل تحصيله الجهد المطلوب، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَاتَصُوا بِالْحَقِّ وَوَاصَّوْا بِالصَّبَرِ﴾^(٥). لقد أشاد القرآن الكريم بال موقف الشجاع لامرأة العزيز عندما قررت قول الحقيقة، فقال سبحانه:

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ أَلَنْ حَصَّصَ الْحُقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي ۚ وَإِنَّهُ لِمَنِ الْأَصْدِيقِينَ ۝ ذَلِكَ لِعَمَّارٍ أَتَ لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الظَّاهِرِينَ ۝ وَمَا أَبْرُئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالْسُّوءِ إِلَّا مَا رَحَمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٦)، هكذا بكل بساطة ويسر دون الحاجة إلى الجلوس على كرسي للاعتراف، فالمقصود أن يرى المولى عز وجل من نفس هذا الإنسان الصدق، والانكسار بين يديه؛ مبتعداً عن الهوى، والتعصب، وطلب العزة بالإثم، ولذا جاء في الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورَكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)^(٧)، وفي

(٤) جمال عبد العزيز، مصدرية القرآن والسنة للمعرفة، والإحالة على كتاب: مصادر المعرفة للدكتور جمال عبد العزيز شريف والبروفيسور عبد الله محمد الأمين النعيم، ص ١٢، على الرابط:

<https://vb.tafsir.net/tafsir16002/#post78798>

(٥) سورة العصر ١-٣.

(٦) سورة يوسف، آية: ٥٣-٥١.

(٧) صحيح مسلم، ح (٤٦٥١)، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماليه، ٤٢٧/١٢.

قواعد الشرع الكلية ومقاصده، ولهذا جعلت الأصل في الشروط والعقود الإباحة، وقابلت أمور العقائد والعبادات التي فصلت فيها القول بالمنع والتوقيف، وهذا التمايز - بين القبول والمنع - من شأنه أن يضيف إلى عقل الإنسان الانفتاح المتزن بميزان الشرع، والوحى بذلك يربى في الإنسان جانب المرونة والتوسط والاعتدال، وعليه فإنه لا ينبغي للمسلم أن يقف موقف العداء من علوم الآخرين، وعليه أن ينظر في كل معلومة ترد إليه بنظرة فاحصة متأنية، وقد تعلمنا في تراثنا الإسلامي أن الحكمة ضالة المؤمن^(٨)، وسبق أن أخذ أبو هريرة - رضي الله عنه - معلومة من الشيطان، وأكده له النبي صلى الله عليه وسلم صحتها، فقال: (قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كُذُوبٌ)^(٩)، كما أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا يَهِمُكُمْ اللَّهُ عَنِ الْذِينَ لَمْ يُفْتَنُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجْرِيْكُمْ مِنْ دِيْرِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَنَفْسِيْطُوْهُمْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ﴾^(١٠)، قال جمال عبد العزيز: (وجود هذا التمايز في فهم المسلمين

(١) وقد تراجع النبي صلى الله عليه وسلم عن النهي في أن يجامع الرجل امرأته وهي مرضع بسبب تجربة الروم والفرس، حيث قال: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغَيْلَةِ حَتَّىٰ ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّؤْمَ، وَفَارَسَ يَغْلُوْنَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أُولَادُهُمْ)، انظر: صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٤٢٢، كتاب النكاح، باب: حوار الغيلة، وهي وطء المرضع، وكرامة العزل، ١٠٦٦/٢.

(٢) البخاري، مرجع سابق، ح ٢٣١١، كتاب الجمعة، باب: (إِذَا فَتَّنَنَا عَلَيْهِ بَابًا ذَا عَذَابٍ)، ١٧/٦، وجاء فيها: (وَكُلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْظِ زَكَّةِ رَمَضَانَ، فَتَأْنِي أَتِ فَجَعَلْ يَحْنُوْ مِنَ الطَّعَامِ فَأَخْتَنَهُ، فَقَلَّتُ لَأَرْفَعَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَقَالَ: إِذَا أَوْيَتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَمْ يَرَالْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يُقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ، قَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَدَقَكَ وَهُوَ كُذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ".

(٣) سورة المتحنة، آية: ٨.

اللإضافة، والدقة، والمراقبة هو القرآن الكريم، ومثاله على النحو التالي:

استخدام القرآن الكريم لأسلوب الاستجواب العقلي، وهذا الأسلوب يهدف إلى استثارة القوى العقلية^(٣)، لأجل تقرير حقيقة الألوهية، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ ۝ يَقُولُنَّ خَلَقْنَّهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَأَشَرَّنَا بِهِ بَلَدَةً مَيَّتَةً ۝ كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلَىٰ وَالْأَنْعَمِ مَا تَرْكُونَ ۝ لِتَسْتَوُا عَلَىٰ طُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِعَمَّةٍ رَيْكُمْ إِذَا أُسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُعْنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمْ نَقْلِبُونَ ۝ ۸۱)، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ۸۲ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ۸۳ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرِشِ الْعَظِيمِ ۝ ۸۴ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَشْكُرُونَ ۝ ۸۵ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي رَبَّ الْعَرِشِ ۝ ۸۶ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ۸۷ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنِّي تُسَخِّرُونَ ۝ ۸۸ .

كما أن القرآن الكريم قد ذكر لنا الرد على سؤال موسى عليه السلام؛ عندما طلب رؤية خالقه وسيده ومولاه، فأرشده الله تعالى إلى النظر للحاجة للتغيير الذي سيطرأ على الجبل، حالة تجلٰ الله سبحانه له، ومنه يصل المرء إلى

موضع آخر: (رَبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ) ^(١)، وما زال القرآن الكريم يُنمِي في نفوس أتباعه الجانب الرقابي، فقال: ﴿مَا يَلْيَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَهُ رَقِيبٌ عَيْدٌ﴾ ^(٢)، فَنَّ يَعْمَلُ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ حَيْرًا يَرْهُدُ ^(٣) وَمَنْ يَعْمَلُ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّا يَرْهُدُ ^(٤)، حتى أَسْهِمَ ذَلِكَ فِي استشعار حجم المسؤولية، وعليه فلا مناص لل المسلم من البحث عن الحقيقة والوقوف إلى جانبها، حتى يصدق على الإنسان مسمى الإسلام.

كما أمر المولى سبحانه وتعالى بأن يكون
ميزان الحق والعدل هو الحكم بين العباد، فقال
 سبحانه: ﴿يَدَاوُدْ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ
 يَا لَكُنْ وَلَا تَتَبَعْ الْهَوَى فَيُضْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سُوَّا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٤)،
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربى في نفوس
 أصحابه الوقوف على حقائق الأشياء بالأدلة
 المحسوسة، فيقول: (لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَةِ)^(٥)، كما
 كان عليه الصلاة والسلام يشيد بأصحاب المعرفة،
 لأنهم وقفوا عليها بأنفسهم، فأصبحوا من أهل
 الاختصاص والتجربة، ولذا قال عليه الصلاة والسلام
 في قصة تأثير النخل: (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)^(٦)،
 وأصل دعوة العقل للعمل بالتجربة، والبحث على

(١) المرجع السابق، ح(٤٧٥٤)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الصعفاء، ٦٠/١٣.

١٨: آية، سورۃ ق (۲)

(٣) سورة الزلزلة، آية: ٧-٨.

(٤) سورة ص، آية: ٢٦

(٥) مسند الإمام أحمد، ح(١٨٤٢)، من حديث ابن عباس، وصححه الأرنووط في طبعة مؤسسة الرسالة، ح(١٨١٤).

(٦) صحيح مسلم، ح ٦٢٧٧، كتاب الفضائل، باب: وجوب امتنال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا، ٩٥/٧.

كذبة المنافقين، وفي هذه الآية توجيه عظيم للمؤمنين، ودرس كبير ينبغي الإفادة منه.

ونصوص الوحي دعت بصفة عامة إلى التثبت في نقل الأخبار، وضبطها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يُبَيِّنُ أَنَّ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلِهِ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِين﴾^(١)، وجاء في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: (نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَ شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)^(٢) وفي رواية: (نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَ حَدِيثًا حَفِظَهُ حَتَّى يُبَلَّغَهُ غَيْرُهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ)^(٣)، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يشدد على الناس في مسألة التثبت، فيقول: (كَفَى بِالْمُرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)^(٤)، كما كان عليه الصلاة والسلام يحرك في أصحابه جانب التعقل للوقوف على حقائق الأشياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلْدِي ُخَلَّامٌ أَسْوَدٌ! فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِلِٰ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا الْوَالِهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أُورَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: لَعْلَهُ نَرَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَرَعَهُ)^(٥)، فهنا يُوقف

(٦) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٧) الترمذى، مرجع سابق، ح ٢٦٥٧، أبواب العلم، باب: ما جاء في الحديث على تبليغ السماع، ٤، ٣٣١، وقال: حديث حسن صحيح.

(٨) النسائي، مرجع سابق، ح ٥٨١٦، كتاب العلم، الحديث على إبلاغ العلم، ٣٦٣/٥.

(٩) صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم، بابُ النَّهْيِ عَنِ الْخَدِيثِ يُكْلِمُ مَا سَمِعَ، ١٥١.

(١٠) صحيح البخارى، مرجع سابق، ح (٥٣٠٥)، كتاب العلم، باب: إذا عرض بنبأ الولد، ١٣١/١٣.

حقيقة تتصل بالخلق، وهي استحالة رؤيته في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَقَرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ وَلِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّا وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)، كما جاء الدليل من القرآن الكريم باستخدامه للتجربة العملية في ردوده، وذلك حتى يقف الإنسان على النتيجة بنفسه، قال تعالى: ﴿وَلَذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْكِمُ الْمَوْقِفَ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنَ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطَمِّنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةَ مِنَ الظَّرِيرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مَمْهَنَ جُنُونًا ثُمَّ أَذْعُهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مَمْهَنَ جُنُونًا ثُمَّ حَكِيمٌ﴾^(٧).

بـ- التثبت من المعلومة قبل النقل، والقرآن الكريم قد أشاد بالموقف النبيل لأبي أيوب الأنباري وزوجه، وذلك عندما أنزلها نفسمها مكان المتهم في الحادثة التي وصفها القرآن الكريم بالإفك، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ طَلَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَأْنِفُسُهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْلُكُ مُبِينٌ﴾^(٨)، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته^(٩)، ولأنهما كانوا يتمتعان بقلب سليم ، وفكر ناقد؛ لم تمر عليهما

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٠.

(٣) انظر: المرعشى، المرجع السابق، ص ٢١٩ - ٢٢٠."بتصرف".

(٤) سورة النور، آية: ١٢.

(٥) انظر: إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، مسند إسحاق، تحقيق: د عبدالغفور البلوши(المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، بدون)، ٩٧٨/٣، و عمر ابن شبة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم شلتوت(جدة: بدون)، ١٣٩٩، ١/٣٣٥.

فَوْمِ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(٥).

وهذه المعاني الشرعية تدعو الإنسان إلى العناية التامة بفهم الحقائق، وهذا يقتضي بطبيعة الحال إلى عدم الاقتصار على ظواهر الأشياء وعارضها، فالعبرة بالكيف والجوهر، وليس بالكم والمظاهر، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ^(٦) ﴾، والقرآن بذلك يذم الذين يقون على ظواهر الأسباب غير ناظرين إلى مسببها والمتصرف فيها.

٦- ضرب الأمثال:

والقرآن الكريم يكثر من هذا الأسلوب حتى يقرب الفهم على المتعلمين، قال ابن القيم-رحمه الله تعالى-: (... وضرب الأمثال، وصرفها في الأنواع المختلفة، كلها أقىسة عقلية يتباهى بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثّل من الممثّل به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ^(٧) ﴾، فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد رکز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريقي بينهما، والفرق بين

النبي صلي عليه وسلم السائل على عتبة الإجابة، حتى يفقهه بفكرة ما كان يبحث عنه، وجاء في الحديث أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا عَدُوٌّ وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ) فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالِ إِلَيْيِ تَكُونُ فِي الرَّمَلِ كَانَهَا الظِّبَابُ فَيَأْتِيَ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيَجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ)^(٨).

كما أن نصوص القرآن الكريم تطالب الإنسان بأن يضبط عواطفه وجميع انفعالاته، ويتحكم إلى الصدق والأمانة والعدل، فهذه المعاني هي طريق الحق دائمًا وأبدًا، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَحْسَنِ وَإِيتَائِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَنَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظِمُ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ^(٩) ﴾، فالله عز وجل يؤكّد هذا الخبر التشريعي بحرف إن، ويفتحه باسم الجاللة الذي يلقى الحرمة على هذا الخبر ويقوى دواعي الأمة لتلقّيه والعمل به، ويخبر عن الاسم بالجملة الفعلية التي تفيد الأمر وتكرره^(١٠)، ونظير هذه الآية في القرآن الكريم كثير؛ يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمْنَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا^(١١) ﴾، وقال سبحانه: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْلُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَحْمِلُنَّ كُمْ شَنَعَنْ^(١٢) ﴾

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، ح (٥٧١٧)، كتاب العلم، باب: لا صفر وهو داء يأخذ البطن، ٤/٣٥٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط٣ (تونس: دار سخنون، ٢٠١٠م)، ص ١٧٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٥) سورة المائدah، آية: ٨.

(٦) سورة الروم، آية: ٧.

(٧) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

٧- استخدام القصة:

إن الأسلوب القصصي من الأساليب المشوقة والمحببة للإنسان، والموصولة للفكرة بأسرع طريق، وهذا الأسلوب يعتمد على فهم القصة ومن ثم استنتاج موضع العبرة منها، ولهذا الأسلوب أثره الكبير على النفس، وهو في الوقت ذاته موضع لاعتبار العقل والأدلة، ولذا ختم المولى سبحانه وتعالى قصة قوم لوط، بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ رَكِنَّا إِلَيْهَا آيَةً بَيْنَهَا لِقُومٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿فَأَقْصِصُ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

لقد قص علينا القرآن الكريم دعوة الأنبياء إلى قومهم بالتفصيل، ذكر المعجزات التي جاءت على أيديهم، وموقف المعاندين منهم، وبيان عاقبتهم، وذلك في مواطن متعددة من الكتاب الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾^(٣) و﴿قَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُوطٍ﴾^(٤) وأصحاب مدین وَكُذَبَ مُوسَى فَأَمَلَتْ لِكَفَرِيهِنَّ ثُمَّ أَخْذَتْهُمْ فَكِيفَ كَانَ تَكَبِّرُ فَكَانُّ مِنْ قَرِيبَةِ أَهْلَكَنَّهَا وَهِيَ طَالِمَةٌ فَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشَهَا وَبَئْرٌ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾^(٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ إِذَا ذَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ أُلَيْهِ فِي الْأَصْدُورِ﴾^(٦) وقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِيَنِيَّهُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَءَابِلِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهَهَا وَحْدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسَلِّمُونَ﴾^(٧).

المختلفين وإنكار الجمع بينهما)^(٨)، ولاشك أنه أسلوب ناجع، لأنه بطبيعة الحال سوف يستحوذ العقل على الحركة والتفكير، فمن المعلوم أن الشرك بالله يقابله التوحيد، والباطل يقابله حق أبلج، والضلال يقابله الهدى والنور، وأدلة ذلك في القرآن كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَغْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا أَظْلَمْتُ وَلَا أُلُورُ﴾^(٩) وَلَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ يُسْمِعُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١٠)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَغْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ إِلَّا مَا تَسْكَرُونَ﴾^(١١).

وقد خاطب القرآن الكريم فكر الإنسان في أغلب الأمثلة التي جاءت فيه، قال تعالى: ﴿وَنَقْدَ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لِعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١٢)، وقال سبحانه: ﴿يَتَأْيَاهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَعِنُو لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا دُبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الْدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقِدُوهُ مِنْهُ ضَعْفُ الظَّالِمِ وَالْمَظْلُوبِ﴾^(١٣)، وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الْمُحْذَذِينَ احْتَدَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلَيَاءَ كَمَثَلُ الْعَنْكَبُوتِ الْمُحْذَذَتِ بَيْتَنَا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيْوَتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٤)، ولو تأملنا ما ختمت به الآيات السابقة لأدركنا حكمة القرآن من ذلك.

(١) محمد بن أبي بكر بن أبيك ابن القمي الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م)، ١١٦.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٩-٢٢.

(٣) سورة غافر، آية: ٥٨.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ١٤.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٣.

(٦) سورة الزمر، آية: ٢٧.

(٧) العنكبوت، آية: ٣٥.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

(٩) سورة الحج، آية: ٤٢-٤٦.

(١٠) سورة البقرة، آية: ٣٣.

يُقْرِّبُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ يِصَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَصْرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَفَدَ عَلِمُوا لَمِنْ أَشْتَرَنَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلِئَسْ مَا شَرَفَ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ، قال الشيخ حافظ الحكمي : (وَهَذَا الْوَعِيدُ لَمْ يُطْلَقْ إِلَّا فِيمَا هُوَ كُفُرٌ لَا بَقَاءَ لِلْإِيمَانِ مَعَهُ ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَيُدْخِلُ الْجَنَّةَ ، وَكَفَى بِدُخُولِ الْجَنَّةِ خَلَاقًا ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ) ﴿٥﴾ ، وقال عليه الصلاة والسلام : (مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَمْ تُعْلَمْ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ﴿٦﴾ .

كما نفت نصوص الوحي أن يكون للنجوم أي تأثير على ما كتبه الله سبحانه وتعالى وقدره، فقال عليه الصلاة والسلام : (مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ رَأَدَ مَا رَأَدَ) ﴿٧﴾ ، وقال عليه الصلاة والسلام : (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْعَمَرَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكِسُفَانِ لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاةٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحَوِّفُ بِهَا عِبَادَةً) ﴿٨﴾ .

٢- ذم التقليد الأعمى: وقد تعمدت أن أصف التقليد المذموم بالعمى، لأن محاربة الوحي للتقليد كان مقتضياً على التقليد في الباطل والخرافة والهوبي، فالقرآن يذم متابعة الآباء والأجداد على أفعالهم

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٠٢.

(٥) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ، (الدامام: دار ابن القيم، ١٤١٠ هـ)، ٢/٤٥.

(٦) صحيح مسلم، ح (٢٢٣٠)، كتاب السلام، باب ثحرير الكهانة وإثبات الكهان، ٣٥.

(٧) سنن أبي داود، مرجع سابق، ح (٣٩٠٥)، باب النجوم، ٣٣٩.

(٨) صحيح البخاري، ح (١٠٤٨)، كتاب الجمعة، باب: قوله تعالى(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) ، ٢/٤٦.

كما قص علينا القرآن الكريم أخباراً تتعلق بالأمم الغابرة، كقصة ذي القرنيين، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، والفيل وغيرها؛ بالإضافة للواقع والغزوات، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب وغيرها، ولقد اشتهر القصص القرآني -على اختلافه وتتنوعه- بأسلوبه الممتع الجميل؛ الذي فاق في سرده ونظمه وبيانه قدرة الإنس والجن، قال تعالى: إِنَّمَا نَحْنُ نَقْصُ عَيْنَكَ أَحَسَنَ التَّقْصِيصِ يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْفُرْقَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١﴾ ، وقال سبحانه: (إِنَّ هَذَا لِهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ﴿٢﴾ ، ولعل من المناسب أن نختتم هنا بقول الله تبارك وتعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرٌ لِأُولَئِكَ الْأَلَّابِنِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَنُهُ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الْذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَفَقَصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ﴿٣﴾ .

المطلب الثالث: أسلوب النهي والتحذير في رحلة بناء العقل:

١- النهي عن السحر، والتحذير من التعليق بالسحرة والكهنة والعرافين: وقد وقف القرآن الكريم من السحرة والمشعوذين موقفاً متشدداً، وذلك عندما نزل بهم إلى دركات الشرك والشركين، قال تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَنَوَّلُ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلَكِ سُلَيْمَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِسَابِيلَ هَرُوتَ وَمَدْرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّنَ يَقُولُ إِنَّمَا نَحْنُ فِتَنَةٌ فَلَا تَكُفُرْ فِي سَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا

(١) سورة يوسف، آية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

أَحْسَنَا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَأُوا فَلَا تَظْلِمُوهُمْ^(٥)، وقد حكى لنا القرآن إمعة قوم موسى عليه السلام عندما سألهو بأن يجعل لهم إلهًا غير الله؛ لمجرد أنهم رأوا قوماً يفعلون ذلك، فقال سبحانه: «وَجَوَرَنَا يَبْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى فَوْرِي يَعْكُمُونَ عَلَى أَصْنَامِ لَهُمْ قَالُوا يَدْمُوسَيْ لَجْعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ أَنْتَ أَنْتَ أَكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ^(٦) إِنْ هُوَ إِلَّا مُتَبَرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَأَطْلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٧) قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَغْيِرُكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمَيْنَ^(٨).

٣- النهي عن التعالم: فالقرآن الكريم ينهى عن التصدر للناس بالتعليم، والتدريس، والفتيا، قبل أن يتلقى الإنسان العلم عن العلماء على أصوله وقواعده، فهذا الفعل مذموم في نصوص الوحي، قال تعالى: «فُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّ الْفَوْحَشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَرُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُرِيلُ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٩)»، وقد سبق معنا الإشارة إلى شيء من ذلك في المبحث السابق، حيث العناية بحقائق الأمور وجوهرها، ولا شك أن مطالبة القرآن بالحقيقة في تلقي العلم ونشره من آكذ المطالب، قال تعالى: «فُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(١٠)»، وقال سبحانه: «أَتُؤْنِي بِكِتَبٍ مِّنْ قَبْلِ هَذِهِ أَوْ أَثْرَقِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ

(٥) سنن الترمذى، ح(٢٠٠٧)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو) ٤٣٢/٣، وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٤٠-١٣٨.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٨) سورة البقرة، آية: ١١١.

بدون دليل، قال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَشْتَرُ مَا أَنْقَبَتَا عَلَيْهِ إَبَاءَتَا أَوْلَوْكَانَ إَبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ^(١)»، وقال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ إَبَاءَتَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَنُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ^(٢)»، وقد أشاد القرآن الكريم بمناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه، وتوفيقه عليهم بالحجج، فقال: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا إِتَيْتَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرَقَعَ دَرَجَتٍ مَّنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^(٣)» وهي حجج علمية قائمة على التجربة بحاسة السمع؛ كما كان عليه السلام يستحدث فيهم الفكر لمشاهدة الباطل والتعقل، فقال تعالى: «وَاتَّلْعَلَ عَلَيْهِمْ بَنَأً إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ^(٤) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلَ لَهَا عَكِيفَيْنَ^(٥) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَسْتَوْنَ^(٦) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَبْصُرُونَ^(٧) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا إَبَاءَتَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ^(٨) قَالَ أَفَرَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ^(٩) أَنْتُمْ وَإِبَاءَكُمُ الْأَقْدَمُونَ^(١٠) فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمَيْنَ^(١١) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ بَهَدِينِ^(١٢) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسِّرِينِ^(١٣) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي^(١٤) وَالَّذِي يُمْسِيَنِي ثُمَّ يُخْيِيَنِي^(١٥) وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَعْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الْدِينِ^(١٦).

كما جاء النهي عن التقليد المذموم في تراث المسلمين، حتى أصبح ذلك مترسخاً في عقولهم، ومن جملة ذلك ما جاء في الحديث: (لَا تَكُونُوا إِمَعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٠.

(٢) سورة لقمان، آية: ٢١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٨٣.

(٤) سورة الشوراء، آية: ٨٢-٦٩.

المتعلم يحجر عليه لصالح الأبدان، والمهندس المتعلم يحجر عليه لصالح البلدان. (٥)

٤- التحذير من الغرور: يقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْرِيَكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾^(١)، والمقصود بالغرور: كل ما يغرّك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر بالشيطان، وبالدنيا لأنّها تغرّ وتتمرّ، وأما الشيطان فإنه أقوى الغارّين وأخبّتهم^(٢).

والآيات التي جاءت بذم الغرور كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمْنِي هُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ
الشَّيْطَنُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿لَا يَغْرِبُنَّكَ
تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَيَّلَدِ﴾^(٩) مَنْعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ وَبِسْ أَمْهَادُ﴾^(١٠)، وقال سبحانه: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ
الْفَلَامُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾^(١١)، وقال: ﴿وَمَا
الْحَوْةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَنْعَ الْفَرُور﴾^(١٢).

كما ذكرت الآيات القرآنية قصة قارون الذي بالغ في تقدير حجم ثرواته، كما هي عادة المغورين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَعَاهَدَنَاهُ مِنَ الْكَنُوزِ مَا إِنَّ مَفَالِحَهُ لَتَنْتَرُ بِالْعُصَبَةِ أُولَئِكَ الْقَوْمَةِ إِذَا قَالَ لَهُ وَقَوْمُهُ لَا تَفْرَخْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَرِجِينَ وَأَبْتَغَ فِيمَا إِنَّكَ اللَّهُ الدَّارٌ﴾

(٥) بكر بن عبد الله أبو زيد، التعلم وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ص ١٣.

(٦) سورة لقمان، آية: ٣٣، وسورة فاطر، آية: ٥.

(٧) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار ،(القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة احياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م)، ١٢٩/٤.

^{٦٤} (٨) سورة النساء، آية: ٢، وسورة الإسراء، آية:

١٩٦-١٩٧ سورة آل عمران، آية: (٩)

(٨) - تفالیت آنکه

١٧) سوره مظہر، آیہ ۲۰:

كُنْتُ صَدِيقَهُ^(١)، وَرِبِّي احْتَكَمْ فِي بَعْضِ تَلْكَ الْمَطَالِبِ إِلَى الْعُقْلِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجِجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْتُ الْقُرْآنَ وَإِلَّا نَخْيِلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقُلُونَ ﴾^٢ هَانَتُمْ هَؤُلَاءِ حَجَاجُمُ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّمُرْ لَا تَعْلَمُونَ^(٣).

وليس النهي عن التعاليم مقصوراً على العلوم الشرعية، بل هو نهي عام يشمل جميع أنواع العلوم، يقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ تَطَبَّبَ، وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌ، فَهُوَ صَامِنٌ) ^(٣) فالشرع يلزم هذا المتطفل على مهنة الطب بضمان التلف، قال الخطابي: (لا أعلم خلافاً في أن المعالج إذا تعدى فتيل المريض كان ضامناً والمتعاطي علماً أو عملاً لا يعرفه متعدداً، فإذا تولد من فعله التلف ضمن الديمة وسقط القود عنه لأنه لا يستبدل بذلك دون إدن المريض، وجناية الطبيب في قول عامة الفقهاء على عاقلته) ^(٤). وكما أن الحجر واجب على كل مفسر صالح الجماعة؛ فالمتعلم أو العالم الماجن يُحَجَّر عليه من الفتيا لصالح الأديان، والطبيب

٤ آية، سورة الأحقاف.

(٢) سورة آل عمران، آية ٦٥-٦٦

(٣) سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ح (٤٥٨٨)، كتاب الديات، باب: فيمن تطيب بغير علم فاعنت، (بيروت: دار الكتاب العربي ٤/٣٢٠، وحسنه الألباني، مرجع السابق، ٦٣٥).

(٤) انظر: محمد شمس الحق العظيم ابادي أبو الطيب، عن المعبود
شرح سنن أبي داود، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)،
٢١٥/١٢

أَتَقُولُ اللَّهُ وَلَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِعَذَابٍ وَأَتَقُولُ اللَّهُ ﴿٣﴾،
وَقَالَ سَبَحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذِكْرٍ وَإِنَّ
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَّلَ لِعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَدَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَيْرٌ﴾^(٤)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيُّنَةَ الْجَاهِلِيَّةِ،
وَفَحَرَّهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ
بَئُونَ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَتَهُنَّ أَقْوَامٌ فَخَرَّهُمْ
بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَانَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنْ
الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفَهَا النَّنَّ) ^(٥)، كَمَا أَبْطَلَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَعْلِهِ مَا كَانَ مَشْهُورًا
عِنْدَ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ؛ بَعْدِ إِنْكَاحِهِ مِنْهُ
دُونَهُمْ فِي النَّسْبِ، فَعِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا
أَنْكَحِي أَسَمَّةَ بْنَ زَيْدَ فَنَكَحَتْهُ، وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ قَرْشِيَّةٌ
بَيْنَمَا أَسَمَّةُ مِنَ الْمَوَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَجْمَعِينَ.^(٦)

لَقَدْ كَانَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أُثْرٌ الْبَالِغُ، وَتَأْثِيرُهُ
الْعَمِيقُ فِي تَوْجِيهِ عَقْلِ الإِنْسَانِ وَسَلَامَتِهِ، وَجَمْلَةُ
تَعَالَيمِهِ تَهْدِي إِلَى تَكْوِينِ عَقْلِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَقَدْ نَرَثَ
شَيْئًا مِنْ تَلْكَ الْأَثَارِ فِي الْمَبَاحِثِ السَّابِقَةِ، وَلَا بَأْسَ مِنْ
جَمْعِ مَا تَفَرَّقَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، حَتَّى تَكْتُمَ الصُّورَةُ،

(٣) سورة الحشر، آية: ٢٨.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ، مَسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، ح (٨٧٣٦)، مَسْنَدُ أَبِي هَرِيرَةَ،
تَحْقِيقُ: شَعِيبُ الْأَرْنُوْطُ وَآخَرُونَ، ط٣ (مُؤْسَسَةُ الرِّسَالَةِ،
بَدْوُنٌ، ١٩٩٩م)، ٣٤٩/١٤، وَحْسِنَهُ الْأَرْنُوْطُ.

(٦) بِمَعْنَاهُ، انْظُرْ: صَحِيحُ مُسْلِمٍ، ح (١٤٨٠)، كِتَابُ الطَّلاقِ، بَابُ الْمَطْلَقَةِ،
ثَلَاثَةُ لَا نَفْقَةُ لَهَا، ١١٤/٢.

الْآخِرَةِ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَحِينَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ وَلَا تَتَغَرَّبُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ ^(٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِيْ أَوْ فَرَغْتُ عِلْمَهُ أَنَّ
الَّهُ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْفَرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُ قُوَّةً
وَأَكْثَرُ جَمِيعًا وَلَا يُسْكُلُ عَنْ دُوْيِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ^(٨) فَحَرَّجَ
عَلَى قَوْمِهِ فِي زِيَّتِهِ قَالَ الَّذِيْنَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
يَكْلِيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوقِتَ قَرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَقِّ عَظِيمٍ ^(٩)
وَقَالَ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَكْتُمُونَ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرَ لِمَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِيْحًا وَلَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الصَّدِرُونَ ^(١٠)
فَحَسَسَنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فَقَاءٍ
يَصُرُّونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنَصِّرِينَ ^(١١)
وَأَصْبَحَ الَّذِيْنَ تَمَّوَّلُ مَكَانَهُو بِالْأَمْمَيْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ
يَبْسُطُ الْرِزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنَّ مَنْ مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا لَهَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُو لَا يُقْلِعُ الْكُفَّارُونَ ^(١٢) تِلْكَ الْأَدَارُ
الْآخِرَةُ بِنَجَاهِهِمُ الَّذِيْنَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَقِبَةُ لِمُتَّقِيْنَ ^(١٣)، وَلَكَ أَنْ تَتَخَيلَ حَجْمَ تَأْثِيرِ هَذِهِ
الْقَصَّةِ عَلَى فَكِيرِ الإِنْسَانِ وَوِجْدَانِهِ، لَا شَكَ أَنَّهَا
مَوْعِدَةٌ بِلِيْغَةٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهَا الإِنْسَانُ أَهْمَيَّةُ التَّوَاضُعِ.
٥- النَّهِيُّ عَنِ الْفَخْرِ وَالْخِيَالِ: وَقَدْ جَاءَ فِي الْعَصْرِ
الْحَدِيثِ مَصْطَلِحُ الْعَنْصِرِيَّةِ، وَجَمِيعُ تَلْكَ
الْمَصْطَلِحَاتِ - قَدِيمُهَا وَحْدِيْهَا - تَخَالَفُ فِي
أَصْلَاهَا وَمَضْمُونَهَا دُعَوةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي جَاءَ بِهَا
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُولُ رَبُّكُمْ
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَقْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَيَتَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَسَاءَةً وَأَتَقُولُ اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْجَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيَّاً﴾^(١٤)، وَقَالَ سَبَحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا

(١) سورة القصص، آية: ٨٣-٧٦.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين، وواحداً واحداً لأن المجتمع يشوش الفكر، وليس المراد القيام على الرجلين، بل المراد القيام بطلب الحق، وإصدقاق الفكر فيه، كما يقال: قام فلان بأمر كذا ﴿ثُمَّ تَسْكُرُوا﴾ في أمر النبي، وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ﴿مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِهَةٍ﴾^(٤)^(٥)

ولذا كان لعقيدة القرآن الكريم اليد العليا في تحرير عقل الإنسان من كل عوامل الخوف والتبعية، وأسهمت إسهاماً مباشراً في بناء شخصية إنسانية حضارية، قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا كَاتَ مِنْ قَوْمَ كَفَّارِ﴾^(٦) أي صدتها عن حصول العلم النافع عبادتها الشمس فكانت بذلك الاعتقاد منصرفة عن الكمال العلمي، والرشد الفكري، واستكمال الحضارة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكُنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَعْنَتْ عَنْهُمْ إِلَهُهُمُ الَّتِي يَأْتُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا رَأَدُوهُمْ غَيْرُ تَتَبَّعُ﴾^(٧)، فجعل لحال اعتقادهم أثراً في زيادة هلاكهم^(٨)، كما أن القرآن الكريم قد ذم الخرافية، والشعودة، والتقليد في الباطل؛ مما كانت منزلة المقداد وقرباته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِنَّ مَا أَنْزَلَ

(٤) سورة سباء، آية: ٤٦.

(٥) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ) ٤/٣٨٢.

(٦) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٧) سورة هود، آية: ١٠١.

(٨) محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٦.

فظهور حكمة القرآن واضحة جلية، وذلك على النحو التالي:

١- استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار العقلي لإزالة بعض التصورات والأفكار الخاطئة، ومعلوم أثر ذلك على سلامة عقل الإنسان، ومثاله ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَرَاغَ إِلَى الْهَمَمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَطْقُنَ ﴿٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرِبًا بِالْمِيَمِينِ ﴿٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ﴿٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَتَحْتُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ حَقَّكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٩)، وهو أسلوب قرآن حكيم؛ يعمل على إقناع العقل بالحق والنور المبين، فمن المعلوم أن الإنسان تبع لعقيدته، فإذا صحت فإنه يصح معها سائر أعمال الإنسان وتصوراته، فكان النتاج صحيحاً سليماً والعكس بالعكس.

ومن استخدام القرآن الكريم للحوار العقلي^(١٠)، ما جاء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُومُوا بِلِلَّهِ مَئِنَّى وَقُرْدَائِي ثُمَّ تَسْكُرُوا مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِهَةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(١١)، قال الشوكاني عند تفسيره للاية: (أمر سبحانه رسوله أن يقيم عليهم حجة ينقطعون عنها، فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةِ﴾ أي: أحذركم، وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وأوصيكم بخصلة واحدة، وهي: ضخ ضمه طح ظم عجَّ هذا تفسير للخصلة الواحدة، أو بدل منها، أي: هي قيامكم وتشميركم في طلب

(١) سورة الصافات، آية: ٩٣-٩٦.

(٢) انظر: الداعشي، مرجع سابق، ص: ٢٤٩ "بتصرف".

(٣) سورة سباء، آية: ٤٦.

السلف الصالح، والإيمان بهذه الحقائق له أثره الواضح في سلوك الإنسان واستقامته في جميع أقواله وأعماله، بالإضافة إلى عوامل أخرى ستؤثر في عقل الإنسان ووجوده، كقوة النفس، وسلامة الصدر، والحياة الطيبة السعيدة، وغيرها.

٥- لقد أسممت نصوص القرآن الكريم في المحافظة على العقل، كما توجت نداءاته بتحريم كل ما يخامر العقل أو يغطيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا إِنَّمَا الْحُمْرَ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيَاطِينِ فَلَجْتَبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُقْلِبُونَ﴾^(١)، ومعلوم أن العقل لا يعيش بمنأى عن الجسد، وكل عضو تأثيره في الآخر، ولذا جاءت تعاليم القرآن لتعذى روح الإنسان وعقله، وتعمل على ترشيد غرائزه ونوازعه، فحملت بذلك العقل وسائر مصالح الإنسان وضرورياته، فالقرآن الكريم قد أباح النكاح، والاستمتاع بالشهوات الحلال، وأكل الطيبات، وأخذ الزينة، ودعا إلى الرفعة والارتفاع في درجات الكمال والجمال، فقال تعالى: ﴿وَنَفَّسٍ وَمَا سَوَّلَهَا ﴾^(٢) فَأَلَّهُمَّا فُجُورُهَا وَتَغْوِيَّهَا ﴾^(٣) فَدَّ أَفَّحَ مَنْ زَكَّهَا﴿^(٤)، وحرم في مقابل ذلك النزول إلى دركates الكفر، والشرك بالله، والزنا، ونهى عن الفرقة والتازع، وسائر المعاصي والآثام، وكان واقعياً بفرضه للعقوبات، فمن الناس من لا يردعه خلق ولا دين عن التجاوز والطغيان، فهنا تتدخل عدالة السماء بقوتها الرادعة^(٥)، قال

اللَّهُ وَإِلَيْهِ الرَّسُولُ قَالُوا حَسِبْنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ إِبَاهَنَا أَوْ لَوْ كَانَ إِبَاهُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٦).

٢- القرآن الكريم يحث على استخدام البرهان في الحسبيات، ويدعو إلى التثبت في النقليات، وليس ثمة كتاب خاطب العقل كالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَقْتَصِرُونَ﴾^(٨)، وقد سبق معنا عرض نماذج قرآنية تستحدث سمع الإنسان وبصره على التفكير والاعتبار، وقد أثر ذلك في ثقافة المسلمين بالإيجاب، فوصلت حضارة المسلمين على النحو الذي يشهد له العالم أجمع.

٣- حث القرآن الكريم على العلم، وطلبه والاستزادة منه، قال تعالى:

﴿وَفُلَرَّتِ زِدِّيْنِ عِلْمًا﴾^(٩)، وقد نشر القرآن الكريم الكثير من أحوال الأمم وتاريخها، وهذا -بحد ذاته- له بعد ثقافي من شأنه أن يثير في الإنسان عامل الخبرة لا سيما في جانب العلوم الاجتماعية والتاريخ، بالإضافة إلى تنمية مهارة البحث والقراءة.

٤- دعوة القرآن إلى الإيمان بالحقائق الكبرى، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما أجمع عليه

(١) سورة المائدة، آية: ٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٧٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٩٨.

(٤) سورة الجاثية، آية: ١٣.

(٥) سورة طه، آية: ١١٤.

(٦) سورة المائدة، آية: ٩.

(٧) سورة الشمس، آية: ٩-٧.

(٨) قال ابن القيم: (وما معاقبة السارق بقطع يده وترك معاقبة الزاني بقطع فرجه ففي غاية الحكمة والمصلحة، وليس في حكمة الله

أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ^(٢)، وفي سَنَّ الْإِسْلَامِ لِلْكَفَاءَةِ بَيْنَ الرَّوْجَيْنِ مَدْعَاةٌ إِلَى حَسْنِ الْعَشْرَةِ وَدَوْمِ الْأَلْفَةِ وَاسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ بَيْنَ الرَّوْجَيْنِ، وَقَدْ أَبَاحَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ النَّظَرِ إِلَى الْمُخْطُوبَةِ الْأَجْنبِيَّةِ تَمَّةً لِحَفْظِ الْبَيْتِ الْزَّوْجِيِّ وَحِمَايَتِهِ مِنْ فَاحِشَةِ الزَّنَاءِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ مَكْمُلاتِ الْإِسْلَامِ لِحَفْظِ ضَرُورَةِ النَّسْلِ، كَمَا أَنْ فِي تَحْرِيمِ الْإِسْلَامِ لِأَنْوَاعِ الْبَيْوَعِ كَالنِّجْشِ وَالْاِحْتَكَارِ ضَرُورَةً مَكْمُلَةً لِحَفْظِ الْمَالِ.^(٣)

فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَسْعَى لِاستِشَارَةِ الإِيمَانِ الْكَامِنِ وَالْمُسْتَقِرِ فِي فَكِّ الْمُسْلِمِينَ وَوِجْدَانِهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُوْجَهُ الْأَوَّلُ لِضَبْطِ تَصْرِفَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَلَا يَقْصِدُ مِنْ تَشْرِيعِهِ لِلْحَدُودِ إِقْامَةٌ شَرْطِيَّ يَحْصِي عَلَى النَّاسِ أَخْطَاءَهُمْ، بَلْ هُوَ دِينٌ يَحْثُثُ عَلَى السُّتُّرِ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوجِهُ كُلَّ مَنْ جَاءَهُ مَذْنَبًا إِلَى الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَرِبِّما أَعْرَضَ عَنْ سَمَاعِ الْاعْتِرَافَاتِ تَعْرِيضًا بِالْمُعْتَرَفِ بِأَنَّ لَدِيهِ فِي التَّوْبَةِ مَنْدُوحةً، كَمَا كَانَ يَتَلَمَّسُ لِلشَّبَهَاتِ مَا يَدْرِأُ بِهِ الْحَدَّ عَنِ الْمَذْنَبِ، وَعِنْدَمَا تَسْتَوِيَ الْجَرِيمَةُ شَرُوطُهَا فَلَا يَتَبَقَّى مِنْ إِقْامَتِهَا بُدُّ، فَإِنَّهُ يَقِيمُ شَرْعَ اللَّهِ حَتَّى لَا

تَعَالَى : «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفَسَ بِالنَّفَسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسَّبَّ بِالسَّبَّ وَالْجُرْوَحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٤).

وَقَدْ ذَهَبَ الْإِسْلَامُ فِي سَبِيلِ مَحَافِظَتِهِ عَلَى الضرورَاتِ الْخَمْسِ لِخَطُوطَاتِ مَكْمُلَةِ لَهَا، مِنْ شَأنِهَا أَنْ تَحْمِيَ تَلْكَ التَّشْرِيعَاتِ وَتَحْوِطُهَا بِالْحَفْظِ وَالرَّعَايَاةِ، فَنَلَمَسْ مَثُلاً مِنْ تَشْرِيعِ الْأَذَانِ -وَهِيَ شَعِيرَةُ ظَاهِرَةِ الْعِيَانِ- نَمُوذْجًا مَكْمُلًا لِحَفْظِ الصَّلَاةِ وَأَمْرِ الدِّينِ، كَمَا نَلَمَسْ مِنْ الْعَدْلِ فِي تَمَاثِلِ الْقَصَاصِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالسَّنِ بِالسَّنِ، ضَرُورَةً مَكْمُلَةً لِحَفْظِ الْأَنْفَسِ، وَنَلَمَسْ مِنْ الْإِسْلَامِ أَيْضًا الْمَبَالَغَةُ فِي حَفْظِ الْعُقْلِ عَنْ كُلِّ وَسِيلَةٍ مِنْ شَأنِهَا أَنْ تَوَثِّرَ فِيهِ بَخْلٌ، وَلَذِكَ يَحْرِمُ الْقَلِيلَ مِنَ الْخَمْرِ وَلَوْ لَمْ يَسْكُرْ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْكَثِيرِ الْمُضَيِّعِ لِلْعُقْلِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا

وَمَصْلَحةُ خَلْقِهِ وَعِنَائِتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ أَنْ يَتَلَفَّ عَلَى كُلِّ جَانِ كُلِّ عَضْوٍ عَصَاهُ بِهِ فَيُشَرِّعُ قَلْعَ عَيْنٍ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى الْمَحْرَمِ وَقَطْعَ أَذْنَ مِنْ اسْتِنْعَمْ إِلَيْهِ وَلِسَانَ مِنْ تَكْلِمَ بِهِ وَيَدَ مِنْ لَطْمِ غَيْرِهِ عَدْوَانَا وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي هَذَا مِنَ الْإِسْرَافِ وَالْتَّجَازُ فِي الْعَقُوبَةِ وَقَلْبَ مَرَاتِبِهَا وَأَسْمَاءِ الرَّبِّ الْحَسَنِي وَصَفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ وَأَفْعَالِهِ الْحَمِيدَةِ تَأْتِي ذَلِكَ وَلَيْسَ مَقْصُودُ الشَّارِعِ مَجْرِدُ الْأَمْنِ مِنَ الْمَعَاوِدَةِ لِنِسْ إِلَّا وَلَوْ أَرِيدَ هَذَا لِكَانَ قَتْلُ صَاحِبِ الْجَرِيمَةِ =فَقْطَ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ الزَّجْرُ وَالنَّكَالُ وَالْعَقُوبَةُ عَلَى الْجَرِيمَةِ وَأَنْ يَكُونَ إِلَى كَفِ عَدْوَانِهِ أَقْرَبَ وَأَنْ يَعْتَبِرَ بِهِ غَيْرِهِ وَأَنْ يَحْدُثَ لَهُ مَا يَنْوِهُ مِنَ الْأَلْمِ تَوْبَةً نَصْوَحَا وَأَنْ يَنْكِرَهُ ذَلِكَ بِعَقُوبَةِ الْآخِرَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُكْمِ وَالْمَصَالِحِ)، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، إِعْلَامُ الْمُوقِعِينَ، ٨٢/٢.

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ، آيَةُ ٤٥.

(٢) التَّرْمِذِيُّ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ح ١٨٦٥، أَبْوَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابٌ: مَا جَاءَ مَا أَسْكَرَ كَثِيرٌ فَقَلِيلٌ حَرَامٌ، ٤٤٢/٣، وَأَبُو دَاوُدٍ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ح ٣٦٨١، كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابٌ: النَّهِيُّ عَنِ الْمَسْكَرِ، ٣٢٧/٣، مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْقَزْوِينِيُّ أَبْنَى مَاجِهَ، سُنُنُ أَبْنَى مَاجِهَ، ح ٣٣٩٣، تَحْقِيقٌ: شَعِيبُ الْأَرْنُووْطُ - عَادِلُ مَرْشِدٍ - مُحَمَّدُ كَامِلُ قَرْهَ بَلْلَى - عَبْدُ الْأَطِيفِ حَرَزُ اللَّهِ، أَبْوَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابٌ: مَا أَسْكَرَ كَثِيرٌ فَقَلِيلٌ حَرَامٌ، (بَدْوُنَ: دَارِ الرِّسَالَةِ الْعَالَمِيَّةِ)، ٤٧٥/٤، ٢٠٠٩م، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحْسَنَهُ التَّرْمِذِيُّ.

(٣) انْظُرْ: مُحَمَّدُ عَبْدَالْعَاطِيٍّ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ص ١٠ "بِتَصْرِفٍ".

الحواس، والإنسان مع ذلك لا يستغني عن معونة الله حتى يكتب له التوفيق.

٦- يعتبر العلم وسيلة من الوسائل النبيلة التي يحث عليها القرآن الكريم، ويؤكد على ربطها بالعمل، حتى يحقق العبودية لله تعالى.

٧- تحل القراءة مكان الصدارة في تراث المسلمين، وهي وسيلة هامة لتنمية عقل الإنسان وتطوير ملكاته.

٨- لم يفرض نظام الوحي التشريعي قيوداً على العلم، إلا في حال خروجه عن غاية الإصلاح في الأرض.

٩- تلتقي جميع أنواع العلوم والمعارف المختلفة مع علوم الشريعة تحت مظلة الإسلام، وذلك في حال التزام تلك العلوم بأحكامه وتصوراته.

١٠- لا يقتصر مفهوم العبادة في القرآن الكريم على أداء شعائر الإسلام التعبدية فحسب، وإنما يشمل جميع أعماله، ونشاطاته، ما دام يتوجه بها إلى الله تعالى.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

-أبوبكر محمد بن عبد الله ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.

-أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ح(٨٧٣٦)، مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وأخرون، ط٣ (مؤسسة الرسالة)، بدون، ١٩٩٩م.

يصبح التراخي عندها تجريطاً بحق الله تعالى وحق العباد والمجتمع كل^(١).

وهناك حِكْمَ كثيرة، وغايات نبيلة لا يسع المقام لذكرها، ولا تفطن العقول لحصرها، وإن كان يكفينا من ذلك أن نقف على دور تلك الأساليب القرآنية في رفع مستوى الحس الرقابي للإنسان، وكيف عملت على انتشاله من عالم الخرافة والجهل إلى دنيا واقعية حيث العلم والنور، وفتحت له المجال للتطوير والإبداع، وفي فترة وجيزة، انظم حال العرب، وأصبحت لهم حضارة ومجد بعد أن كانوا يتخطبون في ظلمات الجهل والخرافة، والفرقة والضعف، فالحمد لله رب العالمين.

ونخت هذه الجولة بجمع ما خلصنا إليه من خلال هذه الدراسة، وهي النتائج التالية:

١- يؤسس القرآن الكريم لبنيّة حضارية راقية، وإذا ما أردنا لعقولنا أن تتمو، وأفكارنا أن تزدهر، فإن علينا أن نتمثل مبادئه وقيمته.

٢- لقد كان للعقل دور كبير في تلقي نصوص الوحي وفهمها.

٣- أن النهوض بعقل الإنسان على مبادئ القرآن الكريم يساعدنا على فهم الدين الذي ننتمي إليه.

٤- لقد أسهم الأسلوب القرآني الحكيم في بناء شخصية متميزة للمسلم.

٥- يشيد القرآن الكريم بدور العقل الهام في تلقي العلوم والمعارف، وهو دور مكمل لوظيفة

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م)، ٥١، "بتصرف".

-الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصفهاني) المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق، بيروت: دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٢هـ.

-راجح عبدالحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

-سعید بن علی بن وهف القحطانی، الحکمة فی الدعوة إلی الله تعالى، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٣هـ.

-سلیمان بن الأشعث السجستانی، سنن أبو داود، بيروت: دار الكتاب العربي.

-صفی الرحمن المبارکفوری، الرحیق المختوم، بيروت: دار الهلال، ١٤٢٧هـ.

-عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسیر کلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللویحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

-عبدالکریم بکار، تجدد الوعی، ط٣، دمشق: دار القلم، ٢٠١٠م.

-عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣، بيروت: دار العلم للملائين، ١٩٨١م.

-عمر ابن شبة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهیم شلتوت، جدة، ١٣٩٩.

-القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهدایة.

-أحمد بن علي الموصلي، مسنن أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م.

-أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ٩١/٢.

-أحمد محمد حسين الدعشی، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١م.

-إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، مسنن إسحاق، تحقيق: د. عبدالغفور البلوشي، المدينة المنورة: مكتبة الإيمان.

-إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

-بكر بن عبدالله أبو زيد، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

-جمال عبد العزيز، مصدرية القرآن والسنة للمعرفة، على الرابط:

<https://vb.tafsir.net/tafsir16002/#post78798>

-حافظ بن أحمد بن علي الحکمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القیم، ١٤١٠هـ.

-الحسن بن رشيق القيروانی، العمدة في محسن الشعر وأدابه، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، ط٥، بدون: دار الجيل، ١٩٨١م.

- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة.
- محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط٣ تونس: دار سخنون، ٢٠١٠م.
- محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ط٢، بدون: دار المنار، ١٩٩٩م.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (بيروت: دار الكتب العممية، ١٩٩١م).
- محمد بن أبي بكر ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليق، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعسانى الحلبى، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨.
- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- محمد بن علي الشوكاني، تفسير فتح القدير، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.
- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازى الملقب بفخر الدين الرازى، تفسير مفاتيح الغيب، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

- مجذ الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م.
- مجذ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.
- محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: تحقيق مكتب البحث والدراسات، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.
- محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير من مجلس الشنقيطي فـ نقيطي في التقسيير، تحقيق: خالد السبت، ط٢، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.
- محمد الأمين الشنقيطي، مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطي، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧م.
- محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتوثيق العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤)

-محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م.

-محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

-محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٦م.

-محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف.

-مسلم بن الحاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (المسنن الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث.

-مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط٣، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥م.

-محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، سنن الترمذى، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار المغرب، ١٩٩٨م.

-محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الربيدى، تاج العروس من جواهر.

-محمد بن محمد بن مصطفى العمادى، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث.

-محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

-محمد بن يزيد القرزي، ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بلي - عبد اللطيف حرز الله، أبواب الأشربه، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.

Quran Style in the Wisdom of Human Mind

(English Abstract)

Ali bin Mohammed bin Ibrahim Shihab

Abstract Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon Muhammad and his family and companions.

The research question is Quran Style in the Wisdom of Human Mind Structure. By its nature, the research has been divided a preface, an introduction, four chapters and a conclusion and an appendix for resources, references, and table of content.

The introduction tackles the question, its importance, reasons for its choice, research plan and approach.

The preface contains a brief presentation on human expected role on earth according to Holy Quran.

The study aims at exploring the Quran style and its role in human mind's structure and safety.

أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية دراسة فقهية مقارنة

د. فاطمة بنت عويض الجلسي الحربي

أستاذ الفقه المشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

مستخلاص الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وأمابعد. فهذا البحث تناول بالدراسة "أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية" من حيث إمكانية الاستمرار فيها، وهل يجوز للزوج جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا، أم يلزمها العدة أو الاستبراء بعد الزنا؟ وهل يجب على الزوج طلاقها أم لا؟ ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث: أن زنا الزوجة لا يفسخ النكاح باتفاق الأئمة الأربع، كما أنه لا يحل للزوج جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا إلا بعد التأكيد من براءة الرحم بحقيقة، وأنه يجب على الزوج طلاق الزوجة غير العفيفة على الراجح من أقوال العلماء، والله تعالى أعلى وأعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد.

فاحشة وأسوأ طريق لإشباع الغريزة: فقال سبحانه

المقدمة

وتعالى [لَوْلَا تَقْرَبُوا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا]
[سورة الإسراء: ٣٢] ولبساعته وعظيم خطره قرنه

فقد حرم الله سبحانه تعالى الفواحش في كل الشرائع،
وعلى رأسها الزنا، وأمر بالابتعاد عنه، ووصفه بأنه

منهجي في البحث:

١. جعلت البحث دراسة مقارنة بين المذاهب الأربعة المعروفة.
٢. اتبعت الترتيب الزمني في عرض المذاهب؛ فأبدأ بالحنفية ومن واففهم، ثم المالكية ومن واففهم، ثم الشافعية ومن واففهم، ثم الحنابلة.
٣. إن كان لأحد المذاهب قولان في مسألة فإني أبدأ بالأقوى منها في المذهب، ثم ما دونه.
٤. ذكر سبب الخلاف إن وجد.
٥. ذكر الأدلة، مع بيان وجه الدلالة، إلا فيما هو ظاهر الدلالة، ومناقشتها؛ بذكر ما يرد عليها من اعترافات، ثم ذكر ما ورد لدفعها، وقد ذكر ما يمكنني الاعتراض عليه، أو دفعه، أو الإجابة عنه، وأشار إليه بقولي: "قلت: يعرض عليه بـكذا"، أو "قلت: ويجب عنه بـكذا".
٦. بعد عرض حجج المذاهب ومناقشتها، ذكر ما يظهر رجحانه من أقوال العلماء، رحّمهم الله تعالى، على ضوء قوة الدليل كما ظهر لي، مع ذكر سبب الترجيح.
٧. عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها.
٨. تخريج الأحاديث النبوية والآثار وعزوها إلى مصادرها، فإن كان الحديث متفقاً عليه أو في أحد الصحيحين اكتفيت بالعروز إليهما، وإن كان في غيرهما فإني أعتني ببيان مشاهير من أخرجه، فإن

الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْثُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعِفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاجِنًا» [سورة الفرقان: ٦٨، ٦٩]، وجعل لمن ارتكبه عقوبة تزيد في حق المحسن؛ ل بشاعة فعله ولما يترتب عليه من الآثار خاصة من الزوجة، ومن هنا كان هذا البحث الذي يتناول أهم الآثار المتترسبة على زنا الزوجة، والذي وسمته بـ: "أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية دراسة فقهية مقارنة"، وانتظم هذا البحث في مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، أما المقدمة فذكرت فيها: أهمية الموضوع، وحدود البحث وهيكل البحث، والمنهج المتبع فيه، وأما المطالب:

الفطلب الأول: أثر زنا الزوجة على استمرار النكاح.

المطلب الثاني: في حكم جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا.

المطلب الثالث: في حكم طلاق الزوجة غير العفيفة.

وأما الخاتمة فدونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

حدود البحث:

تناول البحث أثر زنا الزوجة على الحياة الزوجية فيما لو اختار الزوج اسقاط حقه في قذفها بالزنا.

قال ابن قدامة^(٣): "إن زنت امرأة رجل، أو زنى زوجها، لم ينفسخ النكاح، سواء كان قبل الدخول أو بعده، في قول عامة أهل العلم"^(٤).

الأدلة:

استدل الفقهاء لما ذهبوا إليه من أن الزنا لا يفسخ النكاح بالسنة والمعقول:
أما السنة:

١. فعن ابن عباسٍ، أَنَّ رجُلًا، قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ تَحْتِي امْرَأَةً جَمِيلَةً لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ، قَالَ: "طَلَقْهَا، قَالَ: إِنِّي لَا أَصِيرُ عَنْهَا، قَالَ: "فَأَمْسِكْهَا"^(٥).

والإكيليل للمواق(٤٧٨/٥)، شرح ابن ناجي التتوخي على الرسالة(٩٧/٢)، أضواء البيان للشنقيطي(٤٢٦/٥)، البيان والتحليل لابن رشد(٤٦٣/٤)، الحاوي الكبير للمسوردي(١٩٠/٩)، الأم الشافعي(٣٣/٥)، جواهر العقود للمنهاجي(٢١/٣)، البيان للمرانوي(٢٥٨/٩)، تكميلة المجموع للمطيعي(٢٢٣/١٦)، الإنقاض للحاووي(١٨٦)، الروض المربع للهوثي(ص٦٠٩)، شرح منتهى الإرادات للبهوتبي(٢٠٠/٢)، المعني لابن قدامة(١٤٢/٧)، كشف النقاع للبهوتبي(٨٣/٥)، المبدع لابن مفلح(١٣٨/٦).

^(٦) انظر مختصر اختلاف العلماء للطاوسي(٣٦٨/٢)، البنائية للعيني(٦١/٥)، المبدع لابن مفلح(١٣٨/٦)، المعني لابن قدامة(١٤٢/٧)، إلا حكاية عن بعض الصحابة والتبعين كطلي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله رض فإنهم قالوا يفرق بينهما، وهو قول الحسن البصري رحمة الله، والأثر عن علي رض رواه ابن حزم في المحل(٦٧/٩)، وعن جابر رض رواه ابن أبي شيبة(١٦٨٨١)، وعن الحسن رواه سعيد بن منصور(٨٥٩)، وابن أبي شيبة(٦٨٨١)، قلت: وهو مروي عن إبراهيم النخعي: رواه عبدالرزاق(١٠٦٩٣)، وسعيد بن منصور(٨٥٨)، وابن أبي شيبة(١٦٨٨٢)، وعن قتادة رواه عبدالرزاق(١٠٦٩٤).

^(٧) أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقسى الجماعيلي، الحنبلي، كان إماماً في القرآن وتفسيره، وفي علم الحديث، وفي علم الفقه، وفي علم الخلاف والأصول، وكان زاهداً، ورعاً، كثير الحياة، سخياً، كثير العبادة ، كان لا يناظر أحداً إلا وهو بيترس. من مصنفاته: "المعني" و"المقنع" و"العدمة". (ت ٦٢٠). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي(٢٢)، الذي على طبقات الحنابلة لابن رجب (١٠٥/٤) - (١٨)، معجم المؤلفين لكتابات(٣٠/٧).

^(٨) المعني (١٤٢/٧).

^(٩) رواه أبو داود(٢٠٤٩)، والنسائي(٣٢٢٩) واللطف له، وسيأتي التفصيل في سند ومن الحديث ص ٨ - ١١ من هذا البحث.

لم أجده فإني أبحث عنه في الأجزاء وغيرها، مع نكر حكم العلماء عليه، فإن لم أجده من أخرجه، أشير إلى ذلك مع ذكر المصدر الذي ورد فيه.

٩. وضع ما نقلته نصاً بين علامتي تنصيص دون ما تصرف فيه بين علامتي تنصيص ، وأما ما عاده مما تصرفت فيه فأحيل إليه بلفظ: (انظر).

١٠. ترجمة الأعلام، ما عدا المشهورين، منهم حسب ما ظهر لي.

١١. بيان الألفاظ الغريبة والمصطلحات الحديثية.

١٢. اعتماد طريقة التوثيق المختصر بذكر اسم الكتاب والمؤلف.

١٣. ذكر بيانات النشر في قائمة المصادر والمراجع، وما لم ذكره من هذه البيانات فسببه أنه غير مذكور في النسخة التي رجعت إليها.

هذا والله سبحانه وتعالى أسلوب الإخلاص والقبول الحسن، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول: أثر زنا الزوجة على استمرار النكاح.

اتفق الأئمة الأربعة على أن الزوجة إذا وقعت في الزنا لم ينفسخ النكاح بذلك^(١)، وبه قال عامة الصحابة^(٢).

^(١) انظر البحر الرائق لابن نجيم(١٠٣/٣)، حاشية ابن عابدين(٣٤/٣)، المبسط للسرخسي(٤٢/٧)، موهب الجليل للحطاب(٤١٥/٣)، التاج

غَيْرِي؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: ثُبٌ إِلَى اللَّهِ، فَأَسْتَرْ بِسْتِرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنْ عَبْدِهِ، فَأَتَى عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَا قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ الْآخَرَ قَدْ زِنَا. قَالَ سَعِيدٌ: فَأَعْرَضْ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثَلَاثَ مِرَارٍ، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرَضْ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا أَكْتَرَ عَلَيْهِ بَعَثَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: "أَيْشْتَكِي؟ أَبِيهِ جِئْ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لصَحِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَبَكْرٌ، أَمْ ثَيْبٌ؟" قَالَ: بَلْ ثَيْبٌ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرِجَمْ" (١١).

وجه الدلالة:

أمر النبي ﷺ برجمه ولم يفسخ نكاحه (١٢).

٤— وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَرَيْدَ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ (١٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا قَالَا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْشُدُكَ اللَّهُ إِلَّا قَصَيْتَ لِي بِكِتَابَ اللَّهِ، فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ: وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ: نَعَمْ، فَأَقْضِي بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَذْنَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ

(١١) رواه النسائي في الكبرى (٧١٤١).

(١٢) المحملي لابن حزم (٦٧/٩).

(١٣) زيد بن خالد الجوني يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو زرعة، وقيل: أبو طحة. سكن المدينة، وشهد الحديثة مع رسول الله ﷺ وكان معه لواء جبيبة يوم الفتح. روى عنه من الصحابة: السائب بن زيد، والسائل بن خالد، وغيرهما. ومن التابعين: ابنه خالد، وأبو حرب، وعبد الله بن عتبة، وأبي المسيب، وأبو سلمة، وعروة، وغيرهم. انظر أسد الغابة لابن الأثير (٣٥٥/٢)، الإصابة لابن حجر (٦٠٣/٢).

وجه الدلالة:

أمره النبي ﷺ بطلاقها ولو افسخ نكاحها بالزنا لما احتاج إلى الطلاق، ثم لما أخبره أنه يحبها أذن له في الاستمتاع بها، ولو حرمته عليه لنهاه عن الاستمتاع بها ولأعلمه تحريمها (٤).

٢. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِيلٍ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "مَا الْوَانُهَا؟" قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: "هَلْ فِيهَا مِنْ أُورَقَ" (٧)؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَأَنَّى ذَلِكَ؟" قَالَ: لَعْلَهُ تَرَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: "فَلَعْلَهُ ابْنُكَ هَذَا تَرَعَهُ" (٨).

وجه الدلالة:

ما ذكره الرجل كان نهاية عن زناها بأسود ولم يحرمنها عليه (٩).

٣- وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ (١٠): أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَشْلَمَ جَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْآخَرَ قَدْ زِنَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ ذَكَرْتَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ

(١) انظر الحاوي الكبير للماوردي (١٩٠/٩)، تكميلة المجموع للمطبي (٢٢٣/١٦).

(٢) الأورق: الأسمر. والأورقة: السمرة. يقال: جمل أورق، وناقة ورقاء. النهاية في غريب الحديث والآخر لابن الأثير (٧٥/٥)، وقيل الذي لونه بين السواد والغبرة ومثله قيل للرماد: أورق وللحاماوة ورقاء. غريب الحديث للقاسم بن سلام (٩٨/٢).

(٣) رواه البخاري (٤٩٩٩)، ومسلم (٣٨٣٩).

(٤) انظر الحاوي الكبير للماوردي (١٩٠/٩).

(٥) سعيد بن المسيب المخزومي، أبو محمد، كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، من سادات التابعين فقيها وعيادة، روى عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وروى عنه الزهري، وقتسادة، ويحيى بن سعيد، كان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته. (ت ٩٣). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٧/٢)، طبقات الحفاظ للسيوطى (ص ٢٥).

القول الأول:

يجوز وطئها عقب الزنا ولا يجب عليها العدة من الزنا وإلى هذا ذهب الحنفية على المفتى به عدا زفر، والأصح عند الشافعية، إلا أن تركه أولى عند الشافعية^(١٨).

القول الثاني:

لا يحل له وطء الزوجة عقب الزنا وإلى هذا ذهب زفر من الحنفية، والمالكية، والحنابلة^(١٩) واستثنى المالكية من ذلك ما لو زنت الزوجة وهي ظاهرة الحمل فيباح لزوجها جماعها مع الكراهة^(٢٠).

ثم اختلفوا فيما يلزمها من العدة أو الاستبراء إلى قولين:

الأول:

^(١٨) انظر حاشية ابن عابدين (٣، ٣٤، ٥٢٠، ٥٢٧) المبسوط للسرخسي (١٥٢/١٣)، تبيين الحقائق للزيلاعي (١١٤/٢) و (٢٣/٦)، بداعي الصنائع للكاساني (١٩٣/٣) و (٢٥٣/٥)، البحر الرائق لابن نجمي (١٠٣/٣)، شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٤١/٣)، مجمع الأئم لداماد أفندي (٣٢٩/١)، البنایة للعيني (٦/١٥)، المحیط البرهانی لابن مازة (٨/٤)، الأصل لمحمد بن الحسن (٢٥٧/٥)، تھایة المطلب للجوینی (٢١٩/١٢)، مغنى المحتاج للشربینی (٨٤/٥)، تحفة المحتاج للهیتمی (٢٣٢/٨)، روضة الطالبین للنووی (٨/٣٧٥)، شرح السنۃ للبغوی (٢٩٠/٩)، الحاوی الكبير للمارودی (١٩١/٩).

^(١٩) انظر تبيين الحقائق للزيلاعي (١١٤/٢)، بداعي الصنائع للكاساني (٢٥٣/٥)، مجمع الأئم لداماد أفندي (١/٣٢٩، ٤٧١)، الشرح الكبير للدردیر (٢١٩/٢)، مواہب الجلیل للخطاب (٤٥/٤)، التاج والإکلیل للمواق (١٤٥/٤)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٦٧٨/٢)، شرح مختصر خلیل للخرشی (١٤٠/٤)، القتالوی الفقہیة الكبرى للهیتمی (٤/٩٣، ٩٤)، الإقیاع للحجاؤی (١١٥/٤)، شرح منهی الإرادات للبهوتی (٢٠٠/٣)، الروض المریع للبهوتی (ص ٦٠٩)، الكافی لابن قدامة (٣٦/٣)، المبدع لابن مفہج (١٣٨/٦) و (٩٥/٧)، الإنصال للمرداوی (٢٩٥/٩).

^(٢٠) انظر الشرح الكبير للدردیر (٤٧١/٢)، حاشية العدوی على شرح کفایة الطالب الربانی (٦٢/٢)، الشرح الصغير للدردیر (٦٧٨/٢).

الله ﷺ: قُلْ، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا^(١٤) عَلَى هَذَا، فَرَأَى بِإِمْرَاتِهِ، وَإِبْنِي أَحْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَاقْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةٍ شَأَةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرْنِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدٌ مِائَةٌ، وَتَعْرِيبٌ عَامٌ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا قَضَيْنَ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنْمُ رَدُّ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدٌ مِائَةٌ، وَتَعْرِيبٌ عَامٌ، وَاغْدُ يَا أَنَّيْشُ إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفْتُ فَأَرْجُمْهَا"، قَالَ: فَعَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفْتُ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَجِمْتُ^(١٥).

وجه الدلالة:

لم يأمر النبي ﷺ زوج المرأة أن يفارقها.

أما المعمول فقالوا:

إن الزنا معصية لا تخرج عن الإسلام، فأشبهاه السرقة^(١٦)، كما أن النكاح سابق فكان أولى^(١٧).

المطلب الثاني: في حكم جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا

اختلف الفقهاء في جماع الزوج لزوجته بعد وقوعها في الزنا وهل يلزمها العدة أم الاستبراء على قولين:

^(١٤) العسیف: الأجير. انظر النهاية في غریب الحديث والأثر لابن الأثیر (٢٦٣/٣)، تفسیر غریب ما في الصحيحین البخاری ومسلم للحدیدی (ص ١٣١).

^(١٥) رواه البخاری (٢٥٧٥)، ومسلم (٤٥٣١).

^(١٦) انظر الأم للشافعی (١٣/٥)، المغنى لابن قدامة (١٤٢/٧).

^(١٧) انظر الكافی لابن قدامة (٣٦/٣).

الثاني:

يرى القائلون به أن عليها الاستبراء بحيبة وإلى هذا ذهب الإمام مالك في قول والإمام أحمد في رواية .^{(٢٨)(٢٩)}

الأدلة:

أولاً: أدلة القائلين بجواز جماع الزوجة بعد وقوعها في الزنا وعدم وجوب العدة عليها ومناقشتها، استدلوا لقولهم بالسنة والآثار والمعقول:

أما السنة:

١- **فما رواه ابن عباس رضي الله عنهم: "...لا تردد يد لامس".**

وجه الدلالة:

لم يأمر النبي ﷺ الرجل باجتناب زوجته .^(٣٠)

واعتراض عليه بما يلي:

أن الحديث روى مرسلاً^(٣١) ومسندًا أاما المرسل فعن عبد الله بن عبيدة^(٣٢)، وعن ابن الزبير، أو أبي الزبير^(٣٣).

^(٣٨) انظر الشرح الكبير للدردير (٤٧١/٢)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٦٧٥/٢)، الاستذكار لابن عبد البر (٩٥/٦)، شرح منتهى الإرادات للبهوتى (٣)، المبدع لابن مفلح (١٣٨/٦)، الروض المربع للبهوتى (ص ٦٠٩)، الشرح الكبير لابن قدامة (١٣٠/٩)، الإنفاق للمرداوى (٢٩٥/٩)، الكافي لابن قدامة (٣).^(٢٠١)

^(٣٩) قال محمد بن الحسن يستترها بحيبة استحباباً؛ لأن الوطء يوجب توهّم الشغل فتستبرأ كالمشترأ. انظر المبسوط للسرخسي (١٥٣/١٣)،

شرح فتح القدير لابن الهمام (٣).^(٢٤٦/٣) والأوسط لابن المنذر (٥١٩).

يرى القائلون أن عليها الاستبراء قدر العدة فذات الأقراء ثلاثة قروء، وذات الأشهر ثلاثة أشهر، والمرتبة سنة وإلى هذا ذهب زفر من الحنفية والمالكية على المعتمد والحنابلة على المذهب^(٢١)، وبه قال ربعة^(٢٢)، والأوزاعي^(٢٣)، وإسحاق^(٤)، والحسن البصري^(٢٥)، والنخعي^(٢٦).

^(٢٤) انظر شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٤٦/٣)، مawahب الجليل للخطاب (٤٥/٤)، الشرح الكبير للدردير (٤٧٢/٢)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٢/٦٧٥، ٦٧٦)، الناج والكليل للمواق (٤٧٨/٥)، شرح ابن ناجي على متن الرسالة (٩٧/٢)، المبدع لابن مفلح (١٣٨/٦)، الإنفاق للمرداوى (٢٩٥/٩)، الشرح الكبير لابن قدامة (١٣٠/٩)، الفروع لابن مفلح (٢٥٤/٩).

^(٢٥) ربعة بن أبي عبد الرحمن: فروخ الفرشي التيمي مولاه، أبو عثمان، المعروف بربيعة الرأي، الإمام، مفتى المدينة، وعالم الوقت. روى عن أنس، والسابق بن يزيد، وابن المسيب، والحارث بن بلال، وعطاء، والقاسم بن محمد، وغيرهم، وعنده: مالك بن أنس، وشعبة، والليث، ويحيى بن سعيد، وسليمان التيمي، وسفيان بن أبي صالح، وخلق. كان من أوعية العلم، وأئمة الاجتهد، وثقة أحمد، والعجلاني، وأبو حاتم، والنمساني، والجمهوري. (ت ١٣٦) رحمة الله. انظر تهذيب الكمال للمزمي (٩١/٩)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٥٨/٢).

^(٢٦) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، أعلم أهل الشام بالسنة وكان ثقة، مأموناً، كثير الحديث والعلم والفقه، حجة، سُنْنَة عن الفقه وله ثلاث عشرة، أحذ عنه: أبو إسحاق الفزاروي، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم. (ت ١٥٧). انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٤)، طبقات الفقهاء للشيرازي (ص ٢٦).

^(٢٧) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهوبه، أبو يعقوب، أحد أئمة الدين، جمع بين الفقه والحديث والورع والتقوى، قال الإمام أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين وما غير الجسر أحد أقره من إسحاق. وقال إسحاق: أحفظ سبعين ألف حديث، وأذاكر بمائة ألف حديث، وما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته. (ت ٢٣٨). انظر طبقات الفقهاء للشيرازي (٩٤/١)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨٣/١)، المقصد الأرشد في ذكر تراجم أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (٤)، طبقات الفقهاء للشيرازي (٩٤/١)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨٣/١)، المقصد الأرشد في ذكر تراجم أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (٢٤٢/١).

^(٢٨) الحسن بن أبي الحسن: يسار الانصارى مولاه، أبو سعيد البصري: إمام، مفسر، محدث، فقيه، ثقة، ثبت، حجة، عابد، زاهد، كبير الشأن، رفيع الذكر، رأس في العلم والعمل، ربيب أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. روى له السنة. (ت ١١٠) رحمة الله. انظر تهذيب الكمال للمزمي (٩٥/٦)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٦٣/٤)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٦٣/٢).

^(٢٩) إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي، أبو عمران، فقيه أهل الكوفة، تابعي جليل، أجمعوا على توثيقه وجلالته وبراعته في الفقه، كان بصيراً بعلم ابن مسعود . (ت ٩٦)، وهو ابن تسع وأربعين سنة. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٥/١)، الإعلام للزركلي (٨٠/١).

^(٣٠) انظر الحاوي الكبير للماوردي (١٩٢/٩).

الذهبي في ميزان الاعتدال، وأورد له حديثاً، وقال: هذا منكر. ومثله وإن كان لا بأس به^(٣٧).

وأما رواية النسائي: فقال عنها: "هذا خطأ والصواب مرسل قد خولف النصر بن شمبل^(٣٨) فيه.." (٣٩)، وقد أعلل الحديث علماء العلل: بأن الأكثرين الثقات على أن الحديث من مراسيل عبدالله بن عبيد بن عمير، وهذا الذي صححه يحيى بن سعيد القطان^(٤١) وابن كثير^(٤٢) والواحدي^(٤٣) في تفسيره (٤٤) وغيرهم.

الكمال للمزني (١٩/٨٩ - ١٠٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/٦٥ - ٦٧).^(٤٥)

^(٣٧) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٤/٥)، تاريخ الإسلام للذهبي (٣٨/٤)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦٦/٣)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٧٤/٢)، لسان الميزان لابن حجر (٤٧٠/١).

^(٣٨) النصر بن شمبل المازني، أبو الحسن، النحو البصري نزيل مروي قال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين، وأبو عبد الرحمن النسائي: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة، صاحب سنة. (ت ٢٤٠). وقيل غير ذلك. انظر تهذيب الكمال للمزني (٢٩/٣٧٩ - ٣٨٤).

^(٣٩) السنن الكبرى للنسائي (٢٧٨/٥)، السنن الصغرى للنسائي (٤٣٧/٥).

^(٤٠) رواه غيره عن حماد بن سلمة، عن هارون بن رئاب، وعبدالكريم المعلم، عن ابن عبد الله بن عمير، قال عبدالكريم، عن ابن عباس، وعبدالكريم ليس بذلك القوي وهارون بن رئاب ثقة، وحديث هارون أولى الصواب وهارون أرسله". انظر السنن الكبرى للنسائي (٥٦٣٠).

^(٤١) يحيى بن سعيد بن فروخ الإمام العلم سيد الحفاظ أبو سعيد التميمي مولاه البصريقطان. قال أ Ahmad: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيدقطان. وقال ابن المديني: ما رأيت أحداً أعلم بالرجال منه. وقال بندر: هو إمام أهل زمانه. وقال النسائي أمناء الله على حديث رسول الله ﷺ: مالك وشعبة ويعقوب القطان. وقال أ Ahmad إلى يحيىقطان المنتهي في الثثبت. (ت ١٩٨٠). انظر طبقات الحفاظ للذهبي (١/٢١٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٥/٩ - ١٨٧).

^(٤٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء، القرشي الشافعي. كان قدوة العلماء والحافظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، ثقة على برهان الدين الفزاروي، وكمال الدين بن قاضي شهبة، ولازم الحافظ أبا الحاج المزني، وأخذ عنه وأقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب. وصنف في صغره كتاب "الأحكام على أبواب التبيه" و"البداية والنهاية" و"التفسير" واختصر "تهذيب الكمال" وخرج الأحاديث الواقعية في "مختصر ابن الحاجب". (ت ٧٧٤). انظر الدرر الكاملة لابن حجر (٤٤٥/١)، المنهل الصافي لابن تغري بردي (٤١٤/٢)، طبقات المفسرين اللداودي (١١٢/١).

وأما المسند فرواية أبي داود فيها حسين بن واقد المرزوقي: ثقة موصوف بالوهم والغلط، ووصفه الدارقطني، بالتدليس، وقد عنعن هاهنا. وقال الإمام أحمد: ما أنكر حديث حسين بن واقد عن أبي المنيب^(٤٤). وقال: ليس بذلك. وروي لأحمد حديث عن ابن عمر مرفوعاً، فأنكره، وقال: ومن روى هذا؟ قيل له حسين بن واقد. فقال بيده، وحرك رأسه، كأنه لم يرضه. وقال: أحاديث حسين ما أرى أي شيء هي، ونفط يده. وقال: حسين ضعيف. وقال أحمد وابن المديني^(٤٥): له أشياء مناكير. وقال أبو داود وأبو زرعة^(٤٦) والنسيائي: لا بأس به وذكره

^(٤٣) المرسل هو: حديث التابعي الكبير، الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم، كعبد الله بن عدي بن الخيار، ثم سعيد بن المسيب، وأمثالهما، إذا قال: "قال رسول الله ﷺ". انظر مقدمة ابن الصلاح (ص ٥١)، التقريب والتيسير للنوروي (ص ٣٤).

^(٤٤) رواه الإمام الشافعي في الأم (١٢/٥)، وعبدالرازق (١٢٣٦٥)، ورجاله رجال مسلم إلا أنه مرسل، والبيهقي في السنن الصغرى (٢٤٣)، وهو مرسل.

^(٤٥) رواه عبدالرازق (١٢٣٦٦)، وإسناده ضعيف، يرويه عبدالكريم، عن رجل لم يسم، عن مولى لبني هاشم.

^(٤٦) عبد الله بن عبد الله أبو المنيب العنكبي، قال البخاري: عنده مناكير. وقال النسائي ضعيف. وقال أبو أحمد الحكم: ليس بالقوي عندهم، قال البيهقي: لا يحتاج بحديثه. وقال ابن جبار يتفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبة. انظر تهذيب الكمال للمزني (٤١/٩).

^(٤٧) علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء المدني، البصري، أبو الحسن: الشیخ الإمام الحجة، أمیر المؤمنین في الحديث، محدث مؤرخ، كان حافظ عصره. له نحو متنی مصنف. من کتبه: "الطبقات" و"الاختلاف في الحديث" و"ما ذهب المحدثون" و"علل الحديث ومعرفة الرجال". انظر تهذيب الكمال للمزني (٥/٢١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤١/١١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٤٩/٧).

^(٤٨) عبد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ بن داود، أبو زرعة الراري، الإمام، سيد الحفاظ، أحد الأئمة المشهورين، والأعلام المذكورين، والجوالين المكثرين، والحافظ المتقدرين. قال علي بن الحسين بن الجنيد: ما رأيت أحداً أعلم بحديث مالك بن أنس، مسنهها ومنظفعها من أبي زرعة، وكذلك سائر العلوم، وقال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبي زرعة، فقال: إمام، وقال عمر بن محمد بن إسحاققطان: سمعت عبد الله بن حنبل، سمعت أبي، يقول: ما جاور الجسر أحد أفقه من إسحاق بن راهويه، ولا أحظم من أبي زرعة. (ت ٢٦٤). انظر تهذيب

يثبت^(٥٠)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات^(٥١)، وقال ابن تيمية: "لا تقوم به حجة في معارضه الكتاب والسنة"^(٥٢).

وعلى فرض صحة الحديث فإن للعلماء تأويلاً في معناه:

لا يمكن معها أن يكون الشارع الحكيم قد أقر المرأة وزوجها على الفاحشة، وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث لا يدخلون الجنة، ولا ينتظر الله إليهم يوم القيمة: العاق بوالديه، والمرأة المترجلة، المنشبهة بالرجال، والدَّيُوث"^(٥٣).

والمؤمن أمام النصوص الشرعية لابد أن يحملها على أحسن المحامل، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً، فإنه يبادر إلى تقويض علم النص ومعناه إلى الله تعالى كما قال الله تعالى [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُنشَبَاهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْغُ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رِبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ] [سورة آل عمران، الآية: ٧]^(٥٤).

^(٥٠) أقوال الثقات للكرمي (ص ١٨٩).
^(٥١) الموضوعات (٢٧٢/٢).
^(٥٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١٦/٣٢).
^(٥٣) رواه الإمام أحمد (٦١٨٠)، والنمساني (٢٥٦٢)، والحاكم (٢٤٤). وقال: إسناده صحيح، ولم يخرجاه.
^(٥٤) انظر تفسير الطبرى (٢١١-١٨٨/٥).

أما الإمام أحمد فقد رد الحديث، وحكم ببطلانه، وأنه منكر، وكذلك قال: الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤٥)، وأبو بكر بن العربي^(٤٦)، وابن الجوزي^(٤٧)، وابن تيمية.

فقد قال الإمام أحمد: هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ، ولا يثبت في هذا الباب شيء، وليس له أصل. وقال مرة: ليس لها أسانيد جياد، يعني: هي أحاديث ضعاف^(٤٨)، وقال ابن العربي: "هذا الحديث لم

^(٤٣) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوك الإمام أبو الحسن الواحدي التسليبورى. كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الشعبي، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والواسطى والجيز وأسباب النزول والمعازى والإعراب عن الإعراب وشرح الأسماء الحسنة ونفي التحرير عن القرآن الشريف. وتصدر للإفادة وللتدریس مدة، وله شعر حسن، (٤٦٨). انظر طبقات المفسرين للسيوطى (ص: ٧٩، ٧٨)، طبقات المفسرين للداودى (١/٣٩٤).

^(٤٤) انظر المحدث الفاصل (ص ٢٤٠)، تفسير ابن كثير (٦٢/٦)، التفسير الوسيط (٣٠٤/٣).

^(٤٥) أبو عبيد القاسم بن سلام الهرowi الغزاوي بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هرآة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدياً. ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثمانى عشرة سنة. من كتبه "الغريب المصنف"، و"فضائل القرآن". قال عبدالله بن طاهر علماء الإسلام أربعة: عبدالله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، والقاسم بن سلام في زمانه. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٦٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٦٠)، الأعلام للزرقاوي (١٧٦/٥).

^(٤٦) انظر النسخ والمنسخ لأبي عبيد (١٠٩/١).

^(٤٧) محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ. رحل مع أبيه إلى المشرق ودخل ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين. وكان من أهل التفنن في العلوم والاستئثار فيها والجمع لها مقدماً في المعارف كلها أحد من بلغ رتبة الاجتهاد وأحد من انفرد بالأندلس بعلو الإسناد. شرح الموطأ وشرح الترمذى. (ت ٥٤٣). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠١-١٨٩/٢٠).

^(٤٨) عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. له نحو خمس مئة مصنف، منها: "تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار" و"الموضوعات" و"تلبيس إيليس" و"التحقيق في مسائل الخلاف". (ت ٥٩٧). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥٢/٢٢)، الذي على طبقات الخطابية لابن رجب (٤٥٨/٢)، المقصد الأرشد لابن مفلح (٩٣/٢).

^(٤٩) انظر مسائل الإمام أحمد رواية عبدالله (ص ٤٤٥)، الموضوعات لابن الجوزي (٢٧٢/٢).

على رسول الله ﷺ إلا بما قد علموه، فإنهم منهيون عن ذلك، معاقبون عليه^(٥٩).

لذلك اجتهد العلماء، رحمهم الله، في تأويل معنى الحديث:

فذهب بعضهم إلى: أنها امرأة سخية خِرْقَة^(٦٠)، مبذرة.

قال الإمام أحمد: "تعطى من ماله، قيل: فإن فلاناً يقول: من الفجور؟ قال: ليس هو عندنا إلا أنها تعطي من ماله، ولم يكن النبي ﷺ يأمره بإمساكها وهي تفجر"^(٦١).

وقال الأصمي^(٦٢): ليس يعني الفجور، إنما يعني السخاء^(٦٣).

وقال أبو عبيدة: "تألوه: على البغاء، وهذا عندنا خلاف الكتاب والسنة لأن الله تبارك وتعالى إنما أذن

^(٥٨) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، إماماً فقيها ثقة ثبتنا انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، روى عن هارون الأيلي، وأبن رفاعة، وبحر بن نصر وغيرهم، روى عنه أبو الحسن الإخصمي، وأحمد الخشاب، وأبو بكر بن المقرئ، من مصنفاته معاني الآثار، والمختصر في الفقه (ت ٣٢١). انظر طبقات الحفاظ السيوطي (ص ٣٩٩)، الجوادر المضيء في طبقات الحنفية للقرشي (١٠٢١).

^(٥٩) شرح معانى الآثار (١٤٧/٤)، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمه (٨٧٢/٢).

^(٦٠) الخُرْقُ، بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة: السخي. يقال: هو يتَّخِرُّ في السخاء، إذا توَسَّعَ فيه. انظر مقاييس اللغة لابن فارس (١٧٢/٢)، الصحاح للجوهري (١٤٦٧/٤)، تاج العروس للزبيدي (٢٢٠/٢).

^(٦١) مختصر سنن أبي داود للمنذري (٦/٢).

^(٦٢) عبد الملك بن قريب الأصمي، أبو سعيد، الإمام، العلامة، الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، البصري، اللغوي، الأخباري، أحد الأعلام. يقال: اسم أبيه: عاصم، ولقبه: قريب. وقد أتني عليه الإمام أحمد في السنة. قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمي. وعن ابن معين، قال: كان الأصمي من أعلم الناس في فنه. وقال أبو داود: صدوق. (ت ٢١٣) وقيل غير ذلك. انظر تهذيب الكمال للزمي (١٨/٣٨٢، ١٨/٣٨٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/١٧٦، ١٧٧).

^(٦٣) رواه السلفي في الطيوريات (١٧٠).

قال عبد الرحمن السعدي^(٥٥): الحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تُشكل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، ف بهذه الطريقة يصدق بعضه بعضاً، ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين: [إِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْءٌ فَيَنْتَهُونَ مَا تَشَاءُ مِنْهُ] يتركون المحكم الواضح ويدهبون إلى المتشابه؛ [إِنْتَعَاءَ الْفِتْنَةِ] فالمتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محل للفتنة، لوضوح الحق فيه^(٥٦).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رض، قال: "إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِدِيثًا، فَظُنِّوْبُهُ بِهِ الَّذِي هُوَ أَهْيَاهُ، وَأَهْدَاهُ، وَأَنْقَاهُ"^(٥٧).

قال أبو جعفر الطحاوي^(٥٨): "فهذا ينبغي للناس أن يفعلوا، وأن يحسنوا تحقيق ظنونهم، ولا يقولون

^(٥٥) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: فقيه، أصولي، مفسر، وهو أول من أنشأ مكتبة عامة في عنيزة، مكثر من التأليف؛ من كتبه: "تيسير اللطيف المنان في خلاصة مفاصد القرآن"، و"القواعد الحسان في تفسير القرآن"، و"طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول"، و"الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول المحدثين"، و"القواعد والأصول الجامعة"، و"الدرة البهية شرح القصيدة الثانية"، و"توضيح الكافية الشافية لابن القسم". (ت ١٣٧٦). الأعلام للزرکلي (٣٤٠/٣)، معجم المؤلفين للكحاله (٣٩٦/١٣).

^(٥٦) انظر تفسير السعدي (ص ١٢٢)، وأضواء البيان للشنقيطي (١٩٣/١).

^(٥٧) رواه الإمام أحمد (٩٨٥)، وابن ماجه (٢٠)، والأشعر رجله رجال الشيخين. قال السندي: قوله: "الذى هو أهدى" ، أي: أهدى الظنون، وهو أن ذلك الحديث صدق حق. "أهيا": معناه: أحسن هيئة. وروي الآخر عن ابن مسعود: رواه الإمام أحمد رقم (٣٦٤٥)، وابن ماجه (١٩)، ورجاله ثقات، وفيه انقطاع.

وقد وجدنا مع هذا شاهداً في أشعار العرب، قال جرير بن الخطفي^(٥) يعاتب قوماً.

الْسَّمْتُ لِتَامًا إِذْ تَرُوْمُونَ حَارَكْمُ * وَلَوْلَا هُمْ لَمْ تَدْفَعُوا
كَفَ لَامِسٍ

فهذا حجة في كلام العرب مع ما ذكرنا، لأن الشاعر إنما أراد: أنكم لا تمنعون ظالماً ولا أحداً يريد أموالكم^(٦). وبنحوه قال الخلال^(٧)(٨).

وقال أبو بكر الخرائطي^(٩): "معنى الحديث: أن الرجل وصف امرأته بالخُرُق وضعف الرأي، وأنها لا تمنع أحداً سائلها من متاع بيته شيئاً، وهذا لفظ مستغن عن الكنية، إنما تمنع اليدين نفسها، فكان الجواب من رسول الله ﷺ: "إن كنت تحبها، ولا تطبق الصبر عنها، فاحتمل هذا الفعل منها"، وكيف يُتأول على رسول الله ﷺ أن يأمره بإمساك امرأة لا تمنع أحداً أرادها لريبة؟ وقد جاء عنه ﷺ في ذم الزنا

^(٥) جرير بن عطية الخطفي التميمي، أبو حَزَرَة اليمامي: شاعر أموي فحل، كان أشعر شعراء عصره، ولم يقف له إلا الفرزدق. وقد قيل: "الشعر أربعة أصناف: فخر، ومدح، ونسيب، وهجاء. وفي كلها غلب جرير". (ت ١١٠). انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٨٦/٢٢)، المنظم لابن الجوزي، تاريخ الإسلام للذهبي^(٩)(١٣).

^(٦)

^(٧)

^(٨)

^(٩) أحمد بن محمد بن هارون الخلال: فقيه عالمة محدث، من كبار فقهاء الخانبلة المتقدمين، أفق حياته في جمع علم الإمام أحمد، ورحل من أجله وجهد وشهر. من كتبه: "الجامع لعلوم الإمام أحمد"، والعلل، و"السنة"، و"الطبقات"، و"العلم"، و"تفسير الغريب"، و"الأدب" و"أخلاق أحمد"، وغيرها. (ت ٣١٠). انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦/٣٠٠)، طبقات الخانبلة لابن أبي يعلى^(١)، تذكرة الحفاظ للذهبي^(٢).

^(١)

^(٢)

^(١٠) محمد بن جعفر بن محمد أبو بكر الخرائطي: محدث ثقة فاضل، حسن الأخبار، مليح التصانيف؛ فناتها: "مكارم الأخلاق"، و"مساوی الأخلاق"، و"اعتلال القلوب"، و"قمع العرص بالقناعة"، و"هواتف الجن وعجائب ما يحكى عن الكهان"، و"القبور"، و"فضيلة الشكر". (ت ٣٢٧). انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/٥١٥)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/٥٢)، المنظم لابن الجوزي^(٣).

في نكاح المحصنات خاصة، ثم أنزل في القاذف لامرته آية اللعan، وسنّ رسول الله ﷺ القریق بينهما فلا يجتمعان أبداً، فكيف يأمره بالإقامة على عاهرة لا تمنع من أرادها؟ وفي حكمه أن يلاعن بينهما ولا يقره معها قاذفاً على حاله؟ هذا لا وجه له عندنا. ومن الحجة في هذا أيضاً: قول النبي ﷺ: "إِذَا رَأَتْ أَمَةً أَحَدَكُمْ فَلْيَجِلْدُهَا" ثم قال في الثالثة أو الرابعة: "فَلْيَبْعَهَا وَلَوْ بِضَفِيرٍ"^(١٤)، فكيف يكره أن توطأ الأمة الفاجرة ويرخص في الإقامة على الزوجة الحرة وهي فاجرة، والذي أحمل عليه وجه الحديث أنه ليس يثبت عن النبي ﷺ فإن كان له أصل فإن معناه: أن الرجل وصف امرأته بالخُرُق وضعف الرأي وتضييع ماله فهي لا تمنعه من طالب ولا تحفظه من سارق، هذا عندي مذهب الحديث، وقد احتاج قوم بقول الله ﷺ: [أَوْ لَامْسْتُمُ النِّسَاءَ] [سورة النساء من الآية ٤٣: ٤]، فقالوا: ألا ترى أنه قد جعل الجماع لمساً، فيقال لهم: إن الرجل لم يقل للنبي ﷺ إنها لا تمنع لاماً، فلو كان الكلام هكذا ما كانت لكم حجة ولكنه إنما قال: "يد لامس"، ولم يقل: فرج لامس، وقد قال الله ﷺ [وَلَوْ تَرَلَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ] [سورة الأنعام من الآية ٧: ٧] فهل لهذا معنى غير اليد المعروفة بهذا هو الشاهد أن يد اللامس هي التي تأولنا، والله أعلم.

^(١٤) رواه البخاري (٤٤٤٧)، ومسلم (٤٥٤٤).

وذهب بعض المتأخرین کما قال ابن الملقن، إلى أن معناه: أمسکها عن الزنا، أو عن التبذیر إما بمراقبتها، أو بالاحتفاظ على المال، أو بكثرة جماعها، قال: وهو حسن بالغ^(٤).

٢- واستدلوا بأن ماعزاً^(٥) لما أقرَ بالزنا لم يأمره النبي ﷺ أن يجتب زوجته إن كانت، ولا زوجته أن تجتبه^{(٦)(٧)}.

قلت: ويعترض على الاستدلال به من وجهين : الأولى: أن عدم النقل لا يدل على عدم الواقع.

الثاني: أن زنا الزوج يفارق زنا الزوجة في أنه لا يحصل به اختلاط في الأنساب في فراشه.

٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يتبع المرأة حراماً أينكح ابنته، أو يتبع الإبلة حراماً أينكح أمها؟ قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا يحرِّم الحرام الحلال، إنما يحرِّم ما كان ينْكَح حلالاً"^(٨).

اختلافت إليه، وعلقت عنه الفقهة سennin. توفي عن مائة وستين، لم يختلط عقله، ولا تغير فهمه، يفتني مع الفقهاء، ويستدرك عليهم الخطأ، ويقضى، ويشهد، إلى أن مات (ت ٤٥٠)، انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٩١/١٠)، التقى بابن نقطة الحنبلي (ص ٣٠٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٦٨/١٧).
^{٧٣} البدر المنير لابن الملقن (١٨٣/٨)، تلخيص الحبير لابن حجر (٤٨٦/٣).

^{٧٤} انظر البدر المنير لابن الملقن (١٨٤/٨).

^{٧٥} ماعز بن مالك الإسلامي معروف في المدنين، كتب له رسول الله ﷺ كتاباً بإسلام قومه، وهو الذي اعترف بالزنى فترجمه، روى عنه ابنه عبد الله حديثاً واحداً. انظر أسد الغابة لابن الأثير (٦/٥)، الإصابة لابن حجر (٧٠٥/٥).

^{٧٦} انظر الأوسط لابن المذر (٨/٥١٩).

^{٧٧} وحديث ماعز رواه الترمذى (١٤٢٨)، وقال: حديث حسن.

^{٧٨} رواه الطبراني في الأوسط (٤٨٠٣)، والدارقطنى (٣٦٧٨)، البيهقي (١٣٩٦٥)، رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما ابن

ما تقدم ذكره، بل لم نر أحداً أحب امرأة فاحتفل أن يرى معها رجلاً غيره، فكيف يجوز لقائل أن يتأول على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ هذا التأويل، ويُظن به هذا؟^(٩).

وذهب فريق إلى أن المقصود: أنها سهلة الأخلاق، ليس فيها نفور وحشمة عن الأجانب.

فقال ابن تيمية: "لفظ "اللامس" قد يراد به من مسها بيده، وإن لم يطأها فإن من النساء من يكون فيها تبرج، وإذا نظر إليها رجل أو وضع يده عليها لم تتحر عنه، ولا تمكنه من وطئها. ومثل هذه نكاحها مكروه؛ وللهذا أمره بفرارقها، ولم يوجب ذلك عليه، لما ذكر أنه يحبها، فإن هذه لم تزن، ولكنها مذنبة ببعض المقدمات، وللهذا قال: لا ترد يد لامس؛ فجعل اللمس باليد فقط. ولفظ "اللامس، والملامسة" إذا عني بهما الجماع لا يخص باليد، بل إذا قرن باليد فهو قوله تعالى [أَوْ نَزَّلَنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ] [] [سورة الأنعام من الآية ٧].

وذهب فريق إلى أن المقصود: أنها تزني: ورجح القاضي أبو الطيب^(١٢) الأول بأن السخاء مندوب إليه فلا يكون موجباً لقوله: (طَلَقُهَا)^(١٣).

^{٧٠} اعتلال القلوب (٧٢٠)، وانظر كلام ابن الجوزي في الموضوعات (٢٧٢/٢).

^{٧١} مجموع الفتاوى (١١٦/٣٢)، وانظر تفسير ابن كثير (١٧٠/١٠)، تلخيص الحبير لابن حجر (٢٢٦/٣)، سيل السلام للمنعناني (٢٨٤/٢).

^{٧٢} القاضي أبو الطيب الطبرى طاهر بن عبد الله بن طاهر العلامة، شيخ الإسلام الشافعى، فقيه بغداد. قال الخطيب: كان شيخنا أبو الطيب ورعاً، عاقلاً، عارفاً بالأصول والفروع، محققاً، حسن الخلق، صحيح المذهب،

الأول^(٨٨)، وقال أبو حاتم الرازي^(٨٩): "متروك الحديث، ذاهب الحديث، كذاب"^(٩٠)، وكذلك النسائي^(٩١)، إنما قال فيه: "متروك الحديث"^(٩٢)، وقال البخاري^(٩٣)، إنما قال فيه: تركوه^(٩٤).

وأما رواية ابن عمر عند ابن ماجه فالحديث ضعيف^(٩٥)، فيه عبدالله بن عمر، وهو: أخو عبد الله، قال ابن حبان: "فحش خطوه فاستحقَّ الترك"^(٩٦)، وقال البوصيري^(٩٧): "هذا إسناد ضعيف، لضعف العمري"^(٩٨)، ورمز السيوطي له بالضعف في الجامع الصغير^(٩٩).

قال ابن قدامة: "وحيثهم لا نعرف صحته، وإنما هو من كلام ابن أشعو^(٩٨) وبعض قضاة العراق كذلك

^(٨٨) فتح الباري(١٥٦/٩).
^(٨٩) محمد بن إدريس الخنطي، أبو حاتم الرازي، سمع أبا نعيم، وعفان، وأبا مسهر وأماماً سواهم. وبقي في الرحلة زماناً. وحدث عنه أبو داود، والنسائي، وأبو عوانة، وخلق كثير. قال موسى بن إسحاق: "ما رأيت أحفظ من أبي حاتم". وقال أحمد بن سلمة: "ما رأيت بعد محمد بن يحيى أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم". (ت ٢٧٧). انظر تذكرة الحفاظ للذهبي(٣)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٥٩).

^(٩٠) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(١٥٧/٦).

^(٩١) الضعفاء والمتروكون للنسائي(ص ٧٥).

^(٩٢) انظر الضعفاء للبخاري(ص ٩٨).

^(٩٣) انظر الفروع لابن مفلح(١٨٠/٩)، شرح الزرقاني على الموطأ(٢١٤/٣)، السنن الكبرى للبيهقي(٢٥٧/٧)، الجامع الصغير للسيوطي (٤٠٠/٢)، التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي(٥٠٤/٢)، فيض القدير للمناوي(٤٤٧/٦).

^(٩٤) المجموعين لابن حبان(٦/٦-٧).

^(٩٥) شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكتاني البوصيري، سمع الكثير من البرهان التخخي والعرقاني والبيهقي، وغنى بفن الحديث، وألف وخرج ، وله التصانيف الحسنة، فمنها: زوائد المسانيد على الكتب الستة، وزوائد سنن ابن ماجة، وزوائد سنن البيهقي، ولم يزل مكاناً على الحديث وتخرجه إلى وفاته. (ت ٨٤٠). انظر الضوء الالمعنوي للسخاوي(٢٥١/١)، طبقات الحفاظ للسيوطي(ص ٥٥١).
^(٩٦) مصباح الرجاء في زوائد ابن ماجه(١٢٣/٢).

^(٩٧) (٤٠٠/٢).

^(٩٨) سعيد بن عمر بن أشوع الهمданى الكوفى. فقيه كوفي من عاصر صغار التابعين روى له البخاري ومسلم(ت ١٢٠). انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(٥٠٤)، تهذيب الكمال للزمي(١٥/١١).

واعتُرِضَ على الاستدلال به من وجهين:

الأول: قال البيهقي^(٩٩) عن رواية عائشة رضي الله عنها: "تفرد به عثمان بن عبدالرحمن الوقاصي وهو ضعيف، وال الصحيح عن الزهري عن علي مرسلاً وموقوفاً"^(٨٠)، وقال الذهبي: "عثمان متروك"^(٨٢)، وعده ابن عدي في الضعفاء^(٨٣) وقال ابن حبان^(٤): "يروي عن الثقات الموضوعات لا يجوز الاحتجاج به"^(٨٥)، وقال ابن معين^(٨٦): "يكذب"^(٨٧)، وقال ابن حجر: "...وخرج ابن ماجه الجملة الأولى منه عن ابن عمر، وإسناده أصلح من

ما جاهه(٢٠١٥)، والدارقطني(٣٦٧٩)، والبيهقي(١٣٩٦٤)، وسيأتي الحكم عليه عند مناقشة الأدلة.

^(٩٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الخسروري الشافعى، محدث، فقيه، كان كثير التحقيق والإنصاف، حسن التصنيف، قاتعاً من الدنيا باليسير، متجلماً في زده وورعه. قال إمام الحرمين: "اما من شافعى إلا للشافعى عليه منه إلا البيهقي فإن له على الشافعى منه؛ لتصانيفه في نصرة مذهبة"، ومن كتبه: "السنن الكبرى والصغرى" و"شعب الإيمان" و"معرفة السنن والأثار" و"الخلافيات". (ت ٤٥٨). انظر تذكرة الحفاظ للذهبي(٢١٩/٣)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي(٧/٤).

^(٩٥) الموقف: هو المروي عن الصحابة قول لهم أو فعلاؤنحوه متصلأً كان أو منقطع، ويستعمل في غيرهم مقيداً التقريب والتيسير للنحو (ص ٣٣)، الباعث الحديث لابن كثير (ص ٤٥).

^(٩٦) السنن الكبرى للبيهقي(٢٥٧/٧).

^(٩٧) تتفق التحقيق للذهبي(١٨٨/٢).

^(٩٨) الكامل في الضعفاء(٢٧١/٦).

^(٩٩) محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البستي، سمع النسائي والحسن بن سفيان وأبا يعلى وابن خزيمة، تولى قضاء سمرقند، كان فقيهاً حافظاً، عالماً، رحالة، أكثر من التصنيف، من كتبه: "المسنن الصحيح" و"الثقة" و"المجرورين". (ت ٣٥٤) رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٢/١٦)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٣٧٥).

^(١٠٠) المجرورين(٩٨/٢).

^(١٠١) يحيى بن معين بن عون الغطافى، أبو زكريا البغدادى، أحد الأئمة الأعلام، إمام في الجرح والتعديل، قال الإمام أحمد: "كان أعلمنا بالرجال"، وقال ابن المدينى: "انتهى العلم إلى ابن معين"، وقال الخطيب: "كان إماماً ربانياً عالماً حافظاً مثبتاً متقناً" (ت ٥٢٣٣). انظر تهذيب الكمال للمزمى(٥٤٣/٣١)، سير أعلام النبلاء للذهبي(٧١/١١)، تهذيب التهذيب لابن حجر(١٢٣١)، (٢٨٥، ٢٨٠/١).

^(١٠٢) انظر ميزان الاعتدال للذهبي(٤٣/٣)، الضعفاء والمتروكون للنسائي(ص ٧٥)، التحقيق في مسائل الخلاف لابن الجوزي(٢٧٦/٢)، تهذيب الكمال للمزمى(٤٢٧، ٤٢٦/١٩).

وأما الآثار:

- ١- فقد روي عن ابن عباس رض "إِنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَطَأَ الرَّجُلُ أَمَّةً إِذَا فَجَرَثُ، وَيَرَى أَنَّ ذَلِكَ تَحْصِينٌ لَهَا" ^(١٠٤).
- ٢- روي أن سعيد بن المسيب "وَقَعَ عَلَى جَارِيَةٍ لَهُ قَدْ فَجَرَتْ" ^(١٠٥).
- ٣- وعن عَبْيُودُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا، تَرَوَّجَ امْرَأَةً وَلَهَا ابْنَةٌ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَهُ ابْنَ مِنْ غَيْرِهَا، فَفَجَرَ الْغَلَامَ بِالْجَارِيَةِ فَظَاهَرَ بِهَا حَبَلٌ، فَلَمَّا قَدِمَ عُمْرُ عَنْهُ مَكَّةَ قَرُفَعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُمَا فَاعْتَرَفَا، فَجَأَدُهُمَا عُمُرُ الْحَدَّ، وَحَرَصَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا فَأَبَى الْغَلَامَ ^(١٠٦).

وجه الدلالة:

دل الأثر أن عمر رض لم يكن يرى أن عليها عدة من الزنا ولا مخالف له من الصحابة ^(١٠٧).

وأما المعقول فقالوا:

- ١- إنه ليس لحريم جماعها وجةً أصلًا، مع الحكم بانعقاد النكاح، وقد ظهر أن ماء الزاني لا حرمة له ^(١٠٨).

^(١٠٣) انظر المبسوط للسرخسي (١٥٢/١٣)، حاشية ابن عابدين (٣٨٠/٦).

^(١٠٤) رواه ابن أبي شيبة (١٦٣٣٦).

^(١٠٥) رواه عبد الرزاق (١٦٣٣٧).

^(١٠٦) روى الأثر الشافعي في مسنده (٣٨)، وابن أبي شيبة (١٦٧٧٨) والبيهقي (١٣٨٧٥).

^(١٠٧) انظر الاستذكار لابن عبدالبر (٧/٥١٢)، البيان للعمري (٢٧١/٩).

قال الإمام أحمد، وقيل: إنه من قول ابن عباس ^(٩٩).

الثاني: "الحادي ث غير مجرى على ظاهره، فإن كثيراً من الحرام يحرم الحال، كما إذا وقعت قطرة من خمر في الماء، وكالوطء بالشبهة، ووطء الأمة المشركة، ووطء الأب جارية الابن، هذا كله حرام حرام الحال" ^(١٠٠).

ويوهم بأن: من وطئ أمهه أو امرأته حائضاً، أو إداهاماً: حرم، أو معتكف، أو في نهار رمضان، أو أمهه الوثنية، أو ذمية، عمداً، ذاكراً، فإنه وطئ حراماً ولا خلاف في أنه وطء حرم لأمها وابنتها، وحرم لها على آبائه، وبنيه، فكذلك كل وطء حرام؟ ^(١٠١).

٤. عن أبي هريرة: قال: قال النبي ﷺ: "الولد للفراش، وللعاهر الحجر" ^(١٠٢).

وجه الدلالة:

الشرع ما جعل للزاني إلا الحجر وليس في الزنا استبراء ولا عدة ^(١٠٣).

^(٩٩) المغني (١١٨/٧).

^(١٠٠) البنية للعيني (٣٦/٥).

^(١٠١) انظر المحلى بالأثار (١٤٩/٩).

^(١٠٢) رواه البخاري (٦١٨)، ومسلم (٣٦٨٨).

حرمة، فكيف يجوز اجتماعه مع ماء الزاني في رحم واحد؟^(١٤).

أما قولهم أن العدة إنما وجبت لحفظ النسب فاعتراض عليه: بأنه لو وجبت العدة لذلك لما وجب على الملاعنة المنفي ولدتها، والأيسة، والصغريرة، ولما وجب استبراء الأمة التي لا يلحق ولدتها بالبائع، ولو وجب كذلك كان استبراء الأمة على البائع، ثم لو ثبت أنها وجبت لذلك، فالحاجة إليها داعية؛ فإن المزني بها إذا لم تعتد اشتبه ولد الزوج بالولد من الزنا فلا يحصل حفظ النسب^(١٥).

٤- إن وجوب العدة في الأصل باعتبار حق النكاح أو الفراش، وبين النكاح والسفاح منافاة بانعدام الفراش ينعدم السبب الموجب للعدة^(١٦).

٥. إنه لما انتفى عن الزنا سائر أحكام الوطء الحال من المهر والنسب والإحسان والإحلال للزوج الأول انتفى عنه حكمه في العدة^(١٧).

٦ . صحة نكاح الزانية أمارة الفراغ في المحتمل فلا موجب للاستبراء والحكم لا يثبت بلا سبب^(١٨).

^(١٤) إغاثة اللهفان(٦٧/١).

^(١٥) انظر المغني لابن قدامة(٩٨/٨)، الشرح الكبير لابن قدامة(٩/١٣٠)، الشرح الكبير لابن قدامة(٩/١٣١).

^(١٦) انظر المبسوط للسرخسي(٤/٥٠٢)، البيانة للعيني(٥/٣٦).

^(١٧) انظر الحاوي الكبير للماوردي(٩١/٩)، شرح السنة للبغوي(٩/٢٩٠).

^(١٨) انظر شرح الفديه لابن الهمام(٣/٤٦).

واعتراض عليه بأن: ماء الزاني وإن كان لا حرمة له، فماء الزوج محترم، فلا يجوز له خلطه بغيره، ولأن هذا مخالف لسنة الله في تمييز الخبيث من الطيب، وتخلصه منه، وإلحاد كل قسم بمجانسه ومشاكله^(١٩).

٢- إن الزانية لا عدة لها إنما العدة من قبل النكاح الذي يثبت نسب الولد فيه^(٢٠).

٣- إن وجوب العدة من الماء إنما يكون لحرمه ولحقوق النسب به ولا حرمة لهذا الماء تقضي لحقوق النسب، فلم تجب منه العدة^(٢١).

واعتراض على قولهم: إن ماء الزاني لا حرمة له، بأن ماء الزاني وإن لم يكن له حرمة فماء الزوج محترم، فكيف يسوغ له أن يخلطه بماء الفجور؟^(٢٢).

قال ابن القيم^(٢٣): "من جوز أن يتزوجها ويطأها الليلة وقد وطئها زاني البارحة، وقال: ماء الزاني لا حرمة له، فهو أن الأمر كذلك، فماء الزوج له

^(٢٠) انظر نهاية المطلب للجويني(١٢/٢٢٠).

^(٢١) انظر زاد المعاد لابن القيم(٥٤٦/٥).

^(٢٢) انظر الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن(٣/٢٧١، ٢٧٠/٣).

^(٢٣) انظر المبسوط للسرخسي(١٣/٥٢)، حاشية ابن عابدين(٣/٥٢٧)، البحر الرائق لابن نجيم(٣/١١)، الحاوي الكبير للماوردي(٩١/٩)، المغني لابن قدامة(٧/١٤١).

^(٢٤) انظر المبسوط للسرخسي(١٣/١٥٣)، مجموع فتاوى ابن تيمية(٣٢/١١٢).

^(٢٥) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعبي، أبو عبدالله شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، هدّب كتب شيخ الإسلام ونشرها، له: "اعلام الموقعين" و"زاد المعاد في هدي خير العباد". (ت ٧٥١). انظر أعيان الصدر للصفدي(٤/٣٦٦)، النيل على طبقات الحنابلة لابن رجب(٥/١٧٠)، المقصد الأرشد لابن مفلح(٢/٣٨٤).

الأول: النهي إنما هو عن وطء الحامل المتحقق حملها دون الموهوم؛ لأن الفرق بين المحقق والموهوم في الشغل الحرام ثابت شرعاً لورود عموم النهي في المحقق^(١٢٣)؛ لأنه قبل الحبل لا يكون زرعاً بل هو ماء مسفوهاً، ولهذا قالوا: لو تزوج حبل من زنا لا يقربها حتى تضع حملها ؛ لئلا يسقي زرع غيره؛ لأن به يزداد سمع الولد وبصره حدة^(١٢٤)

الثاني: إنه إنما ورد للتغفير عن وطء المسببة الحامل؛ لأن حملها محترم، فحرم الوطء لأجل احترامه بخلاف حمل الزنا فإنه لا حرمة له تقضي تحريم الوطء^(١٢٥).

٢- فما رواه أبو سعيد الخدري^(١٢٦) أن رسول الله ﷺ قال في سبايا أوطاس^(١٢٧): "لا توطأ حاملاً حتى تضع، ولا غير ذات حملٍ حتى تحيض حيضةً"^(١٢٨).

وجه الدلالة:

قلت: يُعرض عليه بأن نكاح الزانية مختلف في صحته فلا يحتاج به^(١٢٩).

ثانياً: أدلة القائلين بأنه يحرم على الزوج جماع زوجته عقب وقوعها في الزنا ومناقشتها، استدلوا بقولهم بالسنة والأثر:

أما السنة:

١- حديث رويَّفع بن ثابت الأنصاري^(١٣٠)، عن رسول الله ﷺ، أَنَّهُ قَالَ عَامَ حَيْثُرَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَسْقِيَ مَاءَهُ وَلَدَ غَيْرِهِ"^(١٣١).

وجه الدلالة:

النهي يعم الزرع الطيب والزرع الخبيث، كما أن صيانة ماء الواطيء عن الماء الخبيث حتى لا يختلط به أولى من صيانته عن الماء الطيب^(١٣٢).

واعتراض عليه من وجهين:

^(١٢٣) انظر تبيين الحقائق للزيلعي(١١٣/٢).

^(١٢٤) انظر حاشية ابن عابدين(٥٢٧/٣).

^(١٢٥) انظر القتاوى الفقهية الكبرى للهيثمي (٤/٩٤).

^(١٢٦) سعد بن مالك بن سنان الحارثي الخزرجي الأنصاري الخذري، استصغره النبي ﷺ بأحد، واستشهد أبوه بها، وغزا ما بعدها، كان من أفقه أحداث الصحابة (ت٧٤) وقيل غير ذلك. انظر الاستيعاب لابن عبد البر (٤٧/٢)، الإصابة لابن حجر^(٣)، واد^(٤)، واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين. معجم البلدان^(٥)، أوطاس: واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين. معجم البلدان للحموي (١/٢٨).

^(١٢٧) رواه الإمام أحمد (١١٥٩٦)، وأبو داود (٢١٥٧)، وقال الحاكم (٢٧٩٠): "صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، وسكت عنه الذهبي، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير: إسناده حسن (٤١/٤) وكذا ابن عبدالهادي في تقييق التحقيق (٤١٥/١).

^(١٢٩) يقول بجواز نكاح الزانية الحنية والمالكية والشافعية. انظر حاشية رد المحhtar لابن عابدين (٥٠/٣)، البحر الرائق لابن نجيم (١١٤/٢)، شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٤٦/٣)، مواهب الجليل للحطاب (٤١٣/٣)، الشرح الكبير للدردير (٢٢٠/٢)، الشرح الصغير للدردير (٣٤٩/٢)، معنى المحتاج للشربيني (١٧٨/٣)، تكميلة المجموع للمطيعي (٢١٩/١٦)، وزاد المالكية: أنه يكره إذا كانت مشهورة بالزنا. انظر المراجع السابقة.

^(١٣٠) رويَّفع بن ثابت بن السكن الأنصاري، من بنى النجار، صحب النبي ﷺ وسكن مصر وولي امرة برقة وبها مات (٥٦). انظر تهذيب الكمال للمرزقي (٢٥٤/٩)، تاريخ الإسلام للذهبي (٤٠٧/٢)، الإصابة لابن حجر (٤١٦/٢).

^(١٣١) رواه الإمام أحمد (١٦٩٩٠)، وأبو داود (٢١٥٥)، وابن حبان (٤٤٥)، وابن أبي شيبة (١٧٧٤٩)، وقال الأنووط في تعليقه على مسند الإمام أحمد صحيح بطرقه وشواهده (١٩٩/٢٨).

^(١٣٢) انظر زاد المعاد لابن القيم (٦٤٦/٥).

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهمَا، قَالَ: "إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ، أَوْ أُمَّ وَلَدِهِ عَلَى فَاحِشَةٍ، فَلَا يَقْرِبُهَا" (١٣٥).

وَأَمَّا أَدْلِتُهُمْ عَلَى مَا يُلْزِمُ الْزَوْجَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الزِّنَاءِ مِنَ الْعُدَةِ أَوِ الْاسْتِرَاءِ فَكَمَا يَلِي:

اسْتَدَلُ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ عَلَيْهَا الْاسْتِرَاءَ بِثَلَاثِ حِيْضٍ
بِالْمَعْقُولِ فَقَالُوا:

١_ إِنَّهُ وَطَهُ يَقْتَضِي شُغُلَ الرَّحْمِ فَوْجِبَتِ الْعُدَةُ مِنْهُ كَالْوَطَهُ فِي النِّكَاحِ الصَّحِيحِ (١٣٦)، وَكَوْطَهُ الشَّبَهَةِ (١٣٧)، وَكَالْمَفْسُوخِ نِكَاحُهَا الْفَاسِدُ (١٣٨).

٢_ قَالُوا إِنَّ عَدْتَهَا كَعْدَةَ الْمَطْلَقَةِ؛ لِأَنَّهُ اسْتِرَاءَ لَحْرَةٍ فَلَا يَكُونُ بِأَقْلَى مِنْ ثَلَاثِ حِيْضٍ، أَشْبَهُ عُدَدَ الْمَطْلَقَةِ (١٣٩).

وَأَعْتَرُضُ عَلَيْهِ بِمَا يَلِي:

١- أَنَّ مَا شَرَعَ لَهُ الْاسْتِرَاءَ - وَهُوَ حَصُولُ الْعِلْمِ بِطَهَارَةِ الرَّحْمِ - يَحْصُلُ بِحِيْضَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَلَا يَشْتَرِطُ الْعُدَدُ فِي عُدَدِ الْمَطْلَقَةِ أَيْضًا، إِلَّا أَنَّ

(١٣٥) رواه ابن أبي شيبة (١٦٣٤٧)، والأثر رجاله ثقات رجال الصحيحين.
(١٣٦) انظر الاستذكار لابن عبد البر (٦/٩٥) و(٧/٥٢١)، شرح منتهی الإرادات للبهوتی (٣/٢٠٠)، الروض المربع للبهوتی (ص ٦٠٩)، مطلب أولى النهي للرحماني (٢/٦٧٤).
(١٣٧) انظر المغني لابن قدامة (٨/٩٨)، الشرح الكبير لابن قدامة (٨/٩٨)، المبدع لابن مفلح (٧/٩٤).
(١٣٨) انظر الاستذكار لابن عبد البر (٧/٥١٢).
(١٣٩) انظر الاستذكار لابن عبد البر (٧/٥١٢)، الكافي لابن قدامة (٣/٢٠١)، شرح منتهی الإرادات للبهوتی (٣/٢٠٠)، الروض المربع للبهوتی (ص ٦٠٩)، الشرح الكبير لابن قدامة (٩/٣٠).

قَالَ أَبْنُ الْقَيْمِ: "وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَوْطَأَ الْمُسْبَبَ الْحَامِلَ حَتَّى تَضَعَ، مَعَ أَنْ حَمْلَهَا مَلْوَكٌ لَهُ، فَالْحَامِلُ مِنَ الزِّنَا أَوْلَى أَلَا تَوْطَأَ حَتَّى تَضَعَ" (١٤٩).

وَأَعْتَرُضُ عَلَيْهِ: "بِأَنَّهُ وَارَدَ فِي سَبِيِّ أَوْطَاسٍ وَكَنْ مَنْكُوْحَاتٍ، وَلِلإِمَامِ حَمْمَ يَخَالِفُ الْحَرَائِرَ فِي الْاسْتِرَاءِ" (١٤٠).

وَأُجِيبُ عَنْهُ بِأَنَّ الْعَبْرَةَ بِعُمُومِ الْفَظْلِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ (١٤١)، وَيُؤَيِّدُ الْعُمُومَ حَدِيثُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسِبِّ عَنْ نَصْرَةِ (١٤٢) رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: "تَزَوَّجُ امرأةً بِكَرَّاً فِي سِرَّهَا، فَدَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ حُلْبَىٰ"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَهَا الصَّدَاقُ بِمَا اسْتَحْلَلَ مِنْ فَرْجِهَا، وَالْوَلْدُ عَبْدُ لَكَ، فَإِذَا وَلَدَتْ" قَالَ الْحَسَنُ: (فَاجْلَدُوهَا) وَقَالَ أَبْنُ أَبِي السَّرِّيِّ: (فَاجْلَدُوهَا) أَوْ قَالَ: (فَحُدُّوهَا) (١٤٣) (١٤٤).

أَمَّا الْأَثْرُ:

(١٤٩) حاشية ابن القيم (تهذيب سنن أبي داود) (٦/١١٩).

(١٤٠) الحاوي الكبير للماوردي (٩/١٩٢).

(١٤١) انظر سبل السلام للصنعاني (٢/٣٠)، تلخيص الحبير لابن حجر (٣/٤٦)، وانظر لقاعدة (الْعَبْرَةُ بِعُمُومِ الْفَظْلِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ) الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي (٣/٢٦٥)، البحر المحيط للزركشي (٢/٣٥٢)، شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/١٧٧).
(١٤٢) نصرة بن أكتم الخزاعي، ويقال الأنصاري. انظر أسد الغابة لابن الأثير (٥/٣٠).

(١٤٣) تلخيص الحبير لابن حجر (٣/٤٩٦).

(١٤٤) رواه أبو داود (١٣٣/٢١)، والبيهقي (٣/٤٢٦)، وفي إسناده عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، ثقة عبد إلا أنه مدلس، ولا يقبل حدبه إلا إن صرح بالتحديث ولم يفعل هاهنا، فالسند ضعيف. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/٤٠٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/٣٢٥).

لأي الواطئين. وحق المرأة لما لها من النفقة زمن العدة لكونها زوجة ترث وتورث، ويدل على أن العدة حق للزوج قوله تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحَثُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوْهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا] [سورة الأحزاب، آية ٤٩: ٤٩] (١٤٤)، فعلى هذا إذا أمرت أن تتربيص ثلاثة قروء لحق الزوج؛ ليتمكن من ارجاعها في تلك المدة: كان هذا مناسباً وكان له في طول العدة حق، أما غير المطلقة إذا لم يكن لها نفقة ولا سكنى ولا متعة ولا للزوج الحق برجعتها: فالتأكد من براءة الرحم تحصل بحصة واحدة كما يحصل في المملوكتات (١٤٥).

٢- إذا كانت الزوجة المختلعة من زوجها تعتد بحصة واحدة، وليس عليها عدة المطلقة، فالمزني بها التي ليست زوجة أصلاً لا تجب عليها عدة الطلاق من باب أولى، وإنما يُستبرأ رحمها بحصة فقط (١٤٦).

قلت ويجاب عنه: بأنه قياس على مسألة مختلف فيها؛ لأن جمهور العلماء يرون أن عدة المختلعة ثلاثة قروء كعدة المطلقة (١٤٧).

^{١٤٤}) زاد المعاد لابن القيم (٥٩١/٥).
^{١٤٥}) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/٣٤٠ ، ٣٤١).
^{١٤٦}) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/٣٤٠).
^{١٤٧}) قال ابن قدامة: "لأكثراً أهل العلم يقولون: عدة المختلعة عدة المطلقة؛ منهم سعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله، وعروة، وسلمان بن يسار، وعمر بن عبدالعزيز، والحسن، والشعبي، والنخعي، والزهراني، وفتادة، وخالد بن عمرو، وأبو عياض، وممالك، والليث، والأوزاعي، والشافعى،

النص ورد بأن المطلقة تعتد ثلاثة قروء، فيقتصر على مورد النص (١٤٨)، "وكونها حرة لا أثر له بدليل أن أم الولد تعتد بعد وفاة زوجها بحصة عند أكثر الفقهاء كما هو قول ابن عمر (١٤٩) وغيره من الصحابة" (١٤١).

قال ابن القيم: "إنه موجب السنة وقضاء رسول الله (١٤٩) وموافق لأقوال الصحابة فهو مقتضى القياس، فإنه استبرأ لمجرد العلم ببراءة الرحم فكفت فيه حصة كالمسبية والأمة المستبرأة والحرة والمهاجرة .. وقد تقدم أن الشارع من تمام حكمته جعل عدة الرجعية ثلاثة قروء لمصلحة المطلق والمرأة ليطول زمان الرجعة" (١٤٢).

فقياس عدة الزانية على عدة المطلقة قياس فاسد، لوجود الفرق الظاهر بينهما، لأن الحكمة من جعل عدة المطلقة ثلاثة قروء ليست مجرد التأكيد من براءة الرحم، وإنما لحفظ حق الزوج أيضاً، ليكون لديه فرصة للمراجعة خلال مدة العدة، وهذه الحكمة غير موجودة في الزانية، لأنه لا حق للزاني في مراجعتها، لأنه لم يعقد عليها أصلاً، ولذلك فإن هذا القياس من أبعد القياس وأفسده (١٤٣)، وزاد ابن القيم على هذا الحكم فقال: "وحق الولد لئلا يضيع نسبة، ولا يدرى

^{١٤٠}) انظر بدائع الصنائع للكاساني (٢٥٥/٥).
^{١٤١}) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/٣٤٠ ، ٣٤١).
^{١٤٢}) زاد المعاد لابن القيم (٦٠٢/٥).
^{١٤٣}) انظر زاد المعاد لابن القيم (٥٨٩/٥)، إعلام الموقعين لابن القيم (٥٤/٢).

تجب العدة، لاختلط ماء الواطئ بماء الزوج، ولم يعلم لمن الولد منها، فيحصل الاشتباه^(١٥٢).

واستدل القائلون بأنها تستبرأ بحيبة بالسنة والمعقول:
أما السنة:

ف الحديث: "لا توطأ حاملاً حتى تَضَعْ، ولا غير ذات حملٍ حتَّى تحيض حَيْضَةً"
وسبق مناقشته^(١٥٣).

وأما المعقول فقالوا:

١ _ القياس على المختلة والموطوءة بشبهة قال ابن تيمية: "إذا مضت السنة بأن المختلة إنما عليها الاعتداد بحيبة، الذي هو استبراء، فالموطوءة بشبهة والمنزي بها أولى"^(١٥٤).

٢. إنه ليس ثم نكاح، ولا شبهة نكاح^(١٥٥).

٣. إن النسب لا يلحق الزاني، وإنما المقصود معرفة براءة رحمها، فكان بحيبة كاستبراء الأمة وأم الولد إذا مات سيدها أو أعتقها^(١٥٦).

الترجح:

^(١٥٢) انظر الكافي لابن قدامة(٣/٢٠١)، المبدع لابن مفلح(٧/٩٤)،
كتشاف القناع للبهوتى(٥٠/٥٢٤).

^(١٥٣) انظر ص ٥٠ من البحث.

^(١٥٤) مجموع الفتاوى(٣٢/٣٤٠).

^(١٥٥) انظر المغني لابن قدامة(٧/٤٢١).

^(١٥٦) انظر الكافي لابن قدامة(٣/٢٠١)، الشرح الكبير لابن قدامة(٩٣/١٣٠).

واعتُرِض عليه: بأن الصحيح في المسألة أن عدتها حيبة واحدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت بدلالة الكتاب، وصريح السنة، وأقوال الصحابة: أن المختلة ليس عليها إلا الاستبراء بحيبة، لا عدة كعدة المطلقة، وهو إحدى الروايتين عن أَحْمَدَ، وقول عثمان بن عفان، وابن عباس، وابن عمر في آخر قوليه، وذكر مكي^(١٤٨): أنه إجماع الصحابة، وهو قول قبيصة بن ذؤيب^(١٤٩)، وإسحاق بن راهويه، وابن المنذر^(١٥٠)، وغيرهم من فقهاء الحديث، ... فإذا كانت المختلة لكونها ليست مطلقة ليس عليها عدة المطلقة بل الاستبراء - ويسمى الاستبراء عدة - للموطوءة بشبهة أولى، والزنانية أولى"^(١٥١).

٣_ تلزمها العدة؛ لأن العدة تجب لاستبراء الرحم، وحفظاً عن اختلط المياه واشتباه الأنساب، ولو لم

وروي عن عثمان بن عفان، وابن عمر، وابن عباس، وأبيان بن عثمان، واسحاق، وابن المنذر، أن عدة المختلة حيبة. ورواه ابن القاسم عن أَحْمَدَ: المغني^(٩٧/٨).

^(١٤٨) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسى القرطبي، مقرئ مفسر فقيه مالكى مصنف؛ من كتبه: "مشكل إعراب القرآن"، و"التبصرة في القراءات"، و"المنتقى". (ت ٤٣٧). اانظر وفيات الأعيان لابن خلكان^(٥٦٩/٥)، تاريخ الإسلام للذهبي^(٢٧٤/٤)، تاريخ دمشق لابن الأثري^(٢٨٢/٤).

^(١٤٩) قبيصة بن ذؤيب بن حلحة الغزاعي له رؤية، كان قفيها إماماً كبيراً، روى له ستة، توفي بعد الثمانين. اانظر تاريخ دمشق لابن عساكر^(٤٧٦/٢٣)، تهذيب الكمال للمزمي^(٤٩٠/٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي^(٢٤٠/٤).

^(١٥٠) محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر، الحافظ الفقيه المجتهد، يدور مع الدليل، روى عن الربيع بن سليمان، ومحمد الصانع. روى عنه أبو بكر بن المقرئ، ومحمد الدبياطي، وصنف مصنفات عظيمة، منها: "الإشراف" في اختلاف العلماء، و"الإجماع"، و"المبسوط". (ت ٣١٨).

انظر تذكرة الحفاظ للذهبي^(٣/٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي^(١٤/٤)-^(٤٩٠/١).

^(١٥١) مجموع فتاوى ابن تيمية(٣٢/٣٢، ١١١، ١١٠).

القول الثاني:

يرى القائلون به أن يجب على الزوج طلاقها وإلى هذا ذهب الإمام أحمد في رواية^(١٥٩)، اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية^(١٦٠).

الأدلة:

أولاً: أدلة القول الأول القائل بأنه يستحب طلاقها، ومناقشتها استدلوا بذلك بالسنة والمعقول:

أما السنة:

١. فحديث: "إن امرأتي لا ترد يد لامس" فقال النبي ﷺ: "طلقها...".

وجه الدلالة:

قوله ﷺ: "طلقها" أمر، والأمر للاستحباب يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لما أن قال له: "إنّي أحبها: أمسكها"^(١٦١).

وقد سبق مناقشته^(١٦٢).

^(١٥٩) انظر كشف القناع للبهوتى (٢٣٢/٥)، الإنصاف للمرداوى (٤٢٩/٨)، (٤٣٠)، الإنقاض للحجاوي (٤/٤)، المغني لابن قدامة (٣٦٤/٧)، الكافي لابن قدامة (١٠٦/٣)، الشرح الكبير لابن قدامة (٢٣٥/٨).

^(١٦٠) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤١/٣٢).

^(١٦١) انظر إرشاد الساري لابن حجر (١٢٧/٨).

^(١٦٢) انظر من ٤٤-٣٩.

الراجح والله أعلم هو المذهب القائل بتحريم جماع الزوجة عقب وقوعها في الزنا إلى أن تستبرأ بحضة؛ منعاً من اختلاط الأنساب، وأن الحكم التي من أجلها وجوب استبراء الزانية، هو التأكيد من خلو الرحم من الولد، ويكتفى في ذلك حيبة.

المطلب الثالث: في حكم طلاق الزوجة غير العفيفة، اختلف الفقهاء في حكم طلاق الزوجة غير العفيفة على قولين:

القول الأول:

يرى القائلون به أنه يستحب للزوج أن يطلقها وإلى هذا ذهب الحنفية والمالكية والشافعية وال الصحيح من مذهب الحنابلة الذي عليه أكثر الأصحاب^(١٥٧)، واستثنى المالكية من ذلك أن يكون مبتلي بحبها، واستثنى الشافعية من ذلك إذا خشي الفجور بها، أو حصول مشقة له بفارقها تؤدي إلى مبيح تيم^(١٥٨).

^(١٥٧) انظر حاشية ابن عابدين (٣٢٨/٩) مختصر خليل (٩٦/ص)، الناج والإكليل للمواق (٤٢/٥)، الشرح الكبير للدردير (٢٢٠/٢)، الشرح الصغير للدردير (٣٤٩/٢)، حاشية العدوى على شرح كفاية الطالب الربانى (٨٠/٢)، شرح مختصر خليل للخرشى (١٧٢/٣)، الخاتمة للقرافى (٢٥٩/٤)، الفواكه الدوانى للنفراؤى (٤٢/٢)، نهاية المحتاج للرملى (٤٢٣/٦)، روضة الطالبين للنسووى (٣/٨)، مغني المحتاج للشرييني (٤٩٧/٤)، المهدى للشیرازى (٥/٣)، البيان للعمانى (٧٧/١٠)، تحفة المحتاج للهيتمى (٢/٨)، أنسى المطالب لزكريا الأنصارى (٢٦٣/٣)، الإنصاف للمرداوى (٤٣٠، ٤٢٩/٨)، الإنقاض للحجاوي (٢/٤)، المبدع لابن مفلح (١٣٨/٦)، المغني لابن قدامة (٣٦٤/٧)، الشرح الكبير لابن قدامة (٢٣٤/٨)، كشف القناع للبهوتى (٢٣٢/٥).

^(١٥٨) انظر شرح مختصر خليل للخرشى (١٧٢/٣)، الخاتمة للقرافى (٢٥٩/٤)، حاشية العدوى على شرح كفاية الطالب الربانى (٨٠/٢)، الفواكه الدوانى للنفراؤى (٣١/٢)، نهاية المحتاج للرملى (٤٢٣/٦)، تحفة المحتاج للهيتمى (٢/٨).

ثانياً: أدلة القول الثاني القائل بوجوب طلاقها إذا زلت، استدلو لقولهم بالكتاب والسنة والمعقول:

أما الكتاب:

فقوله تعالى: [الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا رَانِي أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] [سورة النور، آية: ٣].

وجه الدلالة:

إذا كان الاستمرار على نكاح الزانية كابتدائه كانت الآية دليلاً على تحريم إمساك من زلت ووجوب تطليقها^(١٦٨).

أما السنة :

فعن عمَّارٍ^(١٦٩) ، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دَيْوَثٌ، وَلَا مُذْمِنٌ حَمْرٌ، وَلَا رَجُلٌ نِسَاءٌ"^(١٧٠).

^(١٦٦) تحفة المحتاج للهيثمي(٢/٨).
^(١٦٧) قال ملا قاري: "هذا الحديث يدل على أن تطليق مثل هذه المرأة أولى، لأنها عليه الصلاة والسلام قدم الطلاق على الإمساك، فلو لم يتيسر تطليقها بأن يكون يحبها، أو يكون لها ولد يشق مفارقة الوالد الأم، أو يكون لها عليه دين لم يتيسر له قضاوه، فحينئذ يجوز أن لا يطلقها، ولكن بشرط أن تمنعها عن الفاحشة، فإذا لم يمكنه أن يمنعها عن الفاحشة يعصي بتترك تطليقها". مرقة المفاتيح(٢١٢١/٥).

^(١٦٨) انظر السيل الجرار المتذوق على حدائق الأزهار للشوكياني(ص ٣٧٧).

^(١٦٩) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كلانة العنسي، أبو اليقطان وهو من السابقين الأوليين إلى الإسلام، وهو حليفبني مخزوم، وأمه سمية، وهي أول من استشهد في سبيل الله عز وجل وهو، وأبوه، وأمه من السابقين، وكان إسلام عمار بعد بضعة وثلاثين، وهو من عذب في الله، واختلف في هجرته إلى الحبشة، شهد المشاهد كلها، ثم شهد الإمامية فقطعت أنفه بها، استعمله عمر على الكوفة وتواترت الأحاديث عن النبي أن عمار تقلله الفلة الباغية، قتل مع علي عنه بصفين

٢. وحيث: "إِذَا رَأَتْ أَمَةً أَحَدَكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا" ثُمَّ قَالَ فِي الْثَالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: "فَلْيَبْعَهَا وَلَوْ بِضَيْفِيرٍ".

وجه الدلالة:

يدل الحديث على كراهة إمساك الزوجة غير العفيفة التي اعتادت الزنا^(١٦٣).

وأما المعقول فقالوا:

١. إنه لا يأمن أن تقصد عليه الفراش وتتحقق به نسبة ليس منه^(١٦٤).

٢. في إمساكها نقصاً ودناءة^(١٦٥).

واسدل المالكية والشافعية لما ذهبوا من استثناء من ابلي بحبها أو كان يخشى الفجور بها، أو حصول مشقة له بفارقها بالسنة:

روى جابر رض أن رجلاً قال: "يا رسول الله، إن امرأتي لا ترد يد لامس"، فقال: "طلاقها"، فقال: "إنني أحبها"، قال: "أمسكها".

وجه الدلالة:

أمر النبي ﷺ الرجل بإمساكها خشية الفجور بها^(١٦٦).

^(١٦٣) انظر مختصر اختلاف العلماء للطحاوي(٣٦٩/٢).

^(١٦٤) انظر المذهب للشيرازي(٣/٥)، جواهر العقود للمنهاجي(١٠١/٢)، الكافي لابن قدامة(١٠٦/٣)، المغني لابن قدامة(١٤٣/٧).

^(١٦٥) انظر جواهر العقود للمنهاجي(١٠١/٢)، تحفة المحتاج للهيثمي(٢/٨)، كشف النقاع للبهوتبي(٢٣٢/٥)، المغني لابن قدامة(٣٦٤/٧)، الكافي لابن قدامة(١٠٦/٣).

جاء في الفقه على المذاهب الأربعة: "إذا كانت قواعد الإسلام مبنية على الغيرة على الأعراض واحترام الديوث وحرمانه من رضوان الله، فكيف يكون طلاق فاسدة الأخلاق مندوباً فقط؟! لا شك أنه واجب وأمساكها محرم، وليس من الشهامة أن يصبر الإنسان على عضو فاسد حتى يفسد جميع بدنه خوفاً من التألم الذي يلحقه عند بتره"^(١٧٤).

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي به وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وبعد ففي ختام هذا البحث أسوق أهم النتائج التي توصلت إليها فأقول:

١. اتفق الأئمة الأربعة على أن الزوجة إذا وقعت في الزنا لم ينفخ النكاح بذلك وبه قال عامة الصحابة.
٢. اختلف الفقهاء في حكم جماع الزوج لزوجته عقب وقوعها في الزنا إلى قولين: الأول: يرى القائلون به أنه يجوز وطؤها عقب الزنا، ولا يجب عليها العدة، وإلى هذا ذهب الحنفية على المفتى به . عدا زفر. والأصح عند الشافعية، وزاد الشافعية أن تركه أولى، والثاني: يرى القائلون به أنه لا يحل له جماع الزوجة

^(١٧٤) الجزييري (٤/ ٢٨١).

وجه الدلالة:

قال الشيخ تقى الدين: "إذا كانت ترني لم يكن له إمساكها على تلك الحال بل يفارقها إلا كان ديوثا"^(١٧١)، والديوث لعنه رسول الله ﷺ واللعنة من علامات الكبيرة فلهذا وجوب الفرق وحرمت العشرة^(١٧٢).

وأما المعقول:

فاللهم: "إن الزانية فيها إفساد فراش الرجل، وفي مناكحتها معاشرة الفاجرة دائماً ومصاحبتها، والله قد أمر بهجر السوء وأهله ما داموا عليه"^(١٧٣).

الترجيح:

الراجح، والله أعلم، هو القول الثاني القائل بوجوب طلاقها؛ لقوتها تعليهم، ولما في إبقائها معه من نقص دينه، ولما فيه من الخوف على إفساد فراشه، وأن تدخل في نسبة ما ليس منه، وإذا كان الله تعالى قد اشترط لحل النكاح من الكتابية العفة فكيف بال المسلمة ؟

^(١٧٤). انظر أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ١٢٢)، الإصابة لابن حجر (٤/ ٢٧٤، ٢٧٣).

^(١٧٥). الحديث بهذا اللفظ رواه معاذ في "الجامع" (٢٠٤٣٧)، عن رجل لم يسم، أرسله، ورواه الطيالسي (٦٤٢)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٨٦٥/٢)، وفي إسناده راو لم يسم، وله شاهد من حديث ابن عمر سبق ص ٤ من هذا البحث.

^(١٧٦). مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٢/ ١٤١).

^(١٧٧). انظر كشاف القواع للبهوتى (٥/ ٢٣٣)، مطالب أولى النهى للرحيبانى (٥/ ٣٢٠).

^(١٧٨). مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٦).

٤. اختلف الفقهاء في حكم طلاق الزوج لزوجته غير العفيفة إلى قولين: الأول: يرى القائلون به أنه يستحب طلاقها، وإلى هذا ذهب المالكية والشافعية والصحيح من مذهب الحنابلة الذي عليه أكثر الأصحاب، واستثنى المالكية من ذلك أن يكون مبتدئ بحبها، واستثنى الشافعية من ذلك إذا خشي الفجور بها، أو حصول مشقة له بفارقها تؤدي إلى مبيح تيمم. الثاني: يرى القائلون به أن يجب على الزوج طلاقها، وإلى هذا ذهب الحنابلة في رواية واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية، والراجح هو القول الثاني القائل بوجوب طلاقها؛ لقوة التعليل؛ ولما في إيقائها معه من نقص دينه، مع ما فيه من الخوف على إفساد فراشه، وأن تدخل في نسبة ما ليس منه.

وفي الختام الله أسأل القبول والغفران وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزي (١٤٠٩ هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت.

ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم

عقب وقوعها في الزنا، وإلى هذا ذهب زفر من الحنفية والمالكية والحنابلة، واستثنى المالكية من ذلك ما لو زنت الزوجة وهي ظاهرة الحمل فيباح لزوجها جماعها مع الكراهة، ثم اختلفوا بعد ذلك فيما يلزمها من العدة أو الاستبراء إلى قولين:

الأول: يرى القائلون به أن عليها الاستبراء قدر العدة فذات الأقراء ثلاثة قروء، وذات الأشهر ثلاثة أشهر، والمرتبة سنة، وإلى هذا ذهب زفر من الحنفية والمالكية على المعتمد والحنابلة على المذهب، وبه قال ربيعة، والأوزاعي وإسحاق، والحسن البصري، والنخعي.

والثاني: يرى القائلون به أنها تستبرأ بحصة وإلى هذا ذهب الإمام مالك في قول والإمام أحمد في رواية، والراجح هو القول الثاني القائل بتحريم جماعها حتى يستبرئها بحصة منعاً لاختلاط الأنساب لقوة أدلةهم، وسلامتها من المعارضة الصحيحة، ولأن الحكمة التي من أجلها وجبر استبراء الزانية، وهو التأكد من خلو الرحم من الولد، ويكتفي في ذلك بحصة واحدة.

٣. الواجب على المسلم إذا بلغه عن رسول الله ﷺ حديثاً، أن يحمله على أحسن المحامل ويظن به الذي هو أهياه، وأهداه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

البيهقي: أحمد بن الحسين بن موسى (١٣٤٤ هـ)
السنن الكبرى، الطبعة الأولى، مجلس دائرة
المعارف النظامية الكائنة في الهند، حيدر آباد.

البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى
(١٤١٠ هـ) السنن الصغير ، تحقيق: عبد
المعطي أمين قلعي، الطبعة الأولى، جامعة
الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان.

الترمذى: محمد بن عيسى(د.ت.) الجامع الصحيح
(سنن الترمذى) تحقيق: أحمد محمد شاكر
وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
الحرانى(١٤١٦ هـ) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد
الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،
المملكة العربية السعودية.

الجزيري: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري
(١٤٢٤ هـ) الفقه على المذاهب الأربعة، الطبعة
الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن الجوزي: جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن
الجوزي (١٤١٥ هـ) التحقيق في مسائل الخلاف،
تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت.

ابن الجوزي: جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن
الجوزي (١٣٨٦ هـ) الموضوعات، تحقيق:

الشيباني الجزري، (١٣٩٩ هـ) النهاية في غريب
ال الحديث والأثر ، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمد
الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

الأنصاري: زكريا (١٤٢٢ هـ) أنسى المطالب في
شرح روض الطالب، تحقيق: د. محمد تامر،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (١٤٠٧ هـ)
الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى
ديب البغاء، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير،
اليمامة، بيروت.

محمد بن إسماعيل البخاري (١٤٢٦ هـ) الضعفاء،
تحقيق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي
العينين، الطبعة الأولى، مكتبة ابن عباس.
البغوي: حسين بن مسعود (١٤٠٣ هـ) شرح السنة،
تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش،
الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، دمشق،
بيروت.

البهوتى: منصور بن يونس(د.ت.) الروض المربع
الروض المربع شرح زاد المستقنع في اختصار
المقنقع، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر،
بيروت.

البهوتى: منصور بن يونس (١٤١٤ هـ) شرح منتهى
الإرادات، الطبعة الأولى، عالم الكتب.

البهوتى: منصور بن يونس(د.ت.) كشاف القناع
عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بيروت

الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت، لبنان.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٤٠٦هـ) تقييّب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، دار الرشيد، سوريا.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٤١٩هـ) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (د.ت.) الدرية في تخريج أحاديث الهدایة، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣٩٢هـ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٤٠٦هـ) لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرفة النظامية، الهند، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت.

ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر (١٤١٢هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد الباجوبي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت.

عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، المكتبة السلفية، بالمدينة المنورة.

الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهرى (١٤٠٧هـ) الصاحح في اللغة، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت.

الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد (١٤٢٨هـ) نهاية المطلب في دراية المذهب: الجويني، تحقيق: أ. د. عبد العظيم محمود الدّيّب، الطبعة الأولى، دار المنهاج.

ابن أبي حاتم: محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (١٢٧١هـ) الجرح والتعديل، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بجیدر آباد، الدکن، الهند.

ابن حبان: محمد بن حبان التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (١٤٠٨هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: علاء الدين ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن حبان: محمد بن حبان التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (١٣٩٦هـ) المجرورين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، دار الوعي، حلب.

الحاوی: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم، أبو النجا (د.ت.) الإقناع في فقه

الخرشي: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله(د.ت.) شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت.

ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (٤١٤هـ) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الطبعة الخامسة، مكتبة الرشد، السعودية ، الرياض.

الخطيب البغدادي: أحمد بن علي أبو بكر (٤١٧هـ) تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خلكان: أحمد بن محمد بن خلكان (د.ت.) وفيات الأعيان وأئماء أبناء أهل الزمان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

خليل: بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي (٤٢٦هـ) مختصر العلامة خليل، تحقيق: أحمد جاد، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة.

الدارقطني: علي بن عمر (د.ت.) سنن الدارقطني، مطبعة فالكن، لاہور.

داماد أفندي: عبدالرحمن بن محمد بن سليمان، (٤١٩هـ) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاناني، (٤٣٠هـ) سنن أبي داود، تحقيق:

ابن حزم: محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسبي(د.ت.) المحلى، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الحطاب: محمد بن محمد المغربي المعروف بالحطاب (٤١٢هـ) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت.

الحميدي: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي (٤١٥هـ) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، تحقيق: د.زبيدة محمد سعيد عبد العزيز ، الطبعة الأولى، مكتبة السنة ، القاهرة ، مصر.

ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٤٠١هـ) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي ، بيروت.

ابن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٤٢١هـ) مسنون أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبدالله التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الخراططي : محمد بن جعفر (٤٢١هـ). اعتلال القلوب، تحقيق: حمدي الدمرداش، الطبعة الثانية، نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض.

تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، الطبعة الثالثة،
دار الفكر، بيروت.

ابن رجب : عبد الرحمن بن أحمد بن
رجب(١٤١٧هـ) الذيل على طبقات الحنابلة،
خرج أحاديثه: أبو حازم أسامة بن حسن، وأبو
الزهراء حازم علي، الطبعة الأولى، دار الكتب
العلمية، بيروت.

الريبياني: مصطفى السيوطي(١٤١٥هـ) مطالب
أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مطبوع معه
تجريد زوائد العناية والشرح للشيخ حسن الشطي،
الطبعة الثانية، بيروت.

ابن رشد: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي
(١٣٩٥هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتضى،
الطبعة الرابعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده، مصر.

ابن رشد: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي
(١٤٠٨هـ) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه
والتعليق لمسائل المستخرجة، تحقيق: د. محمد
حجي وأخرون، الطبعة الثانية، دار الغرب
الإسلامي، بيروت.

الرملي: محمد بن أبي العباس أحمد (١٤٠٤هـ)
نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر،
بيروت.

الزبيدي: محمد بن محمد الحسيني أبو الفيض،
الملقب بمرتضى الزبيدي (د.ت.)، تاج العروس

شعيب الأرناؤوط ، محمد كامل قره بالي، الطبعة
الأولى، دار الرسالة العالمية.

الدردير: أحمد بن محمد (د.ت.) الشرح الصغير،
دار المعارف، مصر.

الدردير: أحمد بن محمد (د.ت.) الشرح الكبير، دار
ال الفكر، بيروت.

الذهبي: محمد بن أحمد (٢٠٠٣م) تاريخ الإسلام
وفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. بشار
عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب
الإسلامي.

الذهبى: محمد بن أحمد (١٤١٩هـ). تذكرة الحفاظ،
تحقيق: زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار
الكتب العلمية، بيروت.

الذهبى: محمد بن أحمد (١٤٢١هـ) تقيح التحقيق
في أحاديث التعليق، تحقيق: مصطفى أبو الغيط
عبد الحي عجيب، الطبعة الأولى، دار الوطن،
الرياض.

الذهبى: محمد بن أحمد (١٤٠٥هـ) سير أعلام
النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف
الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة
الرسالة، بيروت.

الذهبى: محمد بن أحمد (١٣٨٢هـ) ميزان الاعتدال
في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوى،
الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد
(١٤٠٤هـ) المحدث الفاصل بين الراوى والواعي،

الأصول للبيضاوي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.

السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، (د.ت.) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.

السرخي: محمد بن أحمد السرخي (١٤٠٩ هـ) المبسوط: دار المعرفة، بيروت.

سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء (١٩٦٨) الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

السعدي: عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٤٢٠ هـ) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا الويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

سعيد بن منصور أبو عثمان (١٤٠٣ هـ) سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، الدار السلفية، الهند.

السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلّفه الأصبهاني، انتخبها من أصول: أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري (١٤٢٥ هـ) الطيوريات ، دراسة وتحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر

من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهدایة.

الزرقاني: محمد بن عبدالباقي الزرقاني (١٤١١ هـ) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت.

الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (١٤٢١ هـ) البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.

الزركلي: خير الدين (١٩٩٠ مـ) الأعلام ، الخامسة عشر، دار العلم للملايين.

الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد(د.ت.) الفائق في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: علي محمد البحاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، لبنان.

الزيلعي: عثمان بن علي بن مجتن البارعي (١٣١٣ هـ) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة.

السبكي: عبد الوهاب بن تقى الدين (١٤١٣ هـ) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناхи د. عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

السبكي: علي بن عبدالكافى (١٤٠٤ هـ) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم

الشنقطي: محمد الأمين بن محمد المختار (١٤١٥هـ) أصوات البيان في إيضاح القرآن

بالقرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الشوكانى: محمد بن علي بن محمد (١٤٠٥هـ)
السيل الجرار المتدقق على حدائق الأزهار،
تحقيق : محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، دار
الكتب العلمية ، بيروت.

الشيباني: محمد بن الحسن (١٤١٠هـ) الأصل،
تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الأولى، عالم
الكتب، بيروت.

الشيباني: محمد بن الحسن (١٤٠٣هـ) الحجة على
أهل المدينة ، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني
القادي، الطبعة الثالثة، عالم الكتب ، بيروت.
ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي
(١٤٠٩هـ) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال
يوسف الحوت، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد،
الرياض.

الشيرازى: إبراهيم بن علي بن يوسف أبو
إسحاق(١٤١٢هـ) المذهب في فقه الإمام
الشافعى، تحقيق: د. محمد الزحيلي، الطبعة
الأولى، دار القلم، الدار الشامية.

الشيرازى: إبراهيم بن علي الشيرازى (١٩٧٠) طبقات
الفقهاء، هذبها: محمد بن مكرم ابن منظور ،
تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الرائد
العربي، بيروت ، لبنان.

الحسن، الطبعة الأولى، مكتبة أصوات السلف،
الرياض.

السيوطى: جلال الدين السيوطى (١٤٠٣هـ) طبقات
الحافظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،
بيروت.

السيوطى: جلال الدين السيوطى(د.ت.) الجامع
الصغرى في أحاديث البشير النذير، دار الفكر،
بيروت.

السيوطى: عبدالرحمن بن أبي بكر (١٣٩٦هـ)
طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر،
الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة.

الشافعى: محمد بن إدريس الشافعى أبو عبد الله
(١٣٩٣هـ) الأم، الطبعة الثانية، دار المعرفة،
بيروت.

الشافعى: محمد بن إدريس الشافعى أبو عبد الله
(١٣٧٠هـ) مسند الشافعى، ترتيب: محمد عابد
السندى، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد
بن الحسن الكوثرى، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان.

الشريبى: محمد بن أحمد الخطيب (١٤١٥هـ) مغني
المحتاج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،
بيروت.

الشريبى: محمد بن أحمد الشريبي(د.ت.) الإقناع
في حل ألفاظ أبي شحاع، تحقيق: مكتب البحث
والدراسات، دار الفكر، بيروت.

محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق، مراجعه د. يوسف المرعشلي، الطبعة الأولى، عالم الكتب.

الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلمة الأزدي (١٤١٧هـ) مختصر اختلاف العلماء، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، الطبعة الثانية، دار البشائر الإسلامية ، بيروت.

الطيالسي: سليمان بن داود الفارسي البصري (د.ت). مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

ابن عابدين: محمد أمين (١٤١٢هـ) حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأ بصار)، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.

ابن عبدالبر: يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري (١٤٢١هـ) الاستكثار تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عبدالبر: يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري (١٤١٢هـ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الباوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت،

عبدالرازق: بن همام الحميري الصناعي (١٤٠٣هـ) مصنف عبدالرازق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت.

الصاوي: أحمد بن محمد الصاوي (١٣٩٢هـ) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، دار المعارف، مصر.

ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو (١٤٠٦هـ) معرفة أنواع علوم الحديث، (ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح) تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر ، بيروت.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك (١٤١٨هـ) أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: د. علي أبو زيد، د.نبيل أبو عشمة، د. محمد موعد، د. محمود سالم محمد، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا.

الصناعي: محمد بن إسماعيل الأمير (١٣٧٩هـ). سبل السلام، الطبعة الرابعة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي،

الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب الخمي (١٤١٥هـ). المعجم الأوسط ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة،

الطبرى: محمد بن جرير الطبرى(د.ت.) تفسير الطبرى (جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى) تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر ، الطبعة الأولى، دار هجر.

الطحاوى : أحمد بن محمد بن سلمة الأزدي (١٤١٤هـ) شرح معانى الآثار، تحقيق:

ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (١٤١٥هـ) تاريخ دمشق ، تحقيق: عمرو بن غرامه العمروي، دار الفكر، بيروت.

العمراني: يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني (١٤٢١هـ) البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم محمد النوري، الطبعة الأولى، دار المنهاج ، جدة.

العيني: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي (١٤٢٠هـ) البناء شرح الهدایة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن فارس: أحمد بن فارس (١٣٩٩هـ) مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

ابن قدامة: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي(د.ت.) الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

ابن قدامة: عبدالله بن أحمد المقدسي(١٤٠٥هـ) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.

ابن قدامة: عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (١٤١٤هـ) الكافي في فقه الإمام أحمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

القرافي: أحمد بن إدريس (١٩٩٤م) الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت.

ابن عبدالهادي: محمد بن أحمد بن أحمد (١٤٢٨هـ) تقييح التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق : سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني، الطبعة الأولى، دار أضواء السلف ، الرياض.

أبو عبيد: القاسم بن سلام بن عبد الله الهرمي البغدادي، (١٤١٨هـ) الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد ، الرياض.

أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهرمي البغدادي (١٣٨٤هـ) غريب الحديث، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

العدوي: علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي (١٤١٤هـ) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الريانى، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت.

ابن عدي: أحمد عبد الله الجرجاني (١٩٩٧م) الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي البصري (١٤٢٠هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

كحالة: عمر بن رضا (د.ت.) معجم المؤلفين مكتبة المثلث، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

الكرمي: مرمي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد (١٤٠٦هـ.) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

الكناني: علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني، (١٣٩٩هـ) تزويجه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنية الموضعية، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، عبد الله محمد الصديق الغماري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت.

ابن ماجه: محمد بن يزيد الفزوي (د.ت.) سنن ابن ماجه: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي.

ابن مازة: محمود بن أحمد البخاري (١٤٢٤) المحيط البرهاني في الفقه النعماني، تحقيق: عبدالكريم الجندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

القرشي: عبدالقادر بن محمد بن نصر الله، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٤١١هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (د.ت.) إغاثة اللهفان إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٤١٥هـ) حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح عللها ومشكلاته، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ، بيروت.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٤١٥هـ) زاد المعاذ في هدي خير العباد، الطبعة السابعة والعشرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي البصري (د.ت.) الباعث الحديث إلى اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن مفلح : إبراهيم بن محمد (١٤١٠هـ) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض.

ملا قاري: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهرمي القاري (١٤٢٢هـ) مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصاصيح، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي (١٤٢٥هـ) البدر المنير في تخرج الأحاديث والأثار الواقعية في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان و Yasir bin Kamil، الطبعة الأولى، دار الهجرة، الرياض.

المناوي: محمد عبدالرؤوف (١٤٠٨هـ) التيسير بشرح الجامع الصغير، الطبعة الثالثة، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض.

المناوي: محمد عبدالرؤوف (١٤١٥هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن المنذر: محمد بن إبراهيم النيسابوري (١٤٣٠هـ) الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف، راجعه أحمد بن سليمان بن أبيوب، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، دار الفلاح.

المنذري: عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري (١٤٣١هـ) مختصر سنن أبي داود، تحقيق:

الماوردي: علي بن محمد بن محمد بن حبيب (١٤١٤هـ) الحاوي الكبير في فقه الشافعي، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت.

المرداوي: علي بن سليمان (١٤١٩هـ) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المزي: يوسف بن عبد الرحمن (١٤٠٠هـ) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

مسلم : بن الحجاج القشيري النيسابوري (د.ت.) الجامع الصحيح ، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت.

المطيعي: محمد نجيب المطيعي (د.ت.) تكملة المجموع ، دار الفكر، بيروت.

معمر: بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم (١٤٠٣هـ) الجامع، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، المجلس العلمي باكستان، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.

ابن مفلح: محمد بن مفلح (١٤٢٤هـ) الفروع تحقيق: د. عبدالله التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن مفلح : إبراهيم بن محمد (١٣٩٩هـ) المبدع في شرح المقنعم، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، دمشق.

النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخرساني (١٣٩٦هـ) *الضعفاء والمتروكون*، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، دار الوعي، حلب.

ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (د.ت.) *سنن ابن ماجه* تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي.

النفراوي: أحمد بن غنيم (د.ت.) *الفواكه الدوائية* على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، تحقيق: رضا فرحتات، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية.

ابن نقطة: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع الحنبل (١٤٠٨هـ) *التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد*، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

النwoي: يحيى بن شرف النwoي (١٤٠٥هـ) *التقريب والتسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث*، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن الهمام: محمد السيوسي (د.ت.) *شرح فتح القدير*، دار الفكر، بيروت.

الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (١٣٥٧هـ) *تحفة المحتاج في شرح المنهاج*، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

صبحي حلاق، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض.

المنهاجي: محمد بن أحمد الإسيوطى (١٤١٧هـ) *جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود*، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدنى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المواق: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي (١٤١٢هـ) *التاج والإكليل* لمحضر خليل للمواق، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت.

ابن ناجي: قاسم بن عيسى التتوخي (١٤٢٨هـ) *شرح ابن ناجي على متن الرسالة*، تحقيق: أحمد فريد المزیدي، الطبعة الأولى.

ابن النجار: محمد بن أحمد الفتوحى (١٤١٨هـ) *شرح الكوكب المنير*، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان، الرياض.

ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم بن محمد (١٤١٣هـ) *البحر الرائق شرح كنز الدقائق*، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت.

النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخرساني (١٤٢١هـ) *السنن الكبرى* تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن أبي يعلى: محمد بن محمد أبو الحسين (د.ت.) طبقات الحنابلة ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر البيتمي (د.ت.) الفتاوى الكبرى الفقهية، دار الفكر.

الواحدي: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (١٤١٥هـ) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد

The Effect of Wife's Adultery on Marital Life Comparative Fiqh Study (English Abstract)

Dr. Fatimah Bint Owaid Aljalsi Alharbi

Associate Professor of Fiqh and Islamic Studies – Faculty of Arts and Humanities

King AbdulAziz University

Abstract Praise be to Allah alone, and prayers and peace be upon who we do not have a prophet after him, and on his family and companions.

This study examines the effect of marital adultery on the marital Life in terms of the possibility of continuing it. Is it permissible for a husband to have intercourse with the wife after she has committed adultery, or does she have to prepare or recover after adultery? Should the husband divorce her or not? Among the most important findings of the research is that the wife's adultery (zina) does not invalidate marriage according to the agreement of the four imams, and it is not permissible for the husband to have intercourse with the wife after she has committed adultery(zina) unless she is sure that the uterus is innocent. God knows best and highest.

May Allah bless and bestow peace upon our Prophet Muhammad and his family and disciples.

تبالين الرؤى حول كتاب البديع لابن المعتز دراسة في آراء الباحثين المعاصرین

عبدالله بن عبدالرحمن بانقيب

الكلية الجامعية بالقنفذة - جامعة أم القرى

مستخلص يدرس هذا البحث قضايا كتاب البديع التي تبالي فهمها لدى الباحثين المعاصرين. درس البحث الأول: قضية تصنيف الكتاب، والثاني: دواعي تأليفه، والثالث: تقسيم الكتاب، والرابع: الأثر اليوناني. وانتهى البحث في نتائجه إلى أن لهذا التبالي أسباباً منها: وقوع الكتاب في طور بداية انتقال الثقافة العربية من الشفاهية إلى الكتابة، وطبيعة لغة الكتاب الموجزة، وتعدد خلفيات الباحثين المعاصرين الفكرية والعلمية.

الكلمات المفتاحية: ابن المعتز، البديع، شعر المحدثين.

ويحاول هذا البحث الوقوف على هذه القضايا التي تعرضت لها التبالي في الفهم. ورصد البحث أربع قضايا وقع فيها هذا التبالي. تتعلق الأولى بتصنيف حقل الكتاب العلمي، والثانية بدواعي تأليفه، والثالثة بتقسيم الكتاب، والرابعة بعلاقة الكتاب بالثقافة اليونانية. واقتضى ذلك أن يجيء البحث في أربعة مباحث، يدرس كل مبحث قضية من تلك القضايا، يسبق هذه المباحث مقدمةٌ تبين أهمية

مقدمة

تجمع معظم الدراسات المعاصرة التي تناولت كتاب البديع لعبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) على أهميته وأسبقيته. وعلى الرغم من هذا الإجماع تعرّضت بعض مسائل الكتاب وقضائيه لتباين في الفهم في تلك الدراسات، يصل هذا التباين في بعض مناهج إلى التناقض.

"محاولة رائدة لوضع خلايا لعلم البلاغة العربية"^(٥)، وكان "السباق إلى تشيد معلمة بلاغية من أعماق التراث العربي، فقد أراد مؤلفه أن يمؤلف أول كتاب في البلاغة العربية"^(٦).

إن هذه الآراء التي صنف بها الدارسون المعاصرون كتاب البديع ضمن كتب البلاغة، وعدها رائداً سابقاً في ذلك، تقابلها آراء أخرى تصنفه ضمن كتب النقد، فهو كتاب "ساعد على خلق النقد المنهجي بتحديده لخصائص مذهب البديع"^(٧)، وبعدّذا أهمية بالغة في النقد العربي وتطوره؛ لأنّه في رأيهم أول من شقّ هذا الطريق في التأليف^(٨)، وانتقل "النقد العربي به إلى طورٍ جديد، طور العناية بدراسة العبارة ونقدّها، على حين كان الاهتمام مرتكزاً أكثر على نقد الأفكار والمعاني"^(٩)، والكتاب "نواة لمقياس بديعي جيد في النقد الأدبي"^(١٠)، ويدلّ على رغبةٍ أكيدةٍ في اتباع النقد المنهجي للشعر من

(٥) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيتين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ط١، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٩ـ١٩٩٩م، ص٣٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٢٥.

(٧) د.محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص٦١.

(٨) د.محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري، ط٣، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص١٦٢.

(٩) د.عبدالعزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٤، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦ـ١٩٨٦م، ص٣٩٩.

(١٠) د.خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ط١، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٠٧ـ١٩٨٧م، ص١١٠.

البحث وأقسامه والنهج الذي سار عليه، ويتوهها خاتمةً تبرز أهمّ النتائج.

واتّخذ البحث نهجاً يقوم على تقسيم كل مبحثٍ من تلك المباحث الأربعة إلى جزءين. يعرض الجزء الأول آراء الباحثين المعاصرين حول القضية التي اختصّ بها المبحث، ورصد ما وقع في تلك الآراء من تباين. وأمّا الجزء الآخر فيناقش هذه الآراء، ويحاول تقديم تفسير لهاً التباين، ومنشئه، والأسباب التي قادت إليه، إذ الغرض الذي يقصده البحث ليس تقديم حلولٍ لهذه القضايا التي وقع فيها التباين، بل محاولة فهمه وتفسيره.

المبحث الأول : التصنيف

لم يتحقق الدارسون المعاصرون على تصنيف واحدٍ لكتاب البديع لابن المعتز، فتارةً يُصنف ضمن كتب البلاغة، وأخرى ضمن كتب النقد. فهو "أول كتابٍ في البلاغة العربية بالمعنى الصحيح"^(١)، ولم يخلص "كتاب للبلاغة قبل هذا الكتاب"^(٢)، وهو "أول كتابٍ استقرَّ فيه صياغة نظرية لبعض فنون البلاغة"^(٣)، ويمثل "بداية استقلال البلاغة"^(٤)، وبعد

(١) بدبوى طبانة، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ط٧، جدة، دار المنار للنشر والتوزيع - الرياض، دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ـ١٩٨٨م، ص١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٧.

(٣) د.مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ط١، دمشق ، دار الفكر، ص٦٨.

(٤) د.علي عشري زايد، البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها، مكتبة الشباب، ١٩٨٢م، ص١٠٨.

- ٧ - كتاب : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها للدكتور محمد العمري^(٨).
- فإنَّ كتب تاريخ النقد أو ما نحت هذا المنحى صنفته أيضًا ضمنها، من مثل:
- ١ - كتاب : النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور^(٩).
- ٢ - كتاب : أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري للدكتور محمد زغلول سلام^(١٠).
- ٣ - كتاب : تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس^(١١).
- ٤ - كتاب : تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور عبدالعزيز عتيق^(١٢).
- ٥ - كتاب : في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب للدكتور خالد يوسف^(١٣).
- ٦ - كتاب : النقد الأدبي ومدارسه عند العرب للدكتور قصي الحسين^(١٤).

أجل التجويد والتحسين في اللفظ والمعنى على حد سواء"^(١).

وإذا كانت كتب تاريخ البلاغة أو ما نحت هذا المنحى تصنف كتاب البیدع ضمنها، من مثل:

١ - كتاب : تاريخ علوم البلاغة والتعریف برجالها لأحمد مصطفى المراغي^(٢).

٢ - كتاب : البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف^(٣).

٣ - كتاب : في تاريخ البلاغة العربية للدكتور عبدالعزيز عتيق^(٤).

٤ - كتاب : الموجز في تاريخ البلاغة للدكتور مازن المبارك^(٥).

٥ - كتاب : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس "مشروع قراءة" للدكتور حمادي صمود^(٦).

٦ - كتاب : المختصر في تاريخ البلاغة للدكتور عبدالقادر حسين^(٧).

(٧) د.عبدالقادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ط١، بيروت – القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص٩٧.

(٨) د.محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، الدار البيضاء – بيروت، أفريقيا الشرق، ١٩٩٩ م، ص٥٩.

(٩) د.محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص٦٠.

(١٠) د.محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ط٣، القاهرة، دار المعرفة، ص٢٢٣.

(١١) د.إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط٤، بيروت، دار الثقافة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، ص١٢٠.

(١٢) د.عبدالعزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٣٩٣.

(١٣) د.خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص١١٠.

(١٤) د.قصي الحسين، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب،

(١) د.قصي الحسين، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، بيروت، دار ومكتبة الهلال – جدة، دار الشروق، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م، ص١٠٣.

(٢) أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعریف برجالها، ط١، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م، ص١٠.

(٣) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط١٥، القاهرة، دار المعارف، ص٦٨.

(٤) د.عبدالعزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص٤٥.

(٥) د.مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص٦٨.

(٦) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس "مشروع قراءة"، ط٣، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ٢٠١٠ م، ص٣٣٤.

- ١ - كتاب : الصبغ البديعي في اللغة العربية للدكتور أحمد إبراهيم موسى^(٣).
- ٢ - كتاب : بحوث بلاغية للدكتور أحمد مطلوب^(٤).
- ٣ - كتاب : المجاز في البلاغة العربية للدكتور مهدي صالح السامرائي^(٥).
- ٤ - البديع بين المتقدمين والمتاخرين للدكتور إبراهيم عبدالحميد السيد التلب^(٦).
ومرّة في الكتب التي اختصت بدراسة موضوعاتٍ نقدية، مثل:
 ١ - كتاب : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث للدكتور محمد زكي العشماوي^(٧).
 ٢ - كتاب : في قضايا النقد الأدبي عند العرب للدكتور عبدالحميد جيده^(٨).
 ٣ - كتاب : قراءة التراث الناطق للدكتور جابر عصفور^(٩).

(٣) د.أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩/١٣٨٨، ص ١٢٩.

(٤) د.أحمد مطلوب، بحوث بلاغية، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي، ١٩٩٦/١٤١٧، ص ٢٢ وص ١٧٧.

(٥) د.مهدي صالح السامرائي، المجاز في البلاغة العربية، ط١، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ١٤٤٣/٢٠١٣، ص ٦٩.

(٦) د.إبراهيم عبدالحميد السيد التلب، البديع بين المتقدمين والمتاخرين، ط١، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٨، ص ٣٥.

(٧) د.محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩، ص ٢٨٣.

(٨) د.عبدالحميد جيده، في قضايا النقد الأدبي عند العرب، طرابلس، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص ٩٧.

ولعل هذا السرد للكتب يكشف بوضوح ما وقع لكتاب البديع من ازدواجية في التصنيف عند الدارسين المعاصرین الذين اضطلاعوا بعبء التاريخ علمي البلاغة والنقد، ولا أدل على هذه الازدواجية من أننا رأينا أحدهم، وهو الدكتور عبدالعزيز عتيق، يصنف كتاب البديع مرة في كتابه المختص بتاريخ البلاغة، ومرة في كتابه المختص بتاريخ النقد.
وهناك من الكتب ما جمع التاريخ للنقد والبلاغة معًا، ككتاب د. محمد زغلول سلام: (تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري)، وكان كتاب البديع لابن المعتز خير ممثل لكتب القرن الثالث الهجري في هذا الكتاب^(١)، وسبق أن رأينا المؤلف يسوق كتاب البديع على أنه أحد كتب النقد التي للدراسات القرآنية أثر فيها "غير خافٍ، وإن كان غير مباشر، وابن المعتز يهتم بوجود فنون البديع أو عدم وجودها في القرآن، فإنه لا شك كان مستحضرًا لبعض ما نجم منها في الدراسات القرآنية السابقة عندما ألف كتابه"^(٢).

وإذا تركنا كتب التاريخ البلاغي والنقد، فإننا نجد كتاب (البديع) يرد مرّة في الكتب التي اختصت بدراسة موضوعاتٍ بلاغية، مثل:

(١) د.محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري، ص ١٦٢.

(٢) د.محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص ٢٢٥.

مناقشة ومحاولة تفسير

ليس كتاب البیدع لابن المعتز هو الكتاب الوحيد الذي تعرض لهذه الازدواجية في التصنيف بين البلاغة والنقد عند الدارسين المعاصرین، فقد يشارکه في ذلك بعض كتب التراث البلاغي والنقدی، و نعتقد أن كتاب البیدع قد حظي باهتمام واسع من قبل الدارسين المعاصرین ، وما ذكرناه من تلك الدراسات إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر والاستقصاء.

ولعل من الأسباب التي قادت إلى ذلك، هو وقوع كتاب البیدع لابن المعتز في طور النشأة الأولى لاستقلال البحث البلاغي والنقدی، إذ كانت مباحث الحقلين البلاغي والنقدی قبل ابن المعتز لم تأخذ استقلالها، حيث كانت ترد ضمن كتب معانی القرآن واللغة والأدب. والكتب التي سبقت ابن المعتز كطبقات ابن سلام الجمي (ت ٢٣٢ھ)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ت ٢٧٦ھ)، كانت لا تزال مثاله تتلمس الطريق نحو ذلك الاستقلال، فمقاييس الكتاب الأول في توزيع الطبقات لا يوضحها المؤلف، بل

كانت رهينة محاولات استباطٍ من قبل الدارسين المعاصرین، فليس في الكتاب بيانٌ نظريٌ يطرح من خلاله المؤلف رؤاه النقدية، وهذا أمرٌ عادةً ما تتسم به كتب التأسيس الأولى. وأمّا كتاب ابن قتيبة فإنَّ رؤاه النقدية لا تستجلِّي من الكتاب، بل من مقدمته، إذ اتَّخذ الكتاب سبيلَ الترجمة لأعلام الشعر.

٤ - كتاب : قراءة في النقد القديم للدكتور

بسیونی فیود^(٢).

وإذا كان كتاب البیدع يظهر في الدراسات التي اختصت بالموضوعات البلاغية، وفي الدراسات التي اختصت بالموضوعات النقدية، فلا غرو أن يظهر في الدراسات التي جاءت جامعاً الحقلين البلاغي والنقدی معاً، مثل:

١ - كتاب : من قضايا النقد والبلاغة للدكتور توفيق الفيل^(٣).

٢ - كتاب : النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع (المصادر والقضايا) للدكتور علي عشري زايد^(٤).

٣ - كتاب : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدی للولي محمد^(٥).

٤ - ظاهرة البیدع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية للدكتور محمد الواسطي^(٦).

(١) د.جابر عصفور، قراءة التراث النقدی، القاهرة، ط١، عین للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤، ص ٢١٠.

(٢) د.بسیونی عبدالفتاح فیود، قراءة في النقد القديم، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٠/١٤٣١، ص ١٣٦.

(٣) د.توفيق الفيل، من قضايا النقد والبلاغة، القاهرة، مكتبة هضبة الشرق، ١٩٧٩، ص ٢١.

(٤) د.علي عشري زايد، النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع، ط٢، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٩٥/١٤١٥، ص ٦٥.

(٥) الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدی، ط١، بيروت – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠، ص ٣٣.

(٦) د.محمد الواسطي، ظاهرة البیدع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، ط١، الرباط، دار نشر المعرفة، ٢٠٠٣، ص ٣٤.

ومشجع، وفي ظلال هذه الأجواء، وبوحيٍ من هذه المعركة النقدية كتب ابن المعتز كتابه، وكان صدئاً لها، حيث إنَّ "الروح التي أملت الكتاب كانت تمثل جانباً من الحركة النقدية في القرن الثالث"^(٣). وهذا ما جعل الكتاب قابلاً لازدواجية التصنيف. فإنَّ نظر إلى الفنون التي اشتمل عليها الكتاب بوصفها فنوناً بلاغيةً قد بدأ البحث عنها يأخذ صفة الاستقلال كان الكتاب أقرب إلى التصنيف البلاغي، وإنْ نظر إلى تلك الفنون بوصفها مادةً معركةً نقديةً غدت النقد العربي كان الكتاب ملائماً لتصنيفه كتاباً نقدياً. وبهذا أضحت الكتاب "شهادةً ناصعةً" لتمارج اختصاصين...هما: النقد من جهة، والبلاغة من جهةٍ أخرى^(٤).

وساعد على وجود هذه الازدواجية في التصنيف طبيعة اللغة التي كتب بها ابن المعتز كتابه، إذ جاءت حاملةً سمات الكتب التي تشق طريقاً جديداً في التأليف، فغلب عليها الإيجاز، وعدم بسط الحديث حول الشواهد الكثيرة التي ساقها فيه، والمسائل المتعلقة بها، حتى يكاد الكتاب "يكون شواهد كلّه، ولك أنْ تستثنى منه الصفحات الثلاث الأولى، ثمَّ من أول قوله: (قد قدمنا أبواب البديع الخمسة) ص ٥٧ إلى قوله: (فله اختياره) ص ٥٨ أي ما يساوي صفحة واحدة، وما عدا هذه الصفحات

(٣) د.إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ١٢١.
(٤) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٣٥٠.

ولذلك لم يكن من اليسير على كتاب البديع وهو يشارك في مهمة تخلص مباحث البلاغة والنقد من كتب العلوم الأخرى أن يفصل تداخلهما الذي جاء عليه في تلك الكتب، فجاء الكتاب حاملاً شيئاً من آثار هذا التداخل، فأوقع ذلك الدارسين المعاصرین في ازدواجية تصنيفه، ولم تُنجِز مهمَّة الاستقلال إلا عند بلاغيَّ القرنين الرابع والخامس الهجريين ونفادهما (بعد هذا المهد الذي قدَّمه أعلام القرن الثالث الهجري).

وإذا كان كتاب البديع لابن المعتز دار حول ثمانية عشر فناً ستعد فيما بعد من فنون البلاغة مما يجعله أقرب إلى أن يكون كتاباً بلاغياً أكثر منه نقدياً، فإنه حدا بعض المعاصرين إلى القول: بأنَّ "ابن المعتز هو وضع أساس علم البديع"^(١)، وأنَّ "كتاب البديع" هو اللبنة الأولى في بناء علم البديع مستقلاً عن علمي البيان والمعاني، وعلى حذوه هذا الخالفون المتأخرون في التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة العربية"^(٢) فإنَّ الذي يجب ألا ننساه هو أنَّ هذه الفنون التي حاول رصدها ابن المعتز كانت هي مادةً المعركة النقدية التي نشبَّت حول شعر المحدثين في العصر العباسي، وما أسرفوا فيه من استخدام لتلك الفنون، جعلت طريقتهم الشعرية بين مستهجِّن

(١) د.عبدالعزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص ٤٥.

(٢) د.جليل رشيد فالح، "قراءة في كتاب البديع لابن المعتز دراسة وتقويم"، مجلة أداب الرافدين، الموصل، كلية الآداب بجامعة الموصل، العدد (٢٥)، (١٩٩٣م)، ص ٢٦.

جديد) وليس بديعكم بمخترع)، وإنما نجده عند الأوائل من الشعراء وغيرهم، ونجده أيضاً في الكتاب) وفي (الحديث)^(٥).

واحة ابن المعتز ادعاء المحدثين بالسبق إلى اختراع البديع فانبرى "يفند دعواهم، ويثبت أصالة العرب في البديع، وإن كان للمحدثين شيءٌ من البديع فإنما هو مغالاتهم به، وإسرافهم في استعماله"^(٦)، وجهَّد في "أن يدحض هذه الفرية، ويفند هذا الزعم، ويثبت للعلماء والشعراء والنقاد أنَّ البديع لم يكن من ابتكار المحدثين، وإنما هو شيءٌ سبق إليه السابقون من الشعراء منذ العصر الجاهلي، ومنذ أنْ قرض الشعر، كما نلحظ البديع في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وكلام الصحابة"^(٧)، فكتاب البديع حُصِّص للرد على أصحاب المذهب الجديد في الصنعة الشعرية"^(٨)، وجاء على "أثر هذه الضجة التي أثارها أصحاب المذهب الجديد مدعين أنَّهم قومٌ أبدعوا في الصياغة الشعرية والتجويد الفني، وأنَّهم حققوا ما لم يحققه القدماء في استعمال المجاز والاستعارة ومحسنات القول"^(٩)، وما كان من ابن المعتز إلا إنكار ذلك، وكان "هذا الإنكار غرضه من

الأربع شواهد متتابعة في كلٍّ فنٍ من فنونه الثمانية عشرة"^(١). لقد أسمهم غياب البيان النظري الموسَّع عن الكتاب في تعرّضه لازدواجية التصنيف، وقابليته للتأرجح بين البلاغة والنقد.

المبحث الثاني : دواعي التأليف

اختلف الدارسون المعاصرون في تحديد الدافع الذي دفع ابن المعتز إلى تأليف كتابه، ووصل هذا الاختلاف إلى درجة التناقض، إذ ذهب فريقٌ من المعاصرين إلى أنَّ ابن المعتز ألف كتابه انتصاراً للقدماء ورداً على دعوى المحدثين بأنَّهم سبقو إلى اختراع البديع، وذهب فريقٌ آخر إلى أنَّ ابن المعتز ألف كتابه انتصاراً للمحدثين ومذهبهم الشعري الجديد.

فابن المعتز عند الفريق الأول ألف كتابه كي "يعيد الفضل إلى أصحابه، ويدحض باطل المجددين وأنصارهم، ويكشف زيف ما يدعونه من اختراع البديع"^(٢)، ولذلك الكتاب "دفعاً عن القدماء، وذلك بإرجاع الفضل إليهم فيما ادعاه المحدثون لأنفسهم من سبق إلى فنون البديع"^(٣)، فغايتها من الكتاب "التي يعلنها فيه إعلاناً دون مواربة هي أنَّ يثبت أنَّ المحدثين لم يخترعوا البديع الذي يلهجون به"^(٤). ولنقول "لهماء المحدثين: (ليس جديكم

(٥) د.إبراهيم سالم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو، المصرية، ١٩٥٢م، ص٩٩.

(٦) بدبوبي طبانة، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب، ص١١٨.

(٧) د.عبدالقادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ص٩٧.

(٨) د.محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص٢٨٣.

(٩) المصدر نفسه، ص٢٨٣.

(١) د.سلامه جمعه داود، من مصادر البحث البلاغي، مطبعة الشروق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٣٧.

(٢) د.مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص٦٩.

(٣) د.عبدالعزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٣٩٦.

(٤) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص٦٧.

العرب ممَّن يزعمون أنَّ البديع من ابتكار المحدثين، وأنَّه بضاعةٌ أجنبيةٌ^(٦)، فالقائل بسبُّ المحدثين "لا يخلوُنَّ من أحد اثنين: إِمَّا متقْلِسٌ متعصِّبٌ لِّمَيْتَعْمَقُ الأدب العربي وأصوله، وإِمَّا شعوبِيٌّ ممَّن يغمطون العرب القدماء حَقَّهم، وينكرون عليهم كلَّ فضلٍ"^(٧).

وجعل أحد الدارسين انتصار ابن المعتز للقدماء مرتبطاً بسياق سياسي إيديولوجي، إذ تشمل صفة القدماء أنصار الاتباع وأهل النقل، وتشمل صفة المحدثين أنصار الابداع وأهل العقل. ويأتي ابن المعتز في مرحلة انحياز الخلافة العباسية إلى أنصار الاتباع من القدماء منذ عهد جده المتوكّل لتأكيد الحق المقدّس في الحكم، عبر تأويل يحول الحق في هذا الميراث إلى تزييه مطلق للحاكم في علاقته بالمحكوم، وتبرير للاتباع المطلق من المحكوم في علاقته بالحاكم. ويدعو في هذا السياق مصطلح (البديع) وثيق الصلة - في دلالته - بالبدعة، ولكنَّ البدعة في سياق الكتاب بدعاته: بدعة هدى ترتبط بالابداع على مثال الأصل الأول، وبعدة ضلالة ترتبط بالابداع الذي انقطع عن هذا الأصل^(٨).

(٦) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيتين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ص ٣١٧.

(٧) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ٦٧.

(٨) ينظر: د. جابر عصفور، قراءة التراث النفي، ص ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ٢١٢، ٢١٣.

الكتاب^(٩)، وكانت غايته "تكمُّن في الإعلاء من شأن المتقدمين"^(١٠).

وهناك من أصحاب هذا الفريق مَنْ رأى أنَّ ابن المعتز ألف كتابه البديع "إنصافاً للشعر القديم، ورداً على بعض ادعاءات الشعراء والنقاد المحدثين"^(١١)، ولكنه "عدل عن موقفه هذا، بعد ذلك، وتعاطف تعاطفاً قوياً مع الشعر المحدث، وأنصفه. ويتبَّعُ هذا من تأليفه لكتابه طبقات الشعراء المحدثين"^(١٢).

وهناك من أصحاب هذا الفريق مَنْ ربط انتصار ابن المعتز للقدماء بالمواجهة التي قامت ضدّ دعوى الشعوبين، إذ قضى ابن المعتز من خلال كتابه البديع "على آمال المدعين والشعوبين حتى لا يفتخر أحدٌ منهم بابتكار فنٍّ عربيٍّ جديدٍ، أو يفاخر أحدهم العرب باختراع فنٍّ في كلامهم لم يكونوا هم السباقين إليه. إنَّ البديع فنٌّ قديم، وليس لأحدٍ من المحدثين فيه أدنى فضلٍ"^(١٣)، ورَأَمَ أنَّ يفتَّد "دعوى الشعوبين، وكلَّ مَنْ سُولَتْ له نفسه النيل من تراث

(٩) د. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص ١٥.

(١٠) د. سعيد العوادي، حرَّكة البديع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين، ط١، عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ١٤٣٥ـ١٤٣٥م، ص ٢٧.

(١١) د. عثمان موافي، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، ط٢، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤م، ص ٣٨.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٩، ٤٠.

(١٣) د. مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص ٧٠.

فيه أنَّ البديع معروفٌ في العربية منذ العهد القديم^(٢)، وحين يشير إلى القدماء فلا ينبغي أنْ يفهم أنَّه كان من أنصار القديم، فهو بشعره وبفكرة البلاغي والنقدِي من كبار المجددين في ذلك العصر، ولم يخل شعره حتَّى من ذلك الإسراف في استخدام البديع الذي أخذه على أبي تمام^(٣). لقد كان ابن المعتز من أنصار مذهب المحدثين وأولع بالبديع، والتشبيه خاصَّة حتَّى وسم به. وكان الصولي من أشدَّ أنصار أبي تمام، وكان نصيراً كذلك لابن المعتز ومقدماً له. وأدَّى انتصار ابن المعتز لمذهب المحدثين إلى تأليف كتابين، أحدهما (طبقات الشعراء المحدثين)، والثاني (البديع)^(٤).

ولقي ما ذهب إليه بعض دارسي الفريق الأول من رَبْط انتصار ابن المعتز للقدماء بمواجهة الشعوبية منازعةً وعدم تسلیمٍ من بعض دارسي الفريق الآخر، إذ يُعلق معتبرٌ على هذا الربط قائلاً: "لَا أَحْسَب أَنَّ الْخَلَاف فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَة حَوْلَ دَعَاوَى الْمَحْدُثِينَ مِنَ الشَّعَرَاءِ مِنْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ هَذَا الْمَذْهَب وَمُبْتَكِرُوهُ شَيْءٌ يَتَّصَلُ بِالشَّعوبِيَّةِ أَوِ الرَّغْبَةِ فِي إِنْكَارِ فَضْلِ الْعَرَبِ الْأَوَّلَيْنَ فِي اصْطَنَاعِ الْبَدِيعِ أَوْ مَعْرِفَتِهِمْ لَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْتَزَ عَرَضَ لِلْأَمْرِ بَعِيدًا عَنِ الإِشَارَةِ إِلَى وُجُودِ

(٢) د.أحمد إبراهيم موسى، الصيغة البديعي في اللغة العربية، ص.١٢٩.

(٣) د.علي عشري زايد، البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها، ص.١١٠.

(٤) د.محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري، ص.١٦٣.

ذلك عَرْضٌ لبعض أقوال الفريق الأول الذي رأى أنَّ ابن المعتز ألف كتابه البديع إنصافاً للقدماء، ورداً على دعوى المحدثين بالسبق واحتراز البديع. ويقابل هذا الفريق، فريق آخر رأى أنَّ ابن المعتز ألف كتابه انتصاراً للمحدثين، وشعرهم الجديد. وعندهم أنَّ إشارة ابن المعتز إلى القدماء في الكتاب ليست من باب الانتصار لهم، ولكنها من باب تأصيل المذهب الجديد، والبحث عن جذورِ له. لقد "وقف ابن المعتز بين مذهبين في البيان متلاقيين: مذهب المحدثين الذي يؤثره... ومذهب القدماء المتعصبين للقديم الذين كانوا يزدرون نهج المحدثين وقصدهم وتکلفهم للبديع، ولكنَّه انتصر بفطرته وذوقه للمذهب الأول الذي أحبَّه وشغف به، فأخذ يدافع عنه، وألف في ذلك كتابه البديع الذي أثبت فيه أنَّ ألوان البديع كانت معروفةً عند الشعراء القدامى والإسلاميين، وألموا بها في شعرهم كما ألموا بها المحدثون، فهي ليست غريبة على الشعر الجاهلي والإسلامي، وليس جديدة على أساليب البيان في شعر المحدثين، وليس بداعاً جديداً في الأدب والشعر كما ذهب إليه مَنْ تعصباً للأدب القديم، واعتَرُوا بفحولة الشعر الجاهلي وجزالته، وأنكروا مذاهب المحدثين في صناعة الشعر وسهوته وتكلف البديع فيه"^(٥). فابن المعتز نافح "عن المحدثين، واحتاجَ للبديعين بهذا الكتاب الذي أثبت

(٥) د.محمد عبدالمنعم خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، بيروت، دار الجليل، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص.٥٧٥.

وهناك من أضاف دافعًا آخر لتأليف كتاب البديع، وهو رغبة ابن المعتز١ إحراز قصب السبق في التأليف في موضوع البديع، إذ أنّ "حب السبق، وكشف آفاقٍ جديدةً أغرى ابن المعتز٢ بهذا التأليف الفني٣"، وكان حفيًا بأن يكون له فضل "السبق إلى بلورة جماليات التعبير الأدبي٤"، وأضحت قضية السبق إلى أبواب البديع "الباعث الذي أهاج ابن المعتز على تأليف الكتاب إهاجة، وحمله عليه حملًا٥".

ولا إشكال في الجمع بين هذا الدافع وأحد القولين السابقين؛ لأن المؤلف قد يدفعه أكثر من دافع إلى تأليف كتابه. ولذا سنتصر في محاولة التفسير على بحث الأسباب التي قادت إلى انقسام المعاصرین إلى فريقين متافقين، فريق القول بأنّ ابن المعتز ألف كتابه انتصاراً للقدماء ورداً على ادعاء المحدثين بأنهم أتوا بجديد، وفريق القول بأنّ ابن المعتز ألف كتابه انتصاراً لشعر المحدثين.

مناقشة ومحاولة تفسير

استند الفريق الأول القائلون: إنّ ابن المعتز ألف كتابه البديع انتصاراً للقدماء ضدّ دعوى المحدثين بأسبيقيتهم إلى البديع إلى عدّة نصوص في كتاب البديع. منها ما جاء في مفتاح الكتاب وهو

هذه الرغبة، أو تلك النزعة... ولو كان ثمة ملامح تشى بكيده أو سوء منزع فإنّ ابن المعتز أولى الناس بأن يتحدث عن ذلك بتصريح القول، ويتصدى لهذا الضرب من المحاولات بالدفاع المستميت، فهو الخليفة العربي الذي يحمي بيضة العروبة ويردّ غوائل الكيد عن تراث العرب وحضارتهم وعقيدتهم. وإذا ما كان اسم بشار وأبي نواس يرد في سياق الشعراء المحدثين (وهما من يرميان بالشعوبية) فإنّ ثمة شعراء آخرين هم عرب خلّص لم يؤثر عنهم ما يصل أسبابهم بأسباب الشعوبية ولا سيما الشاعر العربي الكبير أبو تمام الطائي٦.

كما لقى أيضًا ما ذهب إليه بعض دارسي الفريق الأول من ربط انتصار ابن المعتز للقدماء بدوافع سياسية إيديولوجية عدم قبولٍ عند آخرين. يقول أحد الدارسين معتبرًا على صاحب هذا الرابط: "ومن الجلي هنا أنّ ابن المعتز ينصر أقرانه من الشعراء المحدثين على مناوئيه من علماء اللغة والشعر القديم، ولست أدرى كيف سها الدكتور جابر عصفور، وخفى عليه ذلك - مع فرط ظهوره - فأثبتت أنّ ابن المعتز نصر المتقدمين أو أهل السلف والأثر على المتأدبين أو أهل العقل"٧.

(٣) إبراهيم سالمه، بلاعنة أرسطو بين العرب واليونان، ص ٩٨.

(٤) عباس أرحيله، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربية إلى حدود القرن الثامن الهجري، ص ٣١٨.

(٥) د.سلامه جمعه داود، من مصادر البحث البلاغي، ص ٢٢٨.

(٦) د.جليل رشيد فالح، قراءة في كتاب البديع لابن المعتز دراسة وتقويم، ص ١٤، ١٥.

(٧) د.سلامه جمعه داود، من مصادر البحث البلاغي، ص ٢٣١.

بعض ذلك، وأسأء في بعض، وتلك عقبى الإفراط، وثمرة الإسراف، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً، ويزداد حظوةً بين الكلام المرسل. وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البیدع بصالح بن عبدالقدوس في الأمثال، ويقول: لو أن صالحاً نثر أمثاله في شعره، وجعل بينها فصولاً من كلامه، لسبق أهل زمانه، وغلب على مذ ميدانه، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى^(٣).

إن كل ذلك دلالات قوية تؤكد فهم الفريق الأول، وتبيّن وجاهة ما استندوا إليه. وعلى الرغم من ذلك، بقيت هناك أمور نازعت هذا الفهم، وأدت إلى عدم التسليم به، وحملت فريقا آخر من المعاصرين على فهمٍ مغاير، وهو أن ابن المعتز أَلْفَ كتابه انتصاراً للمحدثين ومذهبهم الشعري الجديد. من هذه الأمور:

- قد تكون إشارة ابن المعتز إلى القدماء لا من باب النصرة لهم، ولكن من باب تأصيل المذهب الجديد، لتأكيد عمق هذا المذهب، واتصاله بجذور راسخة، فالغاية ليست قطع الأواصر بما سبق، وإنما تجديد يصل الحاضر بالماضي، دون الوقوع تحت

قوله: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن، وللغة، وأحاديث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ)، وكلام الصحابة، والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البیدع؛ ليعلم أن بشاراً ومسلمًا وأبا نواس ومن تقليلهم، وسلوك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثُر في أشعارهم فُعرف في زمانهم حتَّى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلَّ عليه"^(١).

ولا شك أن مجيء هذا النص في مفتتح الكتاب يعِد ما ذهب إليه الفريق الأول، إذ عادةً ما يفتح المؤلفون كتبهم بأهم ما ابتعوا إيصاله إلى القارئ.

ومن أظهر النصوص التي استند إليها هذا الفريق قول ابن المعتز: " وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أنَّ المحدثين لم يسبقو المتقدمين إلى شيء من أبواب البیدع"^(٢).

ويعزّز موقف هذا الفريق بالإضافة إلى هذين النصين مؤاخذة ابن المعتز على أبي تمام - أحد أكبر ممثلي المذهب الشعري الجديد - إسرافه في جلب البیدع، ودعوة ابن المعتز إلى القصد والاعتدال، وترك الإفراط في ذلك. يقول ابن المعتز: "ثم إنَّ حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغف به حتَّى غالب عليه، وتفرَّع فيه، وأكثر منه، فأحسن في

(١) عبدالله بن المعتز، كتاب البیدع، اعْتَنَى بِنَسْرَه وَتَعْلِيقَ الْمُقْدَمة وَالْفَهَارِس: إِغْنَاطِيوسْ كِرَاشْقَوْفْسْكِي، ط٣، بِيْرُوت، دَارُ الْمَسِيرَة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣.

أحياناً، فيطول الشاهد طولاً لا مبرر له إلا إعجابه بهم وتقديمه للحيد من أشعارهم^(٤). ولم يكن من الغريب أن ترجح كفة المحدثين في الاستشهاد، فالبيع في أشعارهم أكثر، وهم أشدّ تعليقاً به من غيرهم^(٥)، ومن ذلك على سبيل المثال أنه أورد في باب "الاستعارة ما يزيد على السنتين بيّنا للمحدثين، بينما كان حظّ القدماء نصف ذلك المقدار تقريباً"^(٦).

بين دلالة النصوص الصريحة التي استند إليها أصحاب الفريق الأول، وبين قرائن أخرى لم يكن من اليسير إغفالها اتكاً عليها أصحاب الفريق الآخر، جاء كتاب البيع لابن المعتز مقلعاً في تحديد دافع تأليفه، وحاملاً لهذا التذبذب بين موقفين. فهذا التذبذب يعود إلى طبيعة الكتاب نفسه بما حمله من نصوصٍ نظريةٍ صريحة، وبما انتهجه من نهجٍ في شواهد التطبيقيَّة لم يكن مطابقاً تماماً لدلالة تلك النصوص النظرية، بل كان أقرب إلى ما اتّسم به مذهب ابن المعتز الشعري. مما يطرح سؤالاً مؤداه: أكان ينزع ابن المعتز في نصوصه النظرية نحو القوة الناقدة المتأثرة برواسب الثقافة العربية القديمة، بينما كان ينزع في عرض الشواهد والجانب التطبيقي نحو القوة الشاعرة المتأثرة بالمذهب الشعري الجديد مما يجعل الكتاب حاملاً لصراع القوتين؟. لقد

سلطة الانبهار بهذا الماضي والتوقف عند إنجازه، دون هدم جسور الصلة به.

- مذهب ابن المعتز الشعري، فهو معدود في الشعراء المحدثين، ولم يخل شعره كما يقول أنصار الفريق الآخر من استخدام البيع بالقدر الذي شاع عند شعراء عصره من أعلام البيع، وإن كان عند بعضهم "اللطفهم صنعة، وأحسنهم بديعاً"^(١). وهناك من رأى أنَّ ابن المعتز "مفرطٌ في البيع، مولعٌ به، وقد لا نعدو الصواب إذا ما وضعناه بعد أبي تمام مباشرةً بالنسبة لسابقيه، معاصريه"^(٢). ولهذا كان ابن المعتز "ذا مذهبٍ شعريٍ ذي سماتٍ ذاتيةٍ خاصة قد تحول بينه وبين تذوق الأشعار التي تبادر مذهبه"^(٣). إنَّ هذا المذهب الشعري لابن المعتز أوحى للفريق الآخر تبنيَّ القول بأنَّ ابن المعتز كان ينصر المحدثين، وأنَّه كتب كتابه تحت هذا الداعي.

- إذا كانت شواهد ابن المعتز في كتابه من القرآن الكريم وحديث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وكلام الصحابة، وبلغاء الأعراب، وأدباء الكتاب، وأشعار المتقدين، فإنَّ كتابه جاء أيضاً حافلاً بشواهد من شعر المحدثين، ومستزيداً منها، إذ تراه يكثر من إيراد شعر المحدثين، إلى حدِّ المبالغة

(١) د.أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البيعي في اللغة العربية، ص ١٢٩.

(٢) خليفة الوقيان، "ابن المعتز وكتابه البيع"، مجلة البيان، الكويت، العدد (٤٩)، (أبريل ١٩٧٠م)، ص ٧٠.

(٣) د.إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ١١٧.

(٤) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٣٤٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٦.

وبعد أن فرغ من تعريف هذه الفنون الخمسة وضرب الشواهد لها، بدأ في القسم الآخر وأطلق على فنونه اسم (محاسن الكلام)، وكانت عدتها ثلاثة عشر فناً هي: الالتفات، واعتراض كلامٍ في كلام لم يتمم معناه، والرجوع، وحسن الخروج من معنى إلى معنى، وتأكيد مدحٍ بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، وهزل يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعریض والکنایة، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعنان الشاعر نفسه في القوافي، وحسن الابتداءات. وتساءل الدارسون المعاصرون عن أسباب هذا التقسيم، ولماذا فصل ابن المعتز بين هذه الفنون؟ ولم قصر إطلاق مصطلح البديع على فنون القسم الأول الخمسة؟ ولم يطلقه على فنون القسم الآخر مكتفياً عوضاً عن ذلك بمصطلح (محاسن الكلام). وذهبوا في ذلك إلى آراء مختلفة، ولم يتفقوا على تفسيرٍ واحدٍ لتقسيم الكتاب هذين القسمين.

فهناك من فسر هذا التقسيم بأنَّ "القسم الأول، يغلب وجوده في الأسلوب الشعري، أما القسم الثاني فعامٌ بين الشعر والنثر، ولعلَّ في هذا شيئاً من السرّ لهذا التقسيم العلمي الذي حدد به ابن المعتز طريقة في تأليفه"^(١). فصاحب هذا التفسير يجعل سبب التقسيم كامناً في غلبة توافر الفن البديعي في الجنس البياني، فلما كانت فنون القسم الأول الخمسة يغلب وجودها في الشعر ويقلُّ في النثر، وكانت

جاء انقسام المعاصرین حول تحديد الدافع نتيجةً لكل ذلك، لنصوص الكتاب النظرية، ولجانبه التطبيقي، ولصراعٍ محتمل بين تلك القوتين لدى ابن المعتز. وهناك أمرٌ آخر، وهو وقوع كتاب البديع في طور بداية انتقال الثقافة العربية من الشفاهية إلى الكتابة. فلم تكن تقاليد الكتابة قد أخذت في هذا الطور صفة الرسوخ والثبات، وما تزال هذه المرحلة تحمل شيئاً من صفات الشفاهية، ولم تخلص منها كلّياً، ولذلك خلب على كتاب البديع اللمحه والإشارة أكثر من البسط والتفصيل، فتعارييفه للفنون مقتضبة، وتعليقاته على الشواهد نادرة، وهي على ندرتها لا تعدو أن تكون كلماتٍ سريعة تعبّر عن الانطباع بعيداً عن التحليل والتعليق. ولا شك أنَّ هذا من آثار وقوع الكتاب في هذه المرحلة المتأرجحة بين طوري الشفاهية والكتابة. ولذلك جاء الكتاب ملباً في تحديد الغاية من تأليفه، والدافع الذي ساقه إلى ذلك، ولو جاء الكتاب في مرحلةٍ متقدمةٍ لربما كانت دواعي تأليفه أبين ظهوراً، وأكثر تفصيلاً، وأبعد من الواقع في هذا اللبس الذي جعل المعاصرین يتقاسمون موقفين متباينين في تحديدها.

المبحث الثالث : تقسيم الكتاب

من المعلوم أنَّ ابن المعتز قدّم كتابه (البديع) قسمين، جعل القسم الأول منه خاصاً بفنون البديع، وهي خمسة فنون: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وردُّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي.

(١) إبراهيم سلامه، بlagة أرسطو بين العرب واليونان، ص ١٣٤.

"أكثر دوراناً في الأدب من محسن الكلام، وأقدم استعمالاً واستخراجاً"(٢).

ويوجد تفسير رابع يرى سبب قسمة الكتاب قسمين هو "أن ابن المعتز لم يؤلف كتابه في وقت واحد، بل ألفه على مرحلتين، وقد أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة المذكورة في البديع... وبعد دراسة هذه الفنون وقف عندها وأنهى كتابه، وكتب خاتمته التي اعتاد أكثر المؤلفين أن ينهوا بها كتابتهم. وهي: (ألفته سنة أربع وسبعين ومائتين، وأول من نسخه مني علي بن هارون بن أبي يحيى بن أبي المنصور المنجم). ولعل ابن المعتز سمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتبعين اعترافاً على قصر البديع على الفنون الخمسة الأولى، وأنهم رأوا البديع أكثر من ذلك، فأقرّهم على دعواهم، وكتب بقية المحسنات، وضمنها إلى الفنون الخمسة، لينفي عن نفسه مظنة الجهل بتلك البقية، وقال في ذلك: (نحن الآن نذكر بعض محسن الكلام والشعر، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعى الإحاطة بها...) وهذا كلام واضح صريح يكشف عن العلة في فصل البديع عن محسن

فنون القسم الآخر يعم وجودها الشعر والنشر معًا دون غلبة لأحد الجنسين فصل ابن المعتز بين القسمين. وهناك تفسير ثانٍ يجعل سبب التقسيم أن فنون القسم الأول هي مما سبق إليه ابن المعتز، وأما فنون القسم الآخر فهي من اختراعه وحده، يقول أحد الدارسين: "وشيء ثانٍ يمكن أن يجلّي السر في التقسيم: ذلك أنَّ الأصناف الخمسة الأولى عرفها الشعرا، وعرفها الجاحظ قبل ابن المعتز، فالاستعارة والتطبيق والتجنّس ورد العجز إلى الصدر والمذهب الكلامي هي أولئك أصناف البديع التي ظهرت في شعر الشعرا من أمثال مسلم والعتابي وبشار وأبي نواس وغيرهم، فليس لابن المعتز في العثور عليها من فضلٍ إلا ردها إلى الشعر القديم؛ ليرد على الشعراء المجددين دعوتهم في التجديد. أما صنوف القسم الثاني فمن اختراعه وحده، وقف عليها لما تتبع أشعار القدامى والمحدثين، ودونها قبل أن يدونها غيره، وأطلق عليها أسماء لم تكن كلّها معروفة قبله في مصطلحات البلاغة وفي مصطلحات البلاغيين؛ لذلك فصل بين القسمين ليقول: هذا لكم، وهذا لي، وهذا منكم، وهذا متّي"(١).

ورأى تفسير ثالثٌ أنَّ سبب الفصل بين فنون القسمين هو أنَّ فنون القسم الأول الخمسة كانت

(٢) نقلًا عن : دبّوبي طبّانة، البيان العربي دراسة في تطوير الفكرة البلاغية عند العرب، ص ١١٩.

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

والجمال، ولا شك أنَّ الجمال والحسن أقلَّ قيمةً من الإبداع^(٥).

وهناك تفسير ثامنٌ علَّ هذا التقسيم بأنَّ يكون الكتاب في الأصل رسالتين منفصلتين جمع بينهما رواة الكتاب^(٦).

هذا بالإضافة إلى أنَّ هناك عدداً من الدارسين أثاره هذا التقسيم لكتاب، لكنه اكتفى بإثارة التساؤل حوله دون أنْ يقدم تفسيراً له^(٧).

مناقشة ومحاولة تفسير

فيما يتعلَّق بالتفسير الأول وهو غلبة وجود فنون القسم الأول في الشعر، وأنَّ فنون القسم الآخر تعمُّ الشعر و أنَّ النثر يحتاج إلى استقراءٍ شامل، وإحصاءٍ دقيقٍ للتسليم به، فإنه يبقى "دعوى لا دليل عليها، وغير معزوة بسندٍ علميٍّ"^(٨)، وهذا ما دعا أحد الدارسين إلى الرد على صاحب هذا التفسير قائلاً: "وما ذكره الدكتور سلامه لا يقنع الباحث؛ لأنَّ اللونين يأتيان في الشعر والنشر، ولا نستطيع أنْ نقرر أنَّ هذا اللون أكثر استعمالاً، وذلك أقلَّ شيوعاً إلا

الكلام^(٩). وتَبع هذا الرأي القائل بأنَّ ابن المعتز ألف كتابه على مرحلتين عددٌ من الدارسين^(١٠).

وهناك تفسير خامسٌ يوافق التفسير السابق بأنَّ الكتاب أَلفَ على مرحلتين لكنه يضيف تعليلاً آخر وهو أنَّ فنون المرحلة الأولى أو القسم الأول كانت أكثر وروداً في الشعر وغيره من فنون القول^(١١).

ورأى تفسير سادسٌ أنَّ اختصاص ابن المعتز الفنون الخمسة الأولى باسم البیدع يعود إلى أنها "الفنون التي كانت موضع أخذٍ وردٍ بين أصحاب البلاغة العربية الخالصة، وبين طوائف المتكلفة ومن ينزعون نحو التجديد المسرف"^(١٢).

ورأى تفسير سابعٌ أنَّ سبب تقسيم الكتاب قسمين هو أنَّ فنون القسم الأول الخمسة التي خصها ابن المعتز باسم البیدع قائمةٌ على الابتكار. يقول أحد الدارسين: "ولعله قصد إلى ذلك ليبيِّن أنَّ هذه الأنواع الخمسة التي تحمل اسم البیدع يقصد بها الابتكار، اشتقاقاً من كلمة الإبداع مصدرًا لأبداع، على حين أنَّ الأنواع الثلاثة عشر الأخرى التي تحمل اسم محاسن الكلام، لا يقصد بها إلا الحسن

(٥) د. عبدالقادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ص ٩٩، ١٠٠.

(٦) نقلًا عن: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٣٤٣.

(٧) ينظر: د. علي عشري زايد، البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها، ص ١١٢، ١١١.

(٨) د. سعيد العوادي، حرکية البیدع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين، ص ٢٧.

(٩) د. جليل رشيد فالح، قراءة في كتاب البیدع لابن المعتز دراسة وتقويم، ص ٢٠.

(١) المصدر نفسه، ص ١٢١، ١٢٠.

(٢) ينظر على سبيل المثال : خليفة الواقيان، ابن المعتز وكتابه البیدع، ص ٧١.

(٣) د. محمد الواسطي، ظاهرة البیدع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقية، ص ٣٨.

(٤) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ٦٩، ٧٠ .
وينظر : د.أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، ط ١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣/٥١٣٩٣ ، ص ١٢٨.

فليس التجنيس ولا ردّ أعجز الكلام على ما تقدمها ولا المذهب الكلامي بأهمّ عندهم من التشبيه أو الكناية، بل إنَّ فن التشبيه يبدو أكثر استعمالاً في أساليب الأدباء من أسلوب الاستعارة نفسها عند الأدباء قداماً لهم ومحدثيهم^(٥).

وأمّا التفسير الرابع الذي رأى أنَّ سبب الفصل هو أنَّ ابن المعتزَّ ألف كتابه على مرحلتين فيبقى افتراضاً يحتاج إلى دليلٍ علميٍّ قاطع، وما سيق من أدلةٍ لا تتنقله إلى درجة التسليم الذي لا ينزع. فالحديث عن محسن الكلام جاء معطوفاً على الحديث عن تاريخ التأليف وأقول من نسخ الكتاب من ابن المعتزَّ، فكيف يكون الحديث عن التاريخ والناسخ هو خاتمة المرحلة الأولى، ثم يجيء الحديث عن القسم الآخر معطوفاً عليه. وإذا كان ابن المعتزَّ قد أشار إلى تاريخ المرحلة الأولى من التأليف، فلماذا لم يشير إلى تاريخ المرحلة الأخرى؟ كل ذلك يجعل هذا التفسير مجرد افتراض يعزوه البرهان القاطع.

وفيما يتعلق بالتفسير الخامس الذي رأى أنَّ سبب التفسير هو أنَّ فنون القسم الأول أكثر وروداً في الشعر وغيرها من أجناس القول، فهو مثل بعض التفسيرات السابقة يحتاج إلى استقراء شاملٍ دقيق، وهل يتصور أنَّ يكون ردّ أعجز الكلام على ما

(٥) د. بدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطور الفكر البلاغية عند العرب، ص ١١٩، ١٢٠.

من بعد استقراءٍ واسع، ونظرة إلى الشواهد التي ذكرها ابن المعتزَّ في القسمين لا تؤيد ما ذهب إليه^(١). وأمّا التفسير الثاني الذي رأى أنَّ سبب التقسيم هو أنَّ فنون القسم الأول مما سبق إليها ابن المعتزَّ، وأنَّ فنون القسم الآخر هي من اختراعه وحده، فأيضاً لا يمكن التسليم به؛ لأنَّ عدداً من فنون القسم الآخر سبق إليها ابن المعتزَّ، فقد سبقه على سبيل المثال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) إلى التشبيه^(٢)، والكناية^(٣)، والالتفات^(٤). وفيما يتصل بالتفسير الثالث القائل أنَّ سبب التقسيم هو أنَّ فنون القسم الأول أكثر دوراناً في الأدب من فنون القسم الأول فيحتاج أيضاً إلى استقراءٍ واسع، والحكم به مفتقر إلى دليل، بل إنَّ النظر في كتب الأدب قد يُخرج لنا حكماً مغايراً، وهو أنَّ بعض فنون القسم الأول - البديع - قد تقلَّ أهميَّةً عند الأدباء من بعض فنون محسن الكلام،

(١) د. أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، ص ١٢٦.

(٢) ينظر: محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٦٦م، ١٢٨/١، ١٣٤، ١٢٨/١.

أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، حقه وعلق عليه وصنع فهارسه: د. محمد أحمد الدالي، ط٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٩٢٢/٢.

(٣) ينظر: محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مختلف الحديث والردة على من يربِّ في الأخبار المدعى عليها التناقض، حُقّه وضبط نصّه وخرج أحاديثه وأثاره وعلق عليه: أبو أسامة سليم بن عبد الهلاي السلفي الأثري، الرياض، ط٢، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٣١١، ٣١٢.

أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، ط٤، ٨٥٥/٢.

(٤) ينظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، ط٢، ٩١٠/٢.

إن طبيعة لغة الكتاب المقتضبة التي لم تصرّح بأسباب هذا الفصل بين قسمي الكتاب، ووقوع الكتاب في مرحلة لم تستقر فيه لكتب البلاغة والنقد تقاليد واضحة للكتابة، إذ هو يقع في مفتاح هذا النوع من التأليف، أدى إلى هذا التعدد في التفسير من قبل الباحثين المعاصرين، فمادام الدليل الحاسم غائباً فإن مجال التأويل سيظل مفتوحاً لمزيد من التفسيرات.

وفي ظل عدم وجود الدليل الحاسم حول سبب هذا التقسيم فإن هذا التعدد في التفسير ذو ارتباط بتعدد خلفيات الدارسين الفكرية ومنطلقاتهم العلمية؛ لأن عملية التفسير لا تفصل عن ذاتية الدرس والإطار الثقافي والعلمي الذي يوجهه أثناء قراءة كتاب البیدع.

المبحث الرابع : الأثر اليوناني

اختلاف الباحثون المعاصرون حول تأثير ابن المعتز في كتابه البیدع بالثقافة اليونانية، والأرسطية بصفة خاصة، فقال فريق بوجود التأثر، ونفي فريق آخر هذا التأثر ورأى أن الكتاب يمثل ثقافة عربية خالصة. وسنعرض أولاً آراء القائلين بالأثر، ثم نتلو ذلك بآراء النافرين له.

يرى أحد دارسي الفريق الأول أن أنواع البیدع الثمانية عشر التي أوردها ابن المعتز في كتابه البیدع تأثر فيها بكتابية الخطابة لأرسطو. يقول في ذلك: "لم أطلع على كتاب البیدع هذا، ولكن الذين نقلوا عنه أكثرها من ذكره كثرة تمكّنا من تصوّره، فهو عبارة عن تعداد لأنواع البیدع مع

تقدّمها والمذهب الكلامي أكثر وروداً في الكلام من التشبيه؟ وأن تكون الاستعارة القائمة على التشبيه أكثر وروداً من التشبيه؟

وما التفسير السادس الذي رأى أن اختصاص فنون القسم الأول باسم البیدع لكونها الفنون التي كانت موضع نقاشٍ بين أصحاب البلاغة العربية الخالصة وأصحاب الفلسف والتجديد المسرف فهو أيضًا مفترٍ إلى دليل يقطع بذلك، فباستثناء الإغراب في الاستعارة فإن النقاش الدائر لم يكن منصباً على أنواع محددة من الفنون بقدر ما كان منصباً على الإسراف في استخدامها.

وفيما يتعلق بالتفسير السابع الذي رأى سبب الفصل هو قيام فنون القسم الأول على الابتكار فإن الواقع البياني ينقضه، فإذا كانت الاستعارة قائمةً على الابتكار فكيف لا يكون أساسها التشبيه كذلك؟ وما الذي يمنع الابتكار في الكناية وكتب الأدب في كل عصرٍ تمنّنا بعده من الكنایات الجديدة، والکناية من أكثر الفنون التصاقاً بالعصر وطبيعة المجتمع وأعرافه وتقاليده مما يجعل كل عصرٍ ينتج کنایاته المتوازنة معه؟

وما التفسير الثامن الذي رأى أن الكتاب في الأصل رسالتان منفصلتان فلا دليل يقطع به، ويظل مجرد تخمين إن لم يكن تخميناً بعيداً لا يؤيده اتصال القسمين على مستوى التركيب والصياغة كما أشرنا سلفاً إلى مسألة العطف.

العجز على الصدر، ثم يجيء على سبيل عجيبٍ من سوء الفهم: القياس أو بمعنى أدق المذهب الكلامي وهي غلطة سرعان ما عدل عنها الذين جاؤوا بعده. ومن المحاسن التي يدخلها ابن المعتز: التشبيه الذي استمرّ العرب على تمييزه من الاستعارة طبقاً لتعريف أرسطو للمصطلحين كليهما، إلى حد استعمالهم المثل الذي كان يضرّيه، دون فارقٍ إلا استبدال زيد الموجود دواماً في أمثلة النحو بأخيل. ومن ثم فإنّهم يعلنون مع الفيلسوف الأسطاجيري أنَّ قولهم: (زيد كالأسد) تشبيه في حين أنَّهم إنْ قالوا: (زيد أسد) بذلك استعارة^(٣). ويؤكّد ذلك دارسٌ آخر فيرى أنَّ أربعة فنون - الاستعارة والطبقاق والجناس وردّ الأعجاز على ما تقدّمها - من فنون القسم الأول الخمسة تابع فيها ابن المعتز كتاب الخطابة لأرسطو، وأما الخامس - المذهب الكلامي - فيرى أنَّ ابن المعتز أخذه عن الجاحظ^(٤).

ويقول أحد الدارسين بعد أن قارن بين نصٍّ من فنِّ الشعر لأرسطو ونصٍّ لابن المعتز من كتاب البديع: "ألا ترى معي أنَّ عبارة أرسطو كأنما تُرجمت ترجمة صحيحة، وأنَّ الحكمين المستفادين من النصين واحد... كما أنَّ نهج ابن المعتز في تأليف كتابه يقارب نهج أرسطو في تأليف كتابيه. فابن

(٣) جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: عبد العزيز توفيق جاود، راجعه: عبدالحميد العبادي، القاهرة، مكتبة مصر، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م، ص ٤١٥، ٤١٦.

(٤) ينظر: د. محمد مت دور، النقد المنهجي عند العرب، ص ٦٢.

الاستشهاد لكلّ نوع منها بشواهد من كلام القدماء والمعاصرين لابن المعتز، مع الموازنة بين هذه الشواهد بعضها وبعض. وهم يقولون: إنَّ ابن المعتز أحصى في كتابه ثمانية عشر نوعاً من أنواع البديع، من يدرسها في كتاب معاصره قدامة بن جعفر يلحظ فيها لا محالة أثراً بيئاً للفصل الثالث من كتاب (الخطابة). نعم إنّهم تحاشوا أنْ ينقلوا عن المعلم الأول جميع الأمثلة التي كان يمثل بها، لا لشيء أكثر من أنَّهم لم يفهموا هذه الأمثلة... الواقع أنَّ علماء البيان من العرب برغم سخطهم على كتاب الخطابة لم يكفوا عن أنْ يعنوا به ويرصوا عليه غاية الحرص^(١).

إنَّ ابن المعتز - بحسب هذا الفريق - "حاول أنْ يجمع في نظامٍ واحد شتات الملاحظات التي أبداها بعض اللغويين المتأثرين بالفلسفة اليونانية في ما يتصل بالبديع"^(٢)، وبهذا يغدو "لا محل للتفكير في كتاب البديع دون ربطه بالسابق الإغريقي، فالمجازات الخمسة التي هي في نظر ابن المعتز قوام البديع ذات أرومة إغريقية كلها بلا استثناء، وهي: الاستعارة، والمقابلة، والجناس، وردّ

(١) طه حسين، تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبدالقاهر، ترجمة: عبدالحميد العبادي. ضمن كتاب: قدامة بن جعفر، نقد النثر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ١٢، ١٣.

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس - منير البعنكبي، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨ م، ص ٢٣١، ٢٣٢.

"أصلٌ في البلاغة العربية، وهذه البلاغة التي قدّمتها تتّصف بالأسالة"^(٥)، وهو في معظم أنواع البديع التي رصدها كان يتكئ على ثقافةٍ عربيةٍ، فإذا قرئ تعريفه للاستعارة - على سبيل المثال - بتعريف أرسطو تبيّن أنَّ ابن المعتز "في تدوين البلاغة العربية كان يعتمد على نفسه، وعلى ذوقه شاعرًا دراكاً للمعنى وللتصرف فيها، كما كان يعتمد على ذوق اللغة العربية التي أمدته بكثيرٍ من الشواهد والأمثلة"^(٦)، كما أنَّ بحثه للجنس لا نرى فيه اتصالًا تفكيريًّا أو تقريريًّا يسمح لنا بالقول بأنَّ ابن المعتز عرف الجنس اليوناني على النحو الذي قرره أرسطو لفرق الواسع بين ما عرضه العالم العربي، وما عرضه المعلم الأول"^(٧)، وقل ذلك عن بقية معظم أنواع البديع التي بحثها.

ولذا كان "من التعسُّف ومجانية القصد أنْ يقال: إنَّ ابن المعتز لم يكن أصيلاً في تأليفه البديع، وأنَّه أخذه عن اليونان، أو اقتدى بما كتبه أرسطو في كتابه الخطابة"^(٨)، فلون الثقافة الشائعة في كتاب البديع "هو الثقافة العربية الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى... ولذلك فهو نتاجٌ عربيٌّ خالص سبق فترة التلقيح التي مررت على تطور البيان العربي

(٥) إبراهيم سلامه، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ١٤٥.
المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٧) دبوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، ط ٥، بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص ٢٧٢.

المعترَّ يبدأ بالكلام على الفنِّ من الفنون البديعية، فيعرّفه إنْ أتيح له ذلك، ثمَّ يأتي بالأمثلة الكثيرة له، ثمَّ يذكر أمثلة لما يعبّر عنه. وأرسطو يفعل ذلك إلا أنَّ الفرق بينهما فرق ما بين المبتدئ وبين البالغ غايته. فأرسطو يعلّم. وابن المعتز لا يعلّم. وأرسطو شامل النّظرة، دقيق المقصود. أما ابن المعتز فقريب النظر متعترٌ في جديده أحياناً^(٩). ويقول أحد الباحثين من هذا الفريق: "إنما نظنُّ الآن أنَّ كتاب البديع قد تأثر بشيءٍ من خطابة أرسطو؛ لأنَّه كان أولَ محاولةٍ منتظمةٍ للخروج من أفق النقد الجزئي إلى أفق التقنيين والتعميم"^(١٠).

وأما الفريق الآخر النافي للأثر اليوناني فيرى أنَّنا لا نستطيع أنْ نجد في المؤلفات العربية التي تتناول البديع أيَّ اثْرٍ لآراء أرسطو، فهذه المؤلفات تختلف جدًا عن مؤلفات الفيلسوف اليوناني معنًّى ومبنيًّا^(١١)، ومن الصعب "إيجاد آثار لنفوذ اليوناني في نشوء البديع العربي، فقد ولد هذا في بيئه تختلف عن البيئة التي نشأ فيها البديع اليوناني كلَّ الاختلاف"^(١٢). فابن المعتز عند أحد الدارسين

(١) نجيب محمد البهبيتي، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٢هـ/١٤٠٢م، ص ١٩٧.

(٢) أرسطوطاليس، كتاب أرسطوطاليس في الشعر، تأله: أبي بشر متى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية: دشكري محمد عياد، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، دراسة المحقق: ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) إغناطيوس كرانشковسكي، دراسات في تاريخ الأدب العربي منتخبات، فصل: "البديع في القرن التاسع"، ترجمة: محمد المعصرياني، موسكو، دار علم، ١٩٦٥م، ص ٣٥.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧.

مناقشة ومحاولة تفسير

أول ما يلفت الانتباه في عرض آراء الفريقيين القائلين بتأثر ابن المعتز بالثقافة اليونانية والنافرين له أنَّ معظم الحديث دار حول كتاب (الخطابة) لأرسطو، وقليلًا ما ذُكر كتابه الآخر (في الشعر)، وربما كان السبب في ذلك تأخر وفاة مترجم كتاب في الشعر متى بن يونس الفنائي (٥٣٢٨هـ) عن وفاة ابن المعتز، بينما تُسبِّب ترجمة كتاب (الخطابة) إلى معاصره إسحاق بن حنين (ت ٢٩٨هـ)، ولما جاء في الفصل الذي خصصه أرسطو في هذا الكتاب للعبارة.

والذين نسبوا ترجمة كتاب الخطابة إلى إسحاق بن حنين اعتمدوا في ذلك على قول ابن النديم: "الكلام على ريطوريقا: ومعناه الخطابة يصاب بنقلٍ قديم، وقيل: إنَّ إسحاق نقله إلى العربي. ونقله إبراهيم بن عبد الله. وفترة الفارابي، أبو نصر. رأيت بخطِّ أحمد بن الطيب هذا الكتاب، نحو مائة ورقة بنقلٍ قديم"^(٨). وشكك بعض الدارسين في نسبة هذه الترجمة لإسحاق، ورأوا أنَّ هناك نقلًا قديمًا لكتاب، وترجمة مبكرة لكتاب مجهولٍ صاحبها، إذ يقول محقق كتاب الخطابة معلقاً على ابن النديم: "وأمَّا قوله: (إنَّ إسحاق نقله إلى العربي) - ويقصد هنا إسحاق بن حنين - فأمَّرْ يدعو إلى كثيرٍ من

بعد عهد ابن المعتز"^(١). وكتاب البديع أُلفَ "مقاومةً لمن يلتمسون قواعد البلاغة في المصنفات اليونانية"^(٢)، إذ كان "من غايات ابن المعتز، في دفاعه عن أصالة الأدب العربي، الردُّ على من راح يلتمس قواعد البلاغة في كتب اليونان، ليواجه الشعوبين والمفتونين باليونانيات"^(٣)، فالآراء القائلة بتأثر ابن المعتز بأرسطو لا سند علمي لها؛ لأنَّ نظرَةً عابرةً في كتاب البديع تردُّ هذه الآراء وتتقضِّها، فكلَّ ما فيه عربيٌّ صميم"^(٤)، فلقد كانت حلقات "الدرس البلاغي والنقدِي تتكافُفُ في خطِّ عربيٍّ خالٍ هذه السنين التي تمتَّدُ بين وفاة الحافظ ووفاة ابن المعتز، وتغطي القرن الثالث ومنتصفه"^(٥)، فكان "من الطبيعي أنَّ يكتب ابن المعتز في البديع لا عن تأثِّرٍ بما كتب أرسطو، بل بدافعٍ عربيٍّ خالص"^(٦)، فالبديع "فُنْ عَرَبِيٌّ أَصِيلٌ نَشَأَ في أحضان الدراسة اللغوية والأدبية، ومن هذه الدراسة استقى ابن المعتز مصطلحاته وموضوعاته"^(٧).

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد .٥٩٨ وبيان، ص ٧٠.

(٢) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ٧٠.

(٣) عباس أرحيلة، الآثار الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ص ٣١٧.

(٤) د.أحمد طلوب، مناهج بلاغية، ص ١٢٥.

(٥) د. كامل حسن البصیر، بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣٠.

(٦) رجاء عبد، المذهب البديعي في الشعر والنقد، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص ٣٧.

(٧) الواسطي، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، ص ٣٥.

(٨) ابن النديم، الفهرست، تحقيق: د. ناهد عباس عثمان، ط١، الدوحة، دار قطرى بن الفجاءة، ١٩٨٥م، ص ٥١٣.

الترجمة وفسادها بصورة بارزة جدًا تقضي على المعنى كله. وما ذكرنا هذه التنبیهات على موضع السقم إلا على سبيل التمثيل، فھیھات أئن يتم حصرها وهي لا تحصى^(٤). ويقول دارس آخر عن هذه الترجمة: "ليس هناك ذکاء بشريًّا يستطيع أن يفقه معنى للألفاظ المرصوصة التي نجدها في الترجمة العربية كما وصلت إلينا"^(٥). وهذا ما يجعلنا نضع محاذير حول إفاده ابن المعتز من هذه الترجمة التي أساءت فهم كتاب الخطابة، وليس ذلك بداعف نزعه تحاول رد الإلقاء من الثقافات الأخرى، ولكن الواقع العلمي لا تساعد على قبول فرضية التأثر، فبالإضافة إلى ما سبق نورد الآتي:

- يذكر أول الباحثين المعاصرین القائلين بتأثر ابن المعتز بالثقافة اليونانية الذين نقلنا نصوصهم سابقاً أنه لم يتح له أن يطلع على كتاب البديع، واعتمد في حكمه على ما نقل عن الكتاب في كتب أخرى. والحكم بتأثر كتاب لا يكفي فيه هذا الاطلاع، بل يجب أن يكون وفق فحصٍ دقيقٍ، يسرّ غور الكتاب، ويتبّع فيه حركة الأفكار ونموها ضمن بنية الكتاب نفسه، لا خارجها، لتتيسّر سُبُل رذها إلى مصادرها، ومعرفة ما أضافه الكاتب، وما أفاده من الآخرين.

الشك؛ لأنه لو كان قد ترجمه لكان ابن السمح، الذي عنه نقلت الترجمة التي بين أيدينا، قد لجأ إلى نسخه بدلاً من هذه الترجمة السقیمة جدًا^(١)، ويقول دارس آخر: "ونجد ابن النديم يشکك في الترجمة الثانية المنسوبة إلى إسحاق بن حنين، فهو يتردّد في قبول هذه الرواية التي يصدرها بكلمة (قيل)"^(٢).

وإذا ما رحنا نبحث عن حال هذه الترجمة القديمة وجدنا محقّقها يقول عنها: "والترجمة العربية التي نقدمها جاءت ويا للأسف سقیمة، انحرفت عن معاني النص وأساءت فهمه، وعبر المترجم - المجهول لنا - عما فهمه أو بالأحرى أساء فهمه بألفاظ واصطلاحاتٍ غريبة يعسر على المرء أن يفهم السر في التجاھه إليها: ذلك لأنَّ هذه الترجمة ترجع إلى المرحلة الأقدم في ترجمة مؤلفات أرسطو المنطقية، أم لأنَّ المترجم كان بعيداً عن المنطق ومصطلحاته فكان يترجم لغوية حرفيَّة؟"^(٣)، ويضيف أيضًا قائلاً: "وجدنا السقم يشمل كلَّ صفحَة تقريباً، لذا لم نتعقب كلَّ موضع من مواضع الترجمة بالتنبيه عليه في الھامش وإيراد ترجمة صحيحة للنص السقیم، وإنَّا لكان علينا أولى من هذا كله أئن نعيد إصلاحه كله عبارة عبارة. ولهذا لم يكن في وسعنا إلَّا التنبيه على بعض المواضع التي يلوح سقم

(١) أرسطوطالیس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، حقّقه وعلّق عليه: عبدالرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م، مقدمة المحقق: ص. ز.

(٢) عباس أرجيلة، الآثار الأرسطي في النقد والبلاغة العربيَّين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ص. ٢٨.

(٣) أرسطوطالیس، الخطابة، مقدمة المحقق: ص. أ.

(٤) المصدر نفسه، ص. ك.

(٥) ابن سينا، الخطابة من كتاب الشفاء، ط١، حقّقه: د. محمد سليم سالم، تصدیر ومراجعة: إبراهيم مذکور، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م، مقدمة المحقق: ص. ٢٠.

متأثراً بالبلاغة اليونانية، بل بالمنطق اليوناني. يقول في سياق ذلك: "فكثرة إرجاع الروابط إلى متعلقاتها، وقيام العلم مقام الشاهد العدل، وهذا العلم يجادل ويحتاج، ولها أمرٌ جاءتهم من المنطق اليوناني لا من البلاغة اليونانية"^(٤).

- لقد أغرت القائلين بالأثر معاصرة ابن المعتز لإسحاق بن حنين، ولكنَّ ترجمة إسحاق لخطابة أرسطو يحوم حولها شكٌّ كبير كما أسلفنا، وسوء الترجمة العربية القديمة وركاكتها يجعل التعويل عليها في الحكم بالتأثر صعباً.

- قَلَ الحديث عن تأثر ابن المعتز بكتاب (في الشعر) بسبب تأخر وفاة مترجمه، ويضاف إلى ذلك أنَّ هذا الكتاب لم يبحث تلك الأساليب التي يُظن مشابهتها لفنون البديع، فهو "لا يذكر من هذه الأساليب إلَّا الاستعارة"^(٥)، ولذلك فإنَّ محقق الكتاب عندما قال بتأثر ابن المعتز بأرسطو لم يجعل هذا التأثر من خلال هذا الكتاب، بل جعله من خلال كتاب الخطابة، مع ملاحظة أنه بنى حكم التأثر خطابة أرسطو على الظن لا اليقين^(٦) كما يتضح في رأيه الذي نقلناه أثناء عرض الآراء، وهذا ما يعزز صعوبة إثبات الأثر.

- عَوْل اثنان من الباحثين المعاصررين على توارد بعض فنون البديع بين خطابة أرسطو وبديع ابن المعتز. وفي حقيقة الأمر أنَّ طبيعة هذه الفنون في كتاب الخطابة مغايرة لطبيعة مجئها في كتاب البديع. فهي تأتي في كتاب الخطابة ضمن سياق الإقناع "وبديهي أن يكون التحسين اللغوي هامشياً ما دام الإقناع هو الأساس، وهو المتحكم من هذا الجنس من القول"^(١)، في حين أنَّ الشعر العربي الذي اتَّكَأَ عليه ابن المعتز كثيراً في رصد المحسنات "لا يستهدف أساساً الإقناع إذ إنَّه ليس خطابة، كما أنَّه لا يستهدف السرد؛ لأنَّه ليس فنَّا قصصياً، إنه شعرٌ غنائي يجعل من الأداة الثانوية في الخطابة والتراجيديا أداته الأساسية المميزة"^(٢).

- ويزيد ذلك تأكيداً أننا وجدها أحد أكثر الدارسين العرب د. إبراهيم سلامه - حماسة لربط البلاغة العربية ببلاغة أرسطو يقف في صفِّ الفريق النافي لتأثر ابن المعتز، فقد تناول فنون البديع التي ذكرها ابن المعتز مثبتاً في كلِّ فنٍّ أصالة ابن المعتز^(٣)، ومثمناً اثناء عرض الآراء ببعض آرائه في ذلك. واستثنى هذا الدارس فنَّا واحداً وهو (المذهب الكلامي)، وحتى هذا الفن الذي استثناه لم يجعله

(١) الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقد، ص ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣) ينظر: إبراهيم سلامه، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ١١٠ - ١٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٥) أرسطوطاليس، كتاب أرسطوطاليس في الشعر، دراسة المحقق: ص ٢٣٢.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

● وقوع كتاب البیدع في بدايات استقلال البحث البلاغي والنقدی، وتخليص مباحثهما من تبعية العلوم الأخرى. فلم تكن في هذه المرحلة مباحث الحقولين البلاغي والنقدی قد أخذت استقلالهما التام، فجاء الكتاب معبراً عن هذه المرحلة التي تتشد استقلال الحقولين عن تبعية العلوم الأخرى، ولكن حدود الفصل بينهما لم تكن قد استقرت.

● مجيء كتاب البیدع في طور بداية انتقال الثقافة العربية من الشفاهية إلى الكتابة حين لم تكن تقاليد الكتابة نالت حظها من التداول والثبات، فجاء الكتاب حاملاً بعض صفات المرحلة السابقة، إذ لم يكن من اليسير التخلص منها كلياً في هذا الطور. وأظهر ما يدل على ذلك قلة النصوص النظرية في الكتاب التي لا تعدو بضع صفحات لا يُستبان فيها خطأ الكتاب، وسير العمل فيه، وأسس تبويه.

● طبيعة لغة الكتاب الموجزة، فبالإضافة إلى قلة التنظير على مستوى تقاليد الكتابة وصناعتها فإن تعريف الفنون به مقتضب، والتعليق على الشواهد نادر يعبر عن الانطباع أكثر من التحليل والتعليق.

● المفارقة بين دلالة النصوص النظرية والجانب التطبيقي في الكتاب، فلم يكن التطبيق مجازياً لدلالة تلك النصوص، بل كان يجيء في أكثر من حين مغايراً لها، فالنصوص النظرية تنزع نحو ترسیخ التقاليد الثقافية العربية القديمة، والجانب التطبيقي ينزع نحو شعر المحدثين، ولهذا ربما حمل

- إنَّ ما قدَّمه أحد الدارسين^(١) من مقارنة بين نصٍ من كتاب (في الشعر) لأرسطو ونصٍ من كتاب (البیدع) لابن المعتز لا يدعو أن يكون من المشابهة العامة^(٢)، إذ إنَّ معظم الفنون الإنسانية تطلب الاعتدال والاتزان دون مغالاة وإسراف، وهذه المقارنة لا تنهض دليلاً كافياً على معرفة ابن المعتز لكتاب (في الشعر).

خاتمة

وبعد هذه الدراسة لتباين الباحثين المعاصرین حول تصنيف كتاب البیدع لابن المعتز، ودواعي تأليفه، وتقسيمه، وعلاقته بالثقافة اليونانية، نخلص إلى أنَّ أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التباين هي:

(١) نجيب محمد البهبيتي، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره، ص ١٩٧، ١٩٦.

(٢) النصان هما:

- يقول أرسسطو في كتابه الشعر: "وإذا اصطنع الإنسان الاستعارات، والصيغ المنحوتة، والصور الأخرى المغيرة، دون مراعاة للاعتدال، وقع في نفس ما بيناه سابقاً من إضحاك القارئ من نفسه. ولكن لتقدير فعل تلك الصيغ الشعرية حين يستخدمها الإنسان في اعتدال، يكفي أن يدخلها في بيت واحد. وأماماً عن العبارات الغريبة، والاستعارات والصيغ الأخرى، فسترى صحة ملاحظتنا حين تستبدل بها الكلمات الدالة على الحقيقة".

- يقول ابن المعتز في مقمة كتابه البیدع: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن، واللغة، وأحاديث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ)، وكلام الصحابة، والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البیدع؛ ليعلم أنَّ بشارةً ومسلماً وأبا نواس ومن تقبّلهم، وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثُر في أشعارهم فعُرف في زمانهم حتَّى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلَّ عليه. ثمَّ إنَّ حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغف به حتَّى غلب عليه، وتفرَّع فيه، وأكثر منه... وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفنَ البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أنَّ يوجد فيها بيتٌ بديع، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً، ويزداد حظوةً بين الكلام المرسل".

كتاب أرسطوطاليس في الشعر، نَقْلٌ: أبي بشر متى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي، حَقْهُ مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية: د. شكري محمد عياد، د.ط، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

● بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس - منير البعبكي، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.

● البصیر، د.کامل حسن، بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنته وتطبيقاته، د.ط، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

● البهبيتي، نجيب محمد، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره، د.ط، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

● التلب، د.إبراهيم عبدالحميد السيد، البديع بين المتقدمين والمتأخرین، ط١، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٨م.

● جرونيباوم، جوستاف، حضارة الإسلام، د.ط، نقله إلى العربية: عبدالعزيز توفيق جاوید، راجعه: عبدالحميد العبادي، القاهرة، مكتبة مصر، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.

● ابن جعفر، أبو الفرج قدامة (ت ٣٣٧هـ)، نقد النثر، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الكتاب صراغاً محتملاً في نفس ابن المعتز بين القوة الناقد النازعة نحو تأصيل النقد عبر البحث عن جذورِ راسخة له، والقوة الشاعرة المتصلة بحركة الإبداع في عصره.

- تعدد خلفيات الباحثين المعاصرین الفكرية؛ لأنَّ تفسير الكتاب يرتبط بذاتية الباحث وبالإطار الثقافي والعلمي الذي يوجهه أثناء قراءة الكتاب، وبالمنطلقات التي يرتكز عليها في فهم الكتاب. ولهذا نجد عدداً من الباحثين المعاصرين الناففين لتأثر ابن المعتز بالثقافة اليونانية في المبحث الرابع هم ممَّن قال في المبحث الثاني: إنَّ ابن المعتز أَفَّ كتابه بداعي الدفاع عن القدماء ضدَّ دعوى المحدثين بسبقهم إلى البديع. وما ذلك إلا لتشابه المنطلقات في تحديد الغاية المنشودة عندهم، وهي إثبات أصلية الكتاب واعتماده على ثقافةٍ عربيةٍ خالصة.

المصادر والمراجع

- أرحيلة، عباس، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربية إلى حدود القرن الثامن الهجري، ط١، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- أرسطوطاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، حَقْهُ وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، د.ط، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م.

- سلام، د.محمد زغلول، ١ - أثر القرآن في تطوير النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ط٣، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- ٢ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري، ط٣، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت.
- ابن سينا، الخطابة من كتاب الشفاء، ط١، حققه: د. محمد سليم سالم، تصدير ومراجعة: إبراهيم مذكر، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م.
- صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس "مشروع قراءة"، ط٣، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م.
- ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، ط١٥، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- طباعة، د.بدوي، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ط٧، جدة، دار المنار للنشر والتوزيع - الرياض، دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م/١٤٠٨.
- دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، ط٥، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩م/١٣٨٨.
- عباس، د.إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط٤، بيروت، دار الثقافة، ١٩٩٢م/١٤١٣.
- جيده، د.عبدالحميد، في قضایا النقد الأدبي عند العرب، د.ط، طرابلس، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.
- حسين، د.عبدالقادر، المختصر في تاريخ البلاغة، ط١، بيروت - القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- الحسين، د.قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، د.ط، بيروت، دار ومكتبة الهلال - جدة، دار الشروق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- خفاجي، د.محمد عبدالمنعم، ابن المعتّر وتراثه في الأدب والنقد والبيان، د.ط، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- داود، د.سلامه جمعه، من مصادر البحث البلاغي، د.ط، مطبعة الشروق، ٢٠٠١م/١٤٢٢.
- زايد، د.علي عشري، البلاغة العربية تاريخها مصادرها منهجها، د.ط، مكتبة الشباب، ١٩٨٢ص.
- النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع، ط٢، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٩٥م/١٤١٥.
- السامرائي، د.مهدي صالح، المجاز في البلاغة العربية، ط١، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- سلامه، د.إبراهيم، بلاغة أرسسطو بين العرب واليونان، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢م.

- الفيل، د. توفيق، من قضايا النقد والبلاغة، د.ط، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٩م.
- فيود، د. بسيوني عبدالفتاح، قراءة في النقد القديم، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٠هـ/١٤٣١م.
- ابن قتيبة، محمد بن عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث والرد على من يريب في الأخبار المدعى عليها التناقض، حقه وضبط نصه وخرج أحاديثه وأثاره وعلق عليه: أبو أسامة سليم بن عبد الهلاي السلفي الأثري، الرياض، ط٢، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩هـ/١٤٣٠م.
- الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، د.ط، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م.
- كراتشوفسكي، إغناطيوس، دراسات في تاريخ الأدب العربي "منتخبات"، فصل: "البيع في القرن التاسع"، ترجمة: محمد المعصراني، د.ط، موسكو، دار علم، ١٩٦٥م.
- المبارك، د. مازن، الموجز في تاريخ البلاغة، ط١، دمشق ، دار الفكر، د.ت.
- عبد المجيد، د. جميل، البيع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، الكامل، حققه وعلق عليه وصنع
- عتيق، د. عبدالعزيز، في تاريخ البلاغة العربية، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، د.ت.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٤، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٦هـ/١٤٠٦م.
- العشماوي، د. محمد زكي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٩م.
- عصفور، د. جابر، قراءة التراث النقدي، القاهرة، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤م.
- العمري، د. محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د.ط، الدار البيضاء - بيروت، أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.
- العوادي، د. سعيد، حركة البيع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوير، ط١، عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٤هـ/١٤٣٥م.
- عيد، رجاء، المذهب البيعي في الشعر والنقد، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف ، د.ت.
- فالح، د. جليل رشيد، "قراءة في كتاب البيع لابن المعتن دراسة وتقديم"، مجلة آداب الرافدين، الموصل، كلية الآداب بجامعة الموصل، العدد (٢٥)، (١٩٩٣م).

- موسى، د.أحمد إبراهيم، *الصيغة البديعية في اللغة العربية*، القاهرة، د.ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
- ابن النديم، *الفهرست*، تحقيق: د. ناہد عباس عثمان، ط١، الدوحة، دار قطری بن الفجاءة، ١٩٨٥م.
- الواسطي، د.محمد، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، ط١، الرباط، دار نشر المعرفة، ٢٠٠٣م.
- الوقيان، خليفة، "ابن المعتز وكتابه البديع"، مجلة البيان، الكويت، العدد (٤٩)، (أبريل ١٩٧٠م).
- يوسف، د.خالد، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- فهارسه: د.محمد أحمد الدالي، ط٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- محمد، الولي، *الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقد*، ط١، بيروت - الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.
- المراغي، أحمد مصطفى، *تاريخ علوم البلاغة والتعریف ببرجالها*، ط١، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
- مطلوب، د.أحمد، *بحوث بلاغية*، د.ط، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- مناهج بلاغية، ط١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ابن المعتز، عبدالله(ت٥٢٩٦)، كتاب *البديع*، اعنى بنشره وتعليق المقدمة والفالرس: إغناطيوس كراتشقوفسكي، ط٣، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- مندور، د.محمد، *النقد المنهجي عند العرب*، د.ط، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.
- موافي، د.عثمان، *الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها*، ط٢، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤م.

Disparity of Views Concerning (*Al-Badie*) book by Ibn Al-Moa'taz A Study of Contemporary Researchers' Opinions (English Abstract)

Abdulla Abdorahman Banqeeb

University College in Al-Qunfeda - Umm Al-Qura University Branch

Abstract: This research studies the issues related to, Al-Badie book by Ibn Al-Moa'taz, upon which there were opposing opinions by contemporary researchers on how it should be understood. The first part of this research has tackled the issue of classifying this book. Secondly, the research looked at the reasons behind authoring this book. Thirdly, the research has discussed the book's chapters. Finally, our research also studied the Greek influence. This research has concluded that this disparity of views is due to several reasons such as: the book was authored at the beginning stage of Arabic culture shifting from oral mode to writing mode, the nature of the brief language used in this book and the contemporary researchers' academic backgrounds and their various intellectual streams.

Key words: Ibn Al-Moa'taz – Al-Badie Book – poetry of al-muhdatheen poets

رسالة الأشباء برفع الاشتباه في علل النحوة

محمد بن عيسى بن كنان الخلوي الصالحي الْمَدْشِقِي

(١٤٥٣-١٤٧٤هـ): دراسة وتحقيق

إعداد: أحمد بن نزال الشمرى - الكويت

مستخلص. يتناول هذا البحث بالدراسة إحدى رسائل التراث العربي القيمة والنفيسة؛ لكونها عن العلل النحوية. وهذا الموضوع من الموضوعات النادرة التي وصلتنا من التراث اللغوی العربی.

والرسالة التي يدرسها البحث ويحقّقها بعنوان (الأشباء برفع الاشتباه في علل النحوة)، وهي لأحد أبرز علماء الشام في عصره خاصة في علم التاريخ، وهو محمد بن عيسى بن كنان الخلوي (ت ١٤٥٣هـ)، وتمثل الجانب النظري للعلة النحوية؛ إذ تناولت الحديث عن نوعي التعليل عند النحوة، وأنواع العلل النحوية الأكثر دوراً عند النحوة، كما عدّت خمساً وعشرين علة، مع التمثيل لكل علة، وخُتمت بالحديث عن يرى ضعف علل النحوة، والرد عليهم، ثم ذكرت الفرق بين علل النحوة وعمل كل من المتفقهين وعلماء الكلام.

وقد سبق تحقيق الرسالة بدراسة للمؤلف تقصّت اسمه ونشاته وشيوخه وحياته العلمية وتلامذته ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطية مع ذكر أماكن نسخها فيما أتيح للباحث من مصادر، ثم خصّت الدراسة بعد ذلك الرسالة (موضوع التحقيق)، فعرضت لموضوعها ومنهج المؤلف فيها ومصادره وقيمتها العلمية مع تسجيل بعض الملاحظات حول الرسالة، ثم وثّقت نسبتها إلى مؤلفها ووصفت النسخة الخطية للرسالة، ذاكرة منهاج التحقيق المتبّع فيها. وختم ذلك كله بذكر قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: العلل النحوية - المخطوطات العربية - رسالة الأشباء.

رسالة (الأشباء برفع الاشتباه في علل النحوة)

مقدمة

رسالة قيمة، ونفيسة من نفائس ذخائر تراثنا العربي والإسلامي، ونادرة من نوادر المصنفات في علم

الحمد لله وحده مستحق الحمد، والصلوة

والسلام على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد...

التّظير للّعلل والّعللة غاية خالصة للتأليف فيها،
كحديث ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) في خصائصه، وأبي
البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) في رسالته (المع
الأدلة)، وابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه
(الرّد على النّحاة)، وجلال الدين السيوطي
(ت ٩١١هـ) في كتابه (الاقتراح).

٣- غالب ما وصل إلينا في الحديث عن العلل
الّحووية يمثل الجانب التطبيقي - نسبياً - ونعني بها
تّعليل الأحكام في الأبواب النّحوية، كتاب العلل في
الّحو لأبي الحسن الوراق (ت ٣٨١هـ)، وشرح عيون
الإعراب لأبي الحسن المجاشعي (ت ٤٧٩هـ) وأسرار
العربية لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، واللّباب
في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكري
(ت ٦١٦هـ).

٤- هذه الرّسالة تمثل الجانب النّظري للّعلل والّعللة
عند النّحاة، بتناول أنواع التّعليل والّعلل، وجوانب
أخرى تتعلق بالّعللة عند النّحاة، وهو الجانب الذي لم
 يصل إلينا ما حُلّ من مؤلفات في التّصنّيف فيه.

٥- نشر التّراث العربي بين أيدي القراء .

٦- استكمال الفائدة فيما كتب عن العلل النّحوية
ليكتمل عقدها.

وقد قسم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام، هي:
أولاً: ترجمة المؤلف: وقد تناول البحث فيه اسمه
ونسبه ولقبه وموالده وأسرته ونشأته وشيوخه وحياته
العلمية وتلامذته ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطية
والمفتوحة ووفاته .

الّحو العربي عموماً، وعلى وجه الخصوص في علم
أصول النّحو، لمؤلفها: محمد بن عيسى بن كنان
الخلوتى الصالحي، المتوفى سنة ١١٥٣هـ؛ ذلك
لأنّها تتناول جانبًا من الجوانب المهمة في علم النّحو
العربي، وهو التّعليل النّحوى.

وقد دفعني إلى تحقيق هذه الرّسالة وإخراجها
للقراء ما يأتي:

١- أنّ هذه الرّسالة في موضوع التّعليل النّحوى،
وفي العلل النّحوية، وهو موضوع قام النّحاة بإخلاص
التأليف فيه؛ لما له من أهمية كبرى في تأصيل
التعييد النّحوى، غير أنّ ما وصل إلينا من هذه
المؤلفات قليل، مع العلم أنّ التّأليف فيها بدأ منذ
مرحلة مبكرة.

٢- أنّ ما وصل إلينا من تراثنا العربي والإسلامي
من تأليف في التّعليل والّعللة النّحوية من الجانب
النّظري قلّ فيه التّظير الخالص للّعللة النّحوية إذا ما
استثنىت الأحاديث المترفرفة في بطون الكتب النّحوية
الخالصة للأبواب النّحوية والصرفية كحديث ابن
السّراج (ت ٣١٦هـ) عن تقسيم العلل في بداية كتابه
(الأصول في النّحو)، وأبي القاسم الزجاجي
(ت ٣٣٧هـ) في كتابه (الإيضاح في علل النّحو) {مع
أنّه ذكر في مقدمته أنّ غاية التّأليف هي علل
الّحو، إلا أنّ لم يتقص العلل، وتناول مسائل أخرى
غير التّعليل والّعللة}، والدينوري (ت ٤٩٠هـ) في
كتابه (ثمار الصناعة)، أو الأحاديث المترفرفة في
بطون الكتب النّحوية الخالصة للأبواب أخرى ليس

الخلوئية التي كان شيخاً فيها حفأً لأبيه الشيخ عيسى الملقب بزين التقاة، وإلى الحنفي مذهبًا، وقد يُنسب إلى جده كنان، فيقال: الكناني^(٤)، أو إلى مدينة دمشق^(٥).

وقد يُنسب في كثير من الأحيان إلى المذهب الحنفي، وممّن نسبه إلى المذهب الحنفي المرادي (ت ١٢٠٦هـ) في (سلك الدرر)، والبغدادي (١٣٩٩هـ) في (هدية العارفين) و(إيضاح المكنون)، وعمر رضا كحاله في (معجم المؤلفين)، وخير الدين الزركلي في (الأعلام)، وغيرهم.

وقد ورد في ترجمة ابن كنان في فهرس التيموري ما يدلّ على إخلاص نسبته إلى المذهب الحنفي، وتخطئة ما عداه^(٦)، وهو قول المفهوس: "تبيبة جاءَ في الرسالة المشتملة المذكورة مُنْعَوْتًا بالحنفي، وهو خطأً من النَّاسِخِ"^(٧).

غير أن ذلك ليس فيه دليل على احتمال خطأ الناسخ؛ فقد وردت نسبته إلى المذهب الحنفي في أكثر من مخطوط لابن كنان، فلا يتصور اتفاق الناسخ على الخطأ^(٨).

(٤) ينظر: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الدرر، ٨٥ / ٤، ٨٦ / ٤، ٨٦، والغزي (١٢١٤هـ)، سلك الدرر، ٨٥، ٨٥ / ٤، ٨٥، وجرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ٣٢٥ / ٣.

(٥) يقدر تأريخ أداب بروكمان بنسبته إلى العباس (العتاسي) بالإضافة إلى الحنفي. ينظر: كارل بروكمان، تاريخ الأدب العربي، ٩٩ / ٨، ٩٩ / ٨، تأثيث عن أن من المترجمين من أخذوا نسبة ابن كنان إلى المذهب الحنفي. ينظر على سبيل المثال: كارل بروكمان، تاريخ الأدب العربي، ٨ / ٩٩، وأكرم العلي محقق كتاب (الحوادث اليومية)، ص ٢٨ (مقدمة المحقق). وقد جمع محمد مطيع ود. نزار أباظة بين المذهبين في النسبة، فذكر أنَّه حنفيٌّ حنفيٌّ. ينظر: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري، ٢٤٦ / ٢.

(٦) فهرس الخزانة التيمورية، ٣ / ٢٥٩.

(٧) منها نسخة برلين، رقم (٧٢٨٣) من رسالة ابن كنان المسماة بـ (الرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسملة).

ثانيًا: دراسة الرسالة: وقد تناول فيه موضوع الرسالة وأقسامها ومنهج المؤلف وأسلوبه ومصادره وقيمتها من بين كتب علَى التحو وأهميتها، ذاكراً أهم الملحظات عليها، موثقاً عنوان الرسالة ونسبتها إلى مؤلفها، واصفاً النسخة الخطية منها، عارضاً منهج التحقيق المتبع فيها، ونماذج من النسخة المخطوطة.

ثالثاً: النص المحقق .

وقد انتهى البحث بذكر قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة والتحقيق.

أولاً: ترجمة المؤلف^(٩)

اسميه ونسبه ولقبه:

هو محمد بن زين التقاة عيسى بن محمود بن محمد بن محمد بن كنان^(١٠) الصالحي الخلوي الحنفي، نسبة إلى قرية الصالحي^(١١) في مدينة دمشق، وهي القرية التي ولد فيها، وإلى الطريقة الصوفية

(١) ينظر في ترجمة ابن كنان مثلاً: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الدرر، ٨٥ - ٨٦، والغزي (١٢١٤هـ)، سلك الدرر، ٨٦، اللعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٨٠-٢٧٩، والبغدادي، هدية العارفين، ٣٢٥ / ٢، والزركلي، الأعلام، ٣٢٣ / ٦، وصلاح الدين المتخذ، معجم المؤرخين والمشتفيين وأثارهم المخطوط والمطبوعة، ص ٣٤٣-٣٤٥، ٣٤٥-٣٤٦، وعمر رضا

كحاله، معجم المؤلفين، ٥٧٦-٥٧٥ / ٣، ٥٧٦، ٣٢٦-٣٢٥ / ٣، ٣٢٦، ٦٣٩، و محمد أبيب الحنفي، منتخبات التوارييخ لدمشق، ٦٣٩، و محمد مطبع ونزار أباظة، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري، ٢٤٦ / ٢، ٢٤٦ / ٢-٢٥١. (كنان) يفتح الكف والنون المشددة-كذا ضبطها أكثر المحققين والمترجمين والمفهوسين لكتبه.

(٢) ذكر الشيخ محمد أحمد دهمان أن تشديد الثنو لهذا الاسم هو المعروف عند أهل الصالحة، وقد ورد في أصل كتاب (المروج السنديسي) المخطوط بشد الثنو. ينظر: ابن كنان، المروج السنديسي الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحة، مقدمة المحقق (هـ)، حاشية رقم (١). وقد أكد على ذلك ودلل عليه أصنا في ملائق الكتاب، ص ١١٨.

ونص ابن كنان نفسه في كتابه (المروج السنديسي) على تشديد الثنو، وذلك حينما ذكر ثجَّار الصالحة، وعدّ منهم عائلته بنى كنان بقوله: "بنو كنان-بالتشديد". ينظر: ابن كنان، المروج السنديسي الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحة، ص ٦٤.

(٣) الصالحة قرية كبيرة من قرى دمشق، فيها قبور لصالحين، وأهلها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. وهناك أكثر من مكان يسمى بالصالحة، أشهرها التي قرب الرها من أرض الجزيرة. ينظر: ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ٣ / ٣٨٩-٣٩٠، وابن كنان، المواكب الإسلامية في المحسن الشامي، ١ / ٣٨٠.

علومًا متنوعة من أشهر علماء دمشق، كما قصد بيت الله الحرام حاجاً، والتلى فيها بأشهر علماء الحديث الشريف، ثم عاد إلى دمشق، وتولى مشيخة الطريقة الخلوتية بعد وفاة والده الشيخ عيسى إلى أن توفاه الله^(١٣).

شيوخه:

أشار ابن كنان في كتابه (الحوادث اليومية) إلى كثير من شيوخه، من أشهرهم والده الشيخ عيسى ابن محمود الصالحي (ت ١٠٩٣هـ)، أخذ عنه التصوف والطريقة، وعثمان بن محمود الكفرسوسى، الشهير بالقطان (ت ١١١٥هـ)^(١٤)، لازمه بالجامع الأموي مدة، وحضر عنده إقراء شرح (جمع الجوامع) عليه، وإبراهيم بن حسن الكوراني (ت ١٠١١هـ)^(١٥)، لقيه حينما مر بالمدينة المنورة في حجته، وقد أخذ عنه الحديث الشريف، وخليل بن عبد الرحمن بن أبي الفضل الموصلي (ت ١١١٤هـ)^(١٦)،قرأ عليه جزءاً من (جمع الجوامع) في أصول الفقه، ورسالة (الأندلسية) في علم العروض، وعبد الرحيم بن محمد الكابلي (ت ١١٣٥هـ)^(١٧)، أخذ عنه جزءاً من المنطق والفلك.

كما ذكر ابن كنان كثيراً من شيوخه في كتابه (المواكب الإسلامية) دون تفصيص على العلم الذي

(١٣) ينظر: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الترر، ٤/٨٥.
 (١٤) ينظر ترجمته: ابن كنان، الحوادث اليومية، ص ٨٤-٨٥، والمرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الترر، ٣/١٦٧-١٦٧.
 (١٥) ينظر ترجمته: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الترر، ١/٦-٥.
 (١٦) ينظر ترجمته: ابن كنان، الحوادث اليومية، ص ٥٧، والمرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الترر، ٢/٩٨.
 (١٧) ينظر ترجمته: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الترر، ٣/٩٠-٩١.

وذكر حكمت إسماعيل محقق كتاب (المواكب الإسلامية) أنه ربما تحف فيما بعد^(٩).

مولده وأسرته ونشاته:

ولد الشيخ محمد سنة ١٠٧٤هـ في دمشق في قرية معروفة فيها يقال لها الصالحة^(١٠)، قد تضاف إلى دمشق، فيقال لها: صالحية دمشق؛ تغريقاً بينها وبين غيرها من المحال.

وأسرة الشيخ محمد أسرة مشهورة بالصلاح والتدين والعلم؛ لأنهم أصحاب طريقة صوفية اشتهرت في أكثر من بلد إسلامي، منها دمشق، وهي الطريقة الخلوتية، بذلك على ذلك تولى الشيخ محمد مشيخة الطريقة الخلوتية بعد وفاة والده، ثم تولى ابن الشيخ محمد مشيخة الطريقة بعد وفاته^(١١). نشأ ابن كنان في كنف والده عيسى الملقب بزین النقابة^(١٢)، وهو أحد أشهر شيوخ الطريقة الخلوتية الصوفية في عصره، وقد أخذها عنه، ونهل

(٩) ينظر: ابن كنان، المواكب الإسلامية في المحاسن الشامية، ١٣٢/١ (مقدمة المحقق).

(١٠) ينظر بتفاوت بين المصادر في تاريخ مولده ومكانه مثل: المرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الترر، ٤/٨٥، والبغدادي، هدية العارفين، ٢/٣٢٥، وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٨/٩٩، وجرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/٣٢٥.

(١١) هو الشيخ محمد سعيد. ينظر في توليه المشيخة بعد والده، وتولى والده بعد جده: المرادي، سلك الترر، ٤/٨٦-٨٥. هذا وقد ترجم الميداني لأحد أبناء الشيخ محمد، وهو الشيخ عبد الله، المشهور بالكتاني، وذكر أنه شيخ الطريقة الخلوتية، وقد أخذ المشيخة عن جده الشيخ عيسى. ينظر: الميداني (١٣٣٥هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ص ١٠٠٧.

(١٢) هو عيسى بن محمود بن محمد بن كنان الحنبلي الصالحي الخلوتى، أحد أصحاب الطريقة الخلوتية الصوفية، ولد سنة (١٠٤٢هـ) في صالحية دمشق، نشأ فيها ودفن، سافر مع والده إلى مصر أكثر من مرة، فأخذ الفقه عن ابن بليان وابن مرعي الكرمي والتلى عبد الباقى الحنبلي وغيرهم، وعاد إلى دمشق، فأخذ الطريقة عن أحد أبرز شيوخها في زمانه، وهو: محمد العباسى، ثم أخذ عن الشيخ عيسى خلق كثير. توفي سنة (١٠٩٣هـ)، ودفن في الصالحة. ينظر في ترجمته: المحيى (١١١١هـ)، خلاصة الآثار في أعيان القرن الحادى عشر، ٣/٢٤٣-٢٤٤، والغزى (١٢١٤هـ)، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٥٢-٢٥٣، وقد ترجم له ابنه قى كتابه: يوميات شامية، والمرادي (١٢٠٦هـ)، سلك الترر، ١/١٣٢.

بن محمد بن سليم الشافعي الصالحي (ت ١٢٠٠ هـ)، المشهور بالسليمي (٢٥)، وغيرهما (٢٦). مؤلفاته:

أولاً: المؤلفات المطبوعة:

المرجع السنديّة الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية (٢٧)، والمواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية (٢٨)، والزهور البهية في أصول العلوم الفقهية (٢٩)، وحدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلطانين (٣٠)، والحوادث اليومية من تاريخ إحدى عشرة وألف ومائة (٣١)، والرسالة المفردة في أربعين حديثاً مسندة (٣٢).

أخذه (١٨)، ومنهم من يذكره في كتبه على أنه كتب له تقريرياً على بعض مؤلفاته (١٩).

حياته العلمية:

كان ابن كنان محباً للعلم، فقد كان ملزماً أباً في بداية عمره، طالباً العلم من أشهر علماء عصره في دمشق، ولقي في حجته إبراهيم الكوراني (ت ١١٠١ هـ)، فأخذ عنه الحديث الشريف.

وكتاب (المواكب الإسلامية) يعكس لنا مدى الثقافة الواسعة التي كان يحملها ابن كنان (٢٠)، وفي كتابه (الحوادث اليومية) يحكى لنا جلساته العلمية مع شيوخه وأصحابه وتلاميذه في منزله، ومن هذه العلوم: علوم الحديث والفقه وأصوله والنحو والأدب وغيرها (٢١)، وقد درس في المدرسة الخديجية المرشدية (٢٢).

تلاميذه:

لما كان ابن كنان مقصد طلاب العلم، وخلفاً لأبيه في مشيخة الطريقة الخلوتية، كثر طلابه ومربيوه (٢٣)، فمنهم على سبيل المثال: محمد بن عبد المحسن الحنفي الصالحي (ت ١١١٥ هـ) (٢٤)، وعلى

(٢٥) ينظر في ترجمته وأخذه العلم عن ابن كنان السابق، ٢١٩ / ٣.
(٢٦) ينظر مثلاً: السابق، ١٠ / ٣ - ١١، ٣٠٨ - ٣٠٤، والغزى (٢٤) / ٢، النعت الأكمل، ص ٣١١ - ٣١٤.

(٢٧) بتحقيق: الشیخ محمد احمد دهمان. وقد نشرته مديرية الآثار القديمة في دمشق، سنة ١٩٤٧، وهو كتاب في تاريخ الصالحية.

(٢٨) حقق الشیخ محمد احمد دهمان جزءاً بسیراً، ونشره مع تحقيقه لكتاب: إعلام الوری لابن طولون (ت ٨٥٣ هـ). وقد طبع في دار الفكر بدمشق طبعتين، ١٩٦٤، ١٩٨٤، و يقع في الطبعة الثانية في ص ٣٢٥ إلى ص ٣٣١ من الكتاب المحقق، وقد طبع كاملاً بتحقيقين، نشرة وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، سنة ١٩٩٢، ١٩٩٣، ونشرة دار الأفاق العربية في القاهرة، سنة ٢٠٠١ م.

(٢٩) حققه بهذا الاسم أساميحة كحيل، ونال به درجة الماجستير من كلية الشريعة، جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٨٣، وقد سجل هذا الكتاب قبل أكثر من سنتين في جامعتين رسالة لنيل درجة الماجستير، الأولى: الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، سنة ٢٠١٣ م، للطالب: محمد بن صالح بن محمد، والثانية: جامعة القصيم، سنة ٢٠١٣ م، للطالب: سعد بن عبد الشفري.

(٣٠) بتحقيق: عباس صباغ. وقد نشرته دار التفاصي في بيروت، سنة ١٩٩١، وهو كتاب تاريخي لغوی. وقد ذكر محقق كتاب (المواكب الإسلامية)، ١٢٣ / ١٢٣ أن محمد دهمان الحق جزءاً منه بكتاب (إعلام الوری) لابن طولون السالف الذكر في طبعته الأولى.

(٣١) بتحقيق: أكرم الطبي، والكتاب منشور في دار الطبع في دمشق، سنة ١٩٩٤، وهو كتاب مذكورات وتاريخ.

(٣٢) تحقيق: مضاوي نايف المطيري. وهي رسالة جامعية نالت بها درجة الماجستير من كلية الشريعة، جامعة الكويت، سنة ٢٠٠٩.

(١٨) منهم ابن العماد الحنبلي. ينظر: ابن كنان، المواكب الإسلامية، ٤١ - ٤٢.

(١٩) منهم ملا إلياس الكوراني، وحقى أفندي، فقد كتبوا له تقريرياً على نسخة مخطوط (الرسالة المنشتملة على أنواع الدبيع في المسملة).

(٢٠) ثقافته التاريخية لابن كنان واضحة من حل ما في كتابه، أما الأدبية واللغوية فتمثل في النصف الآخر من الجزء الثاني لكتابه.

(٢١) ينظر في هذه الجلسات على سبيل المثال: ابن كنان، الحوادث اليومية، ص ٩، ١٢، ٢١، ٢٢.

(٢٢) صرخ الشیخ محمد بذلك في كتابه: يوميات شامية، والمدرسة المرشدية هي إحدى مدارس الحنفیة. ينظر: ابن كنان، حدائق الياسمين في ذكر قوانین الخلفاء والسلطانين، ص ١٥٢.

(٢٣) ينظر فيما أخذ عن ابن كنان من العلماء: المرادي (١٢٠٦ هـ)، سلك الدرر، ٨ / ١، ١٣٢.

(٢٤) ينظر في ترجمته وأخذه العلم عن ابن كنان السابق، ٤ / ٦٤.

والتبىه^(٤٥)، وتاريخ معاہد العلم في دمشق^(٤٦)، والاكفاء في ذكر مصطلح الملوك والخلفاء^(٤٧)، وكوكب الملك في دولة الترك^(٤٨)، والدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد^(٤٩)، والمحاسن المرتبة في الأدوية المجزبة^(٥٠)، والبيان والصراحة في مختصر الملاحة في علم الفلاحة^(٥١)، والإمام فيما يتعلق بالحيوان من الأحكام^(٥٢)، ورسالة عن الحسان وخصائصه^(٥٣)، ومكارم الخلاق لأهل مكارم الأخلاق^(٥٤)، ونزة النقوس ودفتر العلم وروضة

(٤٥) ذكره البغدادي في: هدية العارفين، ٣٢٥ / ٢، ولم يذكره غيره من المترجمين. وهناك إشارة إليه في نسخة مخطوطة من فهرس برلين، رقم

(٤٦) منه نسخة مخطوطة في برلين تحت رقم (٦٠٨٩).

(٤٧) منه نسخة مخطوطة في برلين تحت رقم (٥٦٣).

(٤٨) ذكره البغدادي في: هدية العارفين ٣٢٥ / ٢، وفي (كشف الظنون) ذكر لكتاب بعنوان (كوكب الملك وموكب الترك) غير منسوب إلى أحد.

ينظر: حاجي خليفه، كشف الظنون، ٢ / ١٥٢٣.
وقد بين محقق كتاب (حدائق الياسمين) أن هذا الكتاب لمجهول، إذ ذكر ابن كنان في مقدمة كتابه (حدائق الياسمين) أنه قد ظفر بهذا الكتاب، أي: كوكب الملك، فأخذ منه مراده (ينظر: حدائق الياسمين ص ٢٠، ٤٩)، كذلك ذكر في (ص ٢٠) خطأ وليم الورد في قراءته لمخطوط آخر ورد في إحدى حواشيه اسم هذا الكتاب، فأثبت الورد أنه اسم آخر لكتاب (حدائق الياسمين).

(٤٩) من الكتاب نسخة مخطوطة في المكتبة الأحمدية بطلب، رقم (٢٤١)، وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات، رقم (١٥٢). تاريخ ينظر: صلاح الدين المنجد في: معجم المؤرخين الـمشقين، ص ٣٤٤، ومعجم التراث العربي الإسلامي في مكتبات العالم، ٤ / ٣٠٢٠.

(٥٠) منه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٦٤٥٠).

(٥١) منه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٦٢١١). وهو اختصار لكتاب الملاحة للرضي الغزوي (ت ٩٣٥ هـ).

(٥٢) منه نسخة خطية في برلين، رقم (٦١٧٧)، وهو معجم لأسماء الحيوان مع وصف موجز للأحكام الشرعية المتصلة به.

(٥٣) لم يذكر أحد ممن ترجم لابن كنان هذه الرسالة سوى بروكلمان الذي أشار إلى الكتاب دون شمسيته، فتكر أن لابن كنان كراساً من كتاب عن الخيل وصفاتها، وأشار أيضاً إلى وجود نسخة منه في برلين، تحت رقم (٨١٨٤). ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٠٠ / ٨، وقد نقله عنه محقق كتاب (المواكب الإسلامية)، ١٥١ / ١. وما نقله بروكلمان بحاجة إلى مراجعة، فالرقم الذي أشار إليه ليس فيه ذكر للرسالة ولا لابن كنان، غير أن هناك نسخة خطية في برلين تحت رقم (٦١٨٤) لعلها هي الرسالة المراده لابن كنان، فقد ذكر الورد محتويات الرسالة، ثم ذكر ابن كنان. ينظر:

Ahlwardt, W. Verzeichniss der arabischen handschriften der Königlichen bibliothek zu Berlin, 5 P. 471

(٥٤) منه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٣٣١٥).

ثانياً: المؤلفات المخطوطة والمفقودة^(٣٣):

رسالة الاستغاثة على قوله - عليه السلام -

في صلاة الليل: يا لها من صلاة^(٣٤)، وشرح قصيدة بانت سعاد^(٣٥)، وزهر البان في نعوت الحيوان^(٣٦)، وقصائد غرامية^(٣٧)، وأبيات على طريقة مقصورة ابن دريد مع شرحها^(٣٨)، والمحاسن المرضية في شرح المنظومة البديعية^(٣٩)، والمعاني المرضية على الشمعة المضية^(٤٠)، ورسالة الأشباه برفع الاشتباه في علل النّحة^(٤١)، والرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسلة^(٤٢)، وزهر الربيع في علم المعاني والبيان والبديع^(٤٣)، ولسان النّظام في شرح منظومة ابن الشّخنة الهمام^(٤٤)، والتّبّيّه على غلط الجاهل

(٣٣) ينبع التّبّيّه هنا على أن فهرس المكتبة الملكية في برلين الذي أعده وليم الورد قد تردد فيه اسم ابن كنان كثيراً، مما يعني أن مؤلفاته المخطوطة أكثر مما عند السابقون من العلماء والحقّيين ومتى سينذكّر هنا، غير أنه لم يتبّيّس التّراكّ من تسبّبها جميعاً إليه.

(٤١) لم يذكرها أحد. يحسب من وقف عليهم في هذا البحث. ممن ترجم لابن كنان، ومنها نسخة خطّه كما يبدو. في مكتبة جامعة لايبزيك، من مجموع يحوي كتابين، رقم (١٠٩)، ثانيةً هذه الرسالة المكونة من صفحتين.

(٤٢) ذكره البغدادي في: هدية العارفين، ٣٢٥ / ٢.

(٤٣) منه نسخة خطّية في برلين، رقم (٦١٧٤).

(٤٤) منه نسخة مخطوطة في برلين ضمن مجموع رقم (١٧٤٠ / ٨٠٣)، وهو الكتاب الأول منه.

(٤٥) ذكره وليم الورد بهذا ذكر لعنوان، وهو الكتاب الثاني ضمن مجموع رقم (١٩٦٢ we ٨٠٣)، غير أنه لم يجذب بالله لابن كنان، فقال: "لابن كنان نفسه كما يبدو". ينظر:

Ahlwardt, W. Verzeichniss der arabischen handschriften der Königlichen bibliothek zu Berlin, 7 P. 157

(٤٦) لم يشر أحد من المترجمين لابن كنان ومن تبعهم من المحقّقين لكتبه إلى هذا الكتاب سوى علي الرضا وأحمد طوران في: معجم التراث العربي الإسلامي في مكتبات العالم، ٤ / ٣٠٢٠، وقد ذكره وليم الورد، ومنه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٢٣٦٦).

(٤٧) هو شرح على رسالة في النحو لجالال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في النحو أسماؤها (الشمعة المضية في علم العربية)، وقد وُقفت على ثلاث نسخ مخطوطة للشرح، برلين رقم (٦٧٧١)، و (٦٧٧١)، و دار الكتب المصرية، رقم (٥٨٢) نحو تيموريه.

(٤٨) وهي موضوع البحث، وسيأتي التفصيل فيها، ولم يوقف إلا على نسخة مخطوطة واحدة في برلين، رقم (٦٨٥٣).

(٤٩) منها ثلاثة نسخ خطية، برلين، رقم (٧٢٨٣)، و دار الكتب المصرية، رقم (٣٥٥)، و دار الكتب الظاهريه، رقم (١١٠٧٧).

(٤٣) منه نسختان مخطوطتان في برلين تحت رقم (٧٢٦١)، و (٨٣٦٨).

(٤٤) منه نسخة مخطوطة في برلين، رقم (٧٢٦٠).

ثانياً: دراسة رسالة الأشباء برفع الاشتباه في علل النّحاة:

موضع الرسالة وأقسامها:

يتناول موضوع هذه الرسالة الصغيرة العلل النحوية، وهي تتألف من مقدمة وموضوع وخاتمة. وقبل الحديث عن موضوع الرسالة ينبغي الإشارة إلى أنّ كارل بروكلمان لم يصف موضوع المخطوط من هذه الرسالة الذي في المكتبة الملكية في برلين صحيحاً، فقد قال عنه: "الاشتباه بِرَفْعِ الْاَشْتِبَاهِ، يَضُمُّ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ قَاعِدَةً" صرفيةً (٥٩).

ولعل السبب الذي أوهم كارل بروكلمان في وصف موضوع الرسالة وصفاً غير صحيح يعود إلى التّمثيل لكثير من العلل النحوية التي يذكرها ابن كنان، فبعض أمثلته كانت من مسائل صرفية، كتمثيله لعلة الاستقال، وعلة الإشعار، مع أنَّ الغالب أنَّه كان يمثل من أحكام نحوية لا صرفية.

عموماً، فقد بدأ ابن كنان رسالته بمقـدمة صغيرة
وموجزة، ذكر فيها بعد حمد الله والثناء عليه والصلـة
السلام على نبيه وآلـه وصحبه موضوع الرسـالة،
والثناء عليها، وذكر اسمـها، ثم شـرح بالـحدث عن

(٥٩) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٠٠/٨ . قوله(أربعة) كما في المطبوع، مع أن تذكرة العدد هنا هو الوجه الصحيح.

العروض^(٥٥)، والأنوار المبتهجة على منظومة المنفرحة^(٥٦).

وفاته:

أجمع من ترجم له العلماء على أن وفاته كانت سنة
ألف ومائة وثلاث وخمسين من الهجرة (١١٥٣هـ).
وقد دُفن بالروضة بسفح جبل قاسيون في قريته
الصالحية^(٥٧).

وقد رجح أكرم العليي أن تكون وفاة ابن كنان في أحد الجمادين من سنة ١١٥٣هـ؛ ذلك لأنَّ ابن كنان دون آخر ما في كتابه (الحوادث اليومية) في شهر ربيع الآخر، وكان يشعر بمرض شديد -كما صرَّح ابن كنان نفسه-، وقد وقف أكرم العليي على وثيقة تقرر فيها قيام ابني ابن كنان بالتدريس في المدرسة المرشدية في الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ١١٥٣هـ^(٥٨)، وهذا يعني أنَّ ابن كنان قد غلبه المرض وأقعده في هذه الشَّهر، فوفاته تكون ما بعد هذا التاريخ.

وهذا المرجح الذي بنى عليه أكرم العابي التردد بين إحدى الجمادين غير قاطع؛ إذ من المحتمل أن يكون توفي في أواخر شهر ربيع الآخر.

(٥٥) ذكره البغدادي في: هدية العارفين، ٣٢٥ / ٢، ولم يذكره الآخرون، ولم يُوقف في هذا البحث على هذا الكتاب مخطوطاً.

(٦٤٩) من هذا الكتاب نسخان خطیتان في برلين تحت رقم (٧٦٤٨)، و

(٥٧) ينظر في يوم وفاته ومكان دفنه: المرادي (٦١٢٠هـ)، سلك الدرر، ٤/٨٦، و محمد مطیع و نزار اباظة، علماء دمشق وأعيانها في القرن الشانز، دمشق، ٢٠١٣م، ٣/٢٢١.

(٥٨) ينظر: ابن كنان، الحوادث اليومية، ص ٢٨ (مقدمة المحقق). الثاني عشر الهجري، ١٤٥١.

ولا شك أن علل التحويين أكثر من ذلك، ومن ذكر أنها ثلاثة وعشرون نوعاً، أو أربعة وعشرون، لم يقصد حصرها، إنما أراد من ذلك بيان أشهرها، وهو ما نصّ عليه أبو عبد الله الحسين بن موسى الدينوري (ت ٤٩٠ هـ) الملقب بالجليس^(٦١) في كتابه *ثمار الصناعة*^(٦٢).

ويظهر الإيجاز في أسلوب ابن كنان أيضاً عند تعرّضه للرد على من يرى الصّعف في علل التحويين، فلم يطل كثيراً في الرد، كذا عند حديثه عن الفرق بين علل النّحاة وعمل الفقه وعمل الكلام. وقد دفع الإيجاز ابن كنان إلى الابتعاد عن ذكر المسائل الخلافية فيما يتعلق بعمل التحويين؛ فمثلاً هناك خلاف مشهور بين البصريين والковفيين

تعليق النّحاة، فقسمه إلى قسمين بحسب الغاية والفائدة التي تظهر من تعليقاتهم، ثم ذكر تفصيل أنواع القسم الأول من أقسام هذه التعليقات^(٦٣)، مستغرياً في هذا التفصيل أغلب صفحات الرسالة، فكان يذكر اسم كلّ علة على حدة، مع ضرب مثال لها من تعليقات النّحاة التطبيقية.

وبعد أن انتهى من ذكر العلل قام بوضع خاتمة تناول فيها الرد على من يزعم ضعف العلل التحوية، فأثبتى على علل النّحاة من جهة الوثاقة، ثم ذكر دليل من زعم ضعف هذه العلل، وردّ هذا الدليل بالحجّ العقليّة، ثمّ انتقل في خاتمة الرسالة إلى الحديث عن علل النّحاة من جهة التّفرّق بينها وبين علل الفقهاء والمتكلّمين، وقد كان هذا الحديث نهاية الرسالة.

منهج المؤلّف وأسلوبه في الرسالة:

رسالة ابن كنان في العلل قائمة على الإيجاز والاختصار في العرض، وهذا يعني أنّ المؤلّف يميل إلى الاختصار والإيجاز في هذه الرسالة دون الإطالة والاستطراد.

فقد عرض لتقسيم تعلييل التحويين إلى قسمين مع بيان الغاية من كلّ قسم، ثم ذكر بعد ذلك مقدار أنواع العلل التي من النوع الأول، وهي التي نصّ على أنها أكثر استعمالاً عند التحويين، فاكتفى بذكر كلّ علة مع التّمثيل بإيجاز، وقد استقصى فيها ذكر خمس وعشرين علة.

(٦١) هو أبو عبد الله الحسين بن موسى بن هبة الله الدينوري، الشهير بالجليس، لم تذكر كتب التراجم والطبقات شيئاً عن حياته، وقد ذكر الفيروز أبادي والسيوطى أنّ له كتاباً في التّحوّى باسمه (*ثمار الصناعة*)، وذكراً ما قاله منه عن علل التّحوّى، وزاد السيوطى أنّ أبي حيّان الأندلسي في تذكرةه أكثر عنه التّنقل، ولم يتذكراً سنة وفاته، غير أنّ البغدادي (ت ١٣٩٩ هـ)، وتبّعه هنا جميل حداد محقق كتاب (*ثمار الصناعة*) ذكرّاً أنه في حدود سنة (٤٩٠ هـ). ينظر في ترجمته: الفيروز أبادي (ت ١٨١٧ هـ)، *البلغة في تراجم أئمّة التّحوّى واللغة*، ص ٩٢-٩٣، والسيوطى (ت ٩١١ هـ)، *بغية الوعاء*، ٥٤١/١، والخواصي (ت ١٢٣ هـ)، *روضات الجنات في أحوال العلماء والسداد*، ١٧٣/٣، ١٧٤، *البغدادي* (ت ١٣٩٩ هـ)، *هدية العارفين*، ٣١١/١.

(٦٢) ينظر: أبي عبد الله الدينوري (٤٩٠ هـ)، *ثمار الصناعة*، ص ٣٤. وهذا العدد لأنواع العلل نقله الفيروز أبادي (ت ١٨١٧ هـ) عن الدينوري حينما ترجم له في كتابه: *اللّغة في تراجم أئمّة التّحوّى واللغة*، ص ٩٢-٩٣. وينبع التّنبّه هنا على أنّ السيوطى (ت ١٩١ هـ) في (*الأقرّاح* ص ٢٥٦) و(*بغية الوعاء* ١/١٥٤) قد نقل كلام الدينوري بتصرّف يسير، نصّ فيما على أنّ العلل أربعة وعشرون نوعاً، وقد تبعه شارحاً *الاقرّاح*، ابن علان الصّدقى (ت ١٥٧ هـ) في (*داعي الفلاح لمحبيات*)، ص ٤٤٥، وأبن الطّيب الفاسى (ت ١٧٠ هـ) في (*فيض نشر الانشراح من روض طي الأقرّاح*، ٨٦٠/٢)، وتبّعه أيضاً أبو زكريا الشاوى (ت ١٩٦ هـ) في (*ارتفاع السّيادة في علم أصول التّحوّى*، ص ١٠٤).

وفي (*بغية الوعاء*) نقل كلام الدينوري عن ابن مكتوم (ت ٧٤٩ هـ) في تذكرةه، مع أنه نصّ على نقله من كتاب (*ثمار الصناعة*) في (*الاقرّاح*) في موضوعين، أحدهما المثار إليه هنا، وهو حديثه عن العلل؛ مما جعل الدينوري ينصّ على أنّ السيوطى لم يظفر بنسخة من كتاب (*ثمار الصناعة*). ينظر: *الخواصي* (ت ١٢٣ هـ)، *روضات الجنات في أحوال العلماء والسداد*، ١٧٤/٣.

والكلام هنا عن مصدر السيوطى مهم؛ إذ زيادة علة على ما ذكره الدينوري تحتمل أنها من عند ابن مكتوم في تذكرةه.

(٦٣) ينظر: ابن كنان، *الأشباه برفع الاشتباه في علل التّحوّى*، (ق ٨٨/ب).

ثم وضع خاتمة تحدث فيها عن أمرتين، الأول منها الرد على من ذهب إلى أن علل التحويين واهية، والثاني منها التفريق بين علل التحو، وبين علل الفقه وعمل الكلام^(٦٨).

مُصادر المؤلّف:

لم يُشر ابن كنان إلى مصادر رسالته أبداً، سوى موضع واحد، أسنده فيه التقل - كما ذكرنا - إلى ابن الخشاب البغدادي (ت ٩٥٦٧هـ).

لكن المطلع على كتب التراث التي تناولت الحديث عن علل التحويين بصورة نظرية، وذلك من جهة تقسيمهما، وتعدد أنواعها، وخصائصها وغيرهما، لا يشك أدنى شك في أن ابن كنان أفاد من جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في مسألتين تناولهما في كتابه (الاقتراح)، متبعاً ما اتبّعه السيوطي من الأخذ من مصادر متفرقة، ولكن الفرق بينهما أن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) قد صرّح بأسماء من أخذ عنهم؛ فكان ينقل حديثهم عن العلل، ويسوقه مساق الناقل، بخلاف ابن كنان الذي لم يذكر أي مصدر أو مؤلّفٍ نقل عنه، فكان يسوق الكلام مساق المؤلّف، الذي لم يعتمد على غيره من الترتيب والتّعليل والتقسيم، ولكن الحق أحق أن يتّبع.

وما يأتي بيان المسألتين مع ذكر مصادر السيوطي (ت ٩١١هـ) فيما كما صرّح فيها بنفسه في كتابه (الاقتراح):

(٦٨) ينظر السابق، (ق ٨٩/ب - ١٩٠).

في علة إعراب الفعل المضارع^(٦٣)، وابن كنان ساق رأي البصريين^(٦٤)، ولم يذكر الخلاف في العلة بين التحويين، ولم ينبه على وجود خلاف فيما بينهم. كما ابتعد ابن كنان عن ذكر المصادر والسنن فيما ينقله عن التحويين في مجلـل الرسالـة، سوى موضع واحد أسنـد التـقلـ فيـهـ إلىـ ابنـ الخـشـابـ البـغـدادـيـ (تـ ٩٥٦٧هـ)^(٦٥)، وهو تمثـيلـ ابنـ الخـشـابـ لـعـلـةـ التـحـلـيلـ عـنـدـ التـحـويـنـ^(٦٦)، معـ أـنـ مـحتـوىـ رسـالـتـهـ مـنـقـولـ مـنـ مـصـدرـ وـاحـدـ كـمـاـ سـنـرـىـ عـنـ الـحـدـيـثـ لـاحـقاـ عـنـ مـصـادرـ الـمـؤـلـفـ، وـلـمـ يـشـرـ اـبـنـ كـنـانـ لـإـلـىـ الـمـصـدرـ الـذـيـ أـخـذـ مـنـهـ، وـلـاـ إـلـىـ مـؤـلـفـهـ. وـلـمـ يـعـدـ اـبـنـ كـنـانـ إـلـىـ تـقـسـيمـ رسـالـتـهـ، أـوـ إـلـىـ وـضـعـ عـنـاـوـينـ فـرـعـيـةـ مـوـضـحـةـ، فـجـاءـ القـسـمـ الـأـوـلـ مـنـ الرـسـالـةــ كـمـاـ رـأـيـنـاـ مـقـسـمـاـ أـنـوـاعـ التـعـلـيلـ عـنـ التـحـويـنـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ، مـنـبـهـاـ عـلـىـ الغـاـيـةـ مـنـ كـلـ قـسـمـ، ثـمـ اـسـتـغـرـقـ فـيـ تـعـدـادـ أـنـوـاعـ الـقـسـمـ الـأـوـلـ مـنـ التـعـلـيلـ، مـعـ التـقـمـيـلـ لـكـلـ نوعـ مـنـ هـذـهـ الـأـنـوـاعـ^(٦٧).

(٦٣) ينظر: ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٨/ب).

(٦٤) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد البغدادي، المعروف بابن الخشاب، فقيه حنفي ونحوي، عالم بعلوم شئ، وقد كان يفضل على الفارسي في علم العربية، أخذ عن الحواليقي، وأبن الشجري، وأبن زاهدة، وأبن قدامة المقدسي، وغيرهم. من مصنفاته: المرتجل، والردة على ابن باشاذ، وشرح اللمع، والردة على أمالى ابن الشجري، وقد توفي سنة (٩٥٦هـ). ينظر: القطى (٦٤٦هـ)، إحياء الرواية، ٩٩/٢، وأبن حكوان (٦٨١هـ)، وفيات الأعيان (٦٤٢هـ)، والذهبى (٦٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء ٥/٢٣٠، والمستدي (٦٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ١١/١٧، والفiroz Abadi (٨١٧هـ)، البلغا، ص ١٦٦، والسيوطى (٩١١هـ)، بغية الوعاة ٢٩/٢، وأبن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب ٣٦٥/٦.

(٦٥) ينظر: ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٩/ب).

(٦٦) ينظر: السابق، (ق ٨٨/ب - ٨٩).

كابن الخشاب البغدادي (ت ٥٦٧هـ) (٧٤) في تمثيله لعلة التحليل عند النحوين، وهي العلة التي لم يشرحها التاج ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) (٧٥).

وقد فعل ابن كنان الفعل نفسه كما سبق، فكان يذكر كل علة بحسب ما نقله السيوطي (ت ٩١١هـ) عن التاج ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) من شرحه على ماذكره الدينوري (ت ٤٩٠هـ) من علل، مع التمثيل لها من تعليلات النحاة التطبيقية، ولم يقم بالعزو إلى أي مصدر من المصادر، ولا إلى أي مؤلف، سوى العلة الأخيرة، وهي علة التحليل، فقد عزا القول في شرحها والتمثيل لها إلى ابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ) (٧٦) دون السيوطي (ت ٩١١هـ) الذي عزا نقل شرح علة التحليل إلى ابن الخشاب (٥٦٧هـ)، وإلى ابن الصائغ (ت ٧٧٦هـ).

-٣- المسألة الأولى، وقد بدأ بها السيوطي (ت ٩١١هـ) الفصل الرابع الذي خصه للعلامة التي هي الركن الرابع من أركان القياس النحوي (٧٧).

قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، ودرس في الجامع المأولوني. من مصنفاته: شرح ألفية ابن مالك، والتذكرة النحوية، والاستدراك على مغني ابن هشام، وغيرها. وقد توفي سنة ٧٧٦هـ. ينظر في ترجمته: الصنديق (٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ٣/٢٠٠، وأبن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، الدرر الكاملة في أعيان المائة الثامنة، ٥/٤٤٨، والسيوطى (٩١١هـ)، بغية الوعاء، ١٥٥/١، وأبن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، ٨/٤٢٧.

(٧٤) كلام ابن الخشاب في كتابه (المراجل) حول الاستدلال على اسمية (كيف) يختلفوناً ماً. عما نقله السيوطي ومن تابعه. ينظر: ابن الخشاب البغدادي (٥٦٧هـ)، المرتجل، ص ٢٤٥-٢٥٧.

(٧٥) ينظر في نقل السيوطي لشرح ابن مكتوم لأنواع العلل وشرح ابن الخشاب لعلة التحليل: السيوطي (٩١١هـ)، الأقتراح، ص ٢٥٧-٢٦٦، وأبن علان الصنديقى (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمختارات الأقتراح، ص ٤٤٥-٤٤٦، وأبن الطيب الفاسى (ت ١١٧٠هـ)، فيض نشر الاشتراخ من روض طي الأقتراح، ٢٤٨-٢٤٩.

(٧٦) ينظر: ابن كنان، الأشيا برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٩/ب).

(٧٧) ينظر: السيوطي (٩١١هـ)، الأقتراح، ص ٢٤٩-٢٥١، وأبن علان الصنديقى (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمختارات الأقتراح، ص ٤٣٢-٤٣٤، وأبن الطيب الفاسى (١١٧٠هـ)، فيض نشر الاشتراخ من روض طي الأقتراح، ٨٤٣/٢-٨٤٦.

١- المسألة الثانية وضعها السيوطي (ت ٩١١هـ) تحت عنوان (في أقسام العلل) (٦٩)، نقل في بدايتها عن أبي عبد الله الحسين بن موسى الدينوري (ت ٤٩٠هـ) الملقب بالجليس في كتابه (ثمار الصناعة) تقسيمه تعليم النحوين إلى قسمين، والإشارة إلى أن النحوين أكثر استعمالاً للنوع الأول، ثم عدد العلل التي من النوع الأول من التعليل دون أن يسمّيها (٧٠).

وهذا التقسيم بدأ به ابن كنان رسالته دون أي عزو إلى أحد المصادر السابقين (٧١).

٢- في المسألة الثانية نفسه انقل السيوطي (ت ٩١١هـ) شرح ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) (٧٢) لأنواع العلل التي عدّها الدينوري (ت ٤٩٠هـ)، وذلك من كتاب لابن مكتوم مفقود اسمه (التنكرة).

كذلك نقل السيوطي (ت ٩١١هـ) في آخر شرح هذه العلل عن شمس الدين ابن الصائغ (ت ٧٧٦هـ) (٧٣) ما قاله عما رأه في كتب المحققين

(٦٩) ينظر: السيوطي (٩١١هـ)، الأقتراح، ص ٢٥٦، وأبن علان الصنديقى (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمختارات الأقتراح، ص ٤٤٥، وأبن الطيب الفاسى (١١٧٠هـ)، فيض نشر الاشتراخ من روض طي الأقتراح، ٨٦٠/٢.

(٧٠) ينظر: الدينوري (٤٩٠هـ)، ثمار الصناعة، ص ٣٤. هذا مع التبيّن كما ذكرنا سابقاً. على الاختلاف فيما بين الدينوري والسيوطي وأبن كنان وغيرهم في عدد هذه العلل.

(٧١) ينظر: ابن كنان، الأشيا برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٨/ب).

(٧٢) هو تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم الفيسي الحنفي، أخذ النحو عن بهاء الدين بن النحاس والذميatic، ولازم أبي حيان الاندلسي طويلاً، كذلك سمع الحديث عن أصحاب ابن النجيف وأبن علاق، وكان ابن مكتوم مقتداً في الفقه والنحو واللغة. من

مصنفاته: شرح مختصر ابن الحاجب، وشرح شافية ابن الحاجب، وشرح الصحيح، والدر اللقط من البحر المحيط، والتذكرة (قدر الأوابد)، وغيرها، وقد توفي بالطاعون في القاهرة سنة ٧٤٩هـ. ينظر في ترجمته: الصنديقى

(٧٤) هـ)، الوافي بالوفيات ٧/٤٨، وأبن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، الدرر الكاملة في أعيان المائة الثامنة، ١/٢٠٤، والسيوطى (٩١١هـ)، بغية الوعاء، ١/٣٣٠، وأبن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، ١/٣٣٠-٣٢٦، وأبن علان الصنديقى (١٠٥٧هـ)، الأعلم، ١/٢٧٣، والزركلي، الأعلام، ١/١٥٣.

(٧٣) هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي، أخذ النحو عن أبي حيان الاندلسي، ولازمه طويلاً، وعن ابن المرحال، وغيرهما، وسمع الحديث عن الدبوسي وأبن الشحنة وغيرها، وقد ولـ

وابن كنان بعد نقله السابق في بداية خاتمة أعقبه بنقل ما نقله السيوطي (ت ٩١١هـ) عن ابن جني (ت ٣٩٢هـ) بتصرف كبير جدًا دون إشارة أيضًا إلى أحد منها أو عزو^(٨٣).

قيمة الرسالة من بين كتب علل النحو، وأهميتها: تكمن أهمية هذه الرسالة في أنها أفردت خالصة لتناول العلل النحوية بصورة نظرية بحثة لا تمس التطبيق إلا بالتمثيل لأنواع العلل التي من النوع الأول من أنواع التعليل النحووي.

والصورة النظرية التي عرض لها ابن كنان تتمثل في تقسيمه التعليل النحووي إلى قسمين، مع بيان الغاية من كلّ قسم، وما يكثر عند النحوين من هذين القسمين استعمالاً، وتعداد أنواعه، ثم بعد ذلك الرد على متهمي العلة النحوية بالضعف، والتفريق بينها وبين علل الفقه وعلم الكلام.

وهذا التناول النظري للعمل النحوية عموماً قد سُبق به ابن كنان بحسب ما وصل إلينا من التراث النحووي، غير أنّ هذا التناول قد كان - في الغالب - أحديث متفرقة أنت عرضاً في التناول الأساس، كما في تناول ابن مسعود الفرخان للصلة النحوية حينما ردّ على من زعم ضعف العلة النحوية في كتابه (المستوفى في النحو)^(٨٤)، وتناول الدينوري (ت ٤٩٠هـ) في كتابه (ثمار الصناعة) حينما قسم تعليل النحوين إلى قسمين، مشيراً إلى أنّ النحوين

(٨٣) ينظر: ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٩٠/أ).

(٨٤) ينظر: ابن مسعود الفرخان، المستوفى في النحو، قسم التحقيق (١/١).

نقل السيوطي (ت ٩١١هـ) في بدايتها - بتصرف - عن صاحب كتاب (المستوفى في النحو)، وهو أبو سعد علي بن مسعود الفرغاني الملقب بـ(الفرخان)^(٧٨) حديثه عن علل النحو، في الشاء عليها، والرد على من يرى أنّ علل النحو واهية^(٧٩).

وقام ابن كنان بنقل كلام الفرخان بعدما نقل شرح العلل مباشرة بتصرف كبير في جزء من رسالته، وضعه تحت عنوان (خاتمة) دونما إشارة إلى السيوطي (ت ٩١١هـ)، أو إلى مصدره^(٨٠).

وفي المسألة الأولى نفسها نقل السيوطي (ت ٩١١هـ) بعد نقله السابق مباشرة كلامًا لابن جني (ت ٣٩٢هـ) - بتصرف كبير - في الفرق بين علل النحوين وعمل المتكلمين وعمل المتفقين^(٨١)، وهو من كتاب (الخصائص) في باب (ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية)^(٨٢).

(٧٨) هو القاضي كمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرغاني الفرخان. ليست له ترجمة - فيما وُقف عليه في هذا البحث - سوى ما ذكره السيوطي في (بغية الوعاء)، وقد زاد بأنه صاحب (المستوفى في النحو)، وأن أبي جيان أكثر من النقل عنه، وأن الشاج ابن مكتوم ذكره اسمه هكذا - من دون نسبته إلى فرغانة، ولم يذكر السيوطي سنة وفاته.

ونذكر محمد بدوي المخthon محقق كتاب (المستوفى في النحو) أنه قد عاش في أواخر القرن السادس الهجري ومنتصف القرن السابع؛ ذلك لأنّه يتعرض كثيراً في كتابه بالزد على الباقلين المتنوفي سنة (٥٤٣هـ). ينظر في ترجمته: السيوطي (٩١١هـ)، بـ(بغية الوعاء)، ٢٠٦/٢، وابن مسعود الفرخان، المستوفى في النحو، مقدمة الحق (١١/١)، و حاجي خليفة، كشف الطعون، ١٦٧٥/٢.

(٧٩) ينظر في كلام ابن مسعود الفرخان عن العلل: ابن مسعود الفرخان، المستوفى في النحو، قسم التحقيق (٨/١).

(٨٠) ينظر: ابن كنان، الأشباه برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٩/ب).

(٨١) ينظر: السيوطي (٩١١هـ)، الأقتراح، ص ٢٥١-٢٥٢، وابن علان، الصدقى (١٠٥هـ)، داعي الفلاح لمختارات الأقتراح، ص ٤٣٦-٤٣٤، وابن الطيب الفاسى (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض طي الأقتراح، ٢/٨٤٦-٨٤٨.

(٨٢) ينظر في الباب كله: ابن جني (٩٣٩٢هـ)، الخصائص، ١/٤٨-٩٦.

النّحاة إلى قسمين بحسب الغاية والفائدة من كلّ
قسم^(٨٨).

أما أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، فقد
تعرض في كتابه (الإيضاح في علل النحو) إلى
تقسيم علل النحو إلى ثلاثة أقسام: علل تعلمية،
وعلل قياسية، وعلام جدلية نظرية. ثمّ بعد ذلك شرح
هذه العلل ومثّل لها، وبين غاية كلّ قسم، ولم يقم
باستقصاء أنواعها^(٨٩).

وقد وصل إلينا أيضًا ما تعرض له ابن مضاء
القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه (الرّد على النّحاة) من
حديث عن العلل النحوية عمومًا، وذلك حينما دعا
فيه إلى إسقاط نوعين من أنواع هذه العلل؛ لأسباب
يراهها دافعة لذلك، وكان أيضًا قد قسم العلل إلى ثلاثة
أقسام^(٩٠).

ثمّ أتى - فيما وصل إلينا من التّراث النحوّي -
جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ومن تبعه في
كتابه (الاقتراح)^(٩١) فجمع غالب ما تفرق، بالإضافة
إلى أخذة ممن لم يصل إلينا من هذا التّراث.

(٨٨) ينظر: ابن السراج (٣١٦هـ)، الأصول في النحو، ١/٣٥.

(٨٩) ينظر: أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ)، إيضاح في علل النحو، ٦٤-٦٦.

(٩٠) ينظر: ابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ)، الرّد على النّحاة، ص ١٣٤.

(٩١) ينظر: السيوطي (٩١١هـ)، الاقتراح، ص ٢٤٩-٣٧٠، وابن علان
الصّنفيفي (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمختارات الاقتراح، ص ٤٣٢-٤٣٤،
وابن الطيب الفاسي (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض طي
الاقتراح، ١٠٥٠-٨٤٣/٢.

وممن تبع السيوطي أيضًا في جلّ ماسطّره في (الاقتراح) دون
إشارة إليه أبو زكريا الشواوي (ت ٩١١هـ) في كتابه (ارتفاع السيادة في
علم أصول النحو العربي)، ص ١٠٣-١٣٥.

وكنت أظنّ أولاً أن ابن كنان في رسالة (الأшибاه برفع الاشتباه في
عمل النحو) قد أفاد من أبي زكريا الشواوي من كتابه (ارتفاع السيادة)، لأنّ
ابن كنان قد ذكر أبا زكريا في كتابه (الحوادث اليومية) شيخًا يدرس شرح
التسهيل؛ مما يعني معرفته الثانية بما آلفه، لو لا أن هناك نصوصاً لم
يذكرها أبو زكريا الشواوي في (ارتفاع السيادة)، وأفاد منها ابن كنان في
رسالته، وهذا يدلّ على أن ابن كنان قد أفاد من السيوطي في (الاقتراح)
ومن تبعه.

أكثر استعمالاً للقسم الأول، ثمّ قام بذكر أنواع القسم
الأول من التعليل^(٨٥).

هذا بالإضافة إلى ما تناوله ابن جني
(٣٩٢هـ) في خصائصه من أبواب عديدة من
الجزء الأول خصّها في الحديث عن العلة النحوية
من عدّة جوانب، وذلك من مثل: باب ذكر علل
العربّية أكلاًمية هي أم فقهية؟، وباب في تخصيص
العلل، وباب في الفرق بين العلة الموجبة وبين العلة
المجوزة، وباب في تعارض العلل، وباب في أنّ العلة
إذا لم تتعدّ لم تصحّ، وباب في العلة وعلّة العلة،
وباب في حكم المعلوم بعلتين، إلخ. . .^(٨٦).

ويقرب من تناول ابن جني (٣٩٢هـ) للعلة ما
تناوله أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) في رسالته
(مع الأدلة في أصول النحو) بينما خصّ فصولاً
منه ل الحديث عن العلة بوصفها ركناً رابعاً من أركان
القياس النحوّي، فتناول - مثلاً - في الفصل السابع
عشر من رسالته كون الطرد شرطاً في العلة، وفي
الفصل الثامن عشر كون العكس شرطاً العلة، وفي
الفصل التاسع عشر جواز تعليل الحكم بعلتين
فصاعداً، وفي الفصل الثالث والعشرين إلّا
الوصف بالعلة مع عدم الإخلال^(٨٧).

وكان ابن السراج (٣١٦هـ) قبل قد تعرّض
في بداية كتابه (الأصول في النحو) إلى تقسيم تعليل

(٨٥) ينظر: الدّينوري (٤٩٠هـ)، ثمار الصناعة، ص ٣٤.

(٨٦) ينظر في ذلك: ابن جني (٣٩٢هـ)، الخصائص، ١/٤٨-٤٨.

(٨٧) ينظر: أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، مع الأدلة في أصول
النحو، ص ١٢٥-١١٧، ١١٢.

العلل التي من القسم الأول، ومن هذا الجانب تأتي أهميتها وقيمتها في تراثنا النحوي؛ لأنَّ التأليف النطري - كذلك التطبيقي - في العلة النحوية قليل بحسب ما ظهر من هذا التراث النحوي.

وممَّا يُضاف على الأهميَّة السابقة للرسالة أنَّ ابن كَنَان أضاف على العلل من الجانب النطري التطبيقي للعلة نوعًا من العلة لم يذكرها من سبقوه في ذلك - فيما وُقف عليه من مصادر - وهي العلة التي أسماها ابن كَنَان بعلة الاقتصاد^(٩٥)، ومثل لها من الجانب التطبيقي بقاء الحركة في الاسم الذي لا ينصرف وحذف التنوين، والتلوين - كما هو معلوم - حرف، وهو نون ساكنة تُنطق ولا تُكتب.

ملحوظات على الرسالة:

مع ما في رسالة (الأشباء برفع الاشتباه في علل النحوة) من قيمة علميَّة وأهميَّة كبيرة في الدرس النحوويِّ الأصولي على وجه التحديد، إلا أنَّ ذلك لا يمنع من تسجيل ما يُلاحظ على هذه الرسالة من مآخذ، وهذا - بلا شك - لا يقل من القيمة العلميَّة للرسالة ولا من أهميتها.

ولعلَّ من أهم هذه الملاحظات على الرسالة ما يأتي:

١- عدم عزو النصوص إلى أصحابها فيما ينقله ابن كَنَان من حديث عن العلة في جل الرسالة، فعلى الرغم من اعتماد المؤلف اعتمادًا كليًّا على ما سطره جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه

^(٩٥) ينظر: ابن كَنَان، الأشباء برفع الاشتباه في علل النحو، (ق ٨٩١).

أمَّا الصورة التطبيقية فهي موثقة في بطون المتون والشروح النحوية والصرفية، غير أنَّ ما وصل إلينا مما أخلص التناول فيها للتأليف التطبيقي للعلة النحوية قليل إذا ما قورن بما ألف في العلة النحوية أو التعليل النحوي^(٩٢).

والذي وصل إلينا منها - فيما يعلم - عدد محدود من المصنفات نذكر منها على سبيل المثال: كتاب العلل في النحو لأبي الحسن الوراق (ت ٣٨١هـ)^(٩٣)، والثاني: شرح عيون الإعراب لأبي الحسن الماجاشعي (ت ٤٧٩هـ)^(٩٤)، والثالث: أسرار العربية لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، والرابع: الباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكوري (ت ٦١٦هـ).

وبصرف النظر عن اتباع ابن كَنَان في رسالته لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، فرسالة (الأشباء برفع الاشتباه في علل النحوة) تمثل الجانب النطري للعلة النحوية مع ما فيها من تمثيل تطبيقي لأنواع

^(٩٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر في العلماء الذين لهم مصنفات في التعليل النحوي أو العلة النحوية مثًا مسلم بن عبد الله بن العباس البغدادي، المعرف بـ(ابن الوراق)، نزهة الأناء في طبقات الأدباء، ص ٧٧، والقطفي (٤٤هـ)، ابنه الروا، ٢٩٦/٢، ٤٣/٣، ٣٦١، ٢٢٠، ١٩٠، والسيوطى (٩١١هـ)، بغية الوعاء، ١٧٧/١، ٤٥٦، ٢٤٣، ١٩٤/٢، ٣١٩. وينظر كذلك ما كتبه د. مازن المبارك في كتابه: (النحو العربي) (العلة النحوية نشأتها وتطورها)، ص ٦٩-٧١، ٩٤-٩٦.

^(٩٣) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس البغدادي، المعروف بـ(ابن الوراق)، نحوي من نحاة بغداد، وهو ختن أبي سعيد السيرافي (زوج ابنته)، قرأ القرآن بروايات متعددة على ابن مقصنم، وقد روى عنه. من مصنفاته: علل النحو، وشرح مختصر الجرمي، وغيرها، وقد توفي سنة (٣٨١هـ). وينظر في ترجمته: أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، نزهة الآباء في طبقات الأدباء، ص ٢٤٧، والقطفي (٤٤هـ)، ابنه الروا، ١٦٥/٣، والسيوطى (٩١١هـ)، بغية الوعاء، ١٢٩/١.

^(٩٤) هو أبو الحسن علي بن فضال بن علي الفرزدق الماجاشعي، نسبة إلى الشاعر الفرزدق الماجاشعي الشامي أحد آباء الأدب، نحوي لنوعي مفسر، طاف بلادًا كثيرة ابتداءً من مسقط رأسه المغرب، إلى أن استقر في نهاية المطاف في غزنة ثم في بغداد يدرس النحو واللغة، أخذ عن علماء المغرب، ومنهم مكي بن أبي طالب الفقيهي من مصنفاته: (إكسير الذهب)، وشرح عانيا الحروف، وشرح عيون الإعراب، ومقمة في النحو، وتفسير القرآن المسمى بـ(العميدى)، وغيرها، وقد توفي سنة (٤٧٩هـ). وينظر في ترجمته: القطفي (٤٤هـ)، ابنه الروا، ٢٩٩/٢، والسيوطى (٩١١هـ)، بغية الوعاء، ١٨٣/٢، وابن العماد (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، ٣٤٥/٥.

٤- الغموض في كثير من العبارات. وقد ظهر ذلك جلياً في الخاتمة التي تناول فيها موضوعين، مع أنه يهذب -كما عرفا- ما في كتاب (الاقتراح)، إلا أن تصرفه الكبير وأسلوبه يجعلان العبارات غامضة جداً، ومن الصعب فهمها، كما سنرى لاحقاً.

توثيق عنوان الرسالة:

ذكر عدد غير قليل من العلماء هذه الرسالة ضمن مؤلفات ابن كنان، غير أنها قد وردت بأكثر من عنوان وقد يرجع هذا الاختلاف إلى احتمال العنوان عند قراءته لشكل من الأشكال التي أوردها العلماء سواء أكانت القراءة صحيحة أم خاطئة، أو إلى تحريف وتصحيف، وقد تضاف كلمة (رسالة) قبل العنوان، وقد لأنضاف. وهذه العنوانات هي:

١- الاستياء برفع الاستياء.

ذكره كارل بروكلمان بهذا الشكل^(٩٨) -بحسب ما ثرجم- وهو بلا شك خطأ في الرسم وتحريف بزيادة التاء في الكلمة الأولى، إذ المعنى والمحتوى العلمي لهذه الرسالة لا يمثله هذا العنوان.

٢- رسالة الأشباء برفع الأشباء^(٩٩).

والعنوان يعني بذلك أن المؤلف ضم أشباهًا في هذه الرسالة بحيث أزال بها الشك والالتباس الواقع في العلل (من جهة تقسيمها وعدتها والتّمثيل لكل نوع منها، ومن جهة الرد على من شك في قوتها، والفرق بينها وبين علل المتكلمين والمتفقهين).

(الاقتراح)، بينما هذب مسألتين من مسائل الفصل الرابع من كتاب (الاقتراح) الذي تناول فيه السيوطي (ت ٩١١هـ) العلة النحوية، وهو من الكتاب الثالث الخاص بالقياس النحوي، إلا أنه لم يذكر السيوطي ولا كتابه (الاقتراح)، فكان من الواجب على ابن كنان تبيين ما نقله من كتاب (الاقتراح) بالعزو إليه، كي يميز حديثه من حديث من نقل عنهم جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، أو حتى إرجاع الكلام إلى مظانه، فالسيوطى (ت ٩١١هـ) كان يعزو -كما رأينا- الكلام إلى أصحابه.

٢- الرسالة تبدو كأنها مسوقة للمؤلف؛ لذلك قد تؤخذ على المؤلف بعض المأخذ العلمية.

فمن ذلك أن ابن كنان ذكر أن عدد هذه العلل التي من القسم الأول من التعليل أربعة وعشرون نوعاً^(٩٦)، بينما قام بشرح خمس وعشرين علة، وهو بهذا قد أضاف علة لم تكن عند السيوطي (ت ٩١١هـ)، ولا عند من نقل عنهم السيوطي (ت ٩١١هـ)، وهي علة اقتصاد^(٩٧).

٣- عدم ذكر الغاية من هذه الرسالة في مقدمتها، كذلك عدم وضع تقسيمها تحت عناوين فرعية تكشف عمما يريد الحديث عنه، سوى عنوان واحد، وهو (خاتمة) تناول فيها الرد على من زعم ضعف علل النحاة، كذلك قام فيها بالترقيق بين علل النحويين وعال المفهمين وعال المتكلمين.

(٩٨) ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٠٠/٨.

(٩٩) ينظر: محمد مطبع و نزار أباظة في: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري، ٢٤٧/٢، وابن كنان، حدائق الياسمين، مقدمة في التحقيق، ص ٢٠.

(٩٦) ينظر: ابن كنان، الأشباء برفع الاستياء في علل النحو، (ق ٨٨/ب).

(٩٧) ينظر: ابن كنان، الأشباء برفع الاستياء في علل النحو، (ق ٨٩/أ).

واحد وبلون مداد واحد، وهي تؤكّد أيضًا صحة العنوان المثبت هنا.

وثيق نسبة الرسالة إلى المؤلّف:

لا ريب في أنّ رساله (الأشباء بِرْفَعِ الاشتِيَاهِ في عَلَى النَّحَاةِ) هي لابن كَنَان، وأدلّ دليل على ذلك أنّ النسخة التي وُقفت عليها في المكتبة الملكية في برلين هي بخط مؤلفها -كما سنعرف لاحقًا- أضف إلى ذلك ذكر اسم الرساله ومؤلفها صراحة على صفحة عنوان النسخة المخطوطه^(١٠٢)، مع نسبة تأليفها إليه، وهو قوله: "عَلَّقُهَا لِنَفْسِهِ، وَلِمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ مُؤْلِفُهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَاهُ، مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ الْقَاءِ عَيْسَى الْخَلُوتِيِّ الصَّالِحِيِّ"^(١٠٣).

كذلك مما يوثق نسبة الرساله لابن كَنَان أنّ كثيراً من العلماء والمحقّقين نسب هذه الرساله إلى ابن كَنَان دون أدنى شك في نسبتها، ومن أوائل هؤلاء العلماء: البغدادي، وكارل بروكلمان، ووليم الورد، وغيرهم^(١٠٤).

وصف نسخة مخطوط الرساله:

وُقفت على نسخة وحيدة لمخطوط هذه الرساله، ولم يتيسّر الوقوف على نسخ أخرى لها بعد طول بحث وتقييّب في فهارس المخطوطات في المكتبات العربية والأجنبية.

٣- رسالة الأشباء بِرْفَعِ الاشتِيَاهِ^(١٠٠).

٤- الإشباء بِرْفَعِ الإشباء-في النحو^(١٠١).

وهو من جهة اللغة قد يكون محتملاً؛ إذ (الإشباء) مصدر الفعل (أشباء) الرباعي المزيد، كـ(أَعْجَمَ)، ومن معاني صيغة (أَفْعَل) الإزالة، فهو بذلك يعني إزالة الشبه والإشكال الحاصل في العلل برفع الشك والارتياح عنها، غير أنّه لم يتبيّن قطع همزة مصدر الفعل (اشباء)، والوجه وصلها كما هو معلوم، وهذا يؤكّد الخطأ المطبعي الواقع في هاتين الكلمتين في رسم الهمزة.

٥- الأشباء بِرْفَعِ الاشتِيَاهِ في عَلَى النَّحَاةِ.

هذا العنوان ورد في صفحة عنوانات المجموع، وورد أيضًا في عنوان المخطوط مع أنّ القطعة التي فوق همزة القطع غير مُراعاة في كتابة هذه الرساله عمومًا، كذلك هذا العنوان هو الواقع في مقدمة المؤلّف، غير أنّ عبارة (في عَلَى النَّحَاةِ) قد أضيفت على العنوان بلون مداد مخالف لما كتبت به صفحة العنوان، أمّا في المقدمة فليست هذه الزيادة في أصل المتن، لكنّها أضيفت عليه في الهامش الأيسر من (ق/٨٨ ب)، وفي نهايتها كتبت (صح)، وهذا إثبات على أنّها من ضمن أصل المتن؛ مما يجعل العنوان المختار هنا هو العنوان الراجح، أمّا في صفحة عنوانات المجموع فالزيادة من ضمن العنوان بخط

(١٠٢) ينظر: ابن كَنَان، الأشباء بِرْفَعِ الاشتِيَاهِ في عَلَى النَّحَاةِ، (ق/٨٨ أ).

(١٠٣) ابن كَنَان، الأشباء بِرْفَعِ الاشتِيَاهِ في عَلَى النَّحَاةِ، (ق/٩٠ ج).

(١٠٤) التأكيد من نسبة الرساله لابن كَنَان ينظر في المصادر المذكورة في حواشي الجزئية السابقة من التراجمة (وثيق عنوان الرساله).

(١٠٠) ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ٣٢٥/٢، وابن كَنَان: المواكب الإسلامية، مقدمة التحقيق، ١٥١/١، والخطأ في رسم الهمزة بين كما يظهر من تتبع رسم الهمزة في الصفحة نفسها.

(١٠١) ينظر: علي الرضا وأحمد طوران، معجم التراث العربي الإسلامي في مكتبات العالم، ٣٢٠/٤.

وهي مكتوبة في هامش بعض صفحاتها، كل تعليق - في الغالب - محاط بخطٍّ بلون مداد أحمر بادياً من المتن من الموضع المراد التعليق عليه، وأغلب هذه التعليقات للمؤلف نفسه، وفيها نظام التقبيبة سوى صفحة واحدة، وقد نجد نقاطاً بلون مداد أحمر في ثابيا المتن، والمتن محاط بأطر بلون مداد أحمر، غير أنه كثُر فيها السقط في مواضع عدّة.

بدأت هذه النسخة بعد صفحة العنوان، وبعد البسمة بقوله: "الحمد لله حمداً يُوافي نعمة، ويكافئ مزيدة، وصل الله وسلم على سيدنا، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد... .

فهذه رسالة جامعه، ونجمة نيرة ساطعة، تتقدّم نوراً... ." (١٠٧)، وانتهت بقوله: "... والجنة والسراب والميزان، فهذا مما لا مدخل للعقل فيه سوى النقل. حقّ الله قلوبنا بالإيمان، وجعلنا مُؤيدين عنده بالبيان والبرهان، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. عَلَّقَهَا لِنفْسِهِ، ولمَنْ شاءَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ مُؤلَّفُهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى مُولَاهُ، مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ التَّقَّاءِ عِيسَى الْخَلُوتِيُّ الصَّالِحِيُّ... ." (١٠٨).

وقد كتبت هذه النسخة سنة ١١٥١هـ، وذلك في شهر جمادى الآخرة، ويعنى بذلك أنها كتبت قبل وفاة المؤلف بأقل من سنتين، لأنّه قد توفي سنة ١١٥٣هـ.

والنسخة يغلب على الظن أنها بخط المؤلف نفسه؛ يدل على ذلك أمران:

(١٠٧) ابن كنان، الأشیاء برفع الاشتباہ فی علل النحو، (ق ٨٨/ب).

(١٠٨) ابن كنان، الأشیاء برفع الاشتباہ فی علل النحو، (ق ٩٠/أ).

وهذه النسخة تُوجَد في المكتبة الملكية في برلين (المانيا) تحت رقم (٦٨٥٣We ١٧٢٢) (١٠٥)، والرسالة هي الكتاب الرابع ضمن مجموع يحمل ستة كتب (٤/٦)، وهذه الكتب هي:

الرسالة المفردة في أربعين حديثاً مسندة، والزهور البهية في شرح رسالة الأصول الفقهية، والمعاني المرضية على الشمعة المضية، ورسالة الأشباء برفع الاشتباہ في علل النحو، والرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسمة، وإسناد المؤلفين والمحدثين (١٠٦).

وعدد أوراق الرسالة ثلاثة أوراق، في كل ورقة صفحتان، وهي واقعة من ترقيم المجموع من (ق ٨٨/أ) إلى (ق ٩٠/أ)، يتفاوت عدد الأسطر في كل صفحة منها ما بين (٢٦ - ٢٩) سطراً، وكذلك يتفاوت عدد الكلمات في كل سطر ما بين (٦ - ٩) كلمات، وقد كُتِبَ بخط النسخ المعتمد، وروعي فيه الإعجام، ولم يراع المؤلف الكتابة الصحيحة لرسم همزة القطع، وكذلك الهمزة المتطرفة بحسب قواعد الكتابة المتعارف عليها.

وهذه النسخة المعتمد عليها في التحقيق تميّزت - في الغالب - بالوضوح وقلة التصيف والتحريف، ووجود تعليقات توضح مراد المؤلف،

(١٠٥) ينظر: Ahlwardt, W. Verzeichniss der arabischen handschriften der Königlichen bibliothek zu Berlin, 6 P. 199.

(١٠٦) كما ترتيب الكتب في صفحة عنوانات المجموع، والكتاب الأخير (إسناد المؤلفين والمحدثين) يبيّن أنه لابن كنان، لأن جميع الكتب الموجودة في المجموع هي لابن كنان - كما عرفنا سابقاً، غير أنه لم يتيسر الوقوف على المجموع كاملاً حتى يطمأن إلى هذه النسبة، ولم يوقف على هذا العنوان في فهرس المكتبة الملكية في برلين، ولا في غيره من المصادر والمراجع التي تناولت ابن كنان ومصنفاته، لذا فلم يورد هنا هذا الكتاب ضمن الحديث عن مؤلفات ابن كنان.

وبعد بحث طويل^(١٠٠) عما يرمز إليه هذا الحرف مع الشكل الذي فوقه توصل - فيما يظن - إلى أنه رمز قد اصطلاح عليه المؤلف للدلالة على أن هذا التعليق تعليقه، وحرف الميم يرمز إلى أول حرف من اسم المؤلف (محمد).

ولعل من أبرز القرائن التي ساعدت على الوصول إلى هذه النتيجة هو أن ابن كنان قال شارحاً إحدى عباراته في المتن: «أعني نون التثنين؛ لأنَّ حرف قطعاً»^(١٠١)، ثم أتبعه بالرمز السابق وتحته حرف الميم.

وهذا يعني أن التعليق هو تعليق المؤلف نفسه حينما أنسد الفعل للمتكلم.

أضف إلى ذلك أنه في إحدى مؤلفاته من المجموع نفسه الذي يحوي هذه الرسالة قد استخدم هذا الرمز بعد الانتهاء من تعليق له على المتن كاتباً تحته (محمد)^(١٠٢)، وفي مؤلف آخر من المجموع نفسه أيضاً كتب تحت الرمز (محمد)، ثم حرف (م)^(١٠٣).

١- جاء في آخرها: «عَلَّقَهَا لِنَفْسِهِ، وَلِمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ مُؤْلِفُهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَيْ مَوْلَاهُ، مُحَمَّدُ بْنُ رَئِنَّ التَّقَّاةِ عِيسَى الْخَلُوتِيُّ الصَّالِحِيُّ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْأَحَدِ، سَادِسِ عَشَرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، الْكَائِنُ مِنْ شَهُورِ سَنَةِ وَاحِدٍ وَخَمْسِينَ وَمَايَةَ وَالْفِي»^(١٠٤).

وإن كان ما في هذه الخاتمة من الدلائل الاحتمالية على أن النسخة بخط المؤلف، وأن هذا التاريخ هو تاريخ النسخ لا التأليف إلا أن هناك ما يقطع بأن هذا التاريخ هو تاريخ التأليف والنسخ معًا، وأن هذه النسخة هي مسوقة بخط مؤلفها، وهو ما سيأتي في النقطة التالية.

٢- أغلب التعليقات الموضحة للمتن (التي في هوماش الصفحات) هي للمؤلف، وبخطه، فشكل الخط واحد، ولون المداد لمكتوب في المتن وفي الهوماش ووضوحيه كان واحداً وبدرجة واحدة. ومن أقوى الدلائل على أن هذه التعليقات للمؤلف وبخطه تكرار رمز كان يكتب عند نهاية كل تعليق -في الغالب-، وهو رمز شبيه بما يكتب فوق الألف دالا على أن الهمزة ممدودة بالألف (~)، وتحت هذا الرمز يكتب حرف الميم المفردة (م)، وقد يكتفي في بعض الأحيان بحرف الميم بعد نهاية التعليق دون الرمز، وهذا الرمز مع حرف الميم المفردة لا يدل كما يظن لأول وهلة عند النظر إليه على التقديم أو الكلام المؤخر كما هو متعارف عليه عند أهل التحقيق.

(١٠٠) من صور البحث سؤال أهل التحقيق من ذوي الخبرة عن دلالة هذا الرمز، منهم الشيخ وائل بن عبد الله الزومي، والشيخ عبد الرؤوف بن محمد الكمالى، والشيخ محمد بن ناصر العجمى، وهم من أعلام المحققين المعاصرين في دولة الكويت، وقد تفضلوا على بقبول مقابلة هذه النسخة بعد تحقيقها على النسخة الأصل تصحيحاً، فجزاهم الله خيراً الجزاء في الدنيا والآخرة.

(١٠١) ابن كنان، الأشباء برفع الاشتباه في علّ النحو، (ق ٨٩/أ)، وهو تعليقه الثالث في الهامش الأيمن من الصفحة.

(١٠٢) ابن كنان، الرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسمة، (ق ٩٨/أ)، وهو تعليقه الوحيد في الهامش الأيمن من الصفحة. وهذا المخطوط من نسخة المكتبة الملكية في برلين، تحت رقم ١٧٢٢ (٧٢٨٣ we).

(١٠٣) ابن كنان، المعاني المرضية على الشمعة المصيبة، (ق ٦١/ب)، وهو تعليقه الأول في الهامش الأعلى. وهذا المخطوط من نسخة المكتبة الملكية في برلين التي تحت رقم ١٧٢٢ (٦٧٧ we).

(١٠٤) ابن كنان، الأشباء برفع الاشتباه في علّ النحو، (ق ٩٠/أ).

- ٢- كتابة نصّ الرسالة وفق القواعد الإملائية الشائعة، مع الضبط الكامل بالشكل للكلمات.
- ٣- إثبات رقم ورقات الأصل في المتن بين قوسين معقوفين [].
- ٤- محاولة معالجة السقط والتحريف والتصحيف الواقع في المتن، وذلك بالرجوع إلى من نقل عنهم المؤلف، مع التتبّيه على ما غمض من عبارات المؤلف في الحاشية، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.
- ٥- توثيق ما نقله المؤلف بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الآراء أو الأقوال أو الشواهد النثريّة من مظانه في الحاشية.
- ٦- كتابة الآيات الواردة في المتن بالرسم العثماني، مع تحريرها في الحاشية.
- ٧- لما خلت الرسالة من العناوين الفرعية التي تعين على بيان النصّ، أضيفت بعض العناوين بين القوسين المعقوفين []، ثم يُنْبَهُ على أنها زيادة في الحاشية، كذلك زيدت أرقام قبل كل علة.

وعلى ذلك ففي هذه الرسالة لما اتفق خطّ المتن والخطّ الذي كتبت به التعليقات، مع اتفاق درجة الوضوح واللون، وما في الخاتمة التي ختمت بها الرسالة، فقد دلّ كل ذلك على أنّ هذه النسخة بخطّ المؤلف نفسه، وأنّها -كما يبدو- مسوقة لوقوع بعض السقط والشطب فيها والهبات النحوية البسيطة كما في كتابة تاريخ التأليف والنّسخ الذي مرّ بنا في الصفحة السابقة.

ومع خطورة الاعتماد على النسخة الوحيدة في التّحقيق عموماً إلا أنّ نفاسة هذه النسخة مع أهمية الموضوع الذي تحويه كان من الواجب عدم إهمالها، وإصلاح ما وقع فيها من الهنات.

منهج التّحقيق:

قد اتّبع في تحقيق هذه الرسالة المنهج الآتي:

- ١- إظهار نصّ الرسالة كما أورده مؤلفه، مع تعديل الخطأ بحسب ما يتضمنه السياق؛ لأنّ به يكتمل مراد المؤلف، مع إيراد التّوضيحات المهمّة المصاحبة للنص في الحواشي.

نماذج من المخطوط:



صورة صفحة العنوان في المكتبة الملكية في برلين



صورة الصفحة الأولى (ق/٨٨) من نسخة المكتبة الملكية في برلين



صورة الصفحة الأخيرة (ق. ٩٠ أ) من نسخة المكتبة الملكية في برلين

الاشتباه، وسمتها برسالة: الأسباب برفع الاشتباه [في علّ اللّحّا] ^(١١٨)، وهو حسبي.

[نوعا العلل عند التحوين والغاية منها:]
اعلم أن اعتلال التحويين على قسمين: علة تطرب على كلام العرب، وتنساق إلى قانون لغتهم، وعلة تظهر حكمتهم، وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاديرهم. والأولى أكثر من الثانية.

[تعداد العلل الأولى وأنواعها:]

ومدار تلك العلل على وجه المدارية أربعة وعشرون نوعاً ^(١١٩)، وهي:
(١) علة سماع، نحو: امرأة ثدياء ^(١٢٠)، ولا يقال: رجل ثدي؛ ليس له علة سوى السماع.
(٢) وعلة تشبيه، مثل إعراب المضارع لمشابهته الاسم في وقوعه صفة وصلة وحالا وخبرا، وعلة بناء [الاسم] ^(١٢١) لمشابهة الحرف بالوضع، نحو: (من)

ما فيها ما تشبع وتشتت من مواقف العلماء بسبب الشك والارتياح واللس فنها كما ذكر في خاتمة الرسالة.
(١١٨) الزيادة هنا من الهاشم الأيسر من (٨٨/ب)، وفي نهاية هذه العبارة كلمة (صح) وكما هو معلوم يعني ذلك أنها ساقطة من المتن.
(١١٩) عد ابن كنان خمساً وعشرين علة، فراد علة على هذا التعداد.
(١٢٠) في الأصل (ثدي) بالياء، وهو تحريف. يقول ابن طریب الفاسی: «قوله: (ثدياء) يفتح المثلثة وسکون الدال المهملة وفتح التحريكية، مقصوراً في نسخ (الاقتراح)، ومددوا في الكتب الصدرافية (القاموس) (والصالح)، وهو الذي يقتضيه القياس، أي: عظيمة الثنيين» (فيض نشر الاشراح، ٢٨٦/٢).
وامرأة ثدياء، أي: عظيمة الثديين، ولا يأتي من هذه الصفة (أفعى) كما يأتي من غالب أفعال فلاء كأحمر حمرا، وأدمع دعاء. ينظر: الأزهري (٣٧٠هـ)، محمد، تهذيب اللغة، (مادة: ثدي)، ١٠٧/١٤، والقزويني (٨١٧هـ)، محمد، القاموس المحيط، (مادة: ثدي)، ٦٦/٢، والزبيدي (١٢٠٥هـ)، مرتضى محمد، تاج العروس، (مادة: ثدي)، ٦٧/٢٣٨.
(١٢١) في الأصل سقطت (الاسم)، وما أثبت هنا في المتن هو المناسب للسياق، وقد ورد في (الاقتراب)، ص ٢٥٨: «وعلة تشبيه: مثل اعراب المضارع لمشابهته الاسم، وبناء بعض الأسماء لمشابهتها الحروف». وكلمة (علة) في المتن معروفة على (إعراب)، والتلليل هنا لبناء بعض الأسماء تابع لعلة المشابهة، فهو مثال ثان لهذه العلة بعد تمثيله لعلة اعراب الفعل المضارع، وليس علة مستقلة كما يبدو ظاهر قراءة الأصل.

ثالثا: النص المحقق:

[أ] رسالة الأسباب برفع الاشتباه في علّ اللّحّا

تأليف العبد الفقير إلى مؤلاه الغني محمد بن زين النقاش عيسى الخلوتى الصالحي الحنفى، عامل المؤلى بلطفة الحفى، وأجزأه على به الحفى، وهو حسبي، ونعم الوكيل. والحمد لله تعالى وحده.

[ب] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يُوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وصلى الله وسلم على سيدنا [محمد] ^(١١٥)، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.. .

فهذه رسالة جامعة، ونجمة نيرة ساطعة، تتقدّم نوراً، وتوجّب لحسناها سروراً وحبوراً، ثمّ ^(١١٦) فيها علّ اللّحّا، ويزول لطفها سواكل ^(١١٧)

(١١٤) في الأصل (صلي) بالياء المعجمة، ولعله أراد فعل الأمر، ولكنه أشيع كسرة اللام؛ فنؤكّد منها الياء. وما أثبت في المتن يحمله السياق أيضاً، فالأسلوب خيري خارج إلى معنى الدّعاء.

(١١٥) في الأصل سقطت كلمة (محمد)، وهذه الزيادة يقتضيها السياق.

(١١٦) اللّم: تزيين الكلام بالكتب (القزويني أبيادي ^(٨١٧هـ)، محمد، القاموس المحيط، (مادة: نعم)، ٦٤/١١)، والفعل منه: نعم. وهنا الفعل مبنيّ لما لم يسمّ فاعله، والتضييف للمبالغة.

ولعله أراد الفعل (نعم) مبنيّاً لما لم يسمّ فاعله، فيكون في المثبت تحريف، وهذا الفعل بمعنى: تزيين وثرثرة وتوخّط.

ينظر: الجوهرى (٣٩٣هـ) الصحاح، مادة: (نعم)، ٢٠٤٦/٥، ابن منظور (٧١١هـ)، ومحمد بن مكرم، لسان العرب، (مادة: نعم)، ٥٩٢/١٢، والزبيدي (١٢٠٥هـ)، مرتضى محمد، تاج العروس، (مادة: نعم)، ٣٤/١١.

(١١٧) في الأصل (سواك)، ومن المعلوم أن الشيئين يخطّ النسخ ثمّ عم، وقد كتبت هذه الرسالة بخطّ النسخ، والشيئين المعجمة مطردة في كتابة باقي الرسالة. فعل الصواب ما أثبت هنا في المتن.

ولعل ما أثبت هنا هو المناسب للمعنى المراد، فـ(سواك) جمع (شكلاً)، وهي تعني: الناحية والطريق، فيقال: هذا طريق ذو سواكل، أي: تتشعب منه طرق (الأزهري ^(٣٧٠هـ)، محمد، تهذيب اللغة، مادة: شكل)، ٥٤/٦، وبين منظور (٧١١هـ)، لسان العرب، (مادة: شكل)، ١١/٣٥٦).

فيصبح مراد ابن كنان هنا أن هذه الرسالة بما تحوّيه من مادة علمية متصلة بالعلل وتعيينها وترتيبها وفائدتها وغير ذلك مما ذكره يزول لحسن

(٩) وعلة تقدير، مثل: نصب التكراة [بـ(لا)]^(١٢٧)، حمل على نفيتها، وهو (إن).

(١٠) وعلة حمل معنوي، مثل: ① فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ ① [أ/٨٩]^(١٢٨)، نَكَر فعل الموعظة، وهي مؤنثة، حمل على المعنى، وهو الوعظ.

(١١) وعلة مشكلة، قوله^(١٢٩): ① سلاماً ② وأغلاً^(١٣٠).

(١٢) وعلة معاذلة، مثل: جرهم ما لا ينصرف بالفتحة نيابة عن الكسرة حمل على النصب بالكسرة نيابة عن الفتحة في جمع المؤنث السالم.

(١٣) وعلة مجاورة، نحو قوله^(١٣١): جُرْ حَرْ صَبَ حَرِبٍ^(١٣٢)، وكسر دال الحمد لله^(١٣٣)؛ لجاورتها لام (الله).

(١٢٧) هذه الزيادة من (الاقراغ ص ٢٦٠)، وما في الهاشم الأيسر من صفة المخطوط يوضح أن مراده (لا) النافية للجنس.^(١٢٨)

(١٢٩) وقراءة التذكير في (جاءه) هي قراءة عامة القراء، وقرأ أبي بن كعب والحسن بتأنيث الغعل (جاعته). ينظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (٤٣٨ـ)، والكتاف، للزمخشري (٥٣٨ـ)، والبحر المحيط، لأبي حيأن الأندلسي (٧٤٥ـ)، والذر المصنون، للسمين الحلبي (٧٥٦ـ)، ٢٣٤ / ٢، ومعجم القراءات القرآنية، أحمد مختار، عبد العال سالم، ٢١٥ / ٤٠٢، ومعجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ١ / ١٢٩. في الأصل (كتفهم) بالإضافة إلى ضمير الجمع، والصواب ما أثبت هنا في المتن؛ لأن التضمير لله سبحانه وتعالى، ويحمل ما أثبتت في الأصل أن يكون مراده من التضمير هم القراء أصحاب هذه القراءة، فيكون ما أثبت في الأصل هو الصواب.

(١٣٠) ولهاتين الكلمتين أكثر من قراءة، والقراءة المقصودة هنا هي قراءة من قرأ بتأنيث (سلاماً) بالفتح وفما ووصلها، ومن قرأ بذلك من القراء: نافع والكساني وأبو جعفر وأبو بكر عن عاصم وغيرهم. ينظر في هذه القراءة وغيرها من القراءات: معاني القرآن، للفراء (٢٠٧ـ)، ٣ / ٢١، والستبة في القراءات، لابن مجاهد (٣٢٤ـ)، ص ٦٦٣، وإعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (٣٣٨ـ)، ٩٧٥ـ، والحكمة في القراءات السبعة، لابن خالويه (٣٧٠ـ)، من ٣٥٨ـ، والحكمة في القراءة السبعة، لأبي علي الفارسي (٣٧٧ـ)، ٣٥١ / ٦، والكتاف، للزمخشري (٥٣٨ـ)، ٤ / ٦٦٧ـ، والبحر المحيط، لأبي حيأن الأندلسي (٧٤٥ـ)، ٤٠٩ـ، والبحر المحيط، لأبي حيأن الأندلسي (٧٤٥ـ)، ٣٨٧ـ / ٨، والذر المصنون، للسمين الحلبي (٧٥٦ـ)، ٥٩٦ / ١٠، ومعجم القراءات القرآنية، أحمد مختار، عبد العال سالم، ٢٠ / ١٠، ومعجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ٢٠٧ـ.

(١٣١) في الأصل (قولك) مضافة إلى ضمير المخاطب، والصواب ما أثبت هنا، لأن القول الآتي قول ماثور عن العرب.

(١٣٢) هذا قول ماثور عن العرب تناقله اللغويون والنحوة، يقول القراء: "ومما يرويه ثخوينا الأولون أن العرب تقول: هذا جر ضيـ

المؤصلة"^(١٢٢)، والفقار، [كالموصول]^(١٢٣)، والنضمـن^(١٢٤).

(٣) وعلة استغناء، قولهم في (وَدَعَ): ترك^(١٢٥).

(٤) وعلة استغفال [كاستغفالهم الواو في (يَعْدُ)]^(١٢٦) لوقعها بين فتح وكسر بحذف الواو استغفال؛ لوقعها بين كسر وباء.

(٥) وعلة فرق، كرفع الفاعل، ونصب المفعول، وفتح نون الجمع، وكسر نون التثنية.

(٦) وعلة تأكيد، مثل: إدخالهم ثون الخفيفة أو التقليل في فعل الأمر.

(٧) وعلة تعويض، مثل: تعويضهم الميم في (اللهم) عن حرف النداء.

(٨) وعلة نظير، مثل: كسرهم أحد الساكني إذا التقى في الجزم حمل على الجر؛ لأنـه نظيرة.

(١٢٢) هذه الزيادة مكتوبة بين السطرين، والذى رجح أنها في أصل المتن، وليس شرحاً أو تعليقاً، هو أن الشرح والتعليق كتبهما المؤلف في هوامش الصحفات وحواشيها بصورة مطردة، فلو كانت هذه الزيادة شرحاً أو تعليقاً لكتبت في الهواشم والحواشى كسائر شروحه وتعليقاته وتوضيحاته.

(١٢٣) هذه الزيادة مكتوبة أيضاً بين السطرين، ورجح أنها من أصل المتن المرجح السابق للزيادة السابقة.

(١٢٤) على في الهاشم الأيسر من (٨٨ـ) بـ(تعليق، الأول هو: "مثال الافتقار بناء الموصول، نحو: الذين، لافتقاره إلى المثلنة والعائدة". وهذه العلة لبناء الموصول، فأليست مقتصرة على (الذين) فقط.

أما التعليق الثاني، فهو شرح لكتبه لعلة بناء الاسم لم الشاهنة الحرف من جهة التصمن، وهو: "مثل (كيف) في تضمن معنى الاستفهام".

(١٢٥) في الأصل تحريف، وعبارة الأصل: "كتفهم في (ترك)" والمثبت هنا هو الصواب كما هو معلوم؛ إذ العرب استغنوا بالفعل (ترك) عن (وَدَعَ) في الماضي. ينظر مثلاً: ابن السراج، الأصول في النحو، ٥٧ـ / ١، والفارسي، المسائل العسكرية، ص ٧٦ـ، والزماني، شرح كتاب سيبويه، ١٤٦ـ / ١، وابن جني، الخصائص، ٩٩ـ / ١.

(١٢٦) في الأصل سقط ما بين القوسين، وهذه الزيادة من (الاقراغ) وشريحة، وهي مناسبة للسياق؛ إذ لم يُمثل لهذه العلة، والشرح المثبت في الأصل يقتضي هذه الزيادة، ففي الأصل وردت العبارة بهذه الصورـة: "وعلة استغفال؛ لوقعها بين فتح وكسر بحذف الواو استغفال؛ لوقعها بين كسر وباء".

وقد ورد توضيح في الهاشم الأيسر من (٨٨ـ) بـ(وفي)، فيه حذف الواو لوقعها بين فتح وكسر، قالوا: بـ(وفي)، بـ(وفي)، الواو لما قلنا". وقد كتبت الألف المقسورة (وفـا) قائمة ولم يـسـت على صورة الياء.

(٢٢) وعلة دلالة الحال، قولهم: الهلال، أي: هذا الهلال^(١٣٧)، فحذف المبتدأ دلالة الحال عليه.

(٢٣) وعلة إشعار، قولهم في جمع موسى: موسون، بفتح ما قبل الواو الثانية؛ إشعاراً بأن المحفوف ألف.

(٢٤) وعلة تضاد، قولهم في الأفعال التي يجوز إلغاؤها: متى تقدمت، وأكيدت بال مصدر أو بضميره؛ [٨٩] لما بين التأكيد والإلغاء من التضاد، فلا تلغي.

(٢٥) وعلة التخليل، ومثلها المحقق ابن الحشّاب الخويي البغدادي حاكيا الاستدلال على اسمية كيف) بتفه حرفيتها بوقعها جزء جملة الاسمية^(١٣٨)؛ لأنها مع الاسم كلام تام، وبتفه فعليتها لوقعها مجاورة الفعل بلا فاصيل^(١٣٩).

(١٣٧) في الأصل زيانتان، وعبارته: "الهلال الهلال، أي: هذا الهلال".

أما الزيادة الثانية (أي: هذا الهلال)، فظاهرة، أما الأولى (الهلال)، فهي محتملة التأكيد للظرف لا من باب حذف المبتدأ دلالة الحال عليه والذي يقطع بأن ما ثبت هنا في التحقيق هو الصواب أن هذا التمثال مشهور عند النحاة، ولم يذكره النحاة بتكرار (الهلال)، قال سيبويه: "و يقول: الهلال، تریدُ هذا الهلال" (الكتاب، ١٦/١). ينظر في هذا المثال أيضًا: الكتاب، ١٣٨/١، ومعاني القرآن، للأخفش^(١٤٠)، ٨٧/١، والمقتبس، ٢٩٤، والأصول في النحو، لابن السراج^(١٤١) هـ، ٦٨/١، والحدود للزماني^(١٤٢) هـ، ص ٨٢، والبحر المحيط، ٢٨٣/٥، والتر المصنون، ٧، ٤٣٤، وقد علق في الهاشم الأيمن من (٨٩/أ): "ويجوز تقدير الفعل على أنه منصوب على المفعولة بالعامل المحوف".

(١٣٨) من باب إضافة الاسم إلى صفة نحو: مسجد الجامع، وصلاة الأولى، وقد مررت مثل هذه الإضافة عنده قوله (نون الخفيف).

(١٣٩) سبق أن تبه في قسم النراسة على أن كلام ابن الخشاف في كتابه (المترجم) حول الاستدلال على اسمية (كيف) يختلف نوعاً ما. عما نقله السيوطي، ومن تابعه، ومنهم ابن كنان. يقول ابن الخشاف^(١٤٣) هـ مستدلاً على اسمية (كيف): "وطريق النظر إن سبّرت وقسمت إن تحلّها، فتقول: لا تخلو (كيف) من أن تكون اسمًا أو فعلًا أو حرفاً، وقد قمنا أن الأسماء هي الأصول، فلا تكون فعلًا، لأن الأفعال تليها إذا قلت: كفْ تصنع؟ وكيفَ تقول؟ والفعل لا يلي الفعل إلا أن يكون بينهما حاجزٌ مفترضٌ وذلك في التحقيق لم تليل، وليس بين (كيف) وما تليها من الفعل حاجزٌ مفترضٌ، أعني ضميراً مُستترًا، فبطل أن تكون فعلًا، ولا تكون حرفاً؛ لأن الحرفاً لا يستقل به مع الاسم كلام تام إلا في الثناء نحو قوله: يا زيد، وليس قوله: كيف زيد؟ ببناء، وهو كلام تام؛ فبطل أن تكون حرفاً، فإذا لم تكن فعلًا ولا حرفاً بقي أن تكون اسمًا، وعلى هذا فحسن أمثاله" (المترجم، ص ٢٥).

والواضح أن علة التخليل هذه هي نتيجة السير والتقطيم الذي هو دليل عقلي يستعمل أينما وُضع، فيستعمل دليلاً على الحكم كما عند أبي البركات الأنباري^(١٤٤) هـ، وقد اسماه بالتشقيم في (لمع الأدلّة، ص ١٢٧)،

(١٤) وعلة وجوب، مثل: تعليلهم رفع الفاعل لقوءة الفاعلية، والرفع أقوى الحركات، فوجوب ضم الفاعل.

(١٥) وعلة جواز لا وجوب، كما في: تعليل الإملاء من الأسباب المعروفة.

(١٦) وعلة تغليب، مثل قوله تعالى: ① وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتَنِ ①^(١٤٥).

(١٧) وعلة اختصار، مثل باب الترخيص، و ① وَلَمْ يَكِ ①^(١٤٥).

(١٨) وعلة تحفيف، كالإذمام.

(١٩) وعلة أصل وبقاء بغير تصريف اللفظ، ك(استحوذ)، و(يُوكِرُمُ)، وصرف ما لا يتصير.

(٢٠) وعلة اقتصاد، بمثُن الصرف فيما لا يتصير؛ لما فيه من الاقتصاد عن الحرف بالحركة^(١٤٦).

(٢١) وعلة الأولية، قولهم: الفاعل أولى بالتقديم من المفعول.

حرب" (معاني القرآن للفراء، ٧٤/٢). وينظر فيه مثلاً: الكتاب، ٦٧/١، ومعاني القرآن، للأخفش^(١٤٧) هـ، ٨٢/١، والخصائص، ٣٠٧/١، ١٩٢/١.

(١٤٣) سورة الفاتحة، آية ١. وفي دال (الحمد) قراءات، منها هذه القراءة

- بكسر الدال- لمجاورة اللام، وهي قراءة الحسن وزيد بن علي وربه بن القراء، للفراء^(١٤٨) هـ، ٣/١، ومعاني القرآن للأخفش^(١٤٩) هـ، ٩/١، وإعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس^(١٤٩) هـ، ١٧٠/١، ومختصر شواد

القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه^(١٥٠) هـ، ص ٩، والمحبس في تبيين وجوه شواد القراءات، لابن جني^(١٥١) هـ، ٣٧/١، والكشف،

للمرحشري^(١٥٢) هـ، ١٠/١، والبيان في اعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري^(١٥٣) هـ، ٥/١، والبحر المحيط، لأبي حيان الأنصاري^(١٥٤) هـ، ١٣١/١، والتر المصنون، للسمين الحطبي^(١٥٥) هـ، ٤١/١، ومعجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار، عبد العال سالم، ٦/١،

ومجمع القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ٤/١، وقد كتب في الهاشم الأيمن من (٨٩/أ) تعليق، وهو: "ولعل هذه المحاجرة بعكس؛ فنقال: (الحمد لله)، بضم اللام كما قرأ في الشواد". وقد أشارت المصادر السابقة إلى قراءة الضم أيضًا، فليرجع إليها.

(١٤٤) سورة الشورى، آية ١٢.

(١٤٥) سورة التحليل، آية ١٢٠.

(١٤٦) تسمية هذه العلة بعلة الاقتصاد لم يُوقف على أحد قبله ذكرها بحسب ما تبيّن من الصرف، وتترك الحركة فيه، هو الاقتصاد، فالثنين حرف بخلاف الحركة.

وقد علق في الهاشم الأيمن من (٨٩/أ) بـ: "أعني نون التشوين؛ لأنَّ

حرف قطعاً".

فعَلَّةً بما ذُكِرَ مِنْ ظُهُورِ الْحِكْمَةِ فِيهِ بِالنُّكْتِ
الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِ الْلِسَانِ الْعَرَبِيِّ^(١٤٧).
وَظُهُورُهَا^(١٤٨) كِرَامَةً وَشَرَفًا لِلْلِسَانِ الْعَرَبِيِّ؛ لِأَنَّهُ
أَشْرَفُ مَوْضِعٍ فِي الْأَصْلِ الْمُبْنَىِ عَلَى أَسْرَارِ
وَدَقَائِقِ^(١٤٩) تَحْيِيرِ فِيهَا الْأَفْكَارُ، وَظَهَرَتْ كَالشَّمْسِ
فِي الرَّابِعَةِ مِنَ النَّهَارِ^(١٥٠).

فَكَانَتْ لَوْجِيَّهُ مُسْتَعْمِلٌ^(١٥١) دُونَ غَيْرِهِ لِمَعْنَى
وَاسْتِنَادٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَظْهُرْ شَرْفَهُ^(١٥٢)،
وَإِنْتَكَ^(١٥٣) [المعنى والأسرار] لَا تَظْهُرُ إِلَّا فِي هَذَا
الْلِسَانِ ذِي الْأَفْتَحَارِ.

وَلِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ، وَأَنْسُهُ وَمُنَاسِبَاتُهُ مَمَّا
لَا يُنَاسِبُ إِلَّا بِالْجِنَانِ^(١٥٤)، وَغَيْرُهُ لَا تُوجَدُ فِيهِ هَذِهِ

وَلِكَافِي كتابه: المستوفى في النحو، (٨/١)، وقد نقله أيضًا جلال الدين السيوطي معزًّا إلى ابن الفرخان مكتبياً عنه بقوله: (صاحب المستوفى) وذلك في بداية حديثه عن العلة في الفصل الرابع من الكتاب الثالث الذي خصمه باللسان النحوي. ينظر: الأقتراح، ص ٢٤٩ - ٢٥١، وداعي الفلاح لمختبات الأقتراح، ص ٤٣٤ - ٤٣٦، وفيض نشر الانشراح من روض طيء الأقتراح، ص ٤٢٣ - ٤٢٤. ^(١٤٧) في هذا الكلام إشارة إلى أن التعليل خاص باللسان العربي وحده، فلا يوجد في اللغات الأخرى. وهذه مصادر مقتولة إلى الاستقراء الثامن لسائر الألسن.

^(١٤٨) الضمير (ها) عائد على الحكمة.
^(١٤٩) هناك زيادة ليست في متن الأصل ختمت بـ(صح)، مما يدل على أنها من المتن، وهي في المهاشم الأربعين من (٨/٩ـ١٠)، وهو قوله: «لُفُونَ الْبَلَاغَةِ الْأَتِيَّ فِي نَوْعِ الْمَعْنَى وَالْبَدِيعِ». غير أنه قد غمض على الباحث موضوعها هنا في المتن، فلم يلتفت لها.

^(١٥٠) لعل مراده أن اختهار الحكمة في الأوضاع الخاصة باللسان العربي هو شرف لها، لما لهذا اللسان من شرف، ولعله يقصد بالشرف الثاني المكانة التي اكتسبها اللسان العربي بسبب ما حواه من أسرار و دقائق وفون من البلاغة التي تظهر في المعاني والبديع، فمن هذه الأسرار وال دقائق معرفة الحكمة من اختيار اللفظ في الموضع الخاص.

^(١٥١) الجملة فيها كلمة صعبت قراءتها، ولم يُضْحِي لها وجه عند قراءتها إلا ما ثبت في المتن، ويكون المعنى عليها: أن العلل تكون للوجه المستعمل في اللسان العربي، أي أنها تبحث عن سر استعمال لفظة أو تركيب أو اختيارهما في موضع خاص دون غيرهما من الألفاظ والترافق غير المستعملة، أو غير المختار في هذا الموضع الخاص.

^(١٥٢) لعله يريد أن يقول: إن اختيار اللفظة أو التركيب في الموضع الخاص لم يكن اختيارا اعتباطياً، بل كان لمعنى ما مقصود، واستناداً على أمر ما معتبر، يجعل هذا اختيارا من القوة والاعتبار بمكان.

^(١٥٣) في الأصل تحريف (ذلك)، والمثبت هو على اعتبار الإشارة إلى (المعاني والأسرار).

والواو هنا تكون للاستثناف البياني.

^(١٥٤) هذا ما تمكن من قراءة هذه العبارة، وعليه فمراده هنا ذكر خصيصة من خصائص اللسان العربي، وهو أنه لسان أهل الجنة؛ ذلك لما اختص به في كل ما سبق ذكره من موانسة ومناسبات وضعية جعله

فَتَحَلَّ دَلِيلٌ إِلَى دَلِيلَيْنِ^(١٤٠)، وَدَلِيلُ الدَّلِيلِ كَالْعِلْمَةِ الْوَاحِدَةِ^(١٤١).

خاتمة: [الرد على من يرى ضعف علل النحو:]
وَاعْلَمُ أَنَّ عَلَلَ النَّحْوِ فِي غَايَةِ مِنَ الْوَثَاقَةِ،
إِذَا تَأْمَلَتْ عَلَلَهَا عَلِمْتَ أَنَّهَا غَيْرُ مَدْحُولَةِ.

وَأَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَعْبَيَاءِ -لَعْلَهُ مَمْنَ
لَا يَعْرِفُ النَّحْوَ- مِنْ أَنَّ عَلَلَ النَّحْوِ تَكُونُ وَاهِيَّةً بَعْدَ
الْوُقُوعِ؛ فَهِيَ تَابِعَةٌ بَعْدَ وُجُودِ الشَّيْءِ^(١٤٢)، فَبَعْدَ عَنِ
الْحَقِّ، لَوْ دَقَّقَ الْفَيْكَرُ، وَرَيَّضَ الْذَّهَنَ^(١٤٣)؛ لِأَنَّ إِذَا
تَأْمَلَنَا الصِّيَغَ وَالْأَوْضَاعَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَعَلِمْنَا
أَنَّ كُلَّهَا أَوْ بَعْضَهَا مِنْ وَصْعِ الْحَكِيمِ^(١٤٤)، طَلَبَنَا
وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْخَاصِ بِالْحَالِ الَّتِي
عَلَيْهِ دُونَ الْلَّفْظِ الَّذِي كَانَ يُمْكِنُ الْلَّفْظُ بِهِ فِي الْكَلَامِ،
وَيَفِيدُ الْمَعْنَى الْمَرَامِ^(١٤٥)، لَكِنْ اخْتَصَّ الْأَسْتِعْمَالُ
بِهَذَا دُونَ الْآخِرِ لِحِكْمَةِ، لَأَنَّ أَفْعَالَهُ وَضِعَتْ عَلَى
الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ^(١٤٦).

وَيُسْتَعْمَلُ أَيْضًا مَسَلَّكًا مِنْ مَسَلَّكِ الْعَلَةِ كَمَا عَنْ جَالِ الدِّينِ السِّيُوطِيِّ وَمِنْ
تِبْيَعِهِ، وَقَدْ مَثَلُوا لَهَا بِأَكْثَرِ مِنْ مَثَلٍ، مِنْهَا الْإِسْتِدْلَالُ عَلَى اسْمَةِ (كِيفِ) كَمَا
ذُكِرَ هُنَا نَقْلًا عَنْ أَبِنِ فَلَاحِ (٦٨٠هـ) فِي كِتَابِ (الْمَغْنِي فِي النَّحْوِ)،
مَعَ أَنَّ أَبِنَ فَلَاحَ ذَكَرَ السَّبِيرَ وَالْقَسِيمَ دَلِيلًا مِنْ آلَةِ اسْمَةِ (كِيفِ).
يُنَظَّرُ: الأقتراح، ص ٣٢٢، وداعي الفلاح، ص ٥٣٦ - ٥٣٧، وفيض نشر
الاشتراك، ٩٨٢ - ٩٨٠، وارتقاء السيدة، ص ٨٠، مع التشيبة على أنَّ
الشَّتَوَّيِّ لَمْ يَتَّبِعِ السِّيُوطِيَّ فِي التَّعْقِيلِ سَوْيًا مَثَلَ اسْمَةِ (كِيفِ)، فَلَمْ يُذَكَّرْ.

^(١٤٠) أي: يَذَلِّلُ نَفِي حِرْفِيَّتِهَا، وَيَذَلِّلُ نَفِي فَعْلِيَّتِهَا.

^(١٤١) أي: أَنْ دَلِيلَنِي نَفِيَ الْحَرْفَةَ عَنِ (كِيفِ) وَنَفِيَ الْفَعْلَيَّةَ لِيَسَا مُسْتَقْلَينَ
بِالْتَّعْقِيلِ عَنِ اسْمَيْتَهَا، فَالْدَّلِيلَانِ يَعْدَانَ عَلَيَّ لَامَةً لِاسْمَةِ (كِيفِ).

^(١٤٢) مراده أن النحو علوا الأحكام بعد وقوع هذه الأحكام باستبطاطها مِنْ اسْتِقْرَاءِ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَالْعَلَلَ تَابِعَةٌ لِلْأَحْكَامِ؛ لَأَنَّ الْعَلَلَ هِيَ كَالْأَسْبَابِ
الَّتِي يَكُونُ وَجْدَ الشَّيْءِ تَابِعًا لَهَا.

^(١٤٣) أي: يَذَلِّلُ ذَهَنَهُ بِالْتَّدْرِيبِ عَلَى اعْمَالِهِ، فَالْتَّدْرِيبُ يَضْلِلُ لِغَةَ التَّذَلِّلِ.

^(١٤٤) يَنْظَرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَةُ (رُوْض)، وَتَاجُ الْعَرْوَسِ، مَادَةُ (رُوْض).

^(١٤٥) الْحَكِيمُ هُوَ اللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى، وَكَلَامُ أَبِنِ كَثَانِ مَبْنَى عَلَى الْقَوْلِ
بِالْتَّوْقِيفِ فِي الْلُّغَةِ.

^(١٤٦) يَقْصِدُ هَذِهِ الْبَحْثَ عَنِ عَلَلَةِ اسْتِعْمَالِ لِفَظِ دُونَ آخَرِ فِي مَوْضِعِ
خَاصٍ، أَيْ: فِي تَرْكِيبِ مَعْنَيٍ مَفْصُودٍ، مَعَ أَنْ كَلِيْهَا قَدْ يَعْبُرُ عَنِ الْمَعْنَى
الْمَرَامِ، وَأَخْتِيَارُ أَحَدِ الْلَّفْظَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْخَاصِ يَدْفَعُ إِلَى الْبَحْثِ عَنِ
وَجْهِ الْحِكْمَةِ فِي اخْتِيَارِ لَفْظِ دُونَ آخَرٍ؛ لِأَنَّهُ يَعْبُرُ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي دَلَّ

^(١٤٧) كَلَامُ أَبِنِ كَثَانِ فِي الْخَاتِمَةِ مِنْ قَوْلِهِ: (وَاعْلَمُ أَنَّ عَلَلَ النَّحْوِ...)

^(١٤٨) إِلَى قَوْلِهِ: (... عَلَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ) هُوَ كَلَامُ أَبِنِ الفَرَخَانِ بِتَصْرِيفِ

النها يحيلون فيه إلى الحس^(١٥٩)، وليس كذلك على الفقه؛ لأنها أعلام و أمارات لوقوع الأحكام^(١٦٠) كما في علة الركاء؛ لدفع حاجة الفقر، واستحباب الأذان؛ لما فيه من الإعلام، وعلى المتكلمين عقلية.

وعلى^(١٦١) قد يُستغنى عنها^(١٦٢)، ويكون تعبدية، لا يعقل معناه^(١٦٣)، وذلك في كثير من الركعات؛ لأنها تعبدية وإيمانية^(١٦٤)، والتعبدية ليس إلا فيه الامتناع لا غير.

والتعبدية: كما في السعي بين الصفا والمروءة والتجرد^(١٦٥)، والإيمانية: التكليف بالإيمان، وهو التصديق بما غاب عنّا مع بعد العقل عنّه، كالعذاب

الحال أو خيّتها على النفس، وليس كذلك على الفقه^(١٥٩) (الاقتراب، ص ٢٥١).

في الأصل (أنّ الباني يحيلون...)، فعلّم مراده بـ(الباني) التحوّي الباني للأحكام بهذه العلل، وعليه لا وجه لضمير الجمع في (يحيلون) ولعل الصواب هو ما أثبت هنا (أنّ النها يحيلون...)، وهو ما يفهم من ابن جنى في خصائصه (٤٨/١)، وما نقله عنه السيوطي في (الاقتراب، ص ٢٥١)، والمناسب أيضاً للسيق، وعد ضمير الجمع في (يحيلون).

(١٦٠) ما بين القوسيين زيادة يقتضيها السيق، فالواضح أنّ هنا سقطاً إذ تطيلان الآتيان من التعليقات الفقهية لا الكلامية، أصنف إلى ذلك أنّ ابن كنان يفرق بين علل التحوّيين والمتلقّيين والمتكلّمين، ولم يذكر المتلقّيين. فعلّم المناسب للمعنى أن يكون هذا التقدير كما في (الخصائص، ٤٨/١)، والإقتراب، ص ٢٥١).

(١٦١) الظاهر أنّ (على) اسم معطوف على (أعلام) في قوله (لأنّها أعلام وأمارات لوقوع الأحكام...). فإنّ كنان يقسم العلل الفقهية إلى قسمين.

(١٦٢) في الأصل (عنه)، ولعل المناسب ما أثبت هنا (عنها)؛ لأنّه - فيما يبدو - يعود على العلل. ومعنى كلامه: أنّ هناك نوعاً من علل الفقه يُستغنى عنها لجهلها بها، وهي على كثیر من الأحكام التعبدية.

(١٦٣) ظاهر كلام علماء أصول الفقه أنّ على الشرع منها ما يكون أمارات للأحكام، ومنها ما لا يعقل معناها، والعلل التي لا يعقل معناها ليست أمارات للأحكام، وقد يختلفون في تسمية كل نوع. ينظر: (الخصائص ٤٧٢٠هـ)، أحمد بن علي، الفصول في الأصول، ١٤١/٤، والزرتشي

(١٦٤) أي أنّ جعل الصلوات المفروض خمس صلوات، وتخصيص كل صلاة بعده من الركعات مما لا يعرف علته. ينظر: ابن جنى (٩٣٩٢هـ)،

(١٦٥) يقصد (التجرد) هنا تجزّد الاحرام في الحجّ وال عمرة، وهو نزع كل ليس محيط للحرم، وهو من واجبات الاحرام. ينظر مثلاً: (القوزوني ٦٢٣هـ)، عبد الكري姆 بن محمد، فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير)، ٣٨٠/٣، والأنصارى (٩٢٦هـ)، زكريا بن محمد، أنسى المطالب في شرح روض الطالب، ٤٧٢/١.

الخواص [١٥٠/أ] [ومعاني الذكاء] (١٥٠) الخاص، وصار بهذا في غاية الأمّ، ونهاية السؤول، مما لا يخفى من وصف هذا اللسان بالبيان والبلاغة والفصاحة دون غيره.

وبقية اللغات لم يظهر لها نكاث موضوعة بالموضع الساذج^(١٥٦)، وهذا من الأدب؛ حتى لا يرد في وضع نحو بين الرصافة؛ لحقوق اللعنة عن النكاث؛ لأنّه مبنيٌ من حين الوضع على هذه النكاث التي بينها لنا سبحانه، فلها شرفٌ وحيدٌ، ومقامٌ فريدٌ.

الفرق بين علل التحوّيين وعلل المتكلّمين والمتفقّهين:

قال بعض أئمّة هذا الشأن^(١٥٧): إنّ علل الحّاة أقرب إلى المعاني من علل الكلام والفقه^(١٥٨)؛ لأنّ

المستحقّ لأن يكون لسان أهل الجنان، فهو المناسب لها كي يكون لساناً لأهلها.

والقول بأنّ لسان أهل الجنة عربي في خلاف مشهور عند المتأخرین من العلماء، غير أنّ من عين لغة تخاطب ما لأهل الجنة أو لأهل النار ليس على ما ذهب إليه دليل من جهة العقل أو النقل كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ). ينظر: ابن تيمية (٧٢٨هـ)، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ٤/١٨٥.

وما روي من الأحاديث في هذا الشأن حكم عليها العلماء بالضعف أو الوضع، وذلك من نحو ما رواه الحاكم التسلموي (٤٠٥هـ) في (المستدرك على الصحيحين)، حديث رقم (٧٠٧٨)، (١٨٣/٤)، والبيهقي (٤٥٨هـ) في (الجامع لشعب الإيمان)، حديث رقم (١٣٦٤)، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "أحروا العرب ثلاثاً لآذى عربيٍ، والقرآن عربيٍ، ولسان أهل الجنة عربيٍ". ينظر: العراقي (٦٨٠هـ)، عبد الرحيم بن الحسين، محة القرب إلى محبة العرب، ص ٩٢-٩٨، والألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصنف وزيادته، حديث رقم (١٧٣)، ص ٢٦.

(١٥٥) سقطت الكلمات من بداية (١٩٠)، وهما مثبتتان في تعقبية (٨٩هـ).

(١٥٦) (الساذج) البسيط أو الواضح. وظاهر الكلام يبدي معرفة ابن كنان باللغات الأخرى، فمعنى كلامه هنا أنّ باقي اللغات ليست كاللسان العربي في أنه ليس فيها نكاث (تعليقات) في اختيار تركيب ما أو لفظة ما.

(١٥٧) تحمل كلمة (الشأن) في المخطوط أن تكون (اللسان)، فيكون في اللطف تحرّف سقوط اللام.

وهذا إشارة إلى ابن جنى كما سنرى لاحقاً، فهو الذي تناول الفرق بين علل التحوّيين وبين علل المتكلّمين والمتفقّهين.

(١٥٨) ما ذكره ابن جنى، ونقله عنه جلال الدين السيوطي في (الاقتراب)، ومن تنوعه من علل الشّرّاح، هو الحديث عن أنّ على التحوّيين أقرب إلى علل المتكلّمين منها إلى علل المتفقّهين، لكنّ ابن كنان تصرّف فيه بأنّ ساق مقارنة بين علل كلّ علم من جهة قريتها إلى المعاني كما هو ظاهر من كلامه. فالذّي نقله جلال الدين السيوطي عن ابن جنى بتصرّف يسيراً هو قوله: "اعلم أنّ على التحوّيين أقرب إلى علل المتكلّمين منها إلى علل المتفقّهين؛ وذلك أنّهم إنما يحيلون على الحسن، ويتحجّون فيه بقول

عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦١م.

—، لمع الأدلة في أصول التحو، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط١، مطبوعات الجامعية السورية، دمشق، ١٩٥٧م.

—، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، عمان، ١٩٨٥م.

الأنصاري (٩٢٦هـ)، زكريا بن محمد، أنسى المطالب في شرح روض الطالب (وبهامشه: حاشية الرملاني تجريد الشوابري)، تحقيق: محمد الزهرى الغمراوى، الطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣١٣هـ.

بروكلمان، كارل تاريخ الأدب العربي، أشرف على ترجمته: محمود فهمي حجازي، بالتعاون مع: د. صابر عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

البغدادي (١٣٩٩هـ)، إسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأشار المصطفين، بعنایه: وكالة المعارف الجليلة بإستانبول، ١٩٥١م، أعادت طبعه: دار إحياء التراث، بيروت.

الجصاص (٣٧٠هـ)، أحمد بن علي، الفصول في الأصول، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، ط٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٩٤م.

والنَّعِيمِ وَكَلَامُ اللَّهِ وَسُؤَالِ الْأَمْوَاتِ وَالْجِنِّ وَالسَّرَّاطِ وَالْمِيزَانِ (١٦٦).

فَهَذَا مَمَّا لَا مَدْخَلٌ لِلْعُقْلِ فِيهِ، سَوْى التَّقْلِيلِ وَالإِيمَانِ بِهِ (١٦٧).

حَقَّ اللَّهُ قُلُوبَنَا بِالإِيمَانِ، وَجَعَلَنَا مُؤْيَدِينَ عِنْدَهُ بِالبَيْانِ وَالْبُرْهَانِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

عَلَّقَهَا لِنَفْسِهِ، وَلِمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ مُؤْلِفُهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ النُّقَاءِ عِيسَى الْحَلْوَتِي الصَّالِحِيُّ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْأَحَدِ، سادسَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، الْكَائِنُ مِنْ شُهُورِ سَنَةِ واحِدٍ وَحَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَلَفِي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

الأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، سعيد بن مساعدة الماجاشي، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمد قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.
الأنباري (٥٧٧هـ)، عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين التحويين البصريين والковيين، تحقيق: محمد محيي الدين

(١٦٦) الواضح أن ابن كثان جعل العلل الفقهية قسمين: علل هي أمارات للأحكام، وطلل ليست أمارات للأحكام، بل يجهل معناها. والتوع الثاني ينقسم إلى ثلاثة أقسام: تعبيتية كما في التشعي بين الصفا والمروءة، وأيمانية كما في العذاب والتعيم في الآخرة، وتعبيتية ايمانية كما في الصلوات؛ لأنها فيها تعبد في أدائها، وفيها تصديق بعد الركعات دون السؤال عن الحكمة في كل ذلك.

(١٦٧) قوله من: "إن علل التحو أقرب... إلى قوله: ... سوى التقليل والإيمان به" هو بتصرف منه لمخصص كلام السيوطى في (الاقتراح) لكتاب ابن جنى في (الخصائص)، بباب ذكر علل العربية، أكاليمية هي أم فقهية؟. نظر: السيوطى (٩١١هـ)، الاقتراح، ص ٢٥١ - ٢٥٢، وابن علان الصندقى (١٠٥٧هـ)، داعي الفلاح لمختارات الاقتراح، ص ٤٣٤ - ٤٣٦، وابن الطيب الفاسى (١١٧٠هـ)، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ٨٤٦/٢ - ٨٤٨، وابن جنى (٣٩٢هـ)، الخصائص، ١/٩٦ - ٤٨.

الحموي (٦٦٦هـ)، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.

أبو حيّان (٧٤٥هـ)، محمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

ابن خالويه (٣٧٠هـ)، الحسين بن أحمد، الحجّة في القراءات السبعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ.

—، مختصر في شواد القرآن من كتاب البديع، تحقيق: برجستراسر، مكتبة المتبي، القاهرة. ابن الخشاب (٥٦٧هـ)، عبد الله بن أحمد، المرتجل، تحقيق: عطيّة لطفي، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢٠١١م.

الخطيب، عبد الطيف، معجم القراءات، ط١، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٠م.

ابن خلكان (٦٨١هـ)، أحمد بن محمد البرمكي، وفيات الأعيان وأئمّة أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة دار إحياء التراث، بيروت.

الخوانساري (١٣١٣هـ)، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ط١، الدار الإسلامية بيروت، ١٩٩١م.

ابن جني (٣٩٢هـ)، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: على محمد النجار، دار الكتب المصرية (المكتبة العلمية)، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م.

—، المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: على النجدي ناصف وأخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.

الجوهري (٣٩٣هـ)، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م. الحافظ، محمد مطیع، وأباظة، نزار، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٩٩١م.

ابن حجر (٨٥٢هـ)، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، ١٩٧٢م.

—، إباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن بشي، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩م.

الحصني، محمد أديب، منتخبات التواريخ لدمشق، ط١، دار ال بيروتي، بيروت، ٢٠٠٢م.

الحلبي (٧٥٦هـ)، أحمد بن يوسف، الدر المصنون في علوم الكتاب المكون، تحقيق: أحمد محمد ١٩ - الخرّاط ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦م.

الرّزكلي (١٣٦٩هـ)، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

الرمخشي (٥٥٣هـ)، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل، وعيون الأقوايل في وجوه التّأويل، تحقيق: عبد الرّزاق المهدى، دار إحياء التّراث، بيروت.

زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧م.

السّخاوي (٩٠٢هـ)، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضّوء اللامع لأهل القرن التّاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن السّرّاج (٣١٦هـ)، أبو بكر محمد، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفطلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

سيبويه (١٨٠هـ)، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

السيوطى (٩١١هـ)، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: د. محمود سليمان ياقوت، ط١، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
—، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنّحاة، تحقيق: د. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.

الخيمي، صلاح محمد، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة (علوم القرآن الكريم)، ط١، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ١٩٨٤م.
ابن ذرید (٥٣٢هـ)، أبو بكر بن ذرید، جمهرة اللّغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

الدينوري، الحسين بن موسى، ثمار الصناعة في علم العربية، تحقيق: حنا جميل حداد، ط١، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ١٩٩٤م.
الذهبى (٧٤٨هـ)، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

الرّمانى (٣٨٤هـ)، علي بن عيسى، رسالة الحدود، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط١، دار الفكر، عمان، ١٩٨٤م.

الرّبيدى (١٢٠٥)، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م.

الرّجاجى (٣٣٧هـ)، عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، ط٣، دار التفاص، بيروت، ١٩٧٩م.

الرّزكشى (٧٩٤هـ)، محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد محمد تامر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

ابن العماد (٩٨٩هـ)، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.

عمر (أحمد مختار)، ومكرم (عبدالعال سالم)، معجم القراءات القرآنية، ط٢، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨م.

الغزّي (١٢١٤هـ)، محمد كمال الدين بن محمد، النّعْتُ الْأَكْمَلُ لِأَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

الفارسي (٣٧٧هـ)، الحسين بن أحمد، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قوهجي، وبشير جويجاني، ط٢، دار المأمون، دمشق - بيروت، ١٩٩٣م.

الفاسي (١١٧٠هـ)، محمد بن الطيب، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، تحقيق: محمود يوسف فجال، ط٢، دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م.

الفراء (٢٠٧هـ)، يحيى بن زياد الدليمي، معانى القرآن، تحقيق: محمد النجار، وأحمد نجاتي، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

الفرخان، علي بن مسعود، المستوفى في النحو، تحقيق: د. محمد البدوي مختون، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.

الشّاوي (١٠٩٦هـ)، يحيى بن محمد، ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، تحقيق: عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، ط١، دار الأنبار، بغداد، ١٩٩٠م.

الشوکانی (١٢٥٠هـ)، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب العربي الإسلامي، القاهرة.

الصفدي (٧٦٤هـ)، صلاح الدين خليل، الوفي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن طولون (٨٥٣هـ)، محمد، إعلام الورى بمن ولـ نائـاً مـنـ الـأـنـارـاكـ بـدـمـشـقـ الشـامـ الـكـبـرـىـ، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

ابن عطيّة (٥٤٢هـ)، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

العكري (٦١٦هـ)، عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد الجاجي، ط١، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٦م.

ابن علان (ت١٠٥٧هـ)، محمد علي بن محمد، داعي الفلاح لمختارات الاقتراح، تحقيق: أوس ياسين ويسي، رسالة ماجستير، جامعة البعث بحمص، الجمهورية العربية السورية، ٢٠١١م.

ابن كنان (١١٥٣هـ)، محمد بن عيسى، الحوادث اليومية في تاريخ أحد عشر ألف ومية، تحقيق: أكرم حسن العليي، دار الطباع، دمشق، ١٩٩٥م.

ابن كنان (١١٥٣هـ)، محمد بن عيسى، الرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسمة، مخطوط في المكتبة الملكية، برلين، تحت رقم (١٧٢٢we. ٧٢٨٣).

—، المروج السنديمة الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحيّة، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مديرية الآثار القديمة العامة، دمشق، ١٩٤٧م.
—، المعاني المرضيّة على الشّمعة المضيّة، مخطوط في المكتبة الملكية، برلين، تحت رقم (١٧٢٢we. ٦٧٧١).

—، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشاميّة، تحقيق: حكمت إسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٣م.

—، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلطين، تحقيق: عباس صباغ، ط١، دار التفاصي، بيروت، ١٩٩١م.

المبارك، مازن، النحو العربي (العلة النحوية نشأتها وتطورها)، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
المبرد (٥٢٨٥هـ)، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عصيّمة، ط٣، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.

ابن فلاح (٦٨٠هـ)، منصور، المغني في النحو (ابن فلاح النحو) (٦٨٠هـ) مع تحقيق الجزء الأول من كتابه المغني)، رسالة دكتوراه، إعداد: عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، جامعة أم القرى، سنة ١٩٨٤م.
فهرس الخزانة التيموريّة (الجزء الأول: التقسيم)، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٤٨م.

الفirozآبادي (٥٨١٧هـ)، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م.
الفirozآبادي (٥٨١٧هـ)، مجد الدين محمد، البلغة في ترجم أئمّة النحو واللغة، ط١، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٠م.

قره بلوط، علي الرضا وأحمد طوران، معجم التراث العربي الإسلامي في مكتبات العالم، دار العقبة، تركيا، بلا ت.

القرزيوني (٦٢٣هـ)، عبد الكريم بن محمد، فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير)، تحقيق: علي معوض وعادل أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

القطبي (٦٤٦هـ)، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النّحاء، تحقيق: عبد الله بن عمر الحاج، ط١، دار الفكر العربي، ومؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة، وبيروت، ١٩٨٦م.

حالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

الّحّاس (٣٣٨هـ)، أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٥م.

ثانياً: الأجنبية:

Ahlwardt, W. (1894). Verzeichniss der arabischen handschriften der Königlichen bibliothek zu Berlin .

ابن مجاهد (٤٣٢هـ)، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

المحبّي (١١١١هـ)، محمد أمين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر، دار صادر، بيروت، بلات.

المرادي (١٢٠٦هـ)، أبو الفضل محمد خليل بن عليّ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ابن مضاء (٥٥٩٢هـ)، أحمد بن عبد الرحمن، الرّد على النّهاة، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

المنجّد، صلاح الدين، معجم المؤرّخين الدمشقين وأثارهم المخطوط والمطبوعة، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م.

ابن منظور (٧٢١١هـ)، محمد بن أكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

الميداني (١٣٣٥هـ)، عبد الرّزاق بن حسن، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.

ناظر الجيش (٧٧٨هـ)، محب الدين محمد، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. على فاخر وأخرين، ط١، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧م.

The treatise entitled“ Al-ashbaah beraf ‘AL-Eshtebah fii‘ elal al-nuhah) ”The similarities in removing ambiguity in grammarians ’causes(Muhammad bin Esaa bin Kenan Al-Khalwaty) d .1135 A .H)(.English Abstract)

Alshammari Nazzal Bin Ahmad

Abstract. This paper studies one of the valuable and precious treatises in Arabic tradition because of its subject (grammatical causes). Although the subject of the treatise “grammatical causes” is a very important one, we only have received very few books about it.

The treatise studied and edited in this paper entitled “Al-ashbaah beraf‘ AL-Eshtebah fii‘ elal al-nohah” (The similarities in removing ambiguity in grammarians’ causes). It is written by Muhammad ben Esaa ben Kenan Al-Khalwaty (d. 1153 A. H.) one of the most Levantine historians. The treatise studied and edited in this paper is about the theoretical side of grammatical causes as it deals with the two categories of grammarians’ causes, the most frequent types of causes, and 25 causes. It gives examples for each one of them. It ends with a speech discussing the scholars who do not consider the grammatical causes and it also differentiates between the causes of grammarians and that of jurists and theologians.

The edited text of the treatise is preceded with a study deals with the author and his published and unpublished works. This study investigates the treatise itself as well.

Keywords: Grammatical causes - Arabic Manuscripts - Treatise of Ashabaah

صورة المرأة في مدح ابن حمديس دراسة موضوعية فنية

أنور يعقوب زمان

أستاذ مساعد جامعة طيبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

مستخلص. جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين، تناولت في التمهيد الحديث عن غرضي المدح والغزل عند ابن حمديس، وهدفه من المدح، وغايته من الغزل، وما تميز به غزله.

ثم تشرع الدراسة في الفصل الأول وهو الدراسة الموضوعية لصورة المرأة في قصائد مدح ابن حمديس، وهو عبارة عن مباحثين: الأول الأوصاف الحسية، والثاني الأوصاف المعنوية، فتناول في الأوصاف الحسية الشعر والعينين والجفون، والخد والفم وما يتعلق به، والرقبة ثم الخاصرة وما حولها، والساقيين، والرائحة والقمام عموماً.

وفي البحث الثاني تم الحديث عن الأمور المعنوية التي وصف بها ابن حمديس المحبوبة في قصائد المدح، ومنها: الشوق لها، وعدم التكهن من الوصول إليها، وعتابها، وصدودها وتعذيبها، غرورها وغرتها، وغير ذلك من أمور.

وفي الفصل الثاني انتقلت الدراسة للحديث عن الجانب الفني لصورة المرأة في قصائد مدح ابن حمديس، وبدأت بالحديث عن اللغة وما فيها من ألفاظ، وبيان ما استخدمه الشاعر في هذا المجال من ألفاظ من حيث الليونة والسهولة والألفة، وأنه استطاع توظيف الألفاظ حسب مقتضى المقام والسياق، وتم الحديث عن الألفاظ كذلك من حيث الغرابة والجزالة وما غالب عليه من وضوح إلا في مواضع اقتضى المقام خلافه.

وفي البحث الثاني: جرى الحديث عن التراكيب، وتم فيه الحديث عن التقديم والتأخير وما كان لهما من أثر فيما قصده الشاعر منها.

وفي البحث الثالث تم الحديث عن الأساليب، واندرج تحته مجموعة من العناوين: فبدأ الحديث عن الحوار وبيان ما فيه من تشويق وإثارة للمتلقى، ثم الحديث عن الأساليب الإنسانية من استفهام ونداء، وما كان للشاعر من براعة في استخدامهما.

وفي البحث الرابع جرى الحديث عن مصادر الصورة الفنية، ومنها الطبيعة بنوعيها المتحركة والصادمة، ثم الحديث عن الموروث الثقافي وتوظيف ابن حمديس له في هذا الغرض، ثم تم الحديث عن وسائل تشكيل الصورة الشعرية، من تشخيص وتجسيد وتشبيه، فالحديث عن التكرار، ومن الجوانب التي تناولها مبحث الصورة المفارقة التصويرية وما فيها من طباق ومقابلة، وأخر ما تحدث عنه هذا المبحث التصوير بالحقيقة.

وفي البحث الخامس والأخير تم الحديث عن الموسيقى الداخلية عموماً، والجناس خصوصاً. وأخر ما تعرضه الدراسة النتائج والتوصيات.

الأدب العربي وهو الغزل، وارتبط هذا الغرض

المقدمة

بغرض آخر وأصبح شبه ملازم له وهو غرض المدح، واتخذ بعض الشعراء صورة المرأة مدخلاً

جُبّلت النفوس على حب النساء لما فيهن من

جمال ورقة ودلال، ولذلك وجد لهن غرض كامل في

عن المرأة، فتبدأ بالوصف الظاهري من الأعلى للأسف، ثم تنتقل للحديث عن الأمور المعنوية، ويتحدث الفصل الثاني عن النواحي الفنية لصورة المرأة في مدائح ابن حمديس من حيث: اللغة، والتركيب، والصور الفنية، والموسيقى. أما الخاتمة فيذكر فيها أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها البحث.

التمهيد:

أكثر ابن حمديس في ديوانه من المديح، حيث وصلت قصائد مدحه إلى حوالي ٥٥٪، وهذا إذا عدنا المقدمات الخمرية والغزلية من المديح؛ لأنها وسيلة إليه، أما غزله الخاص بمقطوعاته وقصائده المستقلة فقد بلغت نسبته ٩٪١، و هذا البحث لا يتحدث عن الغزل وإنما يتناول صورة المرأة في تلك المدائح.

وتوزع مدحه على منطقتين: إفريقية والأندلس. في الأندلس لم يمدح إلا المعتمد وابنه الرشيد فقط ٢.

وفي إفريقية اتصل ببني عناس وبني زيري وبني خراسان ٣، واتصل بالأمير تميم ٤، وديوانه

للمدوح لنيل المراد منه، لذلك يقوم هذا البحث على بيان الصورة التي رسمها ابن حمديس للمرأة من خلال نوع محدد من الشعر، وهو شعر المديح. وما هدف إليه البحث هو بيان ما تميزت به صورة المرأة في المدائح الحمديسية، وأنها مختلفة عن تناولها في شعر الغزل.

والذي حفزني لاختيار هذا الموضوع:

❖ ارتباط ابن حمديس بمجموعة من النساء، مما ولد لديه نظرة خاصة للمرأة في حال من التوقير، وليس اللهو والعبث.

❖ كثرة القصائد المديحة التي تحدث فيها ابن حمديس عن المرأة.

والمصدر الرئيس في هذه الدراسة هو ديوان الشاعر، يلي ذلك ما كتب حوله من دراسات، وأهمها كتاب: من أدباء المغرب والأندلس: ابن حمديس الصقلي شاعراً، للدكتور سعد إسماعيل شلبي، إضافة إلى ما يتعلق بالنواحي النقدية، والحديث منها بالذات.

والمنهج الذي تسير عليه الدراسة هو المنهج التحليلي الفني، حيث تتم معالجة النصوص من خلاله ودراسة ما فيها من قيم فنية. وستكون هذه الدراسة من تمهيد وفصلين وخاتمة.

يتناول التمهيد المدح والغزل عند ابن حمديس. والفصل الأول عبارة عن دراسة موضوعية تتناول الجوانب التي ذكرها ابن حمديس في حديثه

(١) انظر: شلبي، سعد إسماعيل، من أدباء المغرب والأندلس: ابن حمديس الصقلي شاعراً، القاهرة: دار الفكر العربي، ص. ٩.

(٢) انظر: ابن حمديس، ديوان ابن حمديس، صصحه وقلم له: إحسان عباس، بيروت: دار صادر و دار بيروت، ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م، المقدمة، ص. ٨.

(٣) انظر: نفسه، ص. ١٢.

(٤) انظر: حمادة، محمد سليمان، الخطاب الشعري عند ابن حمديس الصقلي دراسة أسلوبية، ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، إشراف: أ.د. يوسف شحدت الكحلوت، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ص. ١٣.

ويظهر في أغراضه كلها^(٧). فابن حمديس لم يمدح ويرق ماء وجهه إلا لغاية نبيلة يريدها وهي استعادة وطنه ونصرة عشيرته.

ويذكر سعد شلبي أن مما تميز به ابن حمديس في مدحه أنه أدخل في قصائد مدحه قصائد جديدة كالغزل والوصف والفخر، وبذلك يختلف مدحه عن مدح السابقين الذي يدعوا إلى الملل^(٨). وحقيقة إن معظم الشعراء فعلوا ذلك، وسيحاول البحث إيضاح ذلك عند ابن حمديس من خلال بيان الصور التي ذكرها للمرأة في مدحه مما كان يجذب إليه الأسماع، وبذلك يكون ما فعله مزية وليس عيباً.

واضطر ابن حمديس إلى سلوك فن المدح وأن ينهل منه وهو أبغض الموارد إليه، ولذلك وجد لزاماً على نفسه أن يحمل هذا المورد لنفسه وللناس من حوله، من خلال الإسراف في المقدمة الغزلية والخمرية، وليس ثير نشاط نفسه^(٩). ولأنه يرى المدح صناعة، فلا يُستغرب افتانه فيه، فيبدوه ويحمله بالغزل^(١٠). ويعد هذا إبداع من الشاعر، حيث يستعمل الأسلوب الأرقى لغايته حيث يطلب ما يريد بحسن تلطف وعرض جميل.

والحقيقة أن ابن حمديس لم يكن مطبوعاً - غالباً - عندما قال شعراً في المدح بل كان رجل

(٧) استئتي، رافت محمد سعد، ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس، ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٧، إشراف: أ.د. يحيى جبر، ص ١٥.

(٨) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠.

(٩) انظر: نفسه، ص ٢٢.

(١٠) انظر: نفسه، ص ٢٣.

يخلو من مدحه^(١)، لكنه مدح ابنه يحيى، فابنه علي وأكثر من مدحه، وكأنه أحس في موقفه ذلك تعويضاً عما فاته من الدفاع عن صقلية^(٢)، وقد أكثر ابن حمديس من مدح العرب والفارس بهم ووصف حياتهم^(٣). يظهر من ذلك أنه كان يختار الرموز التي تمثل العزة والشموخ والتي يمكن أن تعيد له بلده صقلية.

وفي ضوء هذه النسبة الكبيرة من شعر المدح عند ابن حمديس يعتقد أنه من الشعراء الذين أرافقوا ماء وجههم في سبيل الكسب المادي، لكن الحقيقة أن هناك جانباً خلقياً أراده الشاعر: وهو رسم النموذج الكامل لما ينبغي أن تكون عليه الشخصية الفاضلة، فهو بذلك يدفع المجتمع إلى الأمام ورفع مستوى الخلقي والاجتماعي^(٤)، كما أنه كان يهدف إلى السمو والرقة الأدبية^(٥)، ولا شك أن المنافسة قد حملته على تجويد قصائده ومدائحه في الأندلس^(٦). ومعلوم أنه كان دائم الشوق لصقلية، فكانه يبحث عن الحاكم القائد الذي يريد أن يستوي قلبه ليعينه على التخلص من النورمانديين الذين استولوا على بلده، ويعينه على طردتهم منها. ولم تفارق صقلية ذهن الشاعر ولا خياله، وهذا ما يعرضه شعره

(١) انظر: نفسه، ص ٢٢.

(٢) انظر: الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة، ص ١٠١.

(٣) انظر: الديوان، المقدمة، ص ١٤.

(٤) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠-١٩.

(٥) انظر: حمادة، سليمان، الخطاب الشعري عند ابن حمديس، ص ٢٠.

(٦) انظر: الديوان، المقدمة، ص ١١.

والنسيب الذي يذكره ابن حمديس في مقدمات مدائنه نوعان: نوع تقليدي لا يقصد به التعبير عن عاطفته بقدر ما يقصد الوفاء للقيم الأدبية المعترف بها. وقصائد تم عن عاطفة رقيقة، أفصحت عن حبه الصادق للفتاة التي يهواها حقيقة، وهي الفتاة التي عشقها في صقلية، وإن تعددت الأسماء، وهذا يدل على أنه من بتجربة حقيقة. ولكن هذه المقدمات المشتعلة شوقاً بدأت بصفة عامة تخمد جذورها وتفقد شحنتها العاطفية شيئاً فشيئاً^(٥)، فعادت إلى النوع الأول.

ويظهر أن غزل ابن حمديس في مقدمات مدائنه يختلف كلياً عن غزله في القصائد الخاصة بذلك، فالنوع الثاني "وجدناه ينحو به منحى حسياً"^(٦) وهذا لا ينطبق أبداً على غزله في مقدمات مدائنه. ولعل من أسباب عدم اهتمامه بحديثه عن المرأة في مقدمات مدائنه إلى جانب احترامه وتوقيره للمدحوم "رقي المجتمع وتطوره والارتقاء بالذوق ورقة المشاعر وتيسير سبيل الالقاء"^(٧). فتحولت نظرة الرجل للمرأة من الشهوة والمتعة إلى أنها المشاركة في الهموم.

"إن إسراف ابن حمديس في النسيب في مقدمات مدائنه دليل على رواسب حب في قلبه،

صنعة، وذلك ليحقق هدفين: فحاول أن يغري نفسه من جهة لتقبل على المدح، ويطلع ساميته على بواعته الفنية من جهة أخرى، فذهب إلى ألوان من المقدمات حققت له هذين الهدفين^(٨).

وتظهر شخصية ابن حمديس في مقدماته الغزلية شاكية متهاكلة^(٩)، وهذا الغالب على مقدمات مدائنه الغزلية، ولعل السبب في ذلك هو أن يظهر نفسه محتاجاً لمعونة الآخرين وعطفهم، فيظهر تذلله للمدحوم ليُقبل عليه ويعينه على استرداد باده المنكوب.

إن غزل ابن حمديس قسمان: تقليدي، وهو ما يطلق عليه النسيب، وهو الذي يأتي في مقدمات قصائده. والثاني؛ الغزل اللاهي أو الحسي^(١٠)، الذي خصص له قصائد خاصة، وسيهتم البحث بالنوع الأول.

وهذان القسمان من غزل ابن حمديس توزعاً في ثلاثة مواضع: في الشعر الذي أنسده للغزل، وغالباً ما يكون مقطوعات.

وفي بعض المقطوعات التي أنسدها في مجالس الأنس واللهو.

وفي بعض مقدمات المدح، وغالباً ما يسهب فيها الشاعر في بيان عواطفه نحو المرأة^(١١).

(٥) انظر: نفسه، ص ٩٦-٩٧.

(٦) نفسه، ص ١٠٣.

(٧) نفسه، ص ١٠٦.

(٨) انظر: نفسه، ص ٢٧.

(٩) انظر: نفسه، ص ٤.

(١٠) انظر: نفسه، ص ٩٢.

(١١) انظر: نفسه، ص ٩٣.

وَإِنَّمَا أَشْفَقْتُ
وَاسْتَوْتَقْتُ مِنْ نَقَابٍ فَوْقَ وَجْنَتِهَا
أَنَّ اللَّهَ الشَّفِقَا^(٤)

إن أكثر موضوع تحدث عنه ابن حمديس في المرأة هو عينها، فالعيون أداة حرب قاتلة، فهي تارة أسمهم تتتابع على الجرح مراراً، بل كأن هذه العيون داخلها رامٌ منبني ثعل. ومن عجب رميها أنها ترمي سهمين من نصل واحد وكلا السهمين أصاب مقتلا. ويرى الشاعر أن القاتل هو طرف المحب، وليس طرف المحبوبة الساحر، ودليل ذلك أن رامي السهام إذا أخطأ الرمية وعاد سهمه عليه فإن جرمه سيكون عظيماً:

وَإِذَا انْثَى سَهْمٌ عَلَى الرَّامِي بِهِ
غَرَضًا لَهِ
فَالْجُزْخُ مِنْهُ جَبَازٌ^(٥)

وهذه الحسناء ثبتت نصل سهم عينيها لقتل عاشقها بعيون ساحرة.

والعينان تارة رماح طاعنة لا ينفع معها مطاعنة، وتارة سيف قاتلة لا ينفع معها حذر. وهذه الأسلحة فاتكة ولكن نظرات الجميلة أفتاك منها وتصيب إصابات دقيقة.

ويخاطب اللاعب بجميع أنواع الأسلحة الماهر في استخدامها، بأن العيون الجميلة تلعب به وتفتك، فلا يغتر بقوته ومهاراته.

مُلَاعِبُ الْبَيْضِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسْلِ
تَلَاعِبُ
بَكْ حُورُ الْأَعْيُنِ النُّجُلِ^(٦)

ويظهر أنها روابب حبه لـ« scléries »^(١)، وقد يطيل في ذلك النسيب^(٢). لشدة شوقه لبلده السليب.

الفصل الأول

الدراسة الموضوعية

الموضوعات التي تناولها ابن حمديس بالحديث عن المرأة في مدائنه ذات شقين: محسوسة ومعنى، ولذلك ينقسم هذا الفصل إلى مباحثين: أوصاف حسية، وأوصاف معنوية.

المبحث الأول: الوصف الحسي:

من الأمور المحسوسة التي ذكرها ابن حمديس عن المرأة، الشعر، حيث لم يكثر ابن حمديس الحديث عن شعر المرأة في مدائنه، فهو يصف هذا الشعر بشدة السوداد، وهذا دليل على عدم كبر سنها:

وَكَانَّمَا خَاصَّتْ ذَوَائِبُهَا
مِنْ جُفْنَاهَا فِي صِبْغَةِ
الكحل^(٣)

وهذا الشعر لشدة سوداده ليل، فالمحبوبة تجمع بين ضدين: شدة سواد الشعر، وشدة بياض الجبين، بل سواد شعرها يجعلها محسودة. ولا يكتفي بوصف الشعر بالسوداد فحسب، بل يصفه بالطول، وطيب الرائحة.

وتتحدث عن جبين الموصوفة وشبيهه بالشفق، وذكر أنها تستره بنقاوبها كي لا يظهر منه شيء فيقدم الشاعر على لثمه.

(١) نفسه، ص ١٠٨.

(٢) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ط ٢، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص ١٦٣.

(٣) الديوان، ص ٣٧٢.

(٤) الديوان، ص ٣٣٦.

(٥) الديوان، ص ٢٥٩.

(٦) الديوان، ص ٣٩١.

فَمَا تَرَى مِنْ شَرِبَهَا فِي الصَّبَأِ
فِي رِبْقَةِ السُّكَرِ
(٢) فَهَلْ مِنْ سَرَاجٍ

وعينها لامعتان كالبرق، كما أن عيونها
الجميلة أداة صيد وشباك لأقوى الحيوانات الأسود،
بل في موقف آخر يذكر أنها تقنصه في حبها دون
أن تستخدم أي شرك إلا نظراتها. فعينها فاتكة
بالأسود فكيف ببني البشر، فالظباء تقتل بالحظ
عيونها، ومع ذلك لا يقتضي منها ولا تجب عليها
ديمة، ولا يدرك التأثير منها.

كما أن عيون الجميلات تحابب دموع العشاق،
وتورثهم الكرب والهم.

وبلغة العيون يطلب منها الشاعر الوصل،
فتتصده باللغة نفسها مشيرة بعينها رافضة ذلك
الوصل، وتلك العيون الحسان تجعل الجسم يضعف.
ونظراتها الساحرة تغور في العقول فلا ينفع
معها تعقل، فنظرة واحدة كافية لإطارة القلوب
والعقول، فالنظرية تقدم الصبوة واللهو وتأخذ العقل:
أظنّك لم تُفْتَحْ عَلَيْكَ نَوَاطِرٌ إِذَا هِيَ أَعْطَثْ
صَبْوَةً أَخْدَثْ عَقْلًا^(٣)

ودموع المحبوبة كأنها در يجري على الورد
وهي خودها.

ومن الصور الطريفة التي صور بها عيني
المحبوبة أنهما من سهام الميسير، وقلبه هو الجزور
التي ستتحرر، فقلبه معذب من هاتين العينين
الحسناوين:

بَلْ يَرِيْ أَنْ أَفْتَكَ الْقَتْلَةَ هُنَ النِّسَاءُ جَمِيلَاتٍ
الْعَيْنُونَ.

والعيون جميلة واسعة، تشبه ما تتركه في
قلوب الناظرين من جراح، والعيون وسيلة المرأة في
نقل سحرها، ساحرة في حال فتورها، فكيف في حال
تمام انتفاتها. وهذه العيون الساحرة تصيب الصحيح
فترمده ولا يأتيها المرض، وتسحر الحليم العاقل،
والعبد المتدين. ومن يحاول سحر العيون وصاحبتها
فإن العيون الجميلة ترد السحر في نحر ساحرها، بل
إنها تسحر هاروت وماروت، وذلك كله بنظرة دون
حاجة إلى نفث أو غيره، وهذه العيون من شدة إتقانها
للسر كأنها من أرض بابل:

وَفِي بُرْقِيْعِ الْحَسَنَاءِ مَقْلَةٌ
بِهَا رُدَّ كِيدُ السُّحْرِ فِي نَحْرِ
جَؤَدِرِ
بِإِبْلِهِ
لَمَا أَصْبَحَا إِلَّا قَنِيصِيْ
طَرْفَةً.
حَبَائِلَهِ^(٤).

وعيونها ليست ساحرة فحسب بل مسكرة
أيضاً، ويندر أن يفتق من سكرها أحد، فعيونها يمتزج
فيها السحر بالسكر، ومن يشرب من سكر العيون
الجميلة في صغر سنها ولدهو يبقى أسيراً لها طول
عمره، ولا يفك من هذا القيد ولا يجد تفريجاً لهذا
الקרב:

(٢) الديوان، ص ٩٨.
(٣) الديوان، ص ٣٧٥.

(٤) الديوان، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

دم ولا يصبح كريهاً، بل يصبح هذا الخد الناعم الجميل كالنبت طيب الرائحة (الأفاح). وينظر سبباً آخر لاحمرار خدود المحبوبة كأنها الياقوت، وما ذاك إلا بسبب خجلها، بل إنه يراها محمرة بسبب كثرة الدماء، دماء العاشقين الذين لم يتمكنوا من الوصول لقلبها، وخاصة دمه هو.

وهي تهتم بجمال خدها فتضع عليه خليطاً من الطيب يجمع بين الكافور والمسك.

تطوف بها ممشوقة القد رفقت
الكافور صُدغاً مُعَطِّفاً^(٣)

وهذه المرأة حريرة على تعطية خدها الجميل، فتصبح صورتها مثل الشمس عندما تعطيها السحب. ووصف الخدود بالامتلاء، وشبيهها بالورد، كما أن جمال هذه المرأة وحسنها يظهر في خدها.

وفيما يتعلق بالحديث عن منطقة الفم عند الموصوفة، وهي من الأمور التي أكثر ابن حمديس الحديث عنها بعد العينين يتحدث عن أمور عدة أهمها:

وصف هذا الفم عموماً بالضياء كأنه شمس أو كوكب منير، يجذب الناس إلى النظر إليه. وهو الأفاح، الشجر طيب الرائحة.

كما يصف شفتها بالسمرة والجمال:
لمياء تبدي الدر من أشتبٍ
حرق بالأنوار جُنْ
الظلم^(٤)

وهما المعلّى والرقيب وإنما قلبي المعذب منها
أعشاز^(١)

وهذه الصورة من آثار الثقافة الجاهلية التي بقيت آثارها حتى ذلك الوقت. ويرى الشاعر أن مما يضاعف من نشوة الخمر أن تقدمها نساء حسنوات العيون. وعيون الجميلات لحسنها وملاحتها يديم النظر إليها العاشقون.

ليست عيونها فقط المغربية فحسب، بل كذلك جفونها التي تغطي عينيها داعية للحب مؤثرة في القلوب، وما سموها جفوناً إلا تشبيهاً لها بجفن السيف، فالعيون سيوف جارحة تحتاج إلى ما يحجزها عن جرح الآخرين، ولذلك فإن أكثر السيوف ارتواء من دماء الناس التي يحارب بها كثيراً، وكذلك أكثر العيون فتكاً بالناس كثيرة نظر الناس إليها، ولذلك فالجفون لا يأمنها أحد.

وهي ترمي محبها بنظرة تجعله يخذل ويندرح عند القرب منها، فهي نظرة تتم عن الهجر، ثم تذهب وتغط في سبات عميق من النوم غير مكررة باعشقها:

ورَمَتْكَ بِمَقْلَةِ خَادِلَةٍ هَجَرَتْكَ وَعَاوَدَتِ الْوَسَنَا^(٢)
وتعرض ابن حمديس للحديث عن خد المحبوبة ووجنتها، فخدتها غض طري ناعم، يشبه شقائق النعمان، بل لشدة نعومته لو أن مقبلاً قبله لجرحه، ولشق خدها، ومع تشقيق خدها لا يخرج منه

(٣) الديوان، ص ٣١٧.

(٤) الديوان، ص ٤٧٣.

(١) الديوان، ص ٢٥٩.

(٢) الديوان، ص ٥٠٩.

أشعاره (ريّا) رغبة في أن يرتوى من رضابها، ولكنها تضن به وتخل على عاشقها.

وهذا الريق من أصفى الماء، فهو ندى خارج
من الأفاح.

وَمَا تُرِضُ لَهُ الْقَبْلُ الَّتِي تَمْنَحُهَا هَذِهِ
الْمُحِبَّةُ، فَهِيَ لَا تَقْدِمُ إِلَّا الْقَبْلُ، وَلَا تَقْنِي بِمَا عَلَيْهَا
مِنْ دِيَوْنٍ وَمَوَاعِيدٍ لِلْعَاشِقِينَ:

قِبْلَيْ دِيْوَنْ مَا اعْتَرَفْ بِهَا
إِلَّا لِأَمْنَحْ مُجْتَنِي

ومقبلها يخبر ببرودة وعدوبة ذلك التقيل.
وعند الحديث عن كلامها يرى ابن حمديس أن
كلام هذه الموصوفة لعدوبته ورقته يسبى أهل
العقل، بل ينزل الطيور القوية التي تسكن في
الأماكن العالية، والتي لا تنزل إلا لأمر مهم، تنزل
من جبالها استعداداً لهذا الصوت الرخيم والكلام
العذب. وهي لا تتكلف ولا تتغنج في هذا الكلام، بل
تتكلم بطبيعتها ومع ذلك يكون هذا الكلام عذباً فاتناً.
وكلامها لتنوعه وعدوبته كأنه البستان المرتوي
المليء بالأطابق. بل إنه عندما وصف ركب النساء
صور حديثهن وعدوبته أن الحيوانات الشاردة النافرة
تنقرب منها لسماع هذا الحديث العذب. ووصف
حيثها بأنه ساحر لسامعه:

وَعَطْفُ قُلُوبٍ مِّنْ دُمَاهَا بِمَنْطِقٍ
الظباء الشوارد (٤)

أما أسنانها فيصفها بأنها در وحصى وبرد،
ووصف الأسنان بالبياض، وهو بياض كبياض يد
كليم الله موسى #، وكبياض الزهر، ويصور هذه
الأسنان بأنها نبت الأفاح الطيب الرائحة، وأن هذه
الأسنان مضيئة، ولشدة بياضها فإنها تحرق الظلام
وتجعل الكون يشع نوراً، وشبهه أسنانها بخطي در
منيرين كالبرق:

أَمَا تَأْلُقٌ مِّن سِمْطَنِي تَبْسُمُهَا
بِرْقٌ إِذَا مَا رَأَهُ
ناظِرٌ بِرْقًا^(١)

ومما وصفه ريقها ورضابها، وأنه طيب الطعم
حلو، يستطيب اجتناءه، فطعمه كالخمر والعسل
يروي الظمآن، بل إن من شرب منه لن يجد ظماً
أبداً، وأن شربه من هذا الرضاب سيوقعه في العشق
واللوع، وهذا سيجر عليه شراً دائماً وعداً، وسيصبح
غارماً مديناً من شرب رضابها، ويصف رضابها بأنه
شفاء للمريض، بل إنه حياة للناس فمن لم يشرب
منه يموت، وأنه ماء عذب زلال بارد، بارد حساً
وبارد على القلب يدخل عليه السرور، ولا ينضب
أبداً، ويصف ريقها بأنه مثل الطل، وهو أضعف
المطر .

فَأَمْسِيَتُ مِنْهَا بِمَاءِ الْمَى أَرْوَى أَوَّلَمَاً وَأَشْفَى
سَقَاماً^(٢)

بل إن ريقها ليعيد الحياة والنضارة للجمادات،
فلو استاكت بعوض يعود مخضراً بسبب ملامسته للماء
العذب الذي هو كالعسل. بل يسميهما في بعض

(٣) الديوان، ص ٣٧٢

الديوان، ص ١٣٤

٣٣٦ (١) الديوان، ص

^(٢) الديوان، ص ٤٥٢.

وكتيراً ما جمع ابن حمديس الحديث عن الصدر والردد معاً، والجامع بينهما الامتلاء، ففي الصدر يذكر أنه ممتلئ بما يقتل القلوب، فهو مثل الرمان والتفاح، بل يصور قامتها شجرة وثمارها الرمان الذي على صدرها، فهي جنة وصدرها رمان لم تصل إليه يد الجن فضلاً عن الإنس، ويؤكد على حرصها ألا يمس أحد نهديها، فهما مثل قلبها إن لمسه لامس ماتت، ولذلك يتعجب من وجود شجرة تجد ألم القطف، حيث تتألم إن حاول أحد لمس نهديها.

يا لها من جنة رمانها
ما دَرْتُ ما لمسه راحة
جان^(٣)

ويصف ابن حمديس جيد المرأة وينظر نعومتها، حيث إن صغار الذر لو مر على جسمها لجرحه. وجلدها رقيق لو لبست أرق الملابس فإنه يؤثر فيه وإذا أريد النقش على جيدها استغربت، لعلها أنه لا ينقش على الحرير لنعومته ورقته:
يكاد وليد الذر يرجح جسمها
إذا صافحت منها
أنامله الإتا^(٤)

وهي صورة نادرة في الشعر العربي عموماً.
وهو ينظم في جيد المرأة الغزال أجمل الغزل.
وهذا الجيد في لونه أبيض مصفر كالذهب.
وخارصتها ضامرة خفيفة اللحم لطيفة الجسم،
 فهي هيفاء، وهي لشدة ضمورها لا تثبت ملابسها
عليها، والضمور من الصفات الجميلة المحبوبة عند

ومما تناوله ابن حمديس بالحديث النَّفَس، ووصفه بأنه شديد الطيب دائماً، بل حتى في الأوقات التي تُكره فيه هذه الرائحة وهو عند القيام من النوم، تكون أنفاسها زكية كأن فيه عطرأً. بل إن نفسها يحمل أمراً معنوياً إلى جانب كونه طيب الريح كالمسك فإنه يُشعر بالأمن والسلام، ولطيف هذا النفس فإنه يدعو الناس إلى القرب منه وشمها. كما وصف هذه المحبوبة في حال تبسمها وأن هذا التبسم منير يظهر وسط الظلام، وأنه يدخل الأمن والسكون على ناظره حتى لو كانت العامة النافرة.

وندر حديثه عن رقة المحبوبة، فوصفها بالبياض وجمال الرائحة، وأن المحب مريض القلب يشتتها، فقال:
يا عليل القلب كم ذا تشتهي سُوْسَنَ النَّحْرِ
وَعَنَّابَ الْبَنَانِ^(١)

وتعرض ابن حمديس إلى وصف يد المحبوبة، فأطراف يدها تشبه الأغصان اللينة الجنية المثمرة. وهي طيبة الريح، ويصف بنانها بأنه أبيض جميل حتى في حال الحزن.

وأنه يشرب من يدها الخمر؛ لأنها خبيرة في تقديمها وسقيها، وهذه اليد لبياضها وجمالها كأنها حين تقدم الخمر مثل الأزرار البيضاء للثوب الأحمر. فتجلوهم أيدي السقاة عرائساً ترى الذر أزراراً لأنوثتها الحمر^(٢)

(٣) الديوان، ص ٥٠٢.

(٤) الديوان، ص ٥٠٥.

(١) الديوان، ص ٥٠٣.

(٢) الديوان، ص ٢١٤.

صورتها الجميلة تحول العاقل من التعلق إلى الطيش، وترد التائب عن توبته، بل جمالها يمنع ناظرها من هجرها، والناظر إليها لا يرجع منها بعيّب، وهي جميلة كغصن الروضة، بل إنها مجمع الحسن فهي بستان متكامل، وجمالها كأنه يقول لمن ينظره لا جناح ولا إثم على عابد الجمال، ولا ملام عليه، بل هي معجبة بجمالها. والجميلات لا غنى للمرء عن وصلهن، فهن كالماء لا ارتواء إلا بهن. وجمال جسمها يشبه الغزال، ولكنه ينبع إلى عدم التأمل في هذا الجمال؛ لأنّه قاتل مثل الفراشة التي تقصد المصباح وفيه هلاكها:

لا تقتبس من نور وجنتها سناً
إنّ الفراشةَ حَتَّفَها

المصباح^(٥)

أجمل الجميلات جوار الموصوفة كالنعل لها.
كما وصف جسمها بأنه فضة، فالشاعر مفتون
مقتول بهذا الجمال. والجميلات أغرقنه في هم
الحب.

أما قوامها، فقوامها غصن مستقيم، كعود
الأراكه وحوله حصى مبتلة، لا بالماء وإنما بدموع
المحبين، وجسمها خصب ممتليء يؤدي إلى هزال
ناظره، بضربي يودع محه النحول:

ووقفة رود بضي الجسم عَصَمٌ
لتوذيع صبٌ شاحب الجسم ناحله^(٦)

وَهُذَا الْجَسْمُ يَتَشَبَّهُ أَثْنَاءُ قِيامِهِ مَا يَغْرِي
نَاظِرَهُ، وَهِيَ مَمْشُوَّةُ الْقَوْمِ.

العرب. "ولقد كان التباهي الظاهر بين الردف الثقيل والخصر النحيل أكبر مواضع جمال الجسد الأنثوي عند شعراء الأندلس"^(١)، ولذلك فردفها ممتليء، فهو مثل كثيب الرمل (النقا)، وهذا الردف رذاح ثقيل، واستطاع أن يجمع في بيت واحد وصف خاصيتها وردفها فقال:

وا رحْمَتُ الْلَّهِ بِكُلِّ رِيَا الْحَقِّ لَوْعَةٌ مِنْ كُلِّ صِفَرِ الْوَشَاحِ^(٢)

وبالنزول في جسم الموصوفة أخيراً، نجده يصف ساقيها بالجمال والضمور، ولكنه لا يركز على شكلها الظاهري بل يهتم كثيراً بطريقة مشيتها، فمشيتها مشية متميزة فيها اختيال، فهي تشبه مشي الطيور وخاصة القطا، بل لجمال مشيتها ظهر مشط الطيور بجانبها قليلاً:

يمشي اختيار التيه في مشيها فعد عن مشيها
قطة البطاح^(٣)

وأخيراً فقد وصف ابن حمديس المرأة بأنها
جميلة عموماً، وحديث ابن حمديس عن الجمال وأثره
في النفس جعله متميزاً في هذا المجال، حيث حاول
الخروج من الوجdanيات إلى الكلام بما يجول في
النفوس، لا من جهة الخيال وما به من الجمال لا
غير، بل من جهة التفكير أيضاً وما يمر به الإنسان
وما يشعر وبحس من حوادث الحياة وأشكالها^(٤)،

(١) بال شيئاً، أتخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: د- حسين موسى، ط٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨، ص٦٤.

١٠٨

(٢) الديوان، ص ٩٨.

^٣ (الديوان، ص ٩٩).

(٤) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ص ١٥١.

الدورة الأولى، ص ٢٧١

٣٩٨

العصفور، وعلى الرغم من شوقيه الشديد لها فإنه إذا التقى بها يسكت ولا يستطيع الكلام، ولكن شوقيه متكلماً أبداً، ولشدة شوقيه لها أصابه الجنون، وسألت المياه من عيونه موقدة الشوق، وقلبه بين علو وانخفاض لشوقيه إليها، ولشدة تعلقه بها لن يشغل عن حبها. ويطلب من الريح أن تعلله، فهو ساهر والمحبوبة نائمة، والناس يلومونه على هذا الشوق رغم كبر سنها، لكن غرامه غرام الصغار:

قالوا صَبَا يا مَنْ رَأَى مُسْتَهَامٍ
جَاهَ كَهْلٌ وَهَوَاءٌ
عُلَامٌ^(٣)

ويزيد شوقيه كلما رأى بياض برق أو سمع صوت حمام أو شم رائحة بستان.

وما ذكره عدم تمكنه من الوصول إليها، فرغم تقارب الدارين إلا أنه يحس بالبعد، فدونها أمواج البحار من المخاطر والرقباء والوشاة، ولكن على الرغم من ذلك تتواصل الأرواح، وسر الهوى مكتوم بين الشاعر والموصوفة:

تسافرُ الأَرْوَاحُ مَا بَيْنَنَا
وَالسَّرُّ فِيمَا بَيْنَنَا ذُو
اِكْتَامٍ^(٤)

وما ذكره ابن حمديس من الأمور المعنوية عن الموصوفة عتابها له على حبه لها، حيث إن ذلك الحب سيقود إلى ذكرها والتوله بها، وهي امرأة تخشى مقالة الناس، بل إنه تمادي بإرسال الهدايا مما دفعها إلى رد هداياه وقدادها إلى القدوم بنفسها

وبالحديث عن رائحتها، فالموصوفة طيبة الريح، كأنها مغمومة في ماء ورد، وشبهها بالريحانة المعروفة بطيب الريح، وشبهها بالمسك، بل رائحتها تحيا بها النقوس:

ريحانةٌ في لطيفِ الروح قد غَرِستُ
لها النسمٌ
الذِي تُحِيي بِهِ النَّسَمَا^(١)

ورائحتها الطيبة تكشف عن مكان وجودها، فلا تستطيع أن تختبئ عن محبها.

وما ذكره في وصف النساء، وصف بنات الأعلاج السبايا، فمن صفاتهن أنهن بيض، كغصن البان، ووصف شعورهن بالعظيم من العيش (أساود) لعبت بها مخالف الأسود:

هَلْ تَذَكُّرُ الْأَعْلَاجُ سَبِّي
بَنَاتِهَا
بَظْبَيِّ جُعْلَنْ قَلَائِدَ الْأَجِيَادِ
تَمْشِي كَعْصُنِ الْبَائِثِ الْمَيَادِ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ التَّرَائِبِ
عَبَّثْ بَهْنَ بِرَاثُ الْأَسَادِ^(٢)
غَادِةٌ
مجذوبةٌ بذوائِبِ كَأسَادٍ

المبحث الثاني: الوصف المعنوي:

وبعد هذا الوصف الحسي الجسدي لأعضاء محددة للموصوفة، نجد أن ابن حمديس ذكر أوصافاً معنوية مما يتعلق بالموصوفة من ذلك:

شوقيه لها: فقلبه صار له أجنحة ويطير إلى ذلك الحسن، ولشدة شوقيه لها يبكي، وبكاؤه يهيج

(٣) الديوان، ص ٤٥٩.

(٤) الديوان، ص ٤٦٠.

(١) الديوان، ص ٤٧٠.

(٢) الديوان، ص ١٤٦.

ويجيد اللهو، وأسبابه قريبة منه. ويرى في وصلها إبقاء حياته، ولعلها بذلك فإنها تتعمد الصدود عنه لقتله.

**صدّت البيض عن البيضِ أَمَا
الشَّيْبَيْنِ انجذابٌ^(٤)**

وهي لا تصله بل تتبع الهرج، والهرج لا يُجني منه الثمر، إنما يجني الثمر في وقت الوصال. ومن أظهر صفاته النفسية تعasse النفس والحنين، والسبب في ذلك اضطراره إلى الهجرة من وطنه، وأنه مهما حاول الخروج من ذلك فإنه يظهر على شعره^(٥). ولذلك أكثر من الحديث عن الهرج والحرمان. فهو يشعر بتأنيب الضمير؛ لأنه ترك وطنه وهو في حالة حرب^(٦) ولذلك يصور المحبوبة هاجرة له كما هجر هو وطنه، فيريد من المدح أن يعيد الوئام بينه وبين المحبوبة، يريد أن يعيد له وطنه.

وهي في إعراضها وصودوها مثل الأماني، ولو جاءته بالوصل لجاءته الدنيا.

ويرى أن وصل الجميلات يجعل الوقت يمر سريعاً. ويرضى منها بالوصل حتى لو في المنام. ويتعجب أنها تغrieve ثم تهجره. وهي تُعرض عنه وهو في حال من الذل، ويتلطف في قوله لعلها أن تشفع عليه.

وครع سمعه بعتابها، ولكن ذلك العتاب والقرع وقع على أذنه خفيفاً لطيفاً، لأنه صوت المحبوبة: **أقارعَةً سمعي بِتِقْلِ عتابِها يخَّفَ على سمعي سماعُ التَّقَائِلِ^(١)**

ووصف إحدى النساء بأنها لا تعاتبه، ورأى في عدم العتاب انعدام المحبة، فهو يرجو منها العتاب ليكون دليلاً على حبها له: **صَدَّتْ سَلِيمِي فَمَا تَأْتِي مَعَاتِبَةً ولا عَتَابَ إِذَا حَبَّ الْهُوَى انْصَرَمَا^(٢)**

وذكر صودوها وإعراضها عنه، فالموصوفة لا تلتقت إلى حبه لها، فهي صعبة الوصال، ولذلك فهو يطلب منها أن تلتقت له القفات عطف وحنان كما تلتقت الطيبة لولدها، "وعدد قليل من الشعراء التفت إلى حبيبته فأشار إلى حبها، ونقل صورة خاطفة من عاطفتها وألمح إلماحاً خفيفة إلى غرامها"^(٣).

ولصودوها سبب، فهي تصد وتترن من شبيهها، حيث إنها بيضاء ومحبها أبيض الشعر، فالمفترض أن يكون بينهما انجذاب ولكن الواقع بالضد. وهذا دليل على كبر سنها، لذلك تعرض عنه. وكان اسوداد شعره في السابق يقودها إليه لكن المشيب قطع حبال الوصال. وتمنى لو كان هذا الهرج في وقت اسوداد شعر رأسه وشبابه، إذ إن الشيب لم يجعل له قيمة عند النساء، مثل الصفر المهمل، ففي شبابه كان يتقن الحديث للحسان،

(١) الديوان، ص ٣٩٤.

(٢) الديوان، ص ٤٧٠.

(٣) أمين، بكري شيخ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ط ١، ١٥٥٠، بيروت: دار العلم للملاتين، ٢٠٠٩، ص ١٢٣.

(٤) الديوان، ص ٦٤.

(٥) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ص ١٤٨.

(٦) حمادة، محمد، الخطاب الشعري عند ابن حمديس، ص ١٧.

فَمَا فُتِّنَتْ بِرَدْفٍ غَيْرِ مُرْتَدِفٍ
وَلَا جُنْتْ بِخَصْرٍ
غَيْرِ مُخْتَصِرٍ^(٣)

وتناول بالحديث غدر المرأة، فهي سريعة الغدر، تقلب من محظوظ لأخر، وما ذلك إلا لتفتها بحسنها وجمالها، فالحسناوات يحسن التودد والتلطف، فتعطي بلسانها ما ليس في قلبها، ولا تكتفي بالسکوت بل تدعى حبها له، وليس عليها شيء من آثار العشق:

يَا هَذِهِ تَدْعِينَ الْوَجَدَ عَارِيَةً
مِنَ الصَّنْيِ فَدَعَى
الشَّكْوَى لِمَنْ عَشِقَ^(٤)

وهي التي تدهش ثم تخلف. لذلك يطلب من أهل الحزم والعقل ألا يأمنوا النساء في الحب، فهن يدخلن الجنون على الإنسان ويخدعنه، يخدعن محبين بالوعود الكاذبة، بل هي التي ترسل له تفاحة قبلتها وغضت جانبها منها تشويقا له ثم تخون وتغدر. فهي تسقي الحب سماً وبيشه شاربه عسلاً.

وهي لا تفي بمواعيدها بل تؤجل وتماطل، وخلفها ذلك مستمر متتابع، ولو وفت وزارت فإنها تكون زيارة خفيفة سريعة، كجلسة الخطيب بين الخطيبتين:

إِنْ هِيَ زَارَتْ خَلَّهَا مُسْتَعِرَةً
لَهَا مِنْ حَطَبٍ
الْحَفْلِ جَلَسَتْهُ الْعَجْلَى^(٥)

كما تحدث ابن حمديس عن أمور أخرى مما يتعلق بوصف المرأة:

وتحدث ابن حمديس عن تعذيب المحبوبة لمحبها واستلذاذها بذلك، بل تمام قريرة العين غير ملتفتة لمن يبيت مريضاً من هذا الحب، ومع عذاب حب الجميلات فإنه يراه عذباً. وفي موطن آخر يتحول العذب إلى مر، وذلك بسبب صغر سنها.

حَرَجَتْ عَلَى حَدِّ الْقِيَاسِ مَعَ الْهُوَى
فَقَلَّ مَنْ
أَمَرَ الْكَأسَ مِنْ بَعْدِ مَا أَحْلَى^(١)

ويسأله هل ستغدو قلب عميد هذه العشق أم هي فاتكة لا تخاف من قتل العباد ولا تخاف عقوبة المعبد.

ومما تناوله ابن حمديس بالحديث، ذكر دلال الموصوفة وغنجها على عاشقها، فهي ترى في حسن حلقها مسوغاً لذلك الغنج، فهي تغتر وتحتال بذلك الجمال، وتتدلل كالأطفال، وهي غيدة تمرض غيرها بحسنها ودلالها، ولا يتعجب منها أن تكون ظالمة، فالذي دفعها إلى ذلك نعومتها ودلالها. ورغم ظلمها

البيان له لا يجد ناصراً.

غِيَدَاءُ يُسْقُمُ بِالْمَلَاهَةِ دَلُّهَا
جِسْمَ الْعَمِيدِ كَذَاكَ
دَلَّ الْغِيَدِ^(٢)

وهذه الموصوفة مغرورة بحسنها وجمالها، ولذلك تخضع لها القلوب رغم صعوبة أخلاقها، ولغرورها بجمالها فإنها لا تتكرم بالالتفات إلى محبها ولا تصله، وبسبب غرورها بجمالها وحسن قوامها فإنه لا يحاول أن يحب رداً يصعب الوصول إليه.

(٣) الديوان، ص ٢٠٥.

(٤) الديوان، ص ٣٣٦.

(٥) الديوان، ص ٣٧٦.

(١) الديوان، ص ٣٧٥.

(٢) الديوان، ص ١٢٩.

يُزورها أو تزوره حقيقة يجد العوض عنها في طيف خيالها^(٢).

ويصفها بالعفاف، ودليل ذلك أنها لا تعرف من يحبها من لا يحبها.

وهي من العفة لم تَدْرِ مَنْ جُنْ بها دون الغواني وهام^(٣)

وهناك من يرى أنه لو ترك هذه المقدمات الغزلية لكان خيراً له؛ لأنها لا تحمل من تجاريه ومشاعره إلا القليل، وأنها ترداد لصفات العذل التي توارثها الشعراء من قبل، وإن وجد فيها نزعة وجاذبية كان ذلك استجابة لماضيه وتتأثراً به لا إخلاصاً لحاضره واندماجاً في مفاتنه^(٤). وكما ذكر بكري شيخ أمين أنه لا يكاد "شاعر من القدماء يشذ عن هذه الأوصاف، ولعل الفرق الوحيد بين الشعراء أن منهم من وصف الجسد كاملاً، ومنهم من اكتفى برسم بعض أعضائها، أو تصوير حديثها أو خلقها فاقتصر على أمور جزئية في الوقت الذي حاول غيره أن يتعرض لأوصاف أكثر وأشمل وأعم"^(٥).

إن غزل ابن حمديس ووصفه يتسم بالعفة، فهو من الغزل العذري، ولعل سبب ذلك أمران: احترامه وتوقيره للمدوح، إذ إن مثل هذا الغزل الفاحش لا يليق. والثاني: نظرته وتقديره للمرأة، فهو قد عرف المرأة ذات شرف ومكانة، فبعد أن فقد أمه

ففي بعض المواطن ذكر أن هذه الموصوفة تزور ولا تخاف الرقيب، ولا يردعها لوم اللائين.

ورغم جلوسه معها أحياناً فإن نار الحب لا تتطفئ وإنما تتقد وتزداد اشتعالاً، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يفعل معها محrama، مثل الصائم الظامي، إذا وجد ماء في فمه فإنه لا يبتلع منه شيئاً.

كما وصف المرأة الساقية وأن ما في يدها محرق لكل هم.

وإن لم يستطع أن يلقى محبوبته في أرض الواقع فإنه يجتمع بها في أرض الأحلام ويحقق أمانية، ولا يستطيع أحد أن يلومه هناك، وإذا كاد أن يصحو من منامه وصله بمنام آخر كي لا ينقطع الوصل. بل إنه حتى في أحلامه عفيف لا يقرب ذنبًا.

وَمَرَّتْ لطائفُ أَرْواحِنَا بِلَعْنِ الْهَوَى حِيثُ مَرَّتْ كِرَاماً^(٦)

وهو راضٍ بطيف المحبوبة ويشبهه بأنه مثل الطيب إن لم تجد عينه فإنك واجد رائحته.

وقد يلتقي بطيف المحبوبة لا في منامه وإنما في وهمه وخياله، وهذا الوهم والخيال يجعلها كأنها متمثلة أمام عينيه، فلا يدرى ما يراه صدق أم كذباً. فذلك الخيال يصيبه بالأرق؛ لأنه مشتاق للقياها. وحديث ابن حمديس عن طيف الخيال بكثرة أثر من آثار مشعوقته الصقلية، وكأنه وقد استعصى عليه أن

(٢) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) الديوان، ص ٤٦٠.

(٤) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٤.

(٥) أمين، بكري شيخ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ص ١١٩.

(٦) الديوان، ص ٤٥٣.

وإمكاناتها، فالألفاظ والعبارات مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني^(٢)، والأسلوب هو طريقة التعبير، فيجب أن يكون العرض جميلاً وليس عرضاً جاماً للأفكار^(٣)، فالأسلوب الجميل مما يُظهر قوة عاطفة الشاعر وعمق تفكيره، والعكس بالعكس فالأسلوب الرديء يعيّب هذه الأشياء^(٤)، والذي يحدد قيمة الألفاظ العاطفة أو الحركة التي يسبغها الشاعر عليها، فالشعر له لغته الخاصة، وليس عرضاً للأفكار فقط، بل هو عرض جميل^(٥). ذهب النقاد إلى أن أفضل الألفاظ ما كان سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها^(٦)، والسهولة مع عدم الابتذال عنصر مهم في إبداع المبدعين^(٧)، وقد كان ابن حمديس حريصاً على الألفاظ العذبة الرقيقة التي يلائم بعضها بعضاً، وتتجاوز في نسق موسيقي أخذ^(٨).

ويتسرب الجمال إلى اللفظ من الأصوات التي تتكون منها، ويسري من اللفظ إلى البيت ومن البيت إلى القصيدة إذا توافر بينها جميعاً حسن جوار،

(٢) انظر: القط، عبد القادر، الاتجاه الوجانبي في الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، ص ٤٣٥.

(٣) انظر: أبو شارب، مصطفى، الشعراء المروانيون في الأندلس، ط١، الرياض: دار المفردات، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ٢٩٠.

(٤) انظر: السلمي، عبد الرحمن بن رجاء الله، شعر الأسر بين أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبد الله دراسة موازنة، ماجستير، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، هـ ١٤٢٤ / ١٤٢٣هـ، إشراف: د. محمد فايد هيكل، ص ٣٥٥.

(٥) انظر: الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق، ط١، الرياض: دار العلوم، هـ ١٤٠٥م، ص ٢٢٤، ١٩٨٤.

(٦) انظر: الهليل، عبد الرحمن، عمرو بن مسعدة سيرته وتراثه النثري دراسة وجمعأً وتوثيقاً، ط١، هـ ١٤٢٢م، ص ٦٦.

(٧) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ١٩٧.

في صغره تولت تربيته عمة التي كنّ لها غاية الاحترام والتجليل، ثم تزوج بجارية عرفت حقوق الزوجية، لكنه فجع بغرقها، كما أنه رأى من البنت الوفاء والمحبة لأبيها، عندما أشيع عنه أنه توفي فحزنت ابنته لذلك حزناً شديداً أودى بحياتها. لذلك كانت نظرته للمرأة نظرة إجلال وإكبار.

وابن حمديس في مدائنه تلك عند حديثه عن المرأة، لا يُبين عن حقيقة هذه المرأة ومن هي، فهو لا يتغزل بأمرأة بعينها، حتى عندما يتحدث عن مجموعة من النساء فإنهن لا يُعرفن، وإنما حديثه حديث عام.

الفصل الثاني الدراسة الفنية

إن مما يتعلق بالدراسة الفنية لصورة المرأة في مدائح ابن حمديس، أمور عدة وهي: اللغة، التراكيب، الأساليب، الصورة الفنية، الموسيقى. ونبأ بالحديث عن:

المبحث الأول: اللغة: الألفاظ:

إذا كانت العاطفة والخيال هما جوهري الصورة فإن اللغة بموسيقاه وكلماتها وصيغها وتركيبها ودلائلها هي الوسيلة التي تبرزهما^(١)، فالصورة الشعرية هي الشكل الفني الذي تتحذذ الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة

(١) انظر: الشوري، مصطفى عبد الشافي، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٣م، ص ٢٤٨.

عَدْلًا بِسَامِعِتِي عَنِ الْعَدْلِ
حِيثُ الْمَيَاةُ مَثِيرَةُ غُلَّالِي
فِي الإِجْلِ تَرْسِلُ أَسْهَمَ الْأَجْلِ
بِالسُّكْرِ مِنْ خَبْلِ إِلَى خَبْلِ
فِيهِ كُوُّوسُ الْأَعْيُنِ الْجُلُّ
جَيْدُ الْغَزَالِ قَلَّادُ الْغَزَلِ
بِجَنِيَ وَرْدُ الْوَجْنَةِ الْحَاضِلِ
(٥) إِنْ لَمْ يَكُنْ فَيُعَذِّمُ الْخَجْلِ

يفتح الشاعر قصيده بلفظة (ورد) التي تدل على اللطف والجمال، وأضافها إلى الخد، ثم عطف عليها كلمة النرجس الموحية بالرقابة والجمال، ثم يتابع الشاعر التعبير برقة باستخدام (الرشفات مرويتي) وما فيها من ترقق مؤثر على السامع، وما يدل على تلذذه بذلك إضافة التلذذ لضمير المتكلم. ورغم أن الشاعر انتقل للحديث عن الغدر والهجران إلا أنه لم يستخدم لفظة عنيفة، وإنما استخدم لفظة (لحظات) وما تدخله في نفس السامع من دلّ وغنج. ثم يتابع أن تلك المقلة تدخل السكر والخبل على الناظر. ويلاحظ على هذه الألفاظ رقتها وعدم رراكبتها فهي قادرة على "تجاوز سمع المتلقى إلى التغلغل في وجданه وتحرك المشاعر والأحساس الغافية فيه"^(٦). فألفاظ النص موحية بما يجده الشاعر من جمال لهذه الموصوفة وعشقه لها المؤثر في عقله وفكرة، وعدم تمكنه من الوصول إليها.

(٥) الديوان، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٦) سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي - دراسة تحليلية)), مجلة جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المدينة المنورة: السنة: ١ ، العدد: ١ ، (شعبان ١٤٣٢ هـ)، ص ٢١٩.

وَعِنْدَهُ تَسْتَدِعِي الْفَظْةُ صُورًا تُسْتَطِعُ الْإِيْهَاءَ
الْكَاملِ^(١).

إذن فكل شاعر هدف واحد في قصيده، هو رصد الكلمات وبناء الجمل بها بطريقة تضمن لها الانسجام حتى لو كان العرف اللغوي يقف عند حدود معينة^(٢).

السهولة واللين والألفة:

الألفاظ تتقسم في الاستعمال إلى جلة ورقيقة وكل منها موضع يحسن استعماله فيه، فالرقيق يستعمل في وصف الأسواق وذكر أيام البعد وفي استجلاب المودات وملائين الاستعطاف^(٣). أي التعبير عن العواطف الرقيقة اللينة، ومن أهمها الغزل. وليس معنى الرقيق أن يكون ركيكاً سفسفاً وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم^(٤). يقول ابن حمليس في مطلع قصيدة يمدح فيها المعتمد:

(١) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠٢. نقلًا عن: الشعر والفنون الجميلة، ص ٢٠. (هكذا وجدته في الأصل، والأصل لا توجد فيه قائمة مراجع، ومؤلفه إبراهيم العريض، دار المعارف، ١٩٥٢م).

(٢) انظر: الشورى، مصطفى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، قدمه وعلق عليه: د: أحمد الحوفي و د: بدوي طبانة، ط ٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٨٥/١.

(٤) نفسه، ١٨٥/١.

تلاعبت بك حُور الأعين
النجل
فالطعن بالسمّر غير الطعن
بالمقل
ضراغم الغيل قُتلى من مها
الكلل
بالمهجر حتّى حَكى ما رق
من غزل
منها بقدّ مقيم الحسن في
الميل
عين تكحل فيها السحر
بالكحل
إلي بالبعض في التفاح والقبل
منها إذا ما التقينا ساكت
الملل
في نطفتها من فقد اللب
مُختبل
أفي جفونكِ رامٍ من بني ثعلب
ضعف ما للظبا والنبل
والأسلِ فما يرى في وفائي
الخل من خللٍ^(٥).

بعض ألفاظ النص فيها غرابة، معلوم أنه يفهم معناها من السياق ولكن تحتاج إلى معرفة دقيقة لدلالتها، فمثلاً كلمة (الأسل) معطوفة على البيض وهي السيف، إذن هي نوع من الأسلحة، ولكن ما هو؟ إنها الرماح، وكذلك (النجل). فالالفاظ بينها ألفة تجعل "استجابة السامع للشاعر سريعة لا يحول بينهما أن تكون الكلمة غير واضحة المعنى تحتاج

مُلابعَ البيض بين البيض
والأسل
فَخُذْ من الرَّمْحِ في حُبِّ المها
عَوْضًا
كم للعلاقَةِ من هيجا رأيَتْ بها
وكم غزالَةِ إِنْسٍ أَنْحَلَتْ جسدي
مشوشَةَ مُلْثٌ عن حَلْمي إِلَى
سَفَهِي
تصدَّ بالنفس عن سلوانها بهويَّةِ
خداعِ الصَّبِّ بالأَمَالِ مرسلةً
وناطقُ الوجُودِ مَنِي لَا يَكِلُّهُ
يَا هَذِهِ وِنِدَائِي دُمْيَةً طَمَعَ
أَرَى سِهَامَ لَحَاظِي مَنِكَ تَرْشُّفَنِي
بَلْ ضَعْفُ طَرْفَكَ فِي سَفَكِ
الدَّمَاءِ لَهُ
إِنِّي امْرُّ فِي وَدَادِي ذُو
مَحَافِظَةٍ.

والسهولة معناها ألا تكون الكلمة مكونة من حروف متغيرة يصعب على اللسان النطق بها، والألفة أن تكون الكلمة واضحة المعنى لا تحتاج إلى بحث وتقبيل لفهم السامع ماذا يريد الشاعر أن يقول^(٤). ولذلك يقال عموماً في أبيات ابن حمديس عندما تحدث عن المرأة في مدائحه أن ألفاظها سهلة بينها ألفة، وتقل فيها الغرابة.

الغرابة^(*) والجزالة:

إن الغرابة الموجودة في الشعر الأندلسية في الغالب ليست من الحoshiات المغلقة التي يحتاج استبطان نصها إلى مطالعة المعاجم ولا يفلح السياق في حل مغاليقها^(٤). والغالب على الشعر المتعلق بالنساء الرقة والليونة والبساطة، وقد يخرج إلى الجزالة والقوية إذا اقتضى الموقف، وصياغة ابن حمديس تتردد بين البساطة والسهولة عندما يترك نفسه على سجيتها، وبين الجنوح إلى الغريب عندما يقصد إلى التحسين والتجليل وتجلياته، وكثير ذلك في مدائحه و في التمهيد لها خاصة^(٥). فابن حمديس لم يتتجنب الغرابة أو الجزالة دائماً، حيث نراه يقول في مدح أبي الحسن علي بن يحيى عند ولادته سفاقس:

(١) انظر: بدوى، أحمد احمد، أسس النقد عند العرب، القاهرة: دار نهضة مصر، ص ٤٥٨.

(*) اللفظ الغريب هو اللفظ غير المألوف والنادر المهجور. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبه، مجدى و كامل المهندس، ط ٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤، ص ٣١٩.

(٤) انظر: الهرامة، عبد الحميد عبد الله، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري الطواهر والقضايا والأبنية، ط ٢، طرابلس: دار الكاتب، ١٤٢٩-١٩٩٩م، ص ٢٩٦/٢.

(٥) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠٩.

الجو الشعري الذي ت يريد أن ترسمه^(٥). وإذا فقدت اللغة بألفاظها وتركتها عنصر الإيحاء هبطت دلالتها الفنية وأصبحت لغة إيسالية موضوعية أكثر منها تخيلية أو إيحائية فنية^(٦)، ومن أمثلة الكلمات الموحية عند ابن حمديس قوله في مدح القائد مهيب بن عبد الحكم الصقلي:

غَيْرَتُهُ غَيْرُ الدَّهْرِ فَشَابْ
وَرَمْتَهُ كُلُّ خُودْ
باجتناب^(٧)

يفتح الشاعر قصيده بهذا البيت، وقد هيأ الشاعر في استخدامه لكلمة (فشاب) ألفاظاً قبلها لتؤكد على دلالتها وهو التبدل والتغيير فذكر (غيرته)- (غير الدهر)، وتسكين الشاعر لها يدل على العجز والضعف، فمن شاب لا يستطيع العمل والسعى، بل يدركه الضعف، ومن شاب تتبدل أحواله، وخاصة في العشق، وبعد أن كانت النساء يتوددن إليه ويتقربن، تبدلت الحال وأصبحن يبتعدن عنه، ذلك ما يوحى به لفظ (فشاب). وفي آخر أبيات الغزل بعد حوالي عشرين بيتاً ذكر الشيب والشباب، بعد أن ذكر كثيراً من الأمور والأحوال التي تبدلت بينه وبين من يعشقهن فقال:

وَأَنَا الْفَاقِدُ رِيعَانُ الشَّابِ	كَيْفَ لَا أُكَيِّ بِهَذَا كَلْمَهِ
كَانَ مَا بَيْنَ الشَّيْبَيْنِ	صَدَّتِ الْبَيْضُ عَنْ
انجذاب	أَمَّا
	الْبَيْضِ

(٥) انظر: نفسه، ص ١٠٧.
 (٦) انظر: الهليل، أ.د. عبد الرحمن عثمان، الهمس في الشعر السعودي، ط ١، ١٤٢٦-٢٠٠٥هـ، ص ١٠٣.
 (٧) الديوان، ص ٦٣.

إلى بحث وتنقيب، ليفهم السامع ماذا يريد الشاعر أن يقول^(١).

وكذلك يستخدم الشاعر الجزلة في بعض الألفاظ، فكلمة (الطعن-هيجا-الهجر) في هذا الموضع جزلة. والجزل من الألفاظ ما يستعمل في وصف موقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك^(٢). وإن كان انتقل بعد ذلك للحديث عن الغزلة إلا أن الجزلة استمرت معه، فكلمة (العض-ترشقني-سفك الدماء) مشعرة بالقوة والعنف، فال موقف موقف قوة وولاية وهذا اقتضى مثل هذه الألفاظ. وفي عبارات الشاعر كثير من أصداء غربته عن وطنه وحزنه على فراق أهله^(٣)، وهذا ما جعله يستعمل أمثل هذه الألفاظ الجزلة.

وربما الذي دفعه إلى هذه الجزلة والغرابة هو ضعف عاطفته فـ"المقدمات المشتعلة شوقاً وجحاً" بدأت بصفة عامة تخدم جذورها، وتفقد شحتها العاطفية شيئاً فشيئاً على مدى الأيام، حتى أسلمنا إلى ما سميـناه التـسيـب الذي لا عـاطـفة وراءـه^(٤)، فيـظـهـرـ أنـ الشـاعـرـ حـاوـلـ أنـ يـعـطـيـ ضـعـفـ عـاطـفـتـهـ بهذهـ الأـلـفـاظـ الجـزـلـةـ الغـرـبـيـةـ،ـ كـيـ يـشـغـلـ السـامـعـ بـهـ وبـفـهـمـ مـعـانـيـهـ عنـ تـبـعـ العـاطـفـةـ فـيـهاـ.

وعلى الشاعر أن يهـيـئـ لـلـأـلـفـاظـ نـظـاماـ وـنسـقاـ وجـواـ يـسـمحـ لـهـ بـأـنـ تـشـعـ أـكـبـرـ شـحـنـتـهاـ منـ الصـورـ والـظـلـلـ وـالـإـيقـاعـ،ـ وـأـنـ تـتـنـاسـقـ ظـلـلـهـ وـإـيقـاعـهـ مـعـ

(١) بدوي، أحمد، أساس النقد الأدبي عند العرب، ص ٤٥٨.

(٢) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ١٨٥/١.

(٣) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢١٠.

(٤) نفسه، ص ٩٧.

كَلَّمَا قَامَتْ تَنَّى حَلَعَثْ
مَيَلَ التِّيهِ عَلَى حُوتِ
قَوِيمٍ^(٣)

المبحث الثاني: التراكيب

إن تفاوت التفاضل بين الشعراء يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأن التركيب أسر وأشق^(٤)، وسأقتصر على التقديم والتأخير لما تميز به هذا التركيب عند ابن حمديس في مدائنه وحديثه عن المرأة.

التقديم والتأخير:

أبرز التراكيب التي استخدمها ابن حمديس عند حديثه عن المرأة التقديم والتأخير، وهناك من يرى أن التقديم والتأخير "يؤدي إلى تعقيد الكلام تعقيداً تَضَلُّلَ فيِهِ الْمَعْنَى"^(٥)، ولكن ذلك لا يظهر في شعر ابن حمديس في هذا المجال، بل إن الشاعر في تقديمه وتأخيره يُظهر ما يهتم به ويشغل باله، يقول ابن حمديس في مدح الإمام أبي الحسن علي بن يحيى:

وَأَوْرَثَ الْمَوْتَ سُرُّ الْبَيْنِ حِينَ فَشَا
عَنِي وَعَنِ
حَبِيبٍ أَوْرَثَ الصَّمَمَا^(٦)

يؤكد الشاعر جمود عاطفة الموصوفة تجاهه، وأنه بعد افتتاح سر محبته لها، وانتهاء تلك المحبة بالفارق أدرك الشاعر الموت، فقدم الشاعر المفعول

قَلْبَ الْمَاءِ لَظَمَانَ سَرَابٍ
لَوْ رَمَاهَا حَدَّافَاتِ لِأَصَابِ^(١)
أَخْطَأَ الشَّيْبَ طَبَاءَ
وَالصِّباَ.^(٢)

فهو يبكي ما فقد من جمال هؤلاء الحسناوات بسبب فقده (ريغان الشباب)، وأعرض عنه البيض ليبيض شعره. فإيحاء كلمة الشيب وما ذكره من أمور تغيرت عليه، كل ذلك ليؤكد الشاعر حسرته وحزنه عن بعد الجميلات عنه، وساعد الشاعر على إيصال ذلك ما توحى به كلمة الشيب بداية والشباب من بعد.

ومما يتعلق بالألفاظ دقة الشاعر في اختيار ألفاظه لتؤدي المعنى الدقيق الذي يريد، فمن ذلك قول ابن حمديس عندما مدح الأمير يحيى بن تميم بن المعز:

أَقْبَلْتُ شَسْعِي بِهَا حُمْصَانَةً^(٧)
عَمَّ مِنْهَا حُسْنُهَا
خَلْقًا عَمِيمًا^(٨)

فاختيار الشاعر لكلمة (حمصانة) التي تدل على ضمور البطن ودقة خلقته، دون غيرها من الكلمات مثل النحالة أو الضالة، لما تشعران به من الفقر وال الحاجة، أما حمصانة فهي تشعر رغبة هذه الساقية أن تكون بهذا الوصف وحرصها على هذا الجمال في الخصر، وهذا الحسن رأه كثير من الناس لعشاقهم له. واختيار الشاعر لحمصانة يمهد لما يريد الشاعر في البيت الذي يليه وهو الثنبي والميل، الذي لا تتقنه البدينة، ولا تستطيعه الضعفية:

(٣) الديوان، ص ٤٩٤.

(٤) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ١٦٦/١.

(٥) الجنبي، زيد بن محمد بن غانم، شعر الحرب بين البحترى والمنتبي، ماجستير، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ، إشراف: أ.د. طه مصطفى أبو كريشة، ص ٤٣٩.

(٦) الديوان، ص ٤٧٠.

(٧) الديوان، ص ٦٤.

(٨) الديوان، ص ٤٤٩.

ثم غطت بنقاب خدها من رأى الشمس توارت
بالحجاب^(٢)

فهذه الجميلة اختفى خدها عن ناظريه، لكن المؤلم أنه اختفى بساتر مستمر مقصود وليس عارض زائل، فهي تعمدت إخفاء خدها بواسطة النقاب فقدمه على الخد، فقد يكون المانع من رؤية الخد أمر عارض كيدها أو ما تتحجب به، لكن المانع متعمد مقصود وهو النقاب. يجعل مستمعه يشاركه الحسرة والألم بتستر هذه المرأة عنه بأن شبه الأمر والحال مثل اختفاء الشمس وضوئها رغم حاجة الناس لها.

ولأن الغالب على شعر الغزل والحديث عن المرأة أنه يعتمد على البساطة والبعد عن التعقيد فقد قلل التقديم والتأخير في هذه الأشعار.

المبحث الثالث: الأساليب

إن الأسلوب يتكون من لبنات هي المفردات، وقف عندها نقاد العرب طويلاً، يتبنّون الأسباب التي تهب الكلمة الجمال لتقديم دورها في الأسلوب أداء كاملاً، ولنقوم بنصيتها في التأثير النفسي تأثيراً بالغاً^(٣).

الحوار:

استخدم ابن حمديس أسلوب الحوار في شعره الذي تحدث فيه عن المرأة، ولكنه لم يكن بتلك الكثرة، رغم أن الحوار فيه إخراج مكنون النفس من الهم والغم، وبذلك تُتنفس عما بداخليها فتجد راحة

به (الموت) لاهتمامه واغتمامه به؛ لأنه سيؤدي إلى بعده عن المحبوبة، فقدمه على الفاعل وتوابعه (سر البين حين فشا)، حيث إنه غير مكترث بكون المحبة سراً أو جهراً، ولكنه صُدم أن هذا النبأ لم يؤثر في المحبوبة بل على العكس تغافلت عنه وتجاهلتة. فالتقديم أثر في المعنى تأثيراً فنياً وهو تركيز الشاعر على نتيجة بعد والفارق وهو الموت، ولكن الشاعر في الشطر الثاني حذف الفاعل المكروه إلى نفسه نهائياً (الموت)، وذكر المفعول الذي صدمه ولم يتوقع صدوره من المحبوبة وهو صممها وتجاهلها لهذا الخبر المرير، وقدم قبل ذلك الظرف الفضلة (وعند حبيب)؛ لأنشغاله بهذا الحبيب، ول يجعل نفسه (عندى) يقرب المحبوبة (وعند حبيب) حتى ولو في اللفظ.

وفي موطن آخر يتّحصر ابن حمديس على ذهاب الحسنوات عنه فيقول:

فغدا عند الغوانى ساقطا
كسقوط الصفر
من عد الحساب^(١)

يدرك ابن حمديس اجتذاب النساء الجميلات له بسبب شيء، فالذى أثر فيه ليس سقوطه من الأعين والقلوب، بل آلمه هو سقوطه عند الغوانى، لذلك قدمه لاهتمامه به.

وكذلك مما يؤلمه إلى جوار اجتذاب النساء له احتجابهن عنه:

(٢) الديوان، ص٦٤.
(٣) انظر: بدوى، أحمد، أساس النقد الأدبى، ص٤٥٢.

(١) الديوان، ص٦٣.

من جفتها في صبغة
الكليل
أفحسته بالفاحم الرجل
عنه إشارة دموعه الهطلي
ظفرت يداه بطائل الأمل
إلا لأنّي مُجتنى قبلي^(٢)

يبدأ الشاعر مقطعاً بالنداء الموجه إلى مخاطبة أمّامه، لم يحدد اسمها وإنما حدد قربها (يا هذه)، يطلب منها ويستجديها أن تبقى على من يتصرف بصفة الرجلـة والقوـة، ولكن أدركـه الضعف والمـهانـة، لذلك هو يطلب ويسـترـحـمـ، ويدـكـرـ شيئاً ما أدى إلى ضـعـفـهـ أمامـهـ المـرأـةـ وـهـ شـعـرـهـ الأـسـوـدـ الطـوـلـيـ الجـمـيلـ المـرـجـلـ غـيرـ الشـعـثـ، فـهـذـاـ الشـعـرـ منـعـهـ وـدـهـشـهـ عنـ قولـ الشـعـرـ لـجمـالـهـ.

ثم ينـهيـ الشـاعـرـ المـخـاطـبـةـ عنـ سـؤـالـهـ عنـ عـشـقـهـ وـغـرامـهـ، فـهـوـ لاـ يـسـتـطـعـ الـكـلامـ لـانـشـغالـهـ بـالـبـكـاءـ، وـلـكـنـ جـوابـ السـؤـالـ وـاـضـحـ فيـ دـمـوعـهـ المـتـابـعـةـ منـ عـيـنـيهـ.

لقد كان حديثـ الشـاعـرـ كـأـنـهـ متـوجـهـ إلى صـخـرـةـ صـمـاءـ، فـهـيـ لاـ تـيـرـ حـدـيـثـهـ أـيـ اعتـبارـ، يـتـحدـثـ إـلـيـهاـ وـهـيـ مـعـرـضـةـ، بـدـلـيلـ قولـهـ (عـطفـتـ)، أـيـ مـالـتـ وـالـنـفـتـ إـلـيـهـ مـسـرـعـةـ، وـلـذـكـ عـبـرـ بـعـدـهاـ بـ(ـوقـالتـ)، فـكـأنـهاـ قـالـتـ عـلـىـ وجـهـ السـرـعـةـ، ثـمـ ذـكـرـتـ لـهـ حـكـمةـ تـدـلـ عـلـىـ رـجـاحـةـ عـقـلـهاـ وـعـدـمـ اـشـغالـهاـ

وـكـائـنـاـ خـاصـتـ ذـوـائـبـهاـ
يـاـ هـذـهـ اـسـتـبـقـيـ عـلـىـ رـجـلـ
لـاـ تـسـأـلـيـ عـنـ الـهـوـيـ وـسـلـيـ
عـطـفـتـ وـقـالـتـ رـبـ ذـيـ أـمـلـ
قـبـلـيـ دـيـونـ مـاـ اـعـرـفـ بـهـاـ

وسـرـورـاـ، وـاتـخـذـ الحـوارـ ليـظـهـرـ بـرـاعـةـ وـمـهـارـةـ أـمـامـ
المـتـلـقـيـ، وـيـوـهـمـهـ بـالـجـدـةـ وـالـابـتكـارـ، وـهـ حـوارـ مـمـتـعـ،
فيـهـ جـمـالـ الـوـاقـعـيـةـ^(١). وـمـنـ ذـكـ قولـهـ فيـ مدـحـ عـلـيـ
بـنـ يـحـيـيـ مـهـنـاـ لـهـ بـدـخـولـ عـامـ:

قالـتـ اللـثـمـ لـأـرـاهـ حـلـلـاـ بـيـنـنـاـ وـالـعـنـاقـ حـظـ كـبـيرـ
قـلـتـ هـذـاـ عـلـمـتـهـ غـيـرـ أـنـيـ
فـاجـعـلـيـ اللـحـظـ زـادـ جـسـ
سـيـقـىـ.

روـحـهـ فـيـ يـدـيـكـ ثـمـ يـسـيـرـ^(٢)

إنـ الشـاعـرـ لاـ يـسـتـطـعـ الـوصـولـ إـلـىـ شـيءـ مـنـ
هـذـهـ المـحـبـوبـةـ، فـيـقـدـرـ حـوارـاـ خـفـيـاـ غـيرـ ظـاهـرـ يـسـتـشـفـهـ
المـتـلـقـيـ مـنـ حـدـيـثـهـماـ، وـهـ أـنـهـ طـلـبـ مـنـهـاـ أـنـ يـعـانـقـهـاـ
وـيـقـبـلـهـاـ، وـلـكـنـهاـ تـرـفـضـ ذـلـكـ، وـتـرـىـ حـرـمـةـ هـذـاـ عـلـمـ،
بـلـ الـوصـولـ إـلـيـهـ لـاـ يـنـالـهـ إـلـاـ صـاحـبـ الـحـظـ،
وـالـعـاشـقـ لـيـسـ مـنـهـمـ، وـيـظـهـرـ أـنـ العـاشـقـ عـدـ مـدـ إـلـىـ
حـيـلـةـ، حـيـثـ طـلـبـ مـاـ يـعـلـمـ أـنـهـ تـرـفـضـهـ لـيـنـالـ مـنـهـاـ
شـيـئـاـ يـصـبـرـهـ، فـهـوـ يـعـلـمـ أـنـهـ لـنـ تـكـرـ الرـفـضـ فـأـتـيـ لـهـ
بـالـأـعـظـمـ لـتـعـطـيـهـ الـأـدـنـىـ، وـلـذـكـ قـالـ لـهـاـ وـاعـتـرـفـ فـقـالـ
(ـهـذـاـ عـلـمـتـهـ)ـ فـهـوـ يـقـرـ بـحـرـمـةـ ذـلـكـ وـرـفـضـهـ لـهـ، وـلـذـكـ
طـلـبـ مـنـهـاـ مـاـ لـاـ يـضـرـهـاـ. وـعـلـةـ دـمـ وـجـودـ الضـرـرـ
فـيـ ذـلـكـ أـنـ التـقـبـيلـ وـالـعـنـاقـ يـظـهـرـ أـمـامـ النـاسـ أـنـ لـهـاـ
مـشـارـكـةـ فـيـهـ، أـمـاـ الـلـحـظـ وـالـرـؤـيـةـ فـيـكـونـ دـوـنـ عـلـمـ مـنـهـاـ
وـلـاـ مـشـارـكـةـ، فـلـاـ يـقـعـ لـومـ عـلـيـهـ.

وـمـنـ نـمـاذـجـ الـمـحاـوـرـةـ قولـهـ فيـ قـصـيـدـةـ مدـحـ بـهـاـ
الـمـعـتمـدـ:

(٣) الـدـيـوـانـ، صـ ٣٧٢ـ.

(١) انـظرـ: شـلـبـيـ، سـعـدـ، مـنـ أـدـبـاءـ الـمـغـرـبـ وـالـأـنـدـلـسـ، صـ ٢١ـ٢٢ـ.

(٢) الـدـيـوـانـ، صـ ٢٤٥ـ٢٤٦ـ.

من الآلام، والتسلية عن الأحزان^(٤)، التي يجدها في نفسه والحرقة المكبوتة في صدره، فعندما يقول ابن حمديس:

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنْ فُتَّاكَ الْهَوَى
حُورٌ تَكَافَحُ
بِالْعَيْنِ مِلَاحٌ^(٥)

يريد المخاطبة والحديث والمشاركة في المصيبة التي نزلت به، وهي أن جميلات العيون هن الجريئات على العشق والغرام. وتأرة أخرى يسأل مخاطبه لبيان صفات جميلة تتعلق بالمحبوبة، فيقول:

ثُجُرِيُّ الْأَرَاكَ عَلَى الْأَقَاحِ وَظَلَمُهَا
رِيقُ أَدْفَتَ
الشَّهَدَ وَالْحِرْيَا لَا^(٦)

يتحدث الشاعر عن جمال هذه المرأة، وكيف أنها تمرر أصابعها التي هي مثل شجر الأراك، تمررها على فمه الذي هو مثل ورد الأقاح، وماء أسنانها البراقة عنبر حتى لو لم تطعم شيئاً، ثم يريد أن يقرب الصورة لسامعه، ويريد منه المشاركة في اللذة والمتنة التي يجدها في سأله ويخاطبه بتاء المخاطب للدلالة أن الخطاب له، فيسأله بالهمزة التي تفيد هنا التصديق لا التصور، ليجيب السامع: نعم أعرف طعم الشهد وأنه لذيد. والذوق يكون بطرف اللسان وعلى وجه السرعة، هل ذقت العسل الذي في شمعه قبل أن يصفي، فهو طازج لم تدخل فيه يد صنعة بعد، واختار الشاعر الشهد التي تذكر

(٤) انظر: الهليل، عبد الرحمن عثمان، التكرار في شعر النساء دراسة فنية، ط١، الرياض: دار المؤيد، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص١٠١.

(٥) الديوان، ص١٠٢.

(٦) الديوان، ص٣٨٧.

بالعشق والهوى، وهي أنه من القليل النادر أن يفوز الإنسان بما يأمله ويظن فيه فائدته.

ثم توضح له استحالة وصوله إليها ونيله ما يريد منها بصورة جميلة، وهي أنها وعدت كثيرة من الناس بإعطائهم ما يريدون ولكنها جدت تلك الوعود.

فاستخدام الشاعر للحوار بينه وبين هذه المرأة ليظهر مكنون نفسه، وليلقي على لسانها حكمة عامة يستفيد منها أي سامع، ول يجعل سبب إعراضها عنه، كل ذلك استطاع الشاعر أن يقدمه بصورة حوارية، وليس تقديمًا مباشراً جافاً.

الأساليب الإنسانية الاستفهام:

إن تنقل الشاعر بين الأساليب الإنسانية من استفهام ونداء وأمر ونهي كأنه يريد أن ينقل المستمع من حال إلى حال حتى لا يتسرّب السأم إلى نفس المتلقى^(١)، وإثارة السؤال سبيل إلى توطيد المعنى، ودفع للبس الذي قد يتبدّل إلى الذهن، وهو وسيلة في الغوص على المعنى وتعمقه، وأغلب ما يكون استخدام الاستفهام فيما يكون ظاهره التناقض^(٢)، والاستفهام يحمل المستمع على التفكير والالتفات، فيمضي المستمع لهذا الشعر ولا تزال تلك الإثارات عالقة في نفسه^(٣)، وفي اللجوء إلى الاستفهام تحريف

(١) انظر: الدش، محمد، أبو العتاھي: حياته وشعره، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص٢٩٠.

(٢) انظر: عبد الرحيم، مصطفى عليان، تيارات النقد الأدبي في الأندرس في القرن الخامس الهجري، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص١٩٢-١٩٣.

(٣) انظر: أبو الأنوار، محمد، في تاريخ الأدب العباسي - الشعر والشعراء، المنيرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧م، ص١٢٦.

للدلالة على الإهاطة والشمول لكل جزء من عينيها وأنه قاتل، ونكر الكلمة (رام) إشارة أن أي شخص من هذه القبيلة معروف بدقة الرمي.

وقد استخدم الشعراء قبل ابن حمديس ضرب المثل في دقة الرمي ببني ثعل، فهذا أمرؤ القيس يقول:

بنو ثعلٍ جِرائِها وَحُمَّاثُها
وَنَائِلٍ^(٤)

والبحترى يقول:

أَرمي بِظَنِّي فَلَا أَعْدُ الْخَطَاءِ بِهِ
لِأَخْطَاءِ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعلٍ^(٥)

وغيرهما من الشعراء، لكن قليلاً من الشعراء وظف هذه الصورة في نظرات المرأة، وممن فعل ذلك قبل الشاعر، التهامي حيث يقول:

ما بِالْ طِرْفَكَ لَا تَنْتَمِي رَامِيَّهِ
كَانَّا هُوَ رَامٌ مِنْ
بَنِي ثُعلٍ^(٦)

فالشاعر يذكر أنها تقتل بنظرتها مباشرة، وليس تجرح المصيد فقط.

والشريف المرتضى يقول:

نَسَاءٌ مِنْ بَنِي ثُعلٍ بْنَ عَمْرٍ
أَفْئَدَةُ الرِّجَالِ^(٧)

(٤) ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه: أ/ مصطفى عبد الشافي، ط٥، ٢٠٠٤-١٤٢٥هـ، بيروت: دار الكتب العلمية، ص١٣٦.

(٥) ديوان البحترى، شرحه وعلق عليه: د: محمد التونى، ط١، ١٩٩٤-١٤١٤هـ، بيروت: دار الكتاب العربي، ص١٠٢١.

(٦) الجراوى، أحمد بن عبد السلام، الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: د: محمد رضوان الداية، ط١، دمشق: دار الفكر - بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١-١٤١١هـ، ص١٠٢٩.

(٧) الشريف المرتضى، الديوان، حققه: رشيد الصفار، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ٢٠٠٩-١٤٣٠هـ، ص٨٥.

بالشهادة والمعاينة، فالإنسان لا يشهد على شيء إلا وهو متيقن منه ومتتأكد، و"اشتراك الكلمات في أكثر حروف المادة يجعل إدحناها عند سماعها تذكر بالأخرى"^(١). ويؤكد على لذة هذا الرضاب وجماله، وأنه مع طعمه اللذذ فهو جميل اللون مثل الخمر. وفي أحيان أخرى يتوجه الشاعر باستفهامه

إلى المحبوبة نفسها، فيقول:

هَلْ أَنْتِ فَادِيَّةُ فَوَادَ عَمِيدٍ
مِنْ لَوْعَةٍ فِي الصَّدْرِ ذَاتِ
وَقُودٍ
أَمْ أَنْتِ فِي الْفَنَّكَاتِ لَا تَخْشِيَ
قَتْلِ الْعِبَادِ عَقْوَبَةَ الْمَعْبُودِ^(٢).
فِي.

لقد افتح الشاعر قصيدته بهذين البيتين، وببدأها بالسؤال المباشر للمرأة، ويطلب منها أن تعنق قلب صاحب المكانة العالية؛ لأن صدره مشتعل من حبها وغرامها. ثم يعقب بسؤال آخر وهو في حالة من الدهش أن هذه المرأة من الجرأة والقوة أنها لا تخاف من قتل الناس ولا ترى في ذلك من سينزل عليها عقوبة على ذلك القتل.

ويخاطبها بأنها قاتلة بنظراتها فيقول:

أَرِي سِهَامَ لَحَاظٍ مِنْكِ تَرْشِقْنِي
أَفِي جُفُونِكِ رَامٍ
مِنْ بَنِي ثُعلٍ^(٣)

فنظرة وجيزة منها تنزل عليه سيلاً من السهام المستمرة، ولذلك عبر بالمضارع للدلالة على الدوام والاستمرار (ترشقني)، ثم يسألها: هل في عينيك رام للسهام من بني ثعل؟ وقدم الشاعر الجار والمجرور

(١) حسان، تمام، البيان في رواع القرآن - دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط٣، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٩-١٤٣٠هـ، ٢١٠/١.

(٢) الديوان، ص١٢٩.

(٣) الديوان، ص٣٩٢.

بخمسة أبيات استفهامية، وكأن الشحنة العاطفية لديه كبيرة جدًا فيقول في مدح أبي الحسن علي بن يحيى:
 متى صَدَرَتْ عَيْنَاكِ عن أرض فَسِرُّهُما في اللَّهُظَّ بادي
 بابل المَخَالِيل
 بسهمين نَصْلًا واحداً في
 مقاتلي وَحَيَّاتِي عندِي أَنَّه شَهَدُ عَاسِل
 بماءِ من الأَجْفَانِ للنَّارِ قاتِل
 متى كان لِلأشْوَاقِ فعل
 العوامل^(٦).

والصور المذكورة مكررة عند الشاعر من قبل، ويظهر التلاعُب بالألفاظ عند الشاعر حيث إن الشاعر طابق بين أدوات الاستفهام، فالبيت الأول والخامس (متى)، والثاني والرابع (كيف) والثالث الوسط (الهمزة)، واستطاع الشاعر توظيفها ببراعة وجمال.

النداء

لم يكثر استخدام أسلوب النداء عند ابن حمديس عند حديثه عن النساء في قصائد المديح، ولكن لما فيه من مد للصوت، وما يحمله هذا المد من تعرية لشحنة الحزن والألم المعتلة في النفس، كان سبباً وراء ظهوره في شعره، بالإضافة إلى ما يقوم به النداء من وظيفة دلالية هي التفاعل بين المنادي والمنادى عليه، تفاعلاً يبعث على إيجاد حركة يكسر بها الشاعر وحشة الحزن وألمه^(٧)،

(٦) الديوان، ص٣٩٤.
 (٧) انظر: السريحي، صلوح بنت مصلح، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، دكتوراه، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤١٩ـ١٩٩٨هـ، إشراف: أ.د. أحمد سيد محمد، ص٣٠٢.

يجعلهن نساء راميات منبني ثعل، فدقة الرمي ليست عند الرجال فقط، بل حتى عند النساء، ولكنهن يصبن القلوب بالعشق.

وصدر بن صربعر يذكر أنه في عين كل حسناء كنانة لبني ثعل، فيقول:
 كأنما بين جُفْنَى كُلَّ ناظرٍ ترنو كنانة رامٍ من
 بني ثعل^(١)

وبعد ابن حمديس استخدمها لسان الدين ابن الخطيب في الغزل بالمذكرة فقال:
 فمن ثعل الرزءاء لمحة طرفه ومن مصر
 الحمراء صفحه خده^(٢)

فإثارة السؤال سبيل إلى توطيد المعنى، ودفع للبس الذي قد يتบรร إلى الذهن، وهو وسيلة في الغوص على المعنى وتعمقه، وأغلب ما يكون استخدام الاستفهام فيما يكون ظاهره التناقض^(٣)، والاستفهام يحمل المستمع على التفكير والالتفات، فيمضي المستمع لهذا الشعر ولا تزال تلك الإثارات عالقة في نفسه^(٤).

عندما يخاطب الشاعر سامعه بالاستفهام لا يريد منه الرد، وإنما يريد التخفف من بعض المعاناة العاطفية^(٥)، فقد بدأ ابن حمديس إحدى قصائده

(١) صدر، الديوان، تحقيق ودراسة: د: محمد سيد عبد العال، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٣١.

(٢) لسان الدين بن الخطيب، الديوان، تحقيق: د: محمد مفتاح، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٩هـ-١٤٠٩، ٨٤/١.

(٣) عبدالرحيم، مصطفى، تيارات النقد الأدبي في الأندرس، ص١٩٢-١٩٣.

(٤) أبو الأنوار، محمد، في تاريخ الأدب العباسي الشعر والشعراء المنيرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧م، ص١٧٦.

(٥) الهليل، عبدالرحمن، التكرار في شعر النساء، ص٧٣.

ونداء الشاعر المحبوبة بـ(قارعة) يدل على علو مكانتها في قلبه، فالمحروم ذليل والقارع عزيز، ولذلك استخدمها بصيغة (فاعل) ليدل على عزتها، وهي تضرب سمعه بقول غليظ شديد، ومع ذلك فإن هذا القول الثقيل خفيف على أذنه؛ لأنه صادر عن المحبوبة العزيزة.

المبحث الرابع: مصادر الصورة الفنية:

إن مصدر الصورة هو الشيء الذي يتكون عليه الشاعر في إبداع صوره، وهذه الصور الفنية إما أن تكون محسوسة كالبيئة التي يعيش فيها الشاعر أو غير محسوسة كثقافة الشاعر وتجاربه^(٨).

وقد استأثرت الطبيعة بنوعيتها (المتحركة والساكنة) بمساحة واسعة في صور الشاعر^(٩)، ولعل مرد ذلك إلى ملاءمة عناصر الطبيعة المختلفة للموضوع الذي اشغل به الشاعر، ومن جهة أخرى قدرة تلك العناصر على تجسيد المشاهد والأحساس التي يعبر عنها^(١٠).

الطبيعة بنوعيتها:

إن الطبيعة هي المصدر الأول لإلهام الشاعر، فهي أول ما يبصر الشاعر أمامه، وقد استفاد ابن حمديس من الطبيعة الأندلسية عند حديثه عن المرأة في مدائحه، فالصفة المشتركة بين كليهما

(٨) الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي- مثال ونقد، ط١، القاهرة: الشركة العربية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص ٣٩.

(٩) توجد دراسة بعنوان: لفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس، إعداد: رافت محمد سعد استيتي، ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٧م، أشرف: أ.د. يحيى جبر.

(١٠) سيد، مفرح إدريس أحمد، (صورة اليتيم في الشعر السعودي)، ص ٢٤٣.

فالوصال والتفاعل هو رغبة الشاعر، ولذلك حرص على النداء.

وأكثر لفظة استخدمها في ذلك هو مناداة المرأة باسم الإشارة (هذه)، "سواء كانت راقصة أم غانية أم محبوبته"^(١)، فالنداء بالإشارة يدل على وجود المشار إليه أمام المشير حقيقة، أو حضوره في عقله وقلبه، فهو يتمنى أن تكون موجودة أمامه لتسمع كلامه ويسمع كلامها، ولি�تمتع برؤيتها، يقول:

أيا هذه استيقني على الجسم إبني كثير سقامي حي ثقلت عوادي^(٢)

يا هذه لا تسألني عن عبرتي عيني على عيني عليك تغازل^(٣)

يا هذه تدعين الوجود عاريه من الضنى قدعي الشكوى لمن عشقا^(٤)

يا هذه وندائي دمية طمع في نطقها من فقيده اللب محظيل^(٥)

يا هذه إن أراك الدهر في بلى فجدة التوب تبلى كلما قدما^(٦)

ومما يلفت في استخدامه للنداء أن نادى المحبوبة بوصف غريب فقال:

أقارعة سمعي بثقل عتابها يخف على سمعي سماع التقائل^(٧)

(١) حمادة، محمد، الخطاب الشعري عند ابن حمديس، ص ١٤٥.
(٢) الديوان، ص ١٣٥.

(٣) الديوان، ص ٢٥٩.

(٤) الديوان، ص ٣٣٦.

(٥) الديوان، ص ٣٩٢.

(٦) الديوان، ص ٤٧١.

(٧) الديوان، ص ٣٩٤.

الأولى. فيصرح أنها تشبه الغصن، ولكن ليس أي غصن بل غصن شجر طيب الريح وهو (البان)، ويُدخل على الصورة حركة تقرب صورة هذه المرأة للذهن، فهي غصن متحرك (مياد) يلفت أنظار الناس إليه بحركته، وبهذه الحركة ينتشر عبقه أيضاً. وإذا كان الشاعر قد أفرد تشبيه المرأة بالغصن فقط في بيته الأول، فإنه قد شبهها بأمور عدة من الطبيعة من بينها الغصن، فقد جعل قامتها تشبه الغصن بعد أن ذكر أن جمالها وضياءها يجعل القمر المكتمل خجولاً ويرى نفسه قبيحاً أمامها، ثم ذكر أن مؤخرتها تشبه كثيب الرمل بامتلائها. وكذلك في بيته الثالث لم يفرد الشاعر الحديث عن الغصن وإن كان جعله التشبيه الأول على عكس البيت الثاني حيث جعله الصورة الأخيرة، فقوامها يشبه في حسنها الغصن، ومؤخرتها تشبه الكثيب، وتغيرها في طبيه يشبه نبت الأقاح الطيب الريح، ورضاها -ماء فمها- يشبه المطر الضعيف في عذوبته وجمال وقوعه على الأرض.

كما أكثر من ذكر نبت الأقاح المعروف بطيب الرائحة، يقول:

إذا ما لاثم قلبها شق باللثم شقيقاً عن أقاح^(٤)
لأقاحي بفليك نورٌ ونورٌ ما كذا تستئن المهاة
النّور^(٥)

فهو يؤكّد على طيب رائحتها كما طاب قوامها وقدها. فأشار الشاعر في بيته الأول إلى شدة

هي الجمال في أحيان كثيرة، والتعب والعناء في أحيان آخر.

وأبدأ بالحديث عن الطبيعة الصامدة، وقد ساعد الشاعر على التفوق والإبداع في حديثه عنها ما تتميز به الأندلس من طبيعة خلابة، تحدث فيها الشاعر عن: الطبيعة النباتية، والطبيعة البيئية، والطبيعة الجغرافية، فذكر أموراً كثيرة من الطبيعة النباتية منها: الثمار: كالتفاح والرمان، الروض والورود بأنواعها، ومن الطبيعة البيئية: الليل والنهر والشمس والقمر والأنجام، وغيرها. ومن الطبيعة الجغرافية: الماء المتفجر والبحر، الصحراء والحسى والدر وغيرها.

والغصن أكثر ما ذكره الشاعر في هذا الغرض، يقول:

من كلّ بيضاء الترائب غادةٍ تمشي كعُصْنِ
البانة المياد^(١)

ويقول:

فريدةٌ حسنٌ ثُخِلَ الْبَدْرَ بِالسَّنَى
ودعسَ النقا
بالرِّدْفِ وَالْعُصْنِ بِالقَدِ^(٢)

ويقول:

فالقومُ العُصْنُ والرِّدْفُ النَّقا
وَالْأَقَاخُ التَّغْزُ
وَالطَّلْلُ الرُّضَابُ^(٣)

يركز الشاعر على حسن قوامها الذي يجذب الناظر عن بُعد، والقوم أول ما يلفت في المرأة للوهله

(١) الديوان، ص ١٤٦.

(٢) الديوان، ص ١٥٠.

(٣) الديوان، ص ٦٤.

(٤) الديوان، ص ٩٥.

(٥) الديوان، ص ٢٤٤.

والليل والنهار ، يظهران حسن هذه المحبوبة. فشعرها شديد السوداد، وجبينها شديد البياض.

ومن الصور الجميلة التي ذكرها الشاعر في ذلك قوله:

السافرات شموسًا كلّما انقبّت
الأنجمِ الزُّهْرِ^(٣)

فهو يتحدث عن مجموعة من النسوة، ويذكر أنهن إذا كشفن وجوههن فهن شموس في الجمال، وإذا أردن التستر والحجاب فإنهن كذلك يفتتن ويرين متبرجات، وكلمة (انقبت) على وزن افتعل، تدل على التكلف والمبالغة في التستر والتصون وعدم إظهار شيء من الجمال، ومع ذلك يظهر ذلك الجمال، وهن مثل النجوم المضيئة ليلاً فإنها تكون ظاهرة بارزة بيضاء.

والطبيعة المتحركة عند ابن حمديس فيما يتعلق بالمرأة في قصائد مدحه ذكر أموراً كثيرة، منها: الرياح، والعصم، والحمام، والقطاة، والخيول، والحيات، قال ابن حمديس:

بِكَلَامِ يَسْتَبِي أَهْلَ النَّهَىٰ وَيُحْكُمُ الْعُصْمَ مِنْ شَمْهِ الْهِضَابِ^(٤)

يذكر الشاعر أن هذه الحسناء كلامها الرقيق الناعم ليس (يسبي) سامعه وإنما (يستبي) وهي على وزن يفعل وهي صيغة تحمل في طياتها صفة التكلف في العمل والحرص، إلى جانب أنها جاءت على صيغة المضارع وما يحمله من دلالة على

نعومتها ورقتها، فلو أن أي (لاثم) مقبل قبلها، ومعلوم أن القبلة عادة تكون برقة وحنان، ومع ذلك لو قبلها فإنه يشق ويجرح خدها، والشق فيه عنف وقوه، والكاف في (شق) رغم أنها في الكتابة حرف واحد لكنها في النطق حرفان إشارة إلى أن المكتوب مثل خدها، ولكن المنطوق مثل الجرح الذي أصابه. وقد كرر الشاعر كلمة اللثم ليؤكد شدة وله ومحبة هذا المقرب، فهو حريص على عدم إيهاد المحبوبة ومع ذلك جرحها وجعل خدها محمراً خجلاً وصار كلون الشقيقة شديدة الحمرة.

وقد جمع الشاعر في البيت الثاني بين الطبيعة الصامتة والطبيعة المتحركة، فجعل هذا النبت الطيب الرائحة في فمها مثراً ومضياً، ثم شبه المرأة بالمهأة السانح التي تعرض وتمر بالإنسان من اليسار إلى اليمين، وهي مما يتيم به، فهو يتعجب كيف أنها نفور وتقرب منه.

ومما أكثر عنه ابن حمديس الحديث من الطبيعة الليل والصبح:

مِنْ كُلِّ مُصْبِبَةٍ بِضَدِّيْ حَسَنَهَا
فَالْفَرْغُ لِيَلٌ^(١)

شَرِقُ الظَّلَامِ تَأْلَقًا بِضَيَائِهَا
فَكَأَنَّمَا شَرَبَ^(٢)

فكم هو معروف أن الضد يظهر حسه الضد، وكما أشار إليه الشاعر، فالضياء والظلم،

(٣) الديوان، ص ٢٠٤.

(٤) الديوان، ص ٦٤.

(١) الديوان، ص ١٠٢.

(٢) الديوان، ص ٢٣٢.

ومن الصور المقترنة بالأسد قوله:

فَلَا غَرُوْ إِن لَاتَ لِظَبِّي عَرِيَّكَتِي
أَنَا صَائِدُ
الضَّرَغَامِ وَالظَّبِّي صَائِدِي^(٤)
مَا الَّذِي يُبُكِّي بِحُزْنٍ طَبِيَّةً
فَتَكَثُّ مُقْلَثَهَا
بِالْأَسَدِ^(٥)
مِن كُلِّ خُودِ كَالْغَزَالِةِ قِرْنَهَا
لَرَدَاخٌ^(٦)

فهو يقرن بين الغزالة والأسد في صورة الصيد، فهو يتعجب من نفسه وضعيته، فهو الشجاع القوي القلب الذي لا يهاب من صيد الأسود، أسود البشر وأسود الحيوان، ومع ذلك فقد وقع في أسر هذه الظبيّة الحسناء، ولم يتم ذلك بهجومها عليه أو ملاحقتها له، وإنما فقط بلاحظها له. وأبدع الشاعر بتكراره لكلمة الظبي، فهي مركز البيت، وقد جعل الأولى نكرة والثانية معرفة، فهو يلين لأي حسناء، وهذه الحسناء تصيده. كما كرر الشاعر كلمة صائد وجعل الحيوانات بين اللفظتين المكررتين، فالصائد وهو الإنسان صيد من قبل الغزالة، والغزالة التي هي في الأساس هدف للصائد صارت صائدة، فالكل محصور بين صائد ومصيد.

وفي البيت الثاني يذكر الشاعر طريقة صيد هذه الغزالة لفرائسها، فهي جريئة تتعدّد قتل الناظر إليها بدلها وغنجها في نظراتها.

الاستمرار والتجدد في الحديث. فهذا الكلام الغير متکلف في التفجّج والدلال يجبر سامعه أن يؤسر له، وهذا الكلام رغم رقه ونوعيته فإنه يصل إلى الغربان في الأماكن المرتفعة و يجعلها تنحط وتنزل سريعاً بشوق ولهفة لسماع هذا الصوت، فالصوت وصل الغربان، وهي معروفة بنفترتها وبعدها عن الإنسان، ورغم بعدها تسمّعت وأصغت لها الصوت الرقيق الناعم وأقبلت عليه، وهي التي كانت تأبى النزول لأي عارض.

ويلاحظ أنه أكثر ما ذكر ابن حمديس من الحيوان الغزال بمفرداته المختلفة، وأكثر هذه الصور التي ذكرها له مقترنة بالأسد، فمن الصور المفردة للغزال قوله:

لَحَظَاتُ الْعَيْنِ مِنْهَا لَا
وَالظَّبَاءُ الْحُورُ إِمَّا قَتَّانٌ
تَدِي^(١)

مَهَا تَكَادُ الْعَيْنُ مِنْ لِينِ جِسْمِهَا
الْمُخْضَرُ فِي الْحَجَرِ الصَّلِيلِ^(٢)
أَسْفِي لِفِرَاقِ زَمَانِ صَبا
الْحُرُودِ^(٣)

فهي ظبيّة تقتل بنظراتها، ومع ذلك لا يقع عليها قود بهذا القتل، وهي مهاة في جسمها. كما أنه يأسف لأمرتين: كبر سنّه، ووقوعه أسيراً للحسناوات الحبيبات اللاتي هن في حسنّهن كالمهأة.

(٤) الديوان، ص ١٣٥.

(٥) الديوان، ص ١٣٨.

(٦) الديوان، ص ١٠٢.

(١) الديوان، ص ١٣٨.

(٢) الديوان، ص ١٥٠.

(٣) الديوان، ص ١٥٨.

"في أسرة عرفت بالعلم والنقوى"^(٣)، وهذا يؤكد أن حديثه عن المرأة لم يكن فالحشاً، وإنما هو حديث عفيف أو معتدل، ولذلك استطاع إدخال الصور الدينية عليه، واستخدامه لهذه الصور دليل على سعة ثقافته الدينية " فهو من عائلة محافظة فيها وتر من التدين، ووتر آخر من الثقافة الدينية والحكمية"^(٤)، ودليل كذلك على مهارته في توظيف هذه الصور التوظيف الذي يتاسب مع الموقف، وعموماً هذه الصور قليلة، منها قوله على لسان المحبوبة:

قالت لمنشدها نسيبي ما له ليس التسبب لمثله بنسيب
فإلام ينشدني تعزّل شاعر ما كان أولاه بوعظ خطيب^(٥)

فهذه المرأة تخاطب من ينشد وينقل أشعار غزله فيها، وتبخره بأسلوب الاستفهام ثم النفي (ما له)، تتعجب من حاله، فشعر الغزل لا يناسب سنه ولا مكانته، فما يلائمه هو الوعظ والتذكير لا النسب والغزل، فهي تراه واعظاً ديناً، ولا تراه يصلح لأمور الغزل والعشق.

ويذكر صورة وأسلوباً اعتاد الشعراء استخدامه وهو عبادة الجمال، والمراد بالعبارة هنا معناها اللغوي لا معناها الاصطلاحى، فالعبارة أي الحب الشديد: وكأنَّ الحُسْنَ مِنْهَا قَائِلٌ ما عَلَى مِنْ عَبَدٍ

الْحُسْنَ جُنَاحٌ^(٦)

وفي البيت الثالث جعل قرن الغزاله أسدأً يصيد ويذل من حوله، ومع ذلك يضيف إلى صفة الإذلال صفة أخرى وهي امتلاء مؤخرتها، فامتلاء المؤخرة يجعل انغراز القرن قوياً وقاتلاً.

وهذه الصور التي صورها ابن حمديس للغزاله والأسد وما فيها من عنف وقوة إنما اكتسبها مما عاشه هو من حروب، فقد كان مقاتلاً مجاهداً شاهداً للمعارك والحروب، فتأثر بهذه الصور الحربية. فابن حمديس استعار "أجزاء صوره من ميدان الحرب وألتة؛ لأنها استولت على مشاعره وملكت عليه زمام نفسه، ويعود هذا نتيجة طبيعية لما استقر في منطقة اللاشعور من رواسب ماضية ... حتى الغزل جعل منه ميدان حرب ونزل. خلافاً لما ادعاه بعض الباحثين من أن هذا ناشئ عن تقليده لشعراء سبقوه في هذا المجال"^(١). وكان يغلب على شعره الذي قاله في عنفوان الشباب الفتك والطعن، والضرب والقوءة، حتى في علاقاته الغرامية^(٢).

إن حديث الشاعر عن البيئة من حوله يدل على شدة تفاعله مع البيئة بجميع أشكالها من حوله.

الموروث الثقافي:

ومن الموروث الثقافي الذي استخدمه ابن حمديس في حديثه عن المرأة في قصائد مدحه، استخدامه لبعض الصور الدينية، فقد نشأ وتربى

(٣) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص.٣.

(٤) الديوان، ص.٣.

(٥) الديوان، ص.٥٨.

(٦) الديوان، ص.٩٦.

(١) سلام، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس - تطوره - موضوعاته وأشهر أعلامه، ط١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩م، ٩٧-٩٨.

(٢) نفسه: ص.٣٢٣.

الناس المجتمعين للهو والمتعة فإنه لا يطيل المكوث عندهم وإنما يجلس قليلاً ويلقي خطبته سريعاً ثم يخرج من عندهم؛ كي لا يقطعهم عن متعتهم، وفي استخدام كلمة العجل في بحروفها وسكون وسطها ما يصور سرعة هذه الجلسة، فالعين حرف من آخر الحلق يشير إلى الجلسة، ثم السكون الذي يدل على استقرار اللسان واستقرار الجالس، ثم يرتفع اللسان بحرف اللام والمد ليدل على قيامه مرة أخرى.

ومن صوره الطريفة في ذلك قوله:

فبات يسبّ النار في القلب حُبُّها على أنها
الماء في فم صائم^(٣)

وفي ذلك لفترة نفسية دقيقة، فحبها في قلبه مشتعل متقد، يزداد ولا يخمد، ومع ذلك فإن إيمانه يمنعه عن اقتراف المحرم، ويصور ذلك بصورة مألوفة شائعة عند أغلب المسلمين، وهي صورة الصائم عند الوضوء أو عند إرادة المسلم التبريد على نفسه بأن يجعل ماءً في فمه، فإن هذا الماء لا يصل إلى جوفه، ويُسْعى إلى عدم ذلك. واستخدامه لهذه الصورة المألوفة الشائعة للتأكيد أنه لا يمكن أن يقرب المحرم.

ولم يظهر في صوره الاقتباس المباشر من القرآن والسنة، حيث إنها امترجاً في عقله واستطاع أن يخرج معانيهما في صور وأشكال جديدة.

فالشاعر جعل ذكر هذه العبارة على لسان جمالها وحسنها، وقدم العبارة جملة خيرية دلالة على تقريريتها وأنها لا تقبل النقاش أو الحوار، وجعلها جملة منفية، نافية لكل شك أو ريب في إيقاع العتب على عابد الجمال، ولكي لا يتهمه أحد في عقيدته أو يشكك في تدينه فإنه خف من صورة العبادة، حيث بدأ البيت بالتشبيه (كان)، كي لا يُتهم بالمباغة والكفر.

بل في صورة أخرى يشبه اللذة والمتعة التي يجدها من يرشف من رضابها العذب البارد، وأنه شيء جميل، يشبهه باللحظة التي انتصر فيها موسى # وأيده الله فيها بالأيات المعجزة التي ردت فرعون خاسئاً، يقول:

ورضاب الماء بفيكِ جَرَى في جوهره عَرَضُ الصَّرَادِ
وكأنَّ كَلِمَ اللَّهِ بَدَا منه في الأقْفَى بِياضِ يَدِ^(٤)

وفي صورة غريبة تدل على دقة ابن حمليس في استلهام الصور من واقعه الذي يعيشها حياته الدينية، يقول مصوراً سرعة زيارة المحبوبة: وإن هي زارت خلَّتها مستعيرةً لها مِنْ حَطَبِ
الحفل جَلَستَه العَجْلَى^(٥)

يفترض الشاعر لو أن هذه المحبوبة زارته وهذا أمر مستحيل، ولذلك أكد ذلك بالضمير المنفصل (هي) لتأكيد أن المحبوبة هي التي زارت لا غيرها، ثم استعمل فعل الرجحان (حال) أي قرن مشابهة بين زيارتها السريعة وجلسة من يخطب

(١) الديوان، ص ١٥٨.

(٢) الديوان، ص ٣٧٦.

(٣) الديوان، ص ٤٥.

الأعداد لم يكن له وزن، وكذلك الشاعر لشبيه لم يعد الجميلات الحسان يلتفتن إليه بل صرن يجتنبه.

وسائل تشكيل الصورة الشعرية:

اعتمد ابن حمديس في تجسيد صورة المرأة في شعره المدحي مجموعة من الوسائل والأدوات، من أبرزها وأقدرها على حمل تجربته ونقل عواطفه: التخيص والتجسيم، التشبيه، المفارقة التصويرية.

التخيص والتجسيم^(*): والاعتماد على الاستعارة باعتبارها وسيلة من وسائل التصوير التي تعين على إبراز: التخيص، والتجسيم^(٥)، وفيها تشخيص للجمادات وتجسيد للمعاني^(٦)، وهما أرقى أنواع الخيال، وصورتهما من أحيا أنواع الصور^(٧)، وإن كانوا قليلين جداً في هذا المجال عند ابن حمديس، فمن التجسيد قوله:

قالوا صَبَا يا مَنْ رَأَى مُسْتَهَامٍ
جِاهٌ كَهْلٌ وَهَوَاءٌ
غُلامٌ^(٨)

(*) وهو نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة. وهبه، مجدي – كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤، ص ١٠٢.

(٥) انظر: الرقيب، سلطان سعد عقيل، رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز في العصر الحديث من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٤٢٠هـ قضيابه وتشكيلاته، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، هـ١٤٣٠-٢٠٠٩م، إشراف: أ.د. يوسف عبد الله الأنباري، ص ٢٦٦-٢٦٨.

(٦) انظر: الهرامة، عبد الحميد، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري، ٣٧٢/٢.

(٧) انظر: الغوثي، وفاء عمر، قصيدة الرثاء عند ابن الرومي- دراسة موضوعية، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف: د. محمد مرسي الحارثي، ص ٢٥.

(٨) الديوان، ص ٤٥٩.

ومن موروثه الثقافي استخدامه بعض الصور العلمية، فمن ذلك استخدامه التورية بأسماء الكتب، حيث يقول:

لو حملت منه قلوب العدى جراح قلب ما حملنَ الجراح
ووجدي غريب ما أرى شرحة يُوجَدُ في العين ولا في
الصالح^(١)

فقد ورّى الشاعر في كلمة الصلاح، حيث ذكر في البيت قبله الجراح.

وقد استخدم الشاعر علم النحو في صوره فقال:
فيما ناز وجدي كيف عشت بماء من الأGFان للتار قاتل
تضرماً متى كان للاشواق فعل
ويا رفع أشواقي لقلبي وحُفظها العوامل^(٢)

فسوقه يرفع قلبه ويُخضه، ويتعجب كيف أن المحبة والشوق تعمل في الإنسان مثل العوامل في النحو التي تؤثر في غيرها.

بل إن الشاعر لا يكتفي بالأخذ من الثقافة الأدبية، بل يأخذ من الصورة العلمية فيقول:
غَيْرُهُ غَيْرُ الدَّهْرِ ورمته كل خود باجتناب
فَشَابْ كَسْقُوطَ الصَّفْرِ من عَدَ
فَغداً عند الغوانِي الحساب^(٣)
ساقطاً

فالشاعر يتحدث عن شبيه، وأن الجميلات هجرنه ولا يلتفتن إليه، وذلك مثل حال الرقم صفر، فإنه إذا جاء مفرداً لا قيمة له، ولو جاء في يسار

(١) الديوان، ص ٩٩.

(٢) الديوان، ص ٣٩٤.

(٣) الديوان، ص ٦٣.

فجعل الشاعر الظلام شخصاً، والصبح شخصاً آخر، وكل ذلك ليدل على شدة جمالها، وتعلق القلوب والأبصار بها.

وهذا التجسيم والتشخيص ما هو إلا دليل على رغبة الشاعر مشاركة هذه الأمور همه بفقد المحبوبة وإبراز ما تتميز به فتعلق قلبه بها.

التشبيه:

إن الجانب الذي يجسد عبقرية الفنان والأديب يبرز عن طريق التشبيه والاستعارة^(٣)، والتشبيه من أشد ما يُكلّف الشاعر صعوبة، لما يحتاج إليه من شاهد العقل، ولا ينبغي للشعر أن يكون خالياً من هذه الحلي^(٤)، ولكن الاستعارة أكثر قدرة على جمع المضادات من التشبيه^(٥)، وسبق الحديث عن شيء من الاستعارة عند الحديث عن التشخيص والتجسيد، أما التشبيه عند ابن حمديس فقد كثُر استخدامه له، فقد كان عقله "ميالاً إلى إدراك الأشياء والمعاني إدراك من يحاول فهم ما يرى ويفكر، فقد كان يرغب دائمًا في تشبيه المحسوسات بالمعقولات، والمعقولات بالمحسوسات، وهذه طريقة من طرق المحاولة في الإدراك، وأكثر اهتمامه في تشبيهاته موجه إلى وصف المرئيات وإدراكتها"^(٦)، فهو يشبه القد

فالصبوة والعشق لا تعرف عمرًا، فرغم أن تفكيره تفكير الكبار العقلاة، إلا أن عشقه عشق الفتيان العاشقين، وقد حول الشاعر العقل إلى كهل كبير في السن، فالواجب عليه التعقل في التصرفات، ومع ذلك فقد وقع في الهوى، فحبه حب طائش متھور كتهور الشباب وطيشهم.

وفي صورة أجمل، يبين فيها الشاعر غدر هذه المرأة في مواعيدها وعدم وفائها بموعد:

غادة إن نيط منها موعدٌ بعد فَر إلى بعدِ غَدٍ^(١)
 فهي امرأة جميلة ناعمة، وعلى فرض أنها ضربت موعداً لعاشق من عشاقها - وهذا أمر مستبعد - فإنها لن تقفي به، وفي تجسيد الشاعر للموعد بمن يفر تقريب للصورة للمتلقي، وكأنه يراها عياناً أمامه، مثل الحيوان الذي يفر أو الإنسان الذي يفر من ملاحقه، وذلك يوحي ويدل على ما يقصده الشاعر من عدم وفائها بمواعيدها، وحزن الشاعر على خلف هذه المواعيد وعدم قدرته للوصول إليها.

ومن نماذج التشخيص التي استخدمها الشاعر تصويره لجمال المرأة التي يتحدث عنها، فجمالها الأخاذ المضيء يجعل الظلام يغص من ذلك

الجمال

شَرِقُ الظَّلَامِ تَأْلِقًا بِضَيَائِهَا
فَكَأَنَّمَا شَرَبَ
الصَّبَاحُ الْمُسْفِرًا^(٢)

(٣) انظر: عبد الرحيم، مصطفى، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، ص ٢٨٣.

(٤) انظر: ابن رشيق، الحسن، العمدة في محسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق: د عبد الحميد هنداوي، ط ١، بيروت-صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٢٠١-١٤٢٢ هـ، ٢٥١/١.

(٥) انظر: الرباعي، عبدالقادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، ص ٩٦.

(٦) ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ص ١٤٨.

(١) الديوان، ص ١٣٨.

(٢) الديوان، ص ٢٣٢.

فهل خامر الأرئي منه المداما
فمازح منها السلو الغراما^(٤)

ويستمر الشاعر في هذا الوصف الصريح
حتى يصل إلى حل الحزام، ولكن الشاعر بعد أن
يرتفع هذا الارتفاع بمستمعه، ويشوّقه هذا التشويق
الذي يتربّص المتلقي ما بعده، يعود ويؤكّد أن ذلك
كله:

ولما أتانا من الانتباه دخلنا له بالوصال المناما
جعلنا تراوَزنا في الكري فما نَقَيْ من ملوم ملاما^(٥)

فكل ذلك كان طيفاً وخياراً، وقد ذكر هو قبيل
هذه الأبيات:

ومن صُورِ الفكر محبوبةٌ يعودُ علياً بها
مستهاما^(٦)

فقد صرّح الشاعر أنه (من صور الفكر)، فهو
خيال لا حقيقة، ولكنه في اثنى عشر بيّناً أدخل
سامعه في حالة وكان الشاعر اقترب تلك الأمور
التي ذكرها.

والتشبيه تصوير يكشف عن حقيقة الموقف
الشعوري أو الفني الذي عاناه الشاعر أثناء عملية
الإبداع كما يرسم أبعاد ذلك الموقف عن طريق
المقارنة بين طرفي التشبيه مقارنة لا تهدف إلى
تضليل أحد الطرفين على الآخر، بل ترمي إلى
الربط بينهما في حالة أو صيغة أو وضع يكشف
جوهر الأشياء و يجعلها قادرة على نقل الحالة

بالفضّب، ويشبه طرفها بالسحر، وشعرها الأسود
كانه مصبوب في الكحل، وغير هذه من الصور.

والشاعر يستخدم التشبيه ليؤكد أنه لم يرتكب
ما يشنّه ولم يقرب محramaً، وإنما هذا كله خيال، فمما
يقول في ذلك:

كأنّ في فيها عبيراً إذا تفجّر النورُ وغار
الظلام^(١)

وتتمثل فائدة التشبيه في تقرّيب المشبه من فهم
السامع وإياضاته له^(٢)، فالشاعر يذكر طيب رائحة
فمها ويشبهه (كأن) فمها فيه عبير، ولينفي عنه
تهمة أن يكون قد اقترب منها اقترباً شديداً حتى أنه
شم رائحة فمها قال (كأن). والشاعر قبل هذا ببیتين
قال:

يَخْبُرُ مَنْ فَازَ بِتَقْبِيلِهَا عَنْ بَرَدٍ تَتَبَعُّ مِنْهُ مُدَامٌ^(٣)
فالشاعر ينفي عن نفسه تهمة اقترافه مخذولاً،
فليس هو الذي يخبر عن تجربة، بل الشاعر ناقل،
والمحبر بهذا الذي فاز بتقبيلها.

ولكن الشاعر يصدّم قارئه في القصيدة التي
مدح بها يحيى بن تميم بن المعز بما يخالف السابق
فيقول:

لَهَا عَنَّمٌ فِي غُصُونِ الْبَنَانِ يَعْلُمُ نَدِي أَقْحُوانِ بشَامَا
تَرِي نُضْرَةَ الْحُسْنِ فِي خَدَّهَا تَمَيَّعَ مَاءَ وَثْكَى ضِرَاما
وَتَرْتَجَ فِي السِّيرِ دِعْصَا
فَأَمْسَيْتَ مِنْهَا بِمَاءِ الْلَّمَى رَكَاما
حَلَالِي وَأَسْكَرْنِي رِيقَهَا أُرْوَى أَوْمَأَ وَأَشْفَى سَقَاما

(٤) الديوان، ص ٤٥٢ - ٤٥٣.

(٥) الديوان، ص ٤٥٣.

(٦) الديوان، ص ٤٥٢.

(١) الديوان، ص ٤٦٠.

(٢) انظر: ابن رشيق، العمدة، ٢٥٤/١.

(٣) الديوان، ص ٤٥٩.

اهتمام المتكلم بها، فهنا ترکيز واضح على الباعث النفسي للتكرار، مما جعله ذا دلالة نفسية قيمة تقيّد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه^(٧)، وتنتقل الدراسة التكرار في مدائح ابن حمديس وحديثه عن المرأة فيها على مستوى قصائد المديح من جانبين، الأول تكرار بعض الألفاظ، وهذه الألفاظ هي التي تدل على الشقاء والعذاب، ومنها:

تعذيب: يقول ابن حمديس:

ليالي تعذيب من الوج مقلقي
ورشفي اللمي
من عذبة الرِّيق غارمي^(٨)

يذكر الشاعر أن عذابه ليس فترة وجiza، وإنما هو مدد طولية (ليالي)، وأكد شدة العذاب على نفسه حيث أضاف الضمير إلى نفسه (تعذيبه)، وأن الحب أدخل على نفسه الحزن والقلق، وقد جعل التعذيب والقلق اسمين دلالة على استمرارهما ودوامهما وعدم انفكاكهما عنه وملازمتها له. وأن امتصاصه وشربه من المرأة الطيبة الفم يوقيعه في الدين، ولا يقصد الدين المالي وإنما يريد أنه يأخذ المتعة واللذة ثم سيعيد سداد ذلك عذاباً وطبعاً لقلبه.

وفي قصيدة أخرى يفتتح ابن حمديس القصيدة بقوله:

من كان يُعذَّبُ عندها تعذيبٍ
أَنِّي تَرَقَّ لِعْبَرَتِي
وَتَحِبِّي^(٩)

ويقول في أخرى:

(٧) انظر: نفسه، ص ١٩.

(٨) الديوان، ص ٤٣.

(٩) الديوان، ص ٥٨.

الشعرية أو الخبرة الجمالية التي امتلكت ذات الشاعر وسيطرت على أدواته^(١). فابن حمديس عند قوله:

وَمِنِ الْفَوَاتِكِ بِالْوَرَى لَكَ غَادَةُ
كَحَلْثُ بِمَثِيلٍ
السُّحْرِ طَرْفًا أَحْوَارًا^(٢)

فالشاعر يريد أن ينقل شدة تأثير جمال عينيها، فشبها بالسحر، وربط بين المشبه والمشبه به ليكشف ويدلل على تأثير هاتين العينين في الناظر إليهما.

التكرار:

"التكرار يعني تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغمةً موسيقياً يقصده النظام"^(٣)، إن الفائدة العظمى من التكرار التقرير، لذلك قال العلماء: الكلام إذا تكرر تقرر^(٤)، والتكرار ظاهرة جمالية ودلالية^(٥)، وهو لا ينقص من درجة الصدق والإخلاص^(٦)، والنقاد يرون التكرار في حقيقته إلحااحاً على جهة هامة في العبارة، يعني بها الشاعر أكثر من عنایته بسوهاها، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن

(١) انظر: سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي)), ص ٢٥٣. نفلا عن: قاسم، عدنان حسين، التصوير الشعري، ط ١، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٠، ص ٤٠.

(٢) الديوان، ص ٢٣٢.

(٣) هلال، ماهر مهدي، جرس الألفاظ ودلائلها في البحث البلاغي والنقد عند العرب، بغداد: دار الحرية، ١٩٨٠، ص ٢٣٩.

(٤) انظر: العمري، أحمد جمال، ((التكرار في القرآن العظيم)), مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: العدد: ٣٩، ذو الحجة ١٣٩٧، صفحات المقال من ١٩-٩.

(٥) انظر: السلمي، عبدالرحمن، ((شعر الأسر)), (ماجستير)، ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٦) انظر: الهليل، عبدالرحمن، التكرار في شعر الخنساء، ص ٦٧.

فتكرار الشاعر لصورة أن صوت المحبوبة ينزل هذه الطيور المعتصمة بالجبل التي لا تنزل منه إلا للأمور المهمة، تنزل ل تستمتع بسماع صوتها وكلامها، كل ذلك يدل على إعجاب الشاعر بهذه الصورة، ولذلك كررها.

ومن الصور التي كررها أن هذه المرأة كالساحرة، يقول:

مَنْ تُوْحِي السُّحْرَ بِنَاظِرٍ
الْعَقْدِ^(٥)

ويقول:

سُحْرُ هاروتٍ وماروتٍ بِهَا
وَاللَّفْظُ الرَّخِيمُ^(٦)

ويقول:

ولو شَاءَ هاروتٌ وماروتٌ طَرْفَهُ
لَمَا أَصْبَحَا إِلَّا
قَنِيصِيْ حِبَائِلِهِ^(٧)

ويقول:

بِحَدِيثِ يُسْحَرُ السُّحْرُ بِهِ
يَعُودُ^(٨)

ويقول:

لَهَا مِنْ قُتُونَ السُّحْرِ عَيْنُ مَرِيْضَةُ
أَجْفَانَهَا الدَّمْعُ وَالْكَرْبَا^(٩)
وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ.

وهناك صور أخرى كثيرة كررها الشاعر، منها وصفه لعيون المحبوبة بالسهام، ووصفها بأنها ظبية تصيد الأسد، ووصف مؤخرتها بالكتيب، وغيرها من الصور التي كررها الشاعر لبالغ أهميتها في نفسه.

هَامَ لَا هَمَّ مِنَ الْغَيْدِ بِمَنْ
حَبَّهَا عَذْبٌ وَإِنْ
كَانَ عَذَابٌ^(١)

وقد جانس الشاعر بين كلمتي (يعذب) و(تعذبي)، مع شدة الفرق والتباين بين المعنيين، فقد جمع بينهما الجذر اللغوي، وكأن الشاعر يتعجب كيف أن المحبة والعشق ينتج عنها الألم والعذاب. ثم ينفي عنها الشاعر أن تتعطف وتحزن عليه وهو الداعم العين الرافع الصوت بالبكاء، واستخدم للدلالة على دوام جفوتها بالمضارع (ترق)، فهي لن تشفع عليه أبداً.

والجانب الثاني من أنواع التكرار هو تكرار الصور، فالشاعر قد يكرر بيتاً أو صورة معينة بألفاظها وصياغتها في غير موضع من شعره، والسبب في ذلك أن الشاعر يجد وقعاً خاصاً معيناً لمثل هذه الأبيات^(٢).

فمن الصور المتكررة في شعره المدحي عن المرأة، انجذاب المخلوقات إلى صوتها وحديثها، فيقول:

بِكَلَامٍ يَسْتَبَيْ أَهْلُ النَّهَى
وَيُحْطِي الْعُصْمَ مِنْ شَمْ
الْهِضَابِ^(٣)

ويقول:

وَهِيَ لَا تَسْتَبَيْ بِلَفْظِ رَخِيمٍ
يَنْزِلُ الْعُصْمَ وَهِيَ
فِي الطَّوْدِ فُؤُرُ^(٤)

(١) الديوان، ص ٦٣.

(٢) انظر: حموده، سعد سليمان، لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص ٣٧-٣٨.

(٣) الديوان، ص ٦٤.

(٤) الديوان، ص ٢٤٤.

(٥) الديوان، ص ١٥٨.

(٦) الديوان، ص ٤٤٩.

(٧) الديوان، ص ٣٦٩.

(٨) الديوان، ص ١٥٤.

(٩) الديوان، ص ٥٠.

فيكثر من الطلاق الذي يزيد معانيه وضوحاً، فضلاً عن الجمال الموسيقي^(٧).

وقد تمكن ابن حمديس من خلال ذلك تصوير الشدة التي يعانيها من بُعد المحبوبة عنه، يقول:

في اقتراِب الدارِ أشكو بُعدها
واقتراِب الدارِ
بالهجرِ انتزاح^(٨)

ففي قربه من بيتها يخبر بما يجده من ألم بعدها، حيث إنها قريبة منه جسداً وروحأً ومع ذلك لا يستطيع الوصول إليها، والمفترض أن ينتج عن قربه من دارها وصلٌ، ولكن الواقع هو زيادة في الهجر والبعد. فالمعاناة التي يعانيها الشاعر من عدم تمكنه للوصول إلى المحبوبة أظهرتها المفارقة بصورة جلية، فهو لا يقصد الوصول الحسي الجسدي فهو ممكناً، ولكن يريد الوصول المعنوي العاطفي، ويكون الأمر أشد ألماً للنفس إذا كان يتمكن من رؤيتها ولا يستطيع الوصول إليها.

ومن المفارقات التي تعرض لها ابن حمديس المفارقة الشديدة بين حاله وحال المحبوبة، يقول:

وهي من عجبِ ومن تيهٍ لها
كبُدُّ ثرُحُ منها
كبدي^(٩)

فهي تترفع عليه وتتکبر، ومع ذلك فهو يستحق العطف والرحمة منها، ويرق ويعطف عليها، رغم أنه من المفترض أن يتعامل الإنسان مع من

(٧) انظر: شلبي، سعد، من أدباء المغرب والأندلس، ص ٢٠٧.

(٨) الديوان، ص ٩٦.

(٩) الديوان، ص ١٣٨.

المفارقة التصويرية:

وهي من الوسائل الفنية التي جنح إليها ابن حمديس في تصويره للمرأة في مدائنه، وهي عبارة عن إبراز التناقض بين طرفين أو وضعين كان المفترض أن لا يختلفا، أو أن يقع بينهما التناقض، والغاية من ذلك هي استنكار هذا التناقض أو التعجب منه أو تعزيز الإحساس به^(١).

وأرى أن ما يعرف بالطباق وال مقابلة جزء من هذه المفارقة.

الطباق^(*) والمقابلة^(**):

وهما من الموسيقى الداخلية^(٢)، والمطابقة من أكثر البديع دوراناً بعفوية في الشعر^(٣)، وهي سبيل لإيصال المعنى؛ لأن عرض المتضادات يكشف أحوالها ويزيل الفوارق بينها^(٤)، فالجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالاً ويزيد بهاء^(٥)، والمفارقات تثير العواطف^(٦)، وابن حمديس يعتمد على بعض المحسنات البدعية من غير تكلف،

(١) انظر: سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي)), ص ٢٥٦. نقل عن: حسين، عبد الباقى محمد، سيد قطب حياته وأدبه، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦-١٤٠٦هـ، ص ٢٤١.

(*) الجمع بين الشيء وضده. عتيق، علم البديع، ص ٧٧.

(**) أن يؤتى بمعنىين متافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب. عتيق، علم البديع، ص ٨٦.

(٢) انظر: بكار، د: يوسف حسين، بناء القصيدة العربية، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٩-١٣٧٩هـ، ص ٢٥٩.

(٣) انظر: عبدالرحيم، مصطفى، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، ص ١٧٤.

(٤) انظر: الغنيم، إبراهيم، الصورة الفنية في الشعر العربي، ص ٢٦٢.

(٥) انظر: نفسه، ص ٢٦٨.

(٦) انظر: السلمي، عبدالرحمن، ((شعر الأسر)), (ماجستير)، ص ٢٨٩.

بعاجلٍ ما يُرْدِي النفوس
وأجل——
ونَفْرًا في الأَحَاظِ وَخْيٰ
رسائله
مبَدِّدٌ لِلْبَيْنِ بَيْنِ عَقَائِلِه٢)

وقالوا: قِفْوَا كَيْ تَسْمَعُوا حَدَّو
عِيسَمٍ
وَقَفْنَا نَرَامِي بِالْهَوَى مَقْتَلَ الْهَوَى
وَنَرَقْبَ سِرْبِيَا فِي الْخُدُورِ عُقُولُنَا

يصور الشاعر شيئاً من البيئة الأندلسية التي كانت معروفة بشيء من التحرر، فقد اجتمع مجموعة من الشباب ليتسمعوا إلى غناء الركب المسافرين، مع علمهم أن ما سيرونوه سيحرق قلوبهم ويقتلهم حال النظر إليه وبعد ذلك عند استرجاع تلك اللحظات لحظات الرؤية والمشاهدة.

والشاعر يجعل نفسه مشاركاً لهؤلاء الشباب العشاق، وكل منهم يفعل ما يفعله الشباب إلى اليوم بأن يقول لمراقبه: انظر إلى تلك الجميلة، بل انظر إلى الثانية، وانظر إلى الثالثة، وهكذا، فيرد عليه الأول: لا انظر إلى هذه، وانظر إلى تلك. وهذا ما فعله العشاق كل يدل الآخر على جميلة من الجميلات، ولذلك عبر الشاعر بـ(نرامي). والرمي تفيد أن الشيء يلقى فيرتمي ويناسب بكل سهولة، فهم لا ينتصرون تتبع الحسنات، وإنما تتتساق العيون إليها دون شعور أو إحساس. وهذا ما يدفع بهم إلى الموت والهلاك، ويرون علامات القتل والموت في أعين ونظارات الجميلات.

ويجتمع هؤلاء الفتية جمِيعاً يترصدون وينتظرون باهتمام وتأمل ركب الحسنات، رغم أنهن في الخدور، والغالب لا يظهر منها شيء، ولكن

(٢) الديوان، ص ٣٦٨.

يترفع عليه أن يشمخ بأنفه هو أيضاً ولا يتذلل له، لكن لأنه عاشق محب يرق لها ويذل، رغبة في وصلها، ومما يدل على شدة ترفعها عليه أنه وصفها بصفتين من صفات الاستعلاء والتكبر (عجب، تيه) فالأولى تدل على الزهو بالنفس، والثانية تفيد التكبر والتمسك بالرأي. وقد عبر الشاعر بالكبد التي تدل على الرقة والعطف، وتوجه بالأولى للمحبوبة، ونكرها إشارة إلى شدة رحمته لها، وأطلق الثانية وأراد بها نفسه، وصرح بذلك بإضافتها إلى ياء المتكلم. وكلمة (كبد) من نفس مصدر (كبد) التي تدل على العناء والمشقة، فهو يجد تعباً في تكبر المحبوبة عليه وبعدها عنه، فيرجو أن يحصل على مقابل ذلك وهو الرقة والعطف التي تفيده (الكبد).

التصوير بالحقيقة:

استطاع ابن حمديس تصوير تجاربه وإثرائها بالإيحاءات البالغة الغنى عن طريق ما يعرف بالتصوير بالحقيقة، ولعل ذلك يعود إلى أن التصوير بالحقيقة يعتمد على رسم منظر ديناميكي متحرك في شكل قصصي أو حوار درامي، تتجه أحداثه وخطوطه وتتقدم بشكل يجعلها قادرة على تجسيد تلك الإحساسات التي تطفح من معينات التجربة الشعرية^(١). والناظر لقول ابن حمديس:

(١) انظر: سيد، مفرح إدريس أحمد، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي)), ص ٢٥٩-٢٦٠. نقل عن: قاسم، عدنان، التصوير الشعري، ص ١٨٣.

تُظهر قدرة الشاعر على انتقاء كلماته والملاعمة بينها، وتنظر اهتمامه بالجرس اللغطي للكلمات الذي تتبع عنده النغمات الموسيقية العذبة الشجيبة. عنصر الموسيقى الشعرية في القصيدة له شأن كبير في الدلالة على مدى تدعيم العلاقات الداخلية بعضها لبعض، كما أن له دوره الضخم في التعبير والتأثير^(٤)، والموسيقى الداخلية تقوم بتحديد دقيق لنوع الانفعال الذي يعتمل داخل الشاعر والذي يريد أن ينقل عبر عمله الأدبي، فموسيقى الشعر لم يضبط منها إلا ظاهرها وهو ما تضبطه قواعد علمي العروض والقافية، وراء هذه الموسيقى الظاهرة موسيقى خفية تتبع من اختيار الشاعر لكلماته وما بينها من تلاؤم في الحروف والكلمات، فكان للشاعر أذناً داخلية وراء أذنه الظاهرة^(٥)، ولذلك فإن الموسيقى الداخلية هي التي تفرق بين بيت وبيت في قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة^(٦). وقد سبق الحديث عن عنصرين منها في المفارقة التصويرية، وهما الطلاق وال مقابلة، وسيأتي الآن الحديث عن الجنس.

(٤) انظر: الشورى، مصطفى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، ص ٢٧٢.

(٥) انظر: ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، ط ٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢، ص ٩٧.

(٦) انظر: نفسه، ص ١١٣.

لعلهم يظفرون بظهور شيء. وهذا الترصد يخرجهم عن حد التعلق، مما يرونه من الجمال أطاش وأطار عقولهم.

المبحث الخامس: الموسيقى: الموسيقى الداخلية:

إن "أبرز مظاهر الموسيقى الداخلية ما يعرف بالمحسنات اللغوية كالطباق والمقابلة والتقطيع، مما يساعد على إحكام بناء القصيدة وتوفير قدر كاف من الرنين"^(١)، فالموسيقى الداخلية أو الموسيقى الخفية "تبعد من انتقاء الألفاظ ومدى ملاءمتها لمعنى ومدى ما تضفيه من دلالات موحية تتغلغل وتتناغم مع أعمق أعمق النفس الإنسانية، فهي تضفي حسن الأداء وترتبط الأفكار وجمال التصوير على العمل الأدبي بما يجعله يصل إلى حبات القلوب"^(٢). وهناك من يعرفها بأنها "اختيار الكلمات وترتيبها والمواءمة بينها وبين المعاني التي تدل عليها، والكشف عن إيحاءاتها وإيقاعاتها المختلفة"^(٣).

إن الموسيقى الداخلية ذات أهمية كبرى فهي تكسب النص الشعري بعداً تأثيرياً قادراً على شد السامع والقارئ إليه، والإيقاعات الداخلية

(١) الشرفي، أحمد بن علي ناصر، شعر الرثاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة دراسة توثيقية موضوعية فنية، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، إشراف: د: صالح آدم بيلو، ص ٣٥٨.

(٢) أبو السعود، أبو السعود سالم، الإيقاع في الشعر العربي، الإسكندرية: دار الوفاء، ص ١٠٣.

(٣) الشرفي، أحمد، شعر الرثاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ٣٥٧.

الإنسان الذي يعيش سريعاً إلا بشربه الماء، وكذلك الجميلة لا يستطيع الإنسان إلا أن يعشقها ويحبها. فإن كانت كلمتا (الغولي) و (غني) بينهما تشابه والتباس، فإن الجميلة الحكم في حبها وعشيقها مقطوع به، وهو أنه واجب لا يستغنى الإنسان عنه.

ثم يتبع الشاعر وأنه فقد حلمه في الحياة، والسبب فقده لهذه الجميلة وعدم تمكنه من وصلها، فإن كان الشاعر أكد في البيت الأول أن تقارب اللفظتين لا يدل على تقارب المعندين، فإنه هنا يؤكّد كذلك على ذلك المعنى، فكونها هيفاء ضامرة الخصر، ثقيلة الأوراك تامة الخلق، وهذه الصفات الجميلة جعلت حلمه وتعقله يذهب في الهواء ويطير. والقيمة الصوتية لكلمة (هفا) تشعر بما آلت إليه حلم الشاعر من خفة، فصار حتى لو أنه نفخ فيه لطار سريعاً، فالكلمة ابتدأت من أقصى الحلق، ثم احتبس الهواء مع حرف الفاء وتجمع، ثم انطلق بقوّة بالمد، فأزال وأذهب حلمه.

واستخدم الشاعر الجناس للدلالة على رغبته في بقاء الود بينه وبين المحبوبة فيقول: عسى بيننا يُقْيِي المَوْدَةَ بَيْنَنَا ولا ينتهي مَنَا إِلَى
أجلِ عمرٍ^(٥)

يبتدئ الشاعر بيته برجاء أن ما حصل بينه وبين المحبوبة من فراق وبعد، يؤدي إلى عكس ذلك وهو دوام وبقاء المحبة بينه وبينها (بيتنا-بيتنا)، وقد اختار الشاعر لفظة (المودة) التي تدل على الحب

(٥) الديوان، ص ٢٤١.

الجناس^(*):

تطرّب الآذان للجناس؛ لأن له أثراً موسيقياً قوياً ينبع من تردّيد الحروف وتقابـل الألفاظ المتشابهة^(١)، فالتجـاوب الموسيقي الصادر عن تماثـل الكلمات تماثـلاً كاملاً أو ناقصـاً تطرـب له أوتـار القلـوب فـتـجاـوب في تعـاطـف مع أصـدـاء بـنـيتها^(٢)، ولا يقتـصـر جـمالـه عـلـى الـلـفـظـ فقط بل هـنـاك جـمالـ مـرـجـعـه المـعـنـى وـدـلـالـةـ الـأـلـفـاظـ^(٣).

وقد استخدمه ابن حمديس لإبراز جمال المحبوبة، وألمـه الذي يـعـانـيه من عدم تمـكـنه الوصول إـلـيـهاـ، ولـذـكـ فهو يـرـجوـ أنـ تـرـحـمـهـ وـتـصـلـهـ، بلـ يـتـمـنـيـ دـوـامـ المـحـبـةـ بـيـنـهـماـ.ـ يقولـ فيـ جـمالـهاـ:

أـبـعـيـرـ المـاءـ يـرـؤـيـ ذـوـ	صـفـرـ كـهـايـ منـ صـفـرـ	الـتـيـاحـ	وـهـفـاـ حـلـميـ بـهـيفـاءـ	الـوـشـ	سـاحـ	رـدـاحـ ^(٤)
----------------------------------	---------------------------	------------	-----------------------------	---------	-------	------------------------

فـهـيـ جـمـيلـةـ كـامـلـةـ الـجـمـالـ،ـ مـسـتـغـنـيـةـ عـمـاـ يـتـجـمـلـ بـهـ النـسـاءـ لـيـصـبـحـ جـمـيـلـاتـ،ـ وـكـونـهاـ جـمـيلـةـ يـجـعـلـ إـلـيـنـسانـ مـحـتـاجـاـ إـلـىـ مـعـرـفـتهاـ وـعـمـلـ عـلـاقـةـ مـعـهـاـ،ـ ثـمـ وـبـأـسـلـوبـ الـاستـقـهـامـ يـؤـكـدـ الشـاعـرـ عـدـ رـيـ

(*) تـشـابـهـ الـفـظـيـنـ فـيـ النـطـقـ وـاـخـلـافـهـماـ فـيـ المـعـنـىـ.ـ عـتـيقـ،ـ عـلـمـ الـبـدـيـعـ،ـ صـ ١٩٦ـ.

(١) انظر: الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي-مثال ونقد، ط ١، القاهرة: الشركة العربية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص ٢٦١.

(٢) انظر: فيود، بسيوني عبدالفتاح، علم البديع- دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط ٢، القاهرة: مؤسسة المختار ودار المعالم الثقافية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ٢٩٤.

(٣) انظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط ٧، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧م، ص ٤٥-٤٦.

(٤) الديوان، ص ٩٥.

وفي الفصل الثاني انتقلت الدراسة للحديث عن الجانب الفنية لصورة المرأة في قصائد مدح ابن حمديس، وبدأت بالحديث عن اللغة وما فيها من ألفاظ، وبيان ما استخدمه الشاعر في هذا المجال من ألفاظ من حيث الليونة والسهولة والألفة، وأنه استطاع توظيف الألفاظ حسب مقتضى المقام والسياق، وتم الحديث عن الألفاظ كذلك من حيث الغرابة والجلالة وما غالب عليه من وضوح إلا في مواضع اقتضى المقام خلافه.

وفي المبحث الثاني: جرى الحديث عن التراكيب، وتم فيه الحديث عن التقديم والتأخير وما كان لهما من أثر فيما قصده الشاعر منهم.

وفي المبحث الثالث تم الحديث عن الأساليب، واندرج تحته مجموعة من العناوين: فبدأ الحديث عن الحوار وبيان ما فيه من تشويق وإثارة للمتنقي، ثم الحديث عن الأساليب الإنسانية من استفهام ونداء، وما كان للشاعر من براءة في استخدامهما.

وفي المبحث الرابع جرى الحديث عن مصادر الصورة الفنية ، ومنها الطبيعة بنوعيها المتحركة والصادمة، ثم الحديث عن الموروث الثقافي وتوظيف ابن حمديس له في هذا الغرض، ثم تم الحديث عن وسائل تشكيل الصورة الشعرية، من تشخيص وتجسيد وتشبيه، فالحديث عن التكرار، ومن الجوانب التي تناولها مبحث الصورة المفارقة التصويرية وما فيها من طباق ومقابلة، وأخر ما تحدث عنه هذا المبحث التصوير بالحقيقة.

الذي يكون في جميع مداخل الخير، فهو يؤكد أن جبه ليس جبًا جسدياً حسياً، وإنما هو حب ترتفع به النقوس عن شهوانيتها. ويلاحظ على البيت تركيز الشاعر فيه على ضمير المتكلمين (بيئنا - بيئنا - منا) فهذا المودة بينه وبين المحبوبة متربطة متشابكة يرتضيها كل منها مع الآخر.

الخاتمة

في خاتمة هذه الدراسة أعرض بإيجاز لأهم ما جاء فيها، والنتائج والتوصيات التي خلصت إليها: جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين، تناولت في التمهيد الحديث عن غرضي المدح والغزل عند ابن حمديس، وهدفه من المدح، وغايته من الغزل، وما تميز به غزله.

ثم تشرع الدراسة في الفصل الأول وهو الدراسة الموضوعية لصورة المرأة في قصائد مدح ابن حمديس، وهو عبارة عن مباحثين: الأول الأوصاف الحسية، والثاني الأوصاف المعنوية، فتناول في الأوصاف الحسية الشعر والعينين والجفون، والخد والفم وما يتعلق به، والرقبة ثم الخاصرة وما حولها، والساقيين، والرائحة والقوم عموماً.

وفي المبحث الثاني تم الحديث عن الأمور المعنوية التي وصف بها ابن حمديس المحبوبة في قصائد المديح، ومنها: الشوق لها، وعدم التمكن من الوصول إليها، وعتابها، وصدودها وتعذيبها، غرورها وغدرها، وغير ذلك من أمور.

- ❖ اعتمد ابن حمديس في تشكيل صوره على التشخيص والتجميد، والتبيه والاستعارة، والتكرار.
- ❖ استخدم المفارقة التصويرية من طباق ومقابلة، كما استخدم التصوير بالحقيقة.
- ❖ في الموسيقى الداخلية لجأ ابن حمديس للجنسان لما له من أثر في تحريك العقل والذهن.

الوصيات:

- ❖ يمكن إجراء دراسة تقارن بين صورة المرأة في غزل ابن حمديس وصورتها في مدائنه.
- ❖ المجال خصب لدراسة علاقة صور المرأة في قصائده المدحية بصورة المدوح ذاته.

وأخيراً أسأل الله أن أكون قد وفقت إلى تقديم هذه الدراسة بالشكل المناسب الذي يفيد القارئ والباحث، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع

١. ابن الأثير، المثل السائر، قدمه وعلق عليه: د أحمد الحوفي و د بدوي طباعة، ط، ٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٢. ابن حمديس، ديوان ابن حمديس، صاحبه وقدم له: د إحسان عباس، بيروت: دار صادر و دار بيروت، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م.

وفي المبحث الخامس والأخير تم الحديث عن الموسيقى الداخلية عموماً، والجنسان خصوصاً. وأخر ما تعرّضه الدراسة النتائج والتوصيات:

- #### النتائج
- ❖ أراد ابن حمديس من الغزل في مدائنه استمالة المدوح عليه يساعدته في تخلص بلده من المحتلين.
 - ❖ لم يقدم ابن حمديس صوراً للمرأة متميزة عن صور الشعراء السابقين له إلا في القليل النادر مثل تباهيه رقة جيد المحبوبة بالنفس على الحرير. أما بقية صوره فهي مكرورة عند الشعراء السابقين من مشرقيين وأندلسيين.
 - ❖ تميز ابن حمديس عند حديثه عن المرأة بنظرته لها بكثير من التوقير والغفة، لا اللذة والمتعة.
 - ❖ راوح ابن حمديس في ألفاظه الغزلية في قصائد المدح بين السهولة واللدين وبين الغرابة والجزالة، فالأولى ليفهم المتلقى، والثانية ليظهر مكانته ومقدراته، وإن كانت السهولة والليونة هي الأغلب.
 - ❖ الأكثر استخداماً من أساليبه الإنسانية الاستفهام والنداء.
 - ❖ كانت مصادر صوره الشعرية مستمدّة من البيئة التي عاش فيها، سواء البيئة الطبيعية، أو البيئة الثقافية.

١٠. أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط٧، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧م.
١١. بالنيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: د. حسين مؤنس، ط٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٨هـ-٢٠٠٩م.
١٢. البحري، الديوان، شرحه وعلق عليه: د. محمد التونجي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، بيروت: دار الكتاب العربي.
١٣. بدوي، أحمد أحمد، أسس النقد عند العرب، القاهرة: دار نهضة مصر.
١٤. بكار، د. يوسف حسين، بناء القصيدة العربية، القاهرة: دار الثقافة، ١٣٧٩هـ-١٩٧٩م.
١٥. الجراوي، أحمد بن عبد السلام، الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط١، دمشق: دار الفكر-بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٦. الجهنبي، زيد بن محمد بن غانم، شعر الحرب بين البحري والمتيني، ماجستير، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ، إشراف: أ.د. طه مصطفى أبو كريشة.
٣. ابن رشيق، الحسن، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق: د عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت-صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٤. أبو الأنوار، محمد، في تاريخ الأدب العباسي-الشعر والشعراء، المنيرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧م.
٥. أبو السعود، أبو السعود سلامه، الإيقاع في الشعر العربي، الإسكندرية: دار الوفاء.
٦. أبو شارب، مصطفى، الشعراء المروانيون في الأندلس، ط١، الرياض: دار المفردات، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٧. استيتي، رافت محمد سعد، ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس، ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٧م، إشراف: أ.د. يحيى جبر.
٨. أمرئ القيس، الديوان، ضبطه وصححه: أ. مصطفى عبد الشافي، ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، بيروت: دار الكتب العلمية.
٩. أمين، بكري شيخ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٩م.

٢٤. السريحي، صلوح بنت مصلح، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، دكتوراه، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، إشراف: أ.د. أحمد سيد محمد.
٢٥. سلامه، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس-تطوره-مواضيعاته وأشهر أعلامه، ط١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩م.
٢٦. السلمي، عبد الرحمن بن رجاء الله، شعر الأسر بين أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد-دراسة موازنة، ماجستير، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/١٤٢٣هـ، إشراف: د محمد فايد هيكل.
٢٧. سيد، مفرح إدريس أحمد ، ((صورة اليتيم في الشعر السعودي - دراسة تحليلية))، مجلة جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المدينة المنورة: السنة: ١، العدد: ١، (شعبان ١٤٣٢هـ).
٢٨. الشرفي، أحمد بن علي ناصر، شعر الرثاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة دراسة
١٧. حسان، تمام، البيان في روائع القرآن- دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط٣، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
١٨. حمادة، محمد كمال سليمان، الخطاب الشعري عند ابن حمديس الصقلي-دراسة أسلوبية، ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، إشراف: أ.د. يوسف شحدت الكحلوت، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
١٩. حموده، سعد سليمان، لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
٢٠. الدش، محمد، أبو العتاھيہ: حیاته وشعره، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
٢١. الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري-دراسة في النظرية والتطبيق، ط١، الرياض: دار العلوم، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
٢٢. الرقيب، سلطان سعد عقيل، رثاء الأدباء عند شعراء الحجاز في العصر الحديث من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٤٢٠هـ قضاياه وتشكيياته، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،

٣٦. عتيق، عبد العزيز، علم البديع، بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٣٧. العمري، أحمد جمال، ((التكرار في القرآن العظيم))، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: العدد: ٣٩، ذو الحجة ١٣٩٧ هـ، صفحات المقال من ٩-١٩.
٣٨. الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي-مثال ونقد، ط١، القاهرة: الشركة العربية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٣٩. الفوتي، وفاء عمر، قصيدة الرثاء عند ابن الرومي-دراسة موضوعية، ماجستير، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، إشراف: د صالح آدم بيلو.
٤٠. فيود، بسيوني عبدالفتاح، علم البديع-دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط٢، القاهرة و الأحساء: مؤسسة المختار و دار المعالم الثقافية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٤١. القط، عبد القادر، الاتجاه الوجданى في الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨ م.
٤٢. الشريف المرتضى، الديوان، حققه: رشيد الصفار، دار إحياء الكتب العربية.
٤٣. شلبي، سعد إسماعيل، من أدباء المغرب والأندلس: ابن حميس الصقلي شاعرًا، القاهرة: دار الفكر العربي.
٤٤. الشورى، مصطفى عبد الشافي، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٣ م.
٤٥. صدر، محمد، تحقيق ودراسة: د محمد سيد عبد العال، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٤٦. ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ط٢، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٨ م.
٤٧. ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢ م.
٤٨. عبد الرحيم، مصطفى عليان، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٥٠. قاسم، عدنان حسين، التصوير الشعري، ط١، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٠ م.

٥١. حسين، عبد الباقي محمد، سيد قطب حياته وأدبها، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤٢. لسان الدين بن الخطيب، الديوان، حققه: د محمد مفتاح، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

٤٣. الهرامة، عبد الحميد عبد الله، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري الظواهر والقضايا والأبنية، ط٢، طرابلس: دار الكاتب، ١٤٢٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٤. هلال، ماهر مهدي، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدi عند العرب، بغداد: دار الحرية، ١٩٨٠ م.

٤٥. الهليل، عبد الرحمن عثمان، الهمس في الشعر السعودي، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٦. الهليل، عبد الرحمن عثمان، التكرار في شعر الخنساء دراسة فنية ، ط١، الرياض: دار المؤيد، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٧. الهليل، عبد الرحمن، عمرو بن مسعدة- سيرته وتراثه النثري- دراسة وجمعًاً وتوثيقاً، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٨. وهبة، مجدي و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م.

مصادر نقلًا عن:

٤٩. الشعر والفنون الجميلة، لم تذكر بياناته في الأصل، ولم أستطع الحصول عليه.

Image of the Woman in the Panegyrics of Ibn Ḥamdīs (English Abstract)

Anwar Yaqub
Taibah University

Abstract. This study consists of an introduction, followed by two chapters: the introduction sheds light on the themes of panegyric and love poetry of Ibn Ḥamdīs, focusing on his works' goals and characteristics. Then, the first chapter contains two parts: the first highlights the poetry's description of the woman's physical appearance, such as her hair, eyes, eyelids, cheeks, lips and neck, while the other studies some moral attitudes, for example his passion and inability to win her heart, her admonition and neglect of him, besides her sweet arrogance.

The second chapter, which is divided into six parts, studies the technical aspects of the woman's image in Ibn Ḥamdīs poetry beginning by his poetic language; it shows how he tends to appropriately employ kind and soft words in the context, This section also analyses the poet tendency to choose uncomplicated words, except in some occasions. The second part of this chapter deals with the sentences, and the impact of anastrophe on the poet's intentions. Then comes the third part which discusses the poet's styles such as: using dialogue and questions to attract the readers, while the fourth part surveys the rhetorical image and its sources, for instance: the static and motion nature, and how Ibn Ḥamdīs relied on his cultural background to constitute his poetry imagery using similes, metaphor and metonymy. The final two parts deal with the structure of Ibn Ḥamdīs's poem and its internal rhythm (music), while the conclusion sums up the findings and recommendations of the study.

م الموضوعات علم المعاني في سورة القلم (دراسة بلاغية)

د. سارة بنت نجر العتيبي

أستاذ مساعد - جامعة شقراء

مستخلص. تناولت في هذه الدراسة :

١. توضيح بعض ما يتعلق بسورة القلم .
٢. ثم بدأت في تناول نظم السورة بدءاً بالجزء ، وهو الحرف، وضرب الأمثلة الممكنة عليه من السورة ثم بالكلمة، وذكر بعض أنواعها، وسبب اختيار صيغ معينة دون الأخرى، أو أفعال دون أخرى.
٣. ثم نمى البحث نمواً مطرداً، فبدأت البحث بالجملة وأنواعها وعلاقتها الداخلية من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتعريف وتكيير وخبر وإنشاء .
٤. وبعد ذلك نظرت في تراكيب الجمل وما بينها من وصل وفصل، وما فيها من إيجاز وإطناب ومساواة. وقد حاولت في بحثي هذا التعريف بكل فن من علوم المعاني صادفي في السورة، واكتفيت بذكر بعض الشواهد، ولم أنطرق في شواهد الفن البلاغي في السورة جميعها.

وبعد فقد كثرت المؤلفات التي تسعى لبيان أوجه

الإعجاز في القرآن الكريم، واجتهد علماء المسلمين
بحثاً في ذلك وتقنياً، فكثرت المؤلفات، حتى لا
يدركها حد، وما زالت المؤلفات مستمرة، وتأتي بجديد
لم يُكتشف وغريب لم يُعرف وعجب لم يُطرق.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه القرآن معجزاً لا
تنتهي عجائبه، ولا تتقضي غرائبه، والصلوة والسلام
على النبي الأمين الذي خصه الله بالدين الخاتم
والكتاب المعجز .

التمهيد

أ- البلاغة القرآنية:

البلاغة: لغة هي الوصول والانتهاء، من بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً^(١)، يقول أبو هلال العسكري : " البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء ومتناهيه، فسميت البلاغة بلاغة؛ لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع، فيفهمه"^(٢).

والبلاغة اصطلاحاً: البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته .^(٣)

بـ- سورة القلم:

سورة القلم ثاني سورة نزلت في القرآن الكريم، وعدده
آياتها اثنان وخمسون آية، وكلماتها ثلاثة وأربعين كلمة،
وتحتوي على ألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً، وهي

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، مادة: بـ لـ غـ.

(٢) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد اليعاوي، محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ص ١٢.

(٣) انظر: الإيضاخ، للقروليسي، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، الطبعة السادسة، ج ١/٨٠- ص ٦٥٢، البلاغة فونها وأفناها، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ج ١/٥٨.

(٤) انظر: مثار الهدى في بيان الوقف والابداء، أحمد محمد عبد الكريم الاشموني، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ص ٦٦٣ - تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير، للخطيب الشريبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ٣٤٩ - تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، محمد علي طه الدرة، منشورات دار الحكمة، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، الجزء الأخير: ٥٥

ومن أوجه إعجاز القرآن ما فيه من جمالٍ بيانيٍ وببلغة رائعةٍ لا ترقى إلى مثلها بلاغةً ولا فصاحةً، وقد أخذ هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم حقه من التأليف، حتى وضع العلماء علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، ولا يزال الباحثون يستخرجون ويستكشفون من عناصر إعجاز القرآن ما لم يتوصل له السابقون.

وقد أخترت لهذا البحث أن يكون مبحثاً في بلاغة سورة القلم.

وكان المنهج المتبوع في هذه الدراسة العودة لكتاب التفسير لبيان معنى الآية ثم كتب البلاغة لتعريف الفن لغة واصطلاحاً وذكر اقوال بعض العلماء في الفن وقد اعتمدت في التعريف على الاستقراء الشامل ثم اختيار الأظهر منها. وبعدها استخرج الفن من الآية وابرز موطن الشاهد واشرحه.

وكانت الدراسة مقسمة على النحو التالي:

- تمہید و شامل:

أ. البلاغة القرآنية. ب - سورة القلم والتعريف بها

ج . علم المعانٰي و مفهومه عند البلاغيين.

الفصل الأول: الحرف والكلمة في السورة.

الفصل الثاني: التراكيب:

أ. في الجملة. ب- بين الجمل.

الخاتمة وتشمل :أ- خلاصة البحث

٢- نتائج البحث

وأخيراً فهارس البحث.

أما عن المحور الذي تدور عليه السورة فهو إثبات نبوة النبي محمد ﷺ .^(٢)

ومن أغراض السورة التي جاءت بها التحدي بمعجزة الأميّة لقوله تعالى: ﴿نَ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم: ١، وأما ابتداء السورة بخطاب النبي ﷺ فتأنيساً له وتسليه عما لقيه من أذى المشركين .^(٣)

١- اسمها: سميت هذه السورة في معظم التفاسير وفي صحيح البخاري بـ "سورة نَ والقلم" كما سماها الترمذى في جامعه وبعض المفسرين سورة "ن" بالاقتصار على الحرف المرفد الذي فتحت به ، وهي أول سورة نزلت مفتتحة بحرف من حروف الهجاء .^(٤)

وسميت بالقلم لافتتاحها بما أقسم الله به وهو القلم؛ وذلك تعظيمًا له ، كما سميت بـ "ن والقلم" على حكاية اللفظين الواقعين في أول السورة.

معنى "ن" :

أختلف في معنى هذا الحرف، كما أختلف في جميع الحروف المفتح بها سور، فقيل هو لوح من نور، وقيل هو لقب لحوت عظيم يحمل الأرض.

(٢) انظر: صفة التفاسير، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، جزء تبارك، الجزء الأخير: ص ١٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ج ٢٩، ص ٥٩.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩/٥٧-٦٠. نظرات حديثة في التفسير، ص ٧١-٧٢. البحر المحيط، لابن حيان، ج ١/ص ٤-٣٠. التفسير المنير، وهبة الزيلعي، ص ٤٩.

(٥) انظر: التفسير المنير، ص ٤٩.

من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة والإيمان، نزلت في الفترة التي اشتدت فيها عداوة قريش للنبي ﷺ ، لعجزهم عن تحديد في الإتيان بمثل هذا القرآن، وإيمان الناس به واتباعهم إياته.

وقد تناولت هذه السورة ثلاثة موضوعات أساسية، هي:

١. موضوع الرسالة والشّبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة محمد بن عبد الله ﷺ ، واتهامهم إياته بالجنون، وتبرئة الله له من كل وصف لا يليق به، وإثبات كمالاته في الدنيا والآخرة.

٢. تحذير أهل مكة من غضب الله وإزالة النعم التي يرفلون فيها، وضرب الأمثلة لهم، كقصة أصحاب الجنة الذين بدّلوا ما كان عليه أبوهم، فبدل الله ما هم فيه؛ لکفرهم بنعم الله.

٣. المقارنة بين أحوال المجرمين والمؤمنين، وتوبیخ المشركين على أحکامهم الفاسدة، كما هددت السورة المكذبين بالقرآن الكريم، وبرسالة محمد، ثم ذكرت الآخرة وأهوالها وشدائدھا.

وقد ورد في آخر السورة أمر للنبي ﷺ بالصبر في تبليغ الدعوة وتلقى أذى قومه، وعدم الضجر من ذلك ضجراً يعاتبه الله عليه، كما عاتب فيه يومنس عليه السلام .^(١)

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج ٢٩: ٥٨.

القلم: هو اسم جنس شامل للأقلام التي تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنشور والمنظوم، فالقلم من آيات الله العظيمة التي تستحق أن يقسم بها^(٤).

نوع السورة وترتيبها: السورة مكية بالإجماع^(٥)، وهذه السورة هي التالية لسوره "تبارك الذي بيده الملك" وهي من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، حيث نزلت بعد سورة "العلق".

جـ علم المعاني:

علم المعاني من المصطلحات التي اطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرا عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف وتتکير، أو قصر، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب^(٦)، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة "المعاني ، والبيان ، والبديع" ، وهذه التقسيمات والسميات جاءت لاحقاً عند المؤاخرين ، وقد كانت قبل ذلك وحدة شاملة متكاملة بلا تحديد ولا تمييز ، وشيئاً فشيئاً أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحوون بها منحى التخصص والاستقلال ، فأخذت مسائل كل فن بلاغي تتبلور مستقلة ، وذلك التخصص والاستقلال كان

وعن ابن عباس رضي الله عنهم أن النون هو الدواة التي يوضع فيها الحبر للكتابة، وعن أبيه أيضاً أن نوناً حرفً من حروف الرحمن. وقيل هو اسم للسورة^(١).

ويرى المحققون فيها أنها إشارة إلى إعجاز القرآن، حيث أعجز العرب بفصاحته، رغم تركيبه من هذه الحروف الهجائية التي يتتألف منها كلام العرب^(٢).

وقيل إن الحرف أو الكلمة "ن" هي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ثم الراسخون في العلم، هذا من حيث المعنى، أما من حيث اللفظ فإن لهذا الحرف أثره في شكل النظم التي جاءت عليه السورة، حيث كانت فواصلها تنتهي بقطع أشبه بلفظ نون، أي أنه مقطع مكون من ثلاثة أحرف، أولها متحرك، وثانيها حرف مد ساكن، وثالثها حرف ساكن بالوقوف عليه، مما أدى إلى تناسب صوتِ جميلٍ في جوّ السورة العام^(٣) ، وأكد الأقوال إنه حرف من حروف الهجاء.

(٤) انظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، حققه: محمد زهري النجار، مطبعة المؤسسة السعودية، بالرياض، ج/٧ / ص ٤٤٣ .

(٥) انظر: التحرير والتلوك، جـ ٩ / ص ٢٩٠ - ٥٧ . تفسير جزء تبارك، للصوابوني، ص ٢١ - البحر المحيط، ص ٣٠٧ . نظرات حديثة في التفسير ، ص ٧٢ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق غالب المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٩ / ص ٨٩ . الكشف عن حقائق غرامض التنزيل، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ج ٤ / ص ٥٨٤ .

(٦) انظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلاوب، ص ٦٧ .

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ج/ص ٥٥، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام الحافظ أبي القاسم الغرناطي، تحقيق: محمد التونسي، إبراهيم عوض، دار الكتب الحديثة، ص ٢٥٦ .

(٢) انظر: صفة التفاسير، تفسير جزء تبارك، ص ٢٥ .

(٣) انظر: التفسير القرآن للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ج ١٠٧٦ / ص ٢٩ .

الفصل الأول

الحرف والكلمة

المبحث الأول:

الحرف

الحرف هو ما دلَّ على معنى في غيره، ومن ثم ^(٣) لم ينفك من اسمٍ أو فعلٍ يصحبه ^(٤).

والحروف إما حروف مباني أو حروف معاني، وحروف المباني هي الحروف الهجائية عامة؛ وسميت بذلك لأن الكلمة تُبنى وت تكون صيغتها منها، وأما حروف المعاني فهي الحروف التي تقيد معنى جديداً، أو ترد زائدة، أو مكررة للتوكيد ^(٤).

وللحروف في القرآن الكريم وظيفته البلاغية التي يؤديها بصورة مؤثرة وواضحة يقول ابن عباس: "الحمد لله الذي قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الماعون: ٥، ولم يقل في صلاتهم" ^(٥).

ومن حروف المباني التي وردت في السورة وظهرت مكانتها وأهميتها حرف النون الذي بدأت به السورة، وجاء مناسباً مع جنس ما ورد فيها، فقد ورد أكثر من مائة مرة، وانتهت معظم فواصل السورة بهذا الحرف، وفي كل هذا تحقيق لتناسب التام، حيث تقارب الأصوات، وغطى التناعُم والتلاُف على الجو العام

لأسباب منها إعجاز كتاب الله البلاغي، والتعرف على أسرار البلاغة والفصاحة في كلام العرب وأشعارهم.

أما أول من بدأ هذا التخصص في علم المعاني من حيث التسمية والتقسيم فقد قيل إن ابن فارس "ت ٣٩٥ هـ" هو أول من سماه؛ لأنه عقد في كتابه "الصحابي" باباً أسماه [معاني الكلام] ، وقال فيه: " هي عند بعض أهل العلم عشرة: خبر واستخبر، وأمر ونهي، ودعا وطلب، وعرض وتحضير، وتمني وتعجب" ^(١).

ومن أوائل من وضع أساس وقواعد هذا العلم أيضاً عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم التي وضعها في كتابه "دلائل الإعجاز".

أما علم المعاني عند الخطيب القزويني فهو يعرفه في كتابه "الإيضاح"، فيقول: "علم يُعرف به أحوال لفظ العربي التي بها يُطابق مقتضى الحال" ^(٢). وقد حصر بحوث علم المعاني في ثمانية أبواب، هي: الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإشارة، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.

(٣) انظر: شرح المفصل، لموفق الدين ابن علي بن يعيش النحوي، مكتبة المتنبي، القاهرة، ج ٨/ ص ٢.

(٤) انظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ج ١٣، ص ٦٦.

(٥) الإنقان في علوم القرآن، للسيوطى، ٣٩٤/٢.

(١) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبدالفتاح لاشين، دار المعرف بمصر، الطبعة الأولى، ص ٧٧، نقاً عن الصاحبي، ١٧٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العربي، ص ٨٤.

وهذا التوافق جعل الجمل مؤتلفة متفرقة، فجاء كلام الله فوق كل بيان، كما أن مجئه كحرف عطف بين بعض الآيات دلّ على وجود جهة جامعة رابطة بينها، فناسب ذلك الجو العام في السورة.

ومن الحروف التي وردت في هذه السورة وكان لها وقع بلاغي مؤثر "كاف" الخطاب التي جاءت مضافة إلى رب في ثلاث آيات في السورة، وكان الخطاب فيها موجهاً إلى الرسول ﷺ ، وذلك في قوله تعالى: «مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» القلم: ٢، وقوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّى عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» القلم: ٧، وقوله تعالى: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» القلم: ٤٨.

فقد أضاف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم إلى ذاته المقدسة في تعبير يوحى بالقربى والمودة، وفيه عطف وإناسٌ وتكريرٌ له ووعدٌ بأن يحيطه بنعمته، وفيه تكرير وشرف بمخاطبته دون البشر، كما أن فيه دليلاً على عظمة مكانته عند الله، وعلى منزلته ((والإيدان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه في العلو إلى غاية لا نهاية وراءها))^(١).

ومن حروف الجر التي وردت في السورة، وأثرت في المعنى حرف "الباء" في قوله تعالى: «مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» القلم: ٢ ، حيث تقيد "الباء" المرتبطة في كلمة نعمة معاني كثيرة، منها

للسوة، فأحدث في النفس نوعاً من الاطمئنان والراحة النفسية للقارئ والسامع معاً، فيصبح الأثر في النفس كبيراً، وبالتالي يكون التأثير عميقاً.

وقد ورد حرف النون في السورة بأشكال مختلفة، حيث جاء نون إعرابٍ ونون ضميرٍ ونوناً أصلية وغيرها، واستعملت السورة على صيغ كثيرة للتوكيد فأكذب كثير من الآيات بـ "إن" المشبهة بالفعل، وبنون التوكيد، ولا يخفى ما في ذلك من المناسبة لجو العام في السورة.

ومن الحروف التي كثر ورودها في السورة حرف الواو الذي جاء حرفًا في المبني كما جاء حرف معنى، فقد ورد حرف الواو في السورة حرف مدٍ قبل الحرف الأخير في الفاصلة، وغالباً ما يكون الميم أو النون، كما في قوله تعالى: «نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ» القلم: ١ - ٣.

وقد أدى هذا التوافق في المقاطع إلى اتحاد النغم فيها، وأوجد تقاربًا بينها ساعد على جعل نسق القول واحداً، ولما كانت هذه الكلمات: يسطرون، مجنون، ممنون، وغيرها في الآيات يوقف عليها بالسكون ومبسوقة بحرف المد "الواو" أصبح هناك وحدة في الجرس؛ لأن للكون بعد المد وقعاً ترتاح له الأذن.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، للألوysi البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٢٤.

فصل من أول السورة وهذا تهيج والهاب للتصميم على معا الصاتهم.

المبحث الثاني

الكلمة

الكلمة: هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف^(٤). وتنشأ الكلمة من انتظام الحروف بعضها إلى بعض، فإذا كانت الكلمة مفردة دلت على شيء جزئي، أما إذا تعددت الكلمات وانضمت فإنها توصلنا إلى المعنى الكلي.

والاسم: كلمة تدل بذاتها على شيء محسوس.
ال فعل: ما دل على اقتران حدثٍ بزمانٍ^(٥).

والحرف: وقد سبق الحديث عنه في مبحث الحرف.

والكلمة في النظم القرآني لها مكانتها العظيمة، فهي بمثابة واسطة العقد، ذلك أنها الأساس الذي يعتمد عليه التركيب، والنظم القرآني يختار الكلمة بعناية دقيقة، حتى أنه لا يمكن أن تحل مكانها كلمة مرادفة، ففي قوله تعالى: «وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ أَلْ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» الأعراف: ١٤١، تجده قد اختار الفعل ذبح، مصوّراً به ما حدث، وضعف عينه

نفي التهمة عن الرسول؛ لأن الباء جاءت بعد النفي، والباء بعد النفي تفيد تأكيد هذا النفي، أي فأنت بسبب هذه النعمة بعيدٌ عن هذه التهمة^(١).

وأما "الباء" المرتبطة في الكلمة مجنون فقد "أقامت حجراً فاصلًا بين النبي وبين إسناد الجنون إليه، فأضاف للحاجز الأول" ما أنت" حاجزاً جديداً هو حرف الجر، ففي الجنون عنه ﷺ كان يتحقق مع عدم ذكر حرف الجر، بأن يجيء النظم هكذا" ما أنت مجنون" ، فإن فيه مواجهة للنبي بهذه الصفة التي هي أبعد الصفات منه ﷺ، لذلك جاء مع نفي الصفة عن النبي هذه المباعدة المادية بينه وبينها، وفي هذا تأكيد للحقيقة التي جاء بها القرآن، وهي بعد النبي بعدهاً معنويًا وحسياً عن أن يلم بحماه الكريم شيء يمس عقله"^(٢).

وقد جاءت جملة "بنعمتة ربك" معرضة؛ للإسراع في بيان أن تلك النفس المحمدية هي في حصن وسلامة من الآفات والنقائض بفضل الله ومنته ونعمته^(٣).

والفاء في قوله تعالى: (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ)

لترتيب النهي على ما ينبغي عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما

(١) انظر: التحرير والتتوير، ٦١/٢٩ - نظم الدرر، للباقاعي، ٩٥/٤.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، ٢٩، ٢٩ / ص ١٠٧٩.

(٣) انظر: نظرات حديثة في التفسير، ص ٧٤.

(٤) انظر: شرح المفصل، لابن بعيش، ج ١/ ص ١٨.

(٥) شرح المفصل، لابن بعيش، ج ٧/ ص ٢.

ولعل السبب الرئيس من كثرتها هو التأكيد على وجود هذه الصفات وثباتها حتى أصبحت علماً يعرف به عدو الله، ومن هذه الصيغ التي سنحاول - بإذن الله - تحليلها هي قوله تعالى: (همّاز)، حيث ورد في مقاييس اللغة: الهمّاز: العياب^(٣)، وفي لسان العرب الهمّاز: الذي خلف الناس من ورائهم، ويأكل لحومهم^(٤).

والهمّزة: الذي يهمز أخاه في قفاه بالغيب، وهمز الشيطان همّزاً: أي همس في قلبه وسواساً، وأصل الهمز من الغمز باليد أو العصا في الرأس أو سائر البدن، ووجه المشابهة بين الكلمة وأصلها أن كلاًّاًهما تضغطان وتؤثزان وتتبهان المغموز والمهموز، وتتركان أثراً في نفسه.

وقد جاء الهمز في الآية بهذه الصيغة تعبيراً عن شدتها في الموصوف، وتمكنها منه حتى كانت له عالمة يعرف بها، فآثار النظم القرآني لفظة همّاز على لماز رغم تقارب المعنى الأصلي بينهما لأغراض بلاغية ومعانٍ يستطيع المتأمل استخراجها بالتروي والتفكير، فالهمز نجده مخصوصاً بالغيبة، أما اللمز فمخصوص بالمواجهة^(٥). وفي اللسان اللمز: كالغمز في الوجه، ورجلٌ لمز: يعييك في وجهك، والأصل في اللمز الإشارة بالعين والرأس

(٣) مقاييس اللغة، لأنـي الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيقـ: دـ عبدـالسلام هارون، مكتبةـالخانجيـ، القاهرةـ، الطبعةـالثالثـ، جـ ٢ـ، مـادةـ: هـ.ـمـ.ـزـ.

(٤) لسانـالعربـ، مـادةـ: هـ.ـمـ.ـزـ.

(٥) انظرـ: الكشافـ، للزمخشريـ، جـ ١٠١/٤ـ.

للدلالة على كثرة ما حدث من القتل في أبناءبني إسرائيل، ولا تجد ذلك مستفاداً إذا وضعنا مكانها كلمة يقتلون^(١).

وقد تكانت أنواع الكلمة في هذه السورة، فخرجت متالفة متربطة في تأدية الغرض منها، ومن شواهد الكلمة في السورة:

١- الاسم: كثـرـ ورـودـ الـاـسـمـ فيـ هـذـهـ السـوـرـةـ، سـوـاءـ أـكـانـ ذـلـكـ الـاـسـمـ، أـمـ صـيـغـ الـأـسـمـاـ المـشـتـقـةـ التـيـ عـلـىـ وزـنـ فـاعـلـ أـوـ مـفـعـولـ أـوـ فـعـيلـ أـوـ غـيرـهـ مـنـ الصـيـغـ الـمـخـتـلـفـةـ.

ومن الأسماء المشتقة التي ورد منها في السورة عدد غير قليل صيغة المبالغة.

وصيغة المبالغة: هي التي تدل على المعنى وصاحبـهـ ودرجةـ الصـفـةـ فـيـهـ مـنـ حـيـثـ الـكـثـرـةـ وـالـقـوـةـ، وـمـنـ شـوـاهـدـهـ فـيـ آـيـاتـ السـوـرـةـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: « وَدُوا لَوْ تُدْهُنْ فَيُدْهُنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعَقِّدٌ أَثِيمٌ (١٢) عُلَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ (١٣) » القلم: ٩ - ١٣، حيث وردت صيغة المبالغة في هذه الآيات القصيرة ست مرات على وزن فعال، منها أربع صيغ، هي " حـلـافـ - هـمـّازـ - مشـاءـ - منـاعـ" ، واثنتين على وزن فـعـيلـ، هـماـ " أـثـيمـ - زـنـيمـ".

(١) منـبلاغـةـ القرآنـ، أـحمدـ بدـويـ، صـ٥٨ـ.

(٢) انـظـرـ: النـحوـ الـوـافـيـ، جـ ٣ـ/ـ٢٥٨ـ.

يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ »^(١) القلم : ٤٣ ،
فاسم الفاعل خاشع، ومعناه اللغوي خش بصره، أي
انكسر^(٢) ، فالخاء والشين والعين أصل واحد يدل
على التطامن^(٣) . وقد جاءت هذه اللفظة دون غيرها
من الألفاظ المرادفة، لأنها تعبّر تعبيراً دقيقاً عن حالة
هؤلاء أكثر من غيرها من الكلمات، فلو نظرنا إلى
كلمة مشابهة ومقاربة، وقارنا بينهما لمعرفة سبب
فضيلتها لأدركنا السبب، فمثلاً كلمة " خضع -
خاضعة" يمكن أن تحل محل خاشعة، لو لم نكتشف
ونعرف الفرق بينهما، فالخضوع معناه التواضع
والتطامن، وفيه معنى الخشوع إلا أننا نجد أن
الخضوع قد حُص بالبدن، والخشوع يأتي في البدن
والصوت والبصر والقلب والفكر^(٤) ، ولما كان الخشوع
متصلةً بالبدن والصوت والبصر، والخضوع بالبدن
فقط اختيار النظم الخشوع؛ لأنه أكثر أثراً إلى جانب
أن الخشوع يظهر أثره في الإبصار، فالعز والذل
يتبيّن في نظر الإنسان، وقد تملّك المكذبين الذل،
وبدا على سيماتهم ، وظهر أثره في نظراتهم^(٥) . وقد
رسم الله هيئتهم مفصلة، فبدأ بالإبصار، وهو من أهم
حواس الإنسان، وبين ما فيها من انكسار يتبعه
انكسار يظهر في باقي الجسم
»تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ »^(٦) القلم : ٤٣ . فهؤلاء المتكبرون
والمتبجحون بأبصارهم الخاشعة والذلة المرهقة هم

(٣) انظر: لسان العرب، مادة خ. ش. ع.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ج ٢ / مادة خ. ش. ع.

(٥) لسان العرب، مادة خ. ش. ع و خ. ض. ع.

(٦) انظر: محاضرات في تفسير القرآن، نور الدين عتر، ص ١٦٦ .

والشفة مع كلام خفي، أما الهمز فيكون في الغياب،
واللماز المُغتاب بالحضره^(١) .

وكما نلاحظ أن الغمز واللماز يتقان في أنهما
معاية على الناس وسخرية بهم، ولكنهما يفترقان في
أن اللماز يكون في حضرة المهموز بالإشارة بالعيني
والشفة والرأس، مع كلام خفي، والهمز يكون باللسان
فقط وفي غياب المهموز . وقد يكون ذلك الوصف
دالاً على صفة أخرى، وهي جبن ذلك الهمز عن
المواجهة علينا، فمشى بها سراً بعيداً عن مهموزه، كما
تدل على كذبه وافترائه وبعده عن الحق ، ((وقد كره
الإسلام خلق الهمز أشد الكراهيّة، فهو يخالف
المرءة ويختلف أدب النفس ويختلف الأدب في
معاملة الناس وحفظ كراماتهم لذلك نجد القرآن كرر
نم هذا الخلق في غير موضع))^(٢) حرصاً منه على
تربية الجانب الأخلاقي لل المسلمين.

وهكذا نلحظ أن كل كلمة في القرآن الكريم تُساق
لتؤدي المعنى المطلوب منها تماماً، بحيث تعجز أي
كلمة أخرى عن القيام به، فتبارك الله أحسن
الخالقين.

ومن الأسماء المشتقة التي وردت في آيات
السورة اسم الفاعل الذي بدل على معنى مجرد
وفاعله وعلى معنى ثابتٍ بوجود قرينة، ومن شواهده
في السورة **»خَائِشَةٌ أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا**

(١) لسان العرب، مادة هـ. م. ز - و - لـ. م. ز.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، م ١، ج ٢٩ / ص ٣٦٣ .

قوله تعالى: **«عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٌ»** هود: ١٠٨ ، وهي كلمة مشتقة من "الجذ" ، وهو القطع المتصل^(٣) ، وربما يكون السبب في إشار كلمة "منون" على "مجذوذ" أن كلمة "منون" جمعت أكثر من معنى ، فهي تعني عطاءً مستمراً دائماً غير مقطوع، وعطاء غير مقدر بالمن ، فيكون في الكلمة إيجاز بجمعها المعنيين بخلاف كلمة "مجذوذ". وقد ذكرت التفاسير أن المتن المذكور على رسول الله ﷺ يكون من جهة الناس؛ لأن عطاء الله لا من فيه، فهو أكرم الأكرمين، ومن شيم الأكارم عدم المتن^(٤) ، وفي هذا الجمع تكريم لرسول الله ووعد بالأجر المتصل الدائم جزاء "صبرة وجهاده" ، وهذه فيها تسلية وتعويض عن كل هفوة وعن كل بهتان يرميه به المشركون^(٥) . وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا كله في الآية بـ "إن، ولام الابتداء" وبتقديم الجار وال مجرور في "لك" ، كما جاءت كلمة "أجراً" نكرة؛ ليذهب الخيال في تصور هذا الأجر كل مذهب، فهو يشمل ثواب الله في الآخرة، وعناته به ونصره في الدنيا.

وتفيد المؤكدات المذكورة بأن لك لأجراً دائماً موصولاً لا ينتهي ، ولا ينقطع ولا مَنْ فيه؛ وذلك غاية ما يكون عليه الثواب الجليل والإكرام.

(٣) لسان العرب، مادة: ج ذذ ، معجم المقايس، ج ١/ ص ٤٠٩ .

(٤) انظر: روح المعاني، ج / ٢٤ - التحرير والتقوير، ٦٣ / ٢٩ - التفسير القرآني للقرآن: ١٠٨١ / ٢٩ .

(٥) في ظلال القرآن، م، ٦، ج ٢٩ / ٣٦٥٥ .

أنفسهم أصحاب الهامات الشامخة والكرباء المنتفخة في الدنيا الذين ينظرون إلى الرسول الكريم معارضين ممانعين، وفي أبصارهم عداوة ورغبة بالضرر، ويتسابقون في إلحاق الأذى به، حتى ولو بالعين **«فَإِنْ يَكُادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِفُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ»** القلم: ٥١ ، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فيكسر هذه الأبصار، ويذل أصحابها حتى لم يعودوا قادرين على رفعها.

ومن أنواع الكلمة في آيات السورة الأسماء المشتقة، ومنها اسم المفعول "منون" في قوله تعالى : **«وَإِنَّ لَكَ لَأْجُراً غَيْرَ مَمْنُونٍ»** القلم: ٣ ، فكلمة منون جاءت على وزن مفعول، وهي من الأسماء المشتقة التي يدل استعمالها على استمرار الحدوث، والأصل في منون: من من مثنه يمتهن مثلاً أي قطعه، وحبل منين مقطوع، والمَنْ يعني القطع، ومنَّ فلان على فلان ، إذا عظم الإحسان وفخر به، وأبدأ فيه، وأعاد حتى يُفسده ويبغضه^(١) ، فممون مشتق من مَنْ المعطي إذا عَدَ عطاءه وذكره أو افتخر عليه، وهذا يسوء المعطي ويؤذيه، أو مشتق من قولهم: من الحبل إذا قطعه، "أي أجراً غير مقطوع"^(٢) ، وهو الثواب المتزايد كل يوم، أي الأجر الأبدي في الآخرة. وقد ذكرت كلمة "منون" في الآية دون غيرها من الكلمات التي يمكن أن تؤدي معنى القطع، مثل كلمة "مجذوذ" التي وردت في

(١) لسان العرب، مادة: م . ن. - المفردات ، للراغب، ص ٤٧٤ .

(٢) التحرير والتقوير، ٦٣ / ٢٩ .

٢- الفعل:

مُحرمة، فالمداهنة يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئاً من دنياه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه^(٢) ، فالمداراة تطف بالإنسان لاستخراج الحق منه ورده عن الباطل وهي لأهل الإيمان، والمداهنة أن تتلطّف به لتقره على باطله، وتتركه على هواه وهي لأهل التفاق^(٣) ، والمداهنة كاذب والمداري مجامل، والرسول أبعد الناس عن الكذب وأنفراهم منه، وهو أفتح العرب، وأفطنهم لما في هذه الكلمة من معاني الغش والكذب، فينصرف عنهم سريعاً، والله تعالى يعلم بأن رسوله بعيد عن ذلك التنازل في الدين، ولكنه ينهى عن مداهنته ليسجلب قلوبهم؛ لأن الرسول بعيد عن أن يطّلوا الأمر بطلاع زائف، حتى يقبل هذا الأمر، وإن كان هذا من صفات أعدائه.

ومن شواهده أيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ﴾ القلم: ٣٠، فاستعمال الفعل المضارع - هنا - دفع للسامع لتصور حالة هؤلاء المتلاومين، حيث يدفع استحضار هذه الصورة الفكر للتأمل في معصيتهم وعقاب الله لهم.

وقد استعمل النظم فعل اللوم دون غيره من الأفعال الأخرى مثل الذم والتوبيخ والعتاب والتقرير؛ لأن له دلالة تتناسب مع سياق الآية الكريمة، فالذم فيه تنفي من المذموم، وهو نقىض المدح^(٤) ، والذم يكون عن

ومن أنواع الكلمة التي وردت في آيات السورة الفعل، حيث ورد بصيغه المختلفة من أمر وماضٍ ومضارع، وأكثرها مجئاً في السورة الفعل المضارع الدال على تجدد كفرهم واستمراره، ومن شواهد الفعل التي سنتناولها قوله تعالى: ﴿وَدُوا لَوْ ثُدْهُنْ فَيُدْهِنُونَ﴾ القلم: ٩. فالفعل المضارع هو ما دل على أمرين معاً، معنى وזמן صالح للحال والاستقبال، ويرتبط هذا بمعنى الفعل في الآية، فالمشركون متطلعون إلى رسول الله في الحال، متأملون في المستقبل يراقبونه وينتظرون منه إشارة بالقول لما يريدون، حتى ينطلقوا مصانعين منافقين، فالتعبير بالمضارع أفاد التجدد والحدث، وهذا الفعل متكرر منهم وحادث متجدد متى ما رأوا منك مثله. وقد جاء في النظم الفعل "ثدهن" دون غيره من الأفعال، مثل "ثداري" لأسباب اقتضاها المعنى، فالمداهنة في اللسان تعني: المصانعة والملاينة وإظهار خلاف ما يُ Prism، أي أن يكون فيها غش وكذب، بينما المداراة من الملاينة، وحسن الصحبة^(١). وتنطبق المداهنة على حالة الكافرين هنا أكثر من المداراة، فهم لا يريدون منه صحبة حسنة فقط، بل يريدون منه التنازل عن شيء من دينه الذي يؤمن به ويقره، - وهذه خطة سعي أعداء الإسلام لتطبيقاتها في كل زمان ومكان - ، ولكن الله نجى رسوله منها، وعلى هذا تكون المداراة جائزة والمداهنة

(٢) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري، ٤٠٩:

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، الدرة ، ص ٦٦.

(٤) لسان العرب، مادة ذ.م. م.

(١) لسان العرب، مادة ذ.ه. ن و ذ.ر. و.

والقرآن الكريم يعتمد أسلوبه على ترابط الكلمات والحروف والجمل، فيخرج نظمه متناسقاً حسن الترتيب دقيق النظم محكم الترابط ملتحم الأنسجة بريئاً من ضعف التأليف نقياً من تناقض الألفاظ خالصاً من كل تعقيد تسلم الكلمة إلى أختها في الجملة والجملة إلى أختها في السياق بالتأمِّ تامِ واتساق.

ويكون التركيب من كلمتين، وذلك في الجملة الواحدة، ويكون بأكثر من ذلك في التركيب، حيث تتسم هذه التراكيب في الجملة والجمل بنسقها المميز في القرآن الكريم الذي جاء معجزاً للبشر، وقد يحدث فيه تقديم أو تأخير أو نحوه، لأغراض بلاغية مؤثرة^(٤).

أولاً: الجملة

قال علماء النحو: إن التركيب هو الجملة التي تتركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل^(٥)، أي جمع بين التركيب والإفادة، ففي قوله تعالى: «**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّمُنْتَهَىٰ**
(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِّنُونَ (٤) أُولَئِكَ
عَلَىٰ هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» البقرة:

(٤) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ج: ٢، ١٤-١٥-١٦، النحو الوافي، ج ١٣/١٥، ١٥، ١٧.

(٥) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ١/٤ - النحو الوافي، عباس حسن، ج ١/ص ١٥.

خطأ أو على غير خطأ، أما العتاب ففيه مخاطبة إذلال وتوجّد وإشفاق^(١)، غالباً ما يكون بين اثنين، بينما اللوم يكون عند ارتكاب الذنب، والملاومة أن تلوم رجلاً ويلومك^(٢)، فاللوم لا يكون إلا على خطأ، وقد يقع هذا اللوم من كبير أو صغير، والمتألونون هنا مجموعة أخوة كلهم أخطأوا إما بالسكتوت أو الأمر بالخطأ أو بتزيين ذلك الخطأ، فهذا يقول: أنت أشرت علينا بهذا الرأي، وذاك يقول: أنت خوفتنا الفقر، وثالث يقول: أنت رغبتنا في جمع المال^(٣). وهكذا نلحظ أن صيغة الفعل المضارع أكثر صيغ الفعل تصويراً لحالتهم، ودفعاً لاستحضار هذه الصورة، وكان الفعل "لام" دون غيره أكثر دلالة على وضعهم الذي هم فيه. (إِنْ يَكُاد): وجاء يكاد بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك في المستقبل وعد العدول إلى المضارع: في قوله تعالى: (وَلَا يَسْتَنْتَوْنَ). أي غير مستثنين للتعبير والتبيّه على مكان خطئهم.

الفصل الثاني

التركيب (الجملة - الجمل)

ت تكون التراكيب من الجملة والجمل، فمجموعة الجمل تكون التركيب، كما أن مجموعة الكلمات تكون الجملة.

(١) لسان العرب، ع. ت. ب.

(٢) لسان العرب، مادة . و. م.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٣٨/٢٩ - ٣٩/٢٩. البحر المحيط، ج ٣١٣ / ٢٩.

وقد استعملت الجملة الفعلية في القرآن للدلالة على التجدد والحدوث، أما الجملة الاسمية فقد استعملت للثبوت والاستمرار.

ومن شواهد الجملة الاسمية في السورة قوله تعالى: «**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمُجْنُونٍ** (٢) **وَإِنَّ لَكَ لَأْجَرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** (٣) **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُكْمِ عَظِيمٍ**»
القلم: ٢ - ٤

فهذه الآيات الثلاثة مركبة من جمل اسمية ليس فيها فعل، ولكنها مناسبة للمقام، فالقرآن يتحدث هنا عن قضية إثبات النبوة وصدق الرسالة وتبرئة الرسول من تهمة الجنون، وإثبات تكريم الله لرسوله وتمكن الدين ومن ثم الخلق العظيم وإثبات أن هذا جميعه ثابت مستمر لرسوله، فاحتاج السياق لما يؤكّد ذلك في وجه أهل الشرك والنفاق، فساق مؤكّدات متعددة منها "إن" و"لا" الابتداء وتقديم الجار والمجرور، ثم كانت تلك المؤكّدات مسافة في مؤكّد أشمل، وهو اسمية الجملة، فلا يملك الجاحد إلا التصديق والقبول.

ومن شواهد الجملة الفعلية في آيات السورة، قوله تعالى: (**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**) ، حيث تركبت الآية من فعل وفاعل ومحض ومحض به، وأفادت التجدد والحدوث، فهو نهي مستمر عن طاعة المكذبين كلما حاولوا التأثير على رسول الله عليه الاستمرار في رفضه لهم.

٢ - ٥، ترى آيات قد التحم نسجها وارتبط بناؤها ، فالجملة الأولى قد وصفت القرآن بالجمال، والجملة التالية وصفته بعدم اعتلاق الريب به، وفي الجملة الثانية جعله هادياً للذين يخشون الله ويتقونه ومضت الآية الثانية تصف المنتفعين بالقرآن، فهم الذين يوقنون بما أنبأهم به من أمور غائبة، ويؤدون الصلاة ، ويساعدون من حولهم، ويؤمنون بالرسل وبما أنزل عليهم، كل هذا في ترابط قوي بين الجمل وتألف وتناسق يؤدي إلى التأثير في النفوس والعقول^(١).

الجملة من حيث الاسمية والفعلية:

والجملة نوعان: جملة اسمية وجملة فعلية، وكل جملة منها قسمان رئيسان، هما المسند والمسند إليه.

الجملة الاسمية:

ت تكون الجملة الاسمية من مبدأ وخبر ، فالمسند إليه هو المبتدأ الذي له خبر ، والمسند هو الخبر.

والجملة الفعلية:

هي التي تتراكب من فعل وفاعل ، فالمسند إليه هو الفاعل أو نائبها ، والمسند هو الفعل.

(١) انظر: من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص ١٠٦.

المشهور^(٤). وإذا نظرنا في أغراض الخبر وجدناها غرضين:

١. إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى فائدة الخبر.
٢. إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك لازم فائدة الخبر^(٥).

أضرب الخبر:

١. أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحالة يُلقى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد، ويسمى ضرباً ابتدائياً.
٢. أن يكون المخاطب متربداً في الحكم شاكاً فيه، ويبغى الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده، ليتمكن في نفسه، ويحل فيها اليقين محل الشك، ويسمى هذا الضرب من الخبر طليبياً.
٣. أن يكون المخاطب منكراً لحكم الخبر، وفي هذه الحال يجب أن يؤكّد له الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب درجة إنكاره، من جهة القوة والضعف، ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكارياً.

وقد وردت في آيات السورة جمل خبرية بالأضرب المختلفة، فمن شواهد الضرب الابتدائي في السورة قوله تعالى: «فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ

الجملة في السورة من حيث الخبر والإنشاء:

نشأ الكلام حول مفهوم الخبر والإنشاء في عصر المأمون أثناء حدوث الفتنة حول القول بخلق القرآن على أساس أن ما تضمنه لا يخرج عن واحدٍ من ثلاث: "أمر، ونهي، وخبر"، ومن هنا جاء تحديد المعتزلة لمفهوم الخبر من حيث صدقه وكذبه، وممن أيد ذلك من رجال الاعتزال، وأبدوا رأيهم فيه إبراهيم بن يسار النظام وتلميذه الجاحظ^(٦).

فقد رأى النظام أن صدق الخبر يكمن في مطابقته حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له^(٧).

أما الجاحظ فقد قسم الخبر إلى ثلاثة أقسام:

خبر صادق، وهو ما طابق الواقع والاعتقاد. وخبر كاذب، وهو ما خالف الاعتقاد والواقع معاً.

- وخبر لا نسميه صدقاً ولا كذباً، وهو ما طابق الواقع، وخالف الاعتقاد، أو طابق الاعتقاد وخالف الواقع^(٨).

وقد ذهب الجمهور إلى أن صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا

(٤) انظر: علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، ص ٤٣.

(٥) الإيضاح، للفزوي، ص ٨٦.

(٦) الإيضاح، ص ٨٧.

(٧) انظر: السابق، ص ٨٦.

(٨) انظر: السابق، ص ٩١.

كلامه مثبتاً منه، لا ي قوله عن توهّم، أو ثرثرة
 واختراع^(٤).

يقول العلوي عن فائدة التوكيد: "إِزَالَةُ الشَّكُوكَ
 وِإِمَاطَةُ الشَّبَهَاتِ عَمَّا أَنْتَ بِصَدِّهِ"^(٥).

ومن شواهد التأكيد في آيات السورة بالقسم
 والحرروف، قوله تعالى: ﴿نَ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ
 (٦) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ القلم: ١ - ٢ ،
 حيث دل حرف "الواو" على القسم الذي جرى على
 سنن الأقسام الصادرة في كلام الله تعالى، والتي
 يجب أن تكون بأشياء معظمة^(٧)، وفائدة قسم الله
 بجنس القلم تنبئه لخلقه على ما أنعم به على من
 تعلم الكتابة التي بها تتناول العلوم^(٨)، ودليل على
 علو مكانة القلم وشرفه، حيث كتبت به الكتب
 السماوية^(٩) ولما فيه من المنافع والحكمة^(١٠). كما أفاد
 هذا القسم بياناً بالإعجاز القرآني، لما فيه من نبوءة
 علمية للقرآن، حيث استبانت عظمة القلم والكتابة
 وأهميتها فيما بعد، وفيه إيحاء للمؤمنين ليهتموا
 بالقراءة والكتابة التي هي أساس التعلم^(١١)، والقسم
 كما قلنا من أنواع التوكيد في الكلام، والله يريد توكيداً
 قوياً يقابل به هؤلاء المكذبين، فجاء القسم هنا ردًا

سَائِمُونَ﴾ القلم: ١٩ ، حيث أراد الله أن يبيّن لرسوله
 كيفية إهلاك الجنة وقت إهلاكها، فذكر له أن ذلك
 تم بإحاطة الطائف بها من جميع جهاتها ليلاً،
 والسامع لا يعلم كيف تم هذا الهلاك ولا وقته، فلم
 يحتج إلى توكيـد الخبر الملقى عليه. أما الضربان
 الـطـلـبـيـ وـالـإـنـكـارـيـ فقد احـتـاجـاـ إـلـىـ مؤـكـدـاتـ مـخـتـلـفـةـ،ـ
 وـنـتـرـقـ منـ هـذـاـ إـلـىـ تـعـرـيفـ التـوكـيدـ وـذـكـرـ أدـواتـهـ:

الـتـوكـيدـ:ـ التـأـكـيدـ مـنـ أـكـدـ الـعـهـدـ وـالـعـقـدـ:ـ لـغـةـ فـيـ
 وـكـدـهـ،ـ وـالـتـأـكـيدـ لـغـةـ فـيـ التـوكـيدـ،ـ وـقـدـ أـكـدـتـ الشـيـءـ
 وـكـدـتـهـ^(١)ـ.ـ وـقـالـ العـلـوـيـ:ـ إـنـ التـأـكـيدـ تـمـكـنـ الشـيـءـ فـيـ
 النـفـسـ،ـ وـتـقوـيـةـ أـمـرـهـ^(٢)ـ.

أـدـواتـهـ:ـ لـلـتـوكـيدـ أـدـواتـ وـطـرـقـ:ـ فـأـدـواتـهـ هـيـ:ـ إـنـ،ـ وـلـامـ
 الـابـداءـ،ـ وـضـمـيرـ الـفـصـلـ،ـ وـالـقـسـمـ،ـ وـإـمـاـ الـشـرـطـيـةـ،ـ
 وـحـرـفـاـ التـتـبـيـهـ "ـأـلـاـ"ـ وـ "ـإـمـاـ"ـ،ـ وـالـحـرـوفـ الـزـائـدـةـ:ـ إـنـ،ـ
 وـمـاـ،ـ وـمـنـ،ـ وـالـيـاءـ،ـ وـقـدـ،ـ وـالـسـيـنـ،ـ وـسـوـفـ الـدـاخـلـتـانـ،ـ
 عـلـىـ فـعـلـ دـالـ عـلـىـ وـعـدـ أـوـ وـعـيـدـ،ـ وـتـكـرـيـرـ النـفـيـ،ـ
 وـإـنـماـ،ـ وـنـوـنـاـ التـوكـيدـ.ـ أـمـاـ طـرـقـ التـوكـيدـ فـهـيـ الـجـملـةـ
 الـأـسـمـيـةـ وـتـقـديـمـ الـفـاعـلـ مـنـ حـيـثـ الـمعـنـىـ^(٣)ـ.

وتـكـمـنـ فـائـدةـ التـوكـيدـ وـغـرـضـهـ فـيـ إـلـامـ الـمـخـاطـبـ بـأـنـ
 الـمـتـحـدـثـ يـقـولـ كـلـامـهـ جـازـمـاـ قـاصـدـاـ مـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ

(٤) انظر: البلاغة العربية، ج١/ ص١٨٦.

(٥) الطراز: ج٢، ص١٧٦.

(٦) انظر: التحرير والتتوير، ج٢٩/ ص٦٠.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/ ص٤٢٩.

(٨) انظر: التحرير والتتوير، ج٢٩/ ص٦٠.

(٩) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ص٢٥٧.

(١٠) انظر: تفسير جزء تبارك، أحمد العزّمة، ص٣٤.

(١) لسان العرب، ج٣/ ص٧٤.

(٢) الطراز: يحيى العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقطف، بمصر، ١٤١٤هـ، ج٢، ص١٧٦.

(٣) انظر: البلاغة فنونها وأفانتها، ج١٤/ ١١٤.

في المكابرة زاد الله في التأكيد، بل ويؤكد لهم إكرامه الدائم لنبيه الكريم.

وتأتي ي "إن" من أكثر حروف التوكيد وروداً في السورة، ولا يخفى علينا ما في ذلك من تاسبٌ واضحٌ مع جوّ السورة العام الذي يكثر فيه هذه الحرف، فيتولد جوّ إيقاعي إيحائيٍ، وأول الآيات التي تواجهنا مؤكدة بهذا الحرف، هما الآياتان القصیرتان الثالثة والرابعة، حيث يرد فيها عدّة مؤكّدات لعظم الهدف الذي ترمي إليه، وهو تأكيد صحة نبوته عليه الصلاة والسلام وسلامته مما نسب إليه، وهذه أمور أنكرها المشركون تماماً، وشكوا فيها، فجاء الكلام مؤكداً بما يثبته.

إنَّ: وهي من الحروف المشبهة بالفعل التي تؤكّد مضمون الجملة وتحقّقه^(٤).

وقد ورد في شرح المفصل "إن قول القائل: إن زيداً قائم ناب مناب تكرير الجملة مرتين، ألا ترى أن قوله: إن زيداً قائم أوجز من قوله: زيد قائم ، مع حصول الغرض من التأكيد".^(٥)

ويتبّع عبداً لقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز إلى أن هذا الحرف يدل في أصل وضعه على التأكيد^(٦).

على ما جاء في كلام المشركين من تأكيدات في قولهم: «إِنَّهُ لِمَجْئُونَ» القلم: ٥١، حيث أكدوا كلامهم "بأن" و "لام الابتداء" ، فجاء الله بمؤكّدات أقوى، إذ أقسم عليه، ثم جيء بعد النفي بالباء «ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْئُونِ» القلم: ٢ ، والباء بعد النفي تأكيد لهذا النفي، ثم بالجملة الاسمية الدالة على ثبات الخبر^(١) ، فجاء القسم مجلياً للحقيقة، مبيناً لها، ومؤكداً لصدقها ، ولو كره الكافرون. أما القسم عليه فهو ثلاثة أشياء:

١. نفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم.
٢. ثبوت الأجر له صلى الله عليه وسلم.
٣. كونه على أعظم خلق^(٢).

فجواب القسم هو تكذيب لهذه التهمة الحمقاء التي رماه المشركون بها، ونفي هذه التهمة عن الرسول إثباتاً لما قصد المشركون نفيه، وهو أن يكون رسولاً من الله؛ لأنهم لما نفوا الرسالة وضعوا موضعها صفة الجنون، فإذا نفوا ما زعموه فقد ثبت ما ادعاه^(٣) ، ولما أراد سبحانه وتعالى إثبات الأمر وبيانه على حقيقته وإزالته تهم أعداء رسول الله والرافضين لما جاء به - والله تعالى يعلم برغم معرفتهم بها - دحض ذلك كله بقول لا شك فيه ولا لبس، وأورد فيه من المؤكّدات ما يجعلهم صامتين عاجزين، وكلما زادوا

(٤) انظر: شرح المفصل، ج/٨، ص٥٩.

(٥) انظر: شرح المفصل، ج/٨، ص٥٩.

(٦) انظر: البلاغة فنونها وأفاناتها، ج/١، ص١٣٧.

(١) انظر: التحرير والتتوير، ج/٢٩، ص٦٠، ٦١.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، ص٤٠٦.

(٣) انظر: التحرير والتتوير، ج/٢٩، ص٦٢.

^(٥) بمؤكّدات متعدّدة، منها "إنَّ" و "لام الابتداء" ^(٦)، وتقديم الجار وال مجرور والجملة الاسمية، وهذا فيه وعد من الله سبحانه لنبيه بالأجر العظيم المتصل ^(٧)، كما أفاد كثرة التوكيد فخامة ما أعدد الله لنبيه من الأجر والثواب ^(٨)، وإثبات أن هذا الجزء دائم مستمر أبداً من الله غير معنون من الناس؛ لأن عطاء الله لا مئة فيه، فهو أكرم الأكرمين ^(٩).

وبعد أن آنس الله نفس رسوله ﷺ ، ووعده بالأجر العظيم الممنوع عاد سبحانه إلى تسفيه قول الأعداء بتأكيد تبليسه بخلق عظيم، فاستعمل المؤكّدات التي منها "إنَّ" و "لام" لإثبات بعده عن الجنون؛ لأن الأخلاق الحسنة تنافي الجنون ولا تجتمعه ^(١٠)، فكل هذه المؤكّدات رد على إنكار المشركين، وأفادت هذه المؤكّدات - إلى جانب ذلك - ثبوت هذه الصفة ثبوتاً راسخاً على وجه الدوام الذي لا ينفك عنه أبداً ^(١١).

وقد وردت "إنَّ" المؤكّدة في آيات السورة أكثر من غيرها من المؤكّدات الأخرى، وذلك لأسباب - أرى - منها مناسبة الجو العام للسورة الذي بدأ بنون،

لام الابتداء: وهي من أنواع "اللام" غير العاملة ، أما فائدتها فهي لتوكييد مضمون الجملة ^(١٢).

يقول ابن يعيش: "إذا أدخلت اللام على إِنَّ، وقلت: إِنَّ زِيداً لقائم، ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاث مرات" ^(١٣).

فائدة المعنية: توكييد مضمون الجملة المثبتة، وإزالة الشك عن معناها المثبت ^(١٤).

وقد اجتمع هذان الحرفان في الآيتين الثالثة والرابعة من هذه السورة «**وَإِنَّ لَكَ لَأْجِرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ^(١٥) **وَإِنَّكَ لَعَلَى حُلُقٍ عَظِيمٍ**» القلم: ٣ - ٤، فجاءت الشهادة الكبرى والتكرير العظيم من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم، وتجابوا أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمات العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله في ميزانه لعبد الله وتلقّيه لهذا بهذا الثبات، دون أن تتّأرجح شخصيته دليل على عظمة تلك الشخصية، والله أعلم حيث يجعل رسالته ^(١٦).

ولما ثبت الله رسوله ﷺ ، ودفع بهتان أعدائه في الآية السابقة «**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**» القلم: ٢، أعقبه بإكرامه بأجر عظيم، وجاء الكلام مؤكداً

(٥) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص ١٤٥.

(٦) انظر: التفسير القرآني للقرآن، ج ٢٩/ص ١٠٨١.

(٧) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص ١٤٥.

(٨) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٦٣.

(٩) انظر: التحرير والتنوير ج ٢٩/ص ٦٣، روح المعاني ، ج / ص ٢٥.

(١٠) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص ١٤٥.

(١) انظر: مغني اللبيب، ج ١/ص ٢٥٦.

(٢) شرح المفصل، ج ٨/ص ٥٩.

(٣) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ج ١/ص ٦٥٩.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، م ٦ ج ٢٩/ص ٣٦٥٦.

والإنشاء غير الطلبـي: هو ما لا يستدعي مطلوباً، ولـه صـيغ وأـساليـب، منها: صـيغ المـدح والـذمـ، والـتعـجـبـ، والـقـسـمـ، والـرجـاءـ.

أما الضـرب الـطـبـي فـتفصـيلـه وفقـاً لـشـواهدـه في آـيـاتـ السـوـرـةـ، فـعـلـى النـحوـ التـالـيـ: الـأـمـرـ ، الـنـهـيـ ، الـاسـتـفـهـامـ.

أولاً: الأمر: طـلبـ الفـعلـ بـصـيـغـةـ مـخـصـوصـةـ، وـالـأـصـلـ فيـ الـأـمـرـ أـنـ يـكـونـ بـحـرـفـ الـأـمـرـ، وـهـوـ الـلـامـ، فـإـذـا قـلـتـ: اـضـرـبـ، فـأـصـلـهـ لـتـضـرـبـ^(٦).

وقد وردت صـيـغـةـ الـأـمـرـ بـلـامـ الـأـمـرـ فيـ آـيـةـ وـاحـدـةـ منـ سـوـرـةـ الـقـلـمـ، وـهـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «أـمـ لـهـمـ شـرـكـاءـ فـلـيـأـتـوـ بـشـرـكـائـهـمـ إـنـ كـانـوـاـ صـادـقـينـ» الـقـلـمـ: ٤١ـ.

فـيـ هـذـهـ آـيـةـ خـرـجـ الفـعـلـ " فـلـيـأـتـوـ" عنـ معـناـهـ الـحـقـيقـيـ إـلـىـ معـنـىـ آخرـ دـلـّ عـلـيـهـ السـيـاقـ، وـهـوـ تعـيـزـ هـؤـلـاءـ الـمـشـرـكـينـ عنـ أـنـ يـكـونـ لـهـمـ شـرـكـاءـ يـنـصـرـونـهـمـ، فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ يـتـحـدـاهـمـ مـعـجـزاـ لـهـمـ عنـ إـحـضـارـ شـرـكـائـهـمـ، وـحـقـرـ هـؤـلـاءـ الـشـرـكـاءـ، وـنـدـدـ بـهـمـ بـإـضـافـهـمـ إـلـيـهـمـ، وـفـيـ هـذـاـ إـبـطـالـ لـصـفـةـ إـلـهـيـةـ عـنـهـمـ^(٧).

وـخـتـمـتـ مـعـظـمـ آـيـاتـهـ بـحـرـفـ النـونـ، فـفـيـ هـذـاـ تـنـاسـبـ وـانـسـجـامـ يـؤـديـ إـلـىـ التـنـاسـقـ وـالـإـيـحـاءـ الصـوـتـيـ العـذـبـ. وـقـدـ يـكـونـ مـنـ الـأـسـبـابـ أـنـهـ فـيـ أـصـلـ وـضـعـهـاـ تـدلـ عـلـىـ التـأـكـيدـ - لـمـ قـالـهـ عـبـدـ الـقـاـهـرـ فـيـ الدـلـائـلـ^(٨).

وـمـنـ مـحـاسـنـهـ أـنـهـ تـرـبـطـ الجـمـلـةـ بـمـاـ قـبـلـهـ رـبـطاـ يـضـفـيـ رـوـنـقاـ فـيـ النـظـمـ وـجـمـالـاـ أـكـثـرـ مـنـ غـيرـهـاـ منـ الـحـرـوفـ^(٩)، كـمـاـ أـنـ فـيـهـاـ إـيـجازـاـ، فـتـأـكـيدـ الـكـلـامـ مـنـ وـسـائـلـ الـتـكـرـارـ الـذـيـ تـؤـديـ كـثـرـتـهـ إـلـىـ النـفـورـ أـحيـاناـ، فـعـدـ عـنـهـ إـلـىـ وـسـائـلـ لـهـاـ مـزـيـةـ التـكـرـارـ فـيـ تـأـكـيدـ مـعـنـىـ الـجـمـلـةـ، مـثـلـ " إـنـ" وـ " لـامـ الـابـتـداءـ"^(١٠).

الـجـمـلـةـ الـإـنـشـائـيـةـ

الـجـمـلـةـ الـإـنـشـائـيـةـ هـيـ التـيـ لـاـ تـحـتـمـلـ صـدـقاـ وـلـاـ كـذـباـ لـذـاتـهـ؛ لـأـنـهـ لـيـسـ لـفـظـهـ قـبـلـ النـطـقـ بـهـ وـجـودـ خـارـجيـ يـطـابـقـهـ أـوـ لـاـ يـطـابـقـهـ^(١١).

وـالـإـنـشـاءـ ضـرـبـانـ: طـلـبـيـ وـهـوـ يـسـتـدـعـيـ مـطـلـوبـاـ غـيرـ حـاـصـلـ وـقـتـ الـطـلـبـ؛ لـامـتـاعـ تـحـصـيلـ الـحـاـصـلـ، وـأـنـوـاعـهـ خـمـسـةـ، وـهـيـ: الـأـمـرـ ، الـنـهـيـ ، الـاسـتـفـهـامـ، وـالـتـمـنـيـ، وـالـنـدـاءـ^(١٢).

(١) انظر: اللـاغـةـ وـفـنـونـهـاـ وـأـفـانـهـاـ، جـ١/١٣٧ـ. دـلـائـلـ الـإـعـجازـ، صـ٢٥٠ـ.

(٢) انـظـرـ: دـلـائـلـ الـإـعـجازـ، صـ١٣٩ـ.

(٣) انـظـرـ: النـحوـ الـوـافـيـ، جـ١/١٥٩ـ.

(٤) علمـ المعـانـيـ، عـبـدـالـعـزـيزـ عـتـيقـ، صـ٤٧ـ.

(٥) الـإـيـضـاحـ، لـلـقـزوـنـيـ، صـ٢٢٧ـ.

(٦) انـظـرـ: شـرـحـ المـفـصلـ، جـ٧/١٥٨ـ.

(٧) انـظـرـ: كـتـابـ التـسـهـيلـ لـعـلـومـ النـتـزـيلـ، صـ٢٦١ـ. فـتـحـ الـقـدـيرـ، لـلـشـوـكـانـيـ، صـ٣٦٦٧ـ. فـيـ ظـلـالـ الـقـرـآنـ، صـ٢٧٥ـ. تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ وـإـعـرابـهـ وـبـيـانـهـ، صـ٩٣ـ.

وقد نهى الله عن طاعة المكذبين بدلًا من النهي عن تصديقهم؛ لأن الكلام فيه إشارة إلى ما هو أبعد من مجرد عدم التصديق، وهو لازمه، إذ يلزم من عدم التصديق للحديث عدم إجابته والأخذ بمضمونه، وهذا أبلغ من النهي عن التصديق، فقد لا يصدق المرء محدثه فيما يدعوه إليه، ثم تغلبه نفسه على متابعته والاستجابة له فيما يفعل، ولهذا اتجه النهي مباشرة إلى المطلوب منه، وهو عدم الاستجابة لتلك الدعوة التي يدعون إليها المكذبون، فهم لا يدعون إلى خير أبدًا^(٤). والمراد من الطاعة المنهي عنها المداراة، وهي إظهار خلاف ما ينبغي، أي خلاف ما في ضميره ﴿استجلاباً لقلوبهم﴾، وليس المراد منها الطاعة الحقيقة، حيث عبر بها للمبالغة في التغافل^(٥).

والآية الثالثة التي ورد فيها نهي، هي قوله تعالى: «وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ تَأْدِي وَهُوَ مَكْظُومٌ»^(٦) القلم: ٤٨، فقد أفاد النهي تسلية الرسول ﷺ وتصبيره وشد عزمه على الصبر ووجوب الاستمرار في الدعوة^(٧)، كما أن فيه تحذيرًا لرسول الله من أن يدعوه ربه وقد غلبه الغيظ، وهذا يوضح أن المطلوب من رسول الله ﷺ بهذا النهي هو كظم غيظه وقهره، وألا يجعل له سلطاناً عليه^(٨). على أن

ثانياً: النهي: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة هي المضارع مع اللام الناهية^(٩).

يقول ابن هشام: "من أوجهه " لا" أن تكون موضوعة طلب الترك، وتحتفي بالدخول على المضارع، وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان المطلوب منه مخاطباً أو غائباً أو متكلماً"^(١٠).

وقد تخرج صيغة النهي عن مدلولها الرئيس، وهو طلب الكف إلى معانٍ تعرف بالقرائن، و تستفاد من السياق، مثل: الإرشاد، والتهديد، والتوجيه، والتسلية، والتصبر، والتحقيق، والتمني.

وقد جاء النهي بحرفه " لا" في ثلاثة مواضع في سورة القلم، هي: قوله تعالى: «فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ»^(١١) القلم: ٨، و قوله «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينِ»^(١٢) القلم: ١٠.

فنجده في هاتين الآيتين نهياً من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ عن طاعة المكذبين، والطاعة هي قبول ما يُبتغي عمله، ووقوع فعل "تُطِع" في حيز النهي يقتضي النهي عن جنس الطاعة لهم، فيعم كل إجابة لطلبِ منهم^(١٣).

(٤) التفسير القرآن للقرآن، ص ١٠٨٤.

(٥) انظر: روح المعاني، ج: ٩/ ٢٦٢-٢٦٣. فتح القدير، ج ٤/ ٢٦٨.

(٦) انظر: فتح القدير، ج ٤/ ١١٥.

(٧) انظر: فتح القدير، ج ٤/ ١١٦.

(١) البلاغة فنونها وأفاناتها، ج ١/ ص ١٥٥.

(٢) مغني اللبيب، ج ١/ ص ٢٧٣.

(٣) انظر: التحرير والتوير، ص ٦٩.

فنلاحظ في هذه الآيات الثلاث القصيرة وجود أربع أدوات للاستفهام تضمنت معاني متفرقة، فالهمزة في كلمة "أَفْجَعُل" للاستفهام الإنكارى والتوبىخى، والإنكار هنا متسلط على ما دار بين المشركين من قول بعد نزول قوله تعالى: «إِنَّ لِمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ» القلم: ٣٤، كان صناديد كفار قريش يرون وفرة حظهم في الدنيا، وقلة حظوظ المسلمين فيها، ولما سمعوا الآية قالوا: إن صح ما يزعمه محمد لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هو في الدنيا، فقال تعالى مكذباً لهم، ورداً عليهم: «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ» القلم: ٣٥ ، الهمزة للاستفهام الإنكارى، إنكار لتساوي الفريقين، فالله تعالى لن يحيف ولن يجور في حكمه، فيجعل المسلمين كال مجرمين، وكناية عن إعطاء المسلمين جزاء الخير في الآخرة وحرمان المشركين، فرع إنكار التساوى بين المسلمين والكافرين على ما سبق من اختلاف جزاء الفريقين فالإنكار متسلط على ما دار بين المشركين من القول عند نزول الآية السابقة أو عند نزول ما سبقها من آي القرآن التي قابلت بين جزاء المؤمنين وجزاء المشركين كما يقتضيه صريحا قوله (ما لكم كيف تحكمون) إلى قوله (إن لكم لما تحكمون) .

ثم يسفه الله حكمهم وينكره، ويستبعد أن يصدر عنمن به ذرة من عقل «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» الصافات: ١٥٤ ، فالاستفهام بـ "ما" وـ "كيف" استفهام إنكارى لحالة حكمهم الذي هو مساواة المسلمين بالشركين،

أكثر ما يفيده النهي هنا هو التهيج والإلهاب للتصميم على معاصاة الكافرين^(١) .

ثالثاً: الاستفهام^(٢) : هو طلب العلم والفهم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة.

أدواته: من الحروف: الهمزة، وهل. ومن الأسماء: من، ما، متى، كم، كيف، أي، أين، أني، وأيان. والهمزة هي أصل أدوات الاستفهام.

وقد تخرج أدوات الاستفهام عن الغرض الحقيقي لها إلى أغراض أخرى تفهم من خلال سياق النظم، مثل: التقرير، والإنكار التوبىخى والتكذيبى، والتعجب، والأمر، والنهي، والاستبعاد، والتهويل، والتحفير، والتعظيم، والتشويق، وغيره من الأغراض المختلفة.

وقد ورد في آيات سورة القلم صور عديدة للاستفهام وبأدوات مختلفة خرجت عن معناها الحقيقي إلى معانى أخرى أكثرها الاستفهام الإنكارى والتوبىخى، لأنها كانت موجهة للمشركين ردًا على مزاعمهم الباطلة.

قال تعالى: «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرِسُونَ» القلم: ٣٥ - ٣٧

(١) انظر: الكشاف، ج ٤ / ٥٨٦ - روح المعاني، ج ٩ / ٢٦.

(٢) انظر: مغني اللبيب، ج ١، ص ٢٣.

- الإيضاح: ٢٢٨.

- البلاغة فنونها وأفاناتها، ١٦٨.

ومعلوم أن إدعاءهم هذا منفي، فليس لهم كتاب، ولا عهد عند الله، وليس لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة، وفي هذا إدماج بالتعريض بأنهم أميون، ليسوا أهل كتاب، وأنهم لما جاءهم كتاب الله لهدايتهم وإلحاقة بهم بالأمم ذات الكتاب كفروا وكذبوا.

(أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ): امتداد لإنكار ما يقومون به وتقديم ، (عِنْدَهُمْ) على المبتدأ وهو معرفة لإفاده الاختصاص ، أي صار علم الغيب عندهم لا عند الله .

أحوال الجملة في السورة

قلنا سابقاً إن الجملة كلمات تائف ، لتدل على معنى أو هي كما قال النحاة:

"اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها".^(١)

والجملة لا تكون تامة إلا إذا استوفت ركنين، هما المسند إليه والمسند، وإذا ما حذف منها أحد هذين الركنين فإن النحاة يلجأون إلى التقدير، ليفتقيم الكلام.

وقد أخذ علماء البلاغة هذين المصطلحين، وبنوا عليهما دراستهم في علم المعاني، فانحصرت

فأي شيء حصل لكم حتى ادعياكم هذه الدعوى؟ وكيف أصدرتم هذا الحكم؟ وما حجتكم فيه؟ وما دليلكم عليه؟ وهل كان أمر الجزاء مفوضاً إليكم، تحكمون فيه بما شئتم؟ وفي هذا تعجب من كيفية صدور هذا الحكم واستبعاد له، وأنه لا يصدر من عاقل.

وفي قوله تعالى: « أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ » القلم: ٣٧ جاء الاستفهام بـ "أَمْ" المنقطعة، وهذا فيه إضراب انتقال من الإنكار التوبخي إلى الإنكار التكذبي، فالاستفهام المقدر من "أَمْ" إنكار ؛ لأن يكون لهم كتاب، وتقديم (لكم) على المبتدأ كتاب ؛ بسبب تكير المبتدأ. وحاصله أن حكمهم الذي أصدروه لا يخلو من أن يكون سنه كتاباً سماوياً نزل من السماء، أو أن يكون سنه عهداً من الله بأن يعطيهم ما يقترون « أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ » القلم: ٣٩. وإنما أن يكون لهم كفيل على الله « سُلْطُنُمْ أَيَّهُمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ » القلم: ٤٠، وإنما أن يكون تعويلاً على نصر شركائهم « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ فَلَيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ » القلم: ٤١ فالاستفهام جاء على سبيل التهكم إمعاناً في الإنكار عليهم. وفي هذا تحد لهم بإفلاتهم وسخرية بهم، أي عندكم كتاب جاءكم به رسول من عند الله تقرأون فيه هذا الحكم الذي حكمتم به لأنفسكم بأنكم تعطون يوم القيمة أفضل مما يعطى المؤمنون؟

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد محبي الدين عبدالحميد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ج ١ / ص ١٤.

تقديم المسند إليه لأنأتي به ضمير بارز، مع أن مقتضى الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً في اسم المفعول مقدراً مؤخراً عنه؛ لأنه لا يتصور إلا بعد سماع متحمله، فلما أبرز الضمير، وفُدم كان تقديمه مؤذناً بمعنى الاختصاص أي القصر، وهو قصر إضافي^(٣).

٢- تقديم المسند: حق المسند في الجملة التأخير، ولكنه قد يُقدم لأغراض بلاغية مختلفة.

ومن شواهد تقديم المسند في آيات السورة قوله تعالى: «كَذَلِكَ الْعَذَابُ» القلم: ٣٣: فكلمة "كذلك" مسند مقدم، وكلمة "العذاب" مسند إليه، فُقدم الخبر للاهتمام بإحضار صورته في ذهن السامع^(٤). وقد ذكر الألوسي أن الخبر قدّم لإفاده القصر، وتكون "ال" للعهد، أي مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة^(٥).

وفي قوله تعالى: «إِنَّ لِلنَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ» القلم: ٣٤

نجد تقديم كلمة "للنَّقِينَ" - المتعلقة بمحذف في محل رفع خبر إن - على المسند إليه - "جَنَّاتٍ" ،

في المسند والمسند إليه، وما يتبعها من ذكر وحذف، وتقديم وتأخير وقصر ...^(٦).

التقديم والتأخير :

يقول عبد القاهر الجرجاني: " هو باب كثير الفوائد، جم المحسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شرعاً يروقك مسمعاً، ويلطف لديك موقعه، ثم تتظر، فتجد سبب أن راقيك، ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكانه إلى مكان"^(٧).

ومن شواهد التقديم والتأخير في آيات السورة:

١- تقديم المسند إليه: ويقدم لاعتبارات متعددة منها: التشويق، وإفادة التخصيص، وإفادة التعميم، وتنمية الحكم، وغير ذلك. ومن شواهده في آيات السورة:

قوله تعالى: «بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ» القلم: ٢٧ حيث قُدم المسند إليه "نحن" ، وهو المبدأ على المسند، والخبر " محرومون" ؟ " وذلك لإفادة التخصيص، فهم بيتوا حرمان المساكين من فضول ثمرتهم، فكانوا هم المحرومون من جميع الثمار، فالحرمان الأعظم قد اختص بهم إذ ليس حرمان المساكين بشيء في جانب حرمانهم.

(٣) التحرير والتنوير، د. أحمد مطلوب، د. حسن البصیر، الطبعة

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩ / ص ٨٩.

(٥) انظر: روح المعاني، ج ٩ / ص ٣٣.

(٦) انظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. حسن البصیر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص ١٤٤.

(٧) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ١٠٦.

، فيكون فيه إثارة للاهتمام بموجب المشقة وسببيها قبل ذكرها، مع مراعاة الفاصلة في الآية^(٣).

الحذف والذكر:

وما يلحق بالمسند والمسند إليه، مما ركنا الجملة الأساسية؛ لأغراضٍ بلاغية الحذف والذكر، والحذف وسيلة للإيجاز الذي هو من خصائص اللغة العربية، وحرى لكل كلمة أو جملة يفهم معناها بدونها لوجود قرائن تدل عليها أن تحذف، كما أن الحذف بالإضافة لفائدة الاختصار يكون لأغراضٍ بلاغية.

وقد يقع الحذف على المسند إليه أو المسند أو حذف المفعول، ومن شواهد حذف المسند إليه في آيات السورة قوله تعالى: «فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ» القلم: ٢٠، وتقدير الكلام " فأصبحت الجنة كالصريم" ، فحذف اسم " أصبح" ؛ لأنّه معروف عند السامع، لوجود قرينة في الكلام دالة عليه، وذكر ما قامت عليه القرينة، وإظهار يقلل من قيمة العبارة بلاغياً، وينافي الإيجاز.

ومن شواهد الحذف في الآيات قوله تعالى: «فَسَبَّصُرُ وَيُبْصِرُونَ» القلم: ٥ ، حيث حذف المسند إليه، وهو الفاعل، ويكون التقدير " فستعلم يا محمد" وفائدة الاختصار والإيجاز بالإضافة، لأنه معلوم لدى السامع.

(٣) التحرير والتتوير، ابن عاشور، ح ٢٩ / ص ٨٥.

وهو خبر إن؛ وذلك للاهتمام بشأن المتقين، حتى يسبق ذكر صفتهم العظيمة ذكر جزائها^(١).

٣ - تقديم متعلقات الفعل:

تتقدم متعلقات الفعل مثل الجار وال مجرور والحال والمفعول على الفعل لأسباب متعددة، منها: الاختصاص، وأن يكون في التأخير إخلال بالمعنى، والاهتمام بالمتقدم، والغلبة والكثرة، وغيرها من الأسباب المختلفة.

ومن شواهد تقديم متعلقات الفعل في آيات السورة:

تقديم الجار وال مجرور في قوله تعالى: «وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ» القلم: ٢٥ ، حيث قدم الجار وال مجرور " على حرد" على متعلقه " قادرين" ؛ لإفاده الحصر، أي غدوا لا قدرة لهم إلا على الحنق والغضب على المساكين لأنّهم يقتحمون جنتهم عليهم كل يوم، فتحيّلوا عليهم بالتكبر إلى جذادها، أي لم يقدروا إلا على الغضب والحنق، ولم يقدروا على ما أرادوه من اجتناء ثمر الجنة، كما أن في تقديم الجار وال مجرور رعاية للفوائل^(٢).

ومن شواهد تقديم الجار وال مجرور قوله تعالى: «فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُّتَّلُونَ» القلم: ٤٦ ، حيث قدم الجار وال مجرور، " من مغرم" على متعلقها " متلون"

(١) انظر: التحرير والتتوير، ج ٢٩ / ٩٠.

(٢) انظر: روح المعاني، للألوسي، ج ٩ / ص ٣١.

الجنس، وفيه توجيه بالعهد الذهني أي عذابكم الموعد، مثل عذاب أولئك والمماثلة في إتلاف الأرزاق والإصابة بقطع الثمرات^(٥).

ومن التعريف في السورة تعريف جنات في قوله تعالى: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ» القلم: ٣٤، فإضافة جنات إلى النعيم تفيد أنها عُرفت به، فيشار بذلك إلى ملازمته النعيم لها؛ لأن أصل الإضافة بقدر لام الاستحقاق، فـ "جنات النعيم" مفید استحقاقها النعيم؛ لأنه ليس في أحوالها إلا حال نعيم أهلها، فلا يكون فيها ما يكون في جنات الدنيا من المتاعب، مثل الحر في بعض الأوقات أو شدة البرد أو ما يؤذى مثل الحشرات والأشواك ونحو ذلك^(٦).

وتعريف شركاء في قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلَيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» القلم: ٤١، بإضافة هذه الكلمة إلى ضميرهم في قوله "شركائهم" لإبطال صفة الشركة في الإلهية عنهم، أي ليسوا شركاء في الإلهية إلا عند هؤلاء، لأن الإلهية الحق لا تكون نسبية بالنسبة إلى فريق أو قبيلة^(٧)، كما أن هذه الإضافة تفيد تحير هؤلاء الشركاء وتنددواً بمن أشركهم مع الله^(٨).

ومن شواهد الحذف قوله تعالى: «أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ» القلم: ٤٧، ويكون التقدير "أَمْ عندهم علم الغيب"، حيث أدى هذا الحذف بلاغته في الإيجاز والاختصار الذي هو مطلب العربي^(٩).

ومن شواهد ذكر ما حقه الإضمار في آيات السورة قوله تعالى: «وَقَدْ كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» القلم: ٤٣، حيث ورد ذكر السجود في الآية السابقة، ورغم ذلك ذكر مرة أخرى، والغرض البلاغي من ذكره هو زيادة التقرير^(١٠).

٤ - التعريف والتنكير:

وهما من الأساليب البلاغية التي تقتضيها أحوال المخاطبين، ويقصدها المتكلم، ولهم أساليب بلاغية متعددة^(١١).

ومن شواهد التعريف في السورة في قوله تعالى: «نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ» القلم: ١، حيث عُرفت كلمة "القلم" بأجل الجنسية؛ لبيان أن المقصود هو جنس القلم الشامل لكل الأقلام التي تكتب بها العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم^(١٢).

ومن الشواهد قوله تعالى: «كَذَلِكَ الْعَذَابُ» القلم: ٣٣ ، فالتعريف في كلمة "العذاب" تعريف

(٥) التحرير والتقوير، ج ٢٩ / ص ٨٩.

(٦) انظر: التحرير والتقوير، ج ٢٩ / ص ٩١ - البحر المحيط، ص ٣١٣.

روح المعاني: ٩ ص ٣٣.

(٧) التحرير والتقوير، ج ٢٩ / ص ٩٦.

(٨) انظر: نظرت حديثه في التفسير، وهبة الزحيلي، ص ١٠٩.

(٩) انظر: أيسر التفاسير، للجزيري، ص ٤١٨.

(١٠) انظر: روح المعاني:، ج ٩ / ص ٣٦.

(١١) انظر: البلاغة فنونها وأفاناتها، ص ٢٩٧.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير ، ج ٤ / ص ٤٢٩.

وجاءت ساق منكرة في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكَسِّفُ عَنْ سَاقٍ﴾** القلم: ٤٢ حيث أفاد هذا التكير تهويل الأمر وتعظيمه وإبداء صعوبة الخطب وعظمه كما أفاد تكيرها الإبهام للمبالغة في الدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة ومنكر خارج عن المعتاد، ويكون المقصود بذلك اليوم هو يوم القيمة الذي تذهب فيه كل مرضعة عمما أرضعت لشدة هوله وعظم خطبه.

٥- القصر:

ومما يتعلق بأحوال الجملة في العربية أسلوب القصر، يعني القصر في اللغة الحبس، قال تعالى: **﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** الرحمن: ٧٢ ، أما في الاصطلاح: فهو تخصيص شيء بشيء بطريقة مخصوص^(٣).

ومن شواهد أسلوب القصر في الآيات سورة القلم قوله تعالى: **﴿وَمَا هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾** القلم: ٥٢، حيث وقع القصر بـ " ما وإلا " بين المبتدأ " هو " والخبر " ذكر " ، فقصر القرآن على الذكر، وهو قصر إضافي وقصر قلب؛ لأنه يلقى على المشركين المنكريين الجاهلين، فيوضح لهم سبحانه وتعالى أن القرآن ليس إلا ذكراً وتذكيراً وبياناً للهدي وشرفاً وفضلاً لذويه، فهو ذكر للناس جميعهم، وليس بكلام مجانين كما زعمتم، وفي هذا إبطال لأقوالهم تلك التي قالوها في سياق تكذيبهم بالقرآن، فإثبات أن

وعرفهم بوصفهم في قوله **﴿فَلَا تَطْعِ المُكَذِّبِينَ﴾** واختبر تعريفهم بوصف المكذبين دون غيره من طرق التعريف لأنه منزلة الموصول في الإيماء إلى وجه بناء الحكم وهو حكم النهي عن طاعتهم لأنهم كذبوا رسالته. مرجع عاشر

التكير: ومن شواهد التكير في السورة تكير كلمة " أجر " ، وذلك في قوله تعالى: **﴿إِنَّ لَكَ لِأَجْرًا غَيْرَ مَمْثُونٍ﴾** القلم: ٣ ، حيث أفاد تكير الأجر تعظيمه، فهو ثواب عظيم لا يقدر قدره، ولا تحد حدوده^(١) ، لرسول الله ﷺ جزء صبره وتحمله لأذى قومه.

وقد نكر المسند إليه " طائف " في قوله تعالى: **﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّنْ رَّبِّكَ﴾** القلم: ١٩ ، وذلك لإفادة إيهامه تعظيماً وتهويلاً لما أصاب الجنة^(٢) . ومعنى الصريم: هلاك الثمر وقيل الصريم الليل لأنها احترقت واسودت.

كما نكر المسند إليه المبتدأ شركاء في قوله تعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾** القلم: ٤١ ، حيث جاء تكير كلمة شركاء في حيز الاستفهام المستعمل في الإنكار، ليفيد ذلك انتفاء الفائدة عن أحد من هؤلاء الشركاء - وهم الأصنام - أو نفعاً لهم.

(١) انظر: تفسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج ٧ / ص ٤٣ - محاضرات في تفسير القرآن، لنور الدين عتر، ص ١٤٧.

(٢) انظر: محاضرات في تفسير القرآن، ص ١٥٨.

(٣) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلاو، حسن البصیر، ص ١٦٩.

تعريف الفصل والوصل: الوصل لغة: مصدر من وصل الشيء بالشيء وصلاً، أي ضمه إليه.
والفصل لغة: الحاجز بين الشيئين يمنع اتصالهما^(٣). **والوصل في اصطلاح البلاغيين:** عطف جملة على أخرى. **والفصل ترك هذا العطف**^(٤).

من شواهد الفصل في آيات السورة قوله تعالى:
سَأَلْهُمْ أَيْهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ»^(٥) القلم: ٤٠ حيث جاءت الآية استئناف بياني "شبه كمال الاتصال" عن جملة «أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَمَّةِ»^(٦) القلم: ٣٩ لأن الأيمان وهي العهود تقتضي الكفاء عادة، فلما ذكر إنكار أن يكون لهم عهود كُل ذلك بأن يطلب منهم أن يعينوا من هم الزعماء بتلك الأيمان^(٧)، فأين منهم هذا الزعيم الذي يتولى القول بأن لهم كتاباً، أو أن لهم مع الله عهداً، فلما كان الكلام متصلةً معناه متربطاً لم يكن هناك حاجة للوصل.

ونجد في قوله تعالى : «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمٍ»^(٨) القلم: ٣٤ استئنافاً بيانيًا "شبه كمال الاتصال"، لأن من شأن ما ذكر من عذاب الآخرة للمجرمين أن ينشأ عنه سؤال في نفس السامع يقول: فما جزاء المتقين؟، وقد أشعر بتوقع هذا السؤال قوله بعده «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ»

(٣) لسان العرب، لأبن منظور، ج ١١ ، مادة: فـ صـ لـ ، وـ صـ لـ.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز: ٢٣١ ، البلاغة فنونها وأفاناتها: ج ٢ / ص ١٦٦

(٥) التحرير والتوكير، لأبن عاشور، ج ٢٩ / ص ٩٥.

القرآن ذكر يبطل أن يكون مبلغه مجنوناً، فما مبلغه إلا مذكر كما أن القرآن ما هو إلا ذكر.

ومن القصر في آيات السورة قوله تعالى: «بَلْ هُنَّ مَحْرُومُونَ»^(٩) القلم: ٢٧، حيث ورد فيها قصر إضافي ، فقصر الحerman وهو الصفة على الضمير "نحن" وهو الموصوف، الواقع يشهد بأن لهم صفات أخرى غير الحerman، مثل أنهم رجال، وأنهم تائبون، وأنهم كانوا ظالمين، وفي هذا القصر تركيز على عظم مصيبيتهم، وهي الحerman من ثمار جنتهم جميعاً.

ثانياً: الجمل

١- الفصل والوصل

يقول عبد لقاهر الجرجاني: " اعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقوله فيه: إنه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"^(١).

وتعد قضية الوصل والفصل إحدى أبرز القضايا البلاغية التي شغل بها علماء المعاني بحثاً ودراسة، وتطرق إليها البحث البلاغي منذ القدم، وذلك لأن عليها المعول في الحكم على صحة المعنى وفساده^(٢).

(١) دلائل الإعجاز ، ص ٢٣١.

(٢) مقالة "الفصل والوصل في القرآن الكريم" ، مجلة القافلة، العدد ٣٠ ، ربیع الأول، ١٤١٣ھ ، ص ٨.

بِالْمُهَتَّدِينَ» القلم: ٧، حيث عطف جملة " وهو أعلم الثانية على " هو أعلم الأولى؛ وذلك لأنهما اتفقا في الإعراب ، فكلاهما في محل رفع^(٤) .

الجملة الحالية في السورة واقترانها بالواو

يتصل بالفصل والوصل اقتران الجملة الحالية بالواو وعدم اقترانها بها، وقد تجيء الحال تارة مع الواو وأخرى بغير الواو، ومن شواهد اقتران الحال بالواو في آيات السورة قوله تعالى: «فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ» القلم: ١٩ وقوله «خَاسِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُذْعَنُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» القلم: ٤٣ . «إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ» القلم: ٤٨ .

حيث جاءت جملة الحال " وهم نائمون، وهم سالمون" مقترنة بواو الحال، وذلك لأن المبدأ ضمير لصاحب الحال، فوجب اقتران الجملة الحالية بالواو.

وقد جاءت جملة الحال في السورة دون أن تقترن بالواو في قوله تعالى «فَأَقْبَلَ بَغْضُهُمْ عَلَى بَغْضِيَّتِ الْمُؤْمِنُونَ» القلم: ٣٠ ، وسبب عدم اقتران الجملة الحالية بالواو أن الجملة الحالية جاءت مضارعاً غير منفي.

القلم: ٣٥^(١) ، فجاء الكلام مباشراً سريعاً ليتلقاء ذهن ذلك المتسائل ، ويعي الحقائق.

وفي قوله تعالى «وَأَمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ» القلم: ٤٥ ، حيث جاءت جملة " إن كيدني متين" مؤكدة لجملة " وأملي لهم" ، لذلك جاء الفصل بين الجملتين فقوله تعالى: «إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ» ، أي أن تدبري محكم، فإذا أمليت الظلم فإنما أ ملي له لأضعاف له العذاب.

وفي قوله تعالى: «فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنُسْتَرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» القلم: ٤٤ ، جاءت جملة " سنسترجهم من حيث لا يعلمون" مستأنفة لبيان كيفية تعذيب الله لهم^(٢) ، وأن ذلك يتم بأن الله سيدفع بهم إلى جهنم خطوة خطوة، دون أن يشعروا أنهم سائرون إلى هذا البلاء العظيم.

ومن شواهد الفصل في آيات السورة قوله تعالى : «عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ» القلم: ٣٢ ، حيث جاءت جملة " إننا إلى ربنا راغبون" بدلاً من جملة الرجاء، أي هو رجاء مشتمل على رغبة إليه بالقول والاستجابة، والتأكيد فيها للاهتمام بهذا التوجه^(٣) .

ومن شواهد الوصل في السورة قوله تعالى: «إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

(١) التحرير والتتوير، ج ٢٩ / ص ٩٠ ..

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ج ٤ / ص ٢٧٦ .

(٣) التحرير والتتوير، ج ٢٩ / ص ٨٨ .

(٤) تفسير القرآن الكريم، للدرة، ج ٢٩ / ص ٦٥ .

ومن شواهد حذف المضاف قوله تعالى:
﴿بِأَيْمَكُ الْمَفْتُون﴾ القلم: ٦، حيث حذف المضاف،
 وأقام المضاف إليه مكانه، وتقديره بأيكم فتة
 المفتون .^(٢)

ومن شواهد حذف المفعول قوله تعالى **﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَغْلُمُونَ﴾**
 القلم: ٣٣. فحمله "يعملون" فعل وفاعل، وأما
 المفعول فمحذوف للتميم ومراعاة للفواصل.

٢- إيجاز القصر:

وهو تضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف، ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** القلم: ٤ ، فاجتمع في هذه الآية جميع محسن الأخلاق - من صدق ووفار وكرم وشجاعة وأمانة ودين وغيرها من الصفات التي يتصرف بها الرسول والتي لا يحصيها كتاب لو عدت، ولكن الله أقدر القادرين، حيث جمع ذلك في كلمات قصيرة أدت إلى المعنى المراد تماماً.

وفي قوله تعالى : **﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رِبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾** القلم: ٣٤ ، نجد أن لفظة النعيم جاءت موحية بصفات الجنة، وما فيها من نعيم دائم مستمر لا يشوبه نقص ولا كدر بجميع أشكاله، وأنه نعيم يختلف عن نعيم الدنيا من جميع جوانبه، وهذا النعيم

٢- الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجاز لغة التقصير، تقول: أوجزت الكلام ، أي قصرته، وكلام موجز من أوجز.

والإيجاز اصطلاحاً: أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به.

أما الإطناب لغة: مصدر أطرب في كلامه إطناباً، إذا بالغ فيه وطول.

واصطلاحاً: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، يقول صاحب الصناعتين:

أقسام الإيجاز: -إيجاز حذف:

وهو أن تحدف جزءاً من الكلام الذي نعبر به عن المعنى المراد، وقد يكون هذا الجزء كلمة أو جملة، وهذا المحذوف لا بد أن يستغني الكلام عنه، أي يفهم بدونه، كما أن هذا الحذف لا بد له من قرينة تدل عليه .^(١)

ومن شواهد إيجاز حذف المسند إليه قوله تعالى: **﴿فَأَصَبَّتْ كَالصَّرِيمِ﴾** القلم: ٢٠ ، والتقدير أصبحت الجنة كالصريم، وقد أغنى السياق عن إيرادها ؛ لأنه دالاً عليها، فقد سبق ذكرها والذهن على علم بها.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ص ٢٥٨.

(١) البلاغة فنونها وأفاناتها، فضل عباس، ص ٤٥٩.

- الاعتراض: وهو أن يؤتى بجملة في كلام مفصل بعضه ببعض كما في قوله تعالى : **«خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ»** القلم: ٤، فجملة " وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون" معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنها، أي كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود لله وحده وهم سالمون، مثل الحالة التي هم عليها في يوم الحشر^(٣).

- وضع الظاهر مكان المضمر: وقد جاء ذلك في قوله تعالى: **«وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ»** القلم: ٤، ٣، حيث ذكر السجود وجعل ظاهراً رغم أن حقه الإضمار؛ لأنه معروف من خلال السياق، وسبق ذكره في الآية التي سبقت **«يَوْمَ يُكَسِّفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيغُونَ»** القلم: ٤، ٢، ولكن السياق اقتضى الإطناب بذكر المضمر لإفاده زيادة التقرير^(٤)

الخاتمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلوة والسلام على النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، وبعد.

فلقد قدر لي العزيز الكريم أن أقوم بدراسة هذه السورة دراسة بلاغية تحليلية بذلك فيها القدر المستطاع من الجهد في سبيل استكمال جوانب البحث المطلوب،

لو أطنبنا في عده لاستغرقنا وقتاً طويلاً ، ولكن النظم القرآني يغنيك عن هذا كله بقول فصل موجز.

ومن شواهد الإطناب في آيات السورة:

- الإيضاح بعد الإبهام: في قوله تعالى: **«فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدِرُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ»** القلم: ٤

فجاءت جملة " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" موضحة مفصلة لبيان مضمون " ذرني ومن يكذب بهذا الحديث" باعتبار أن الاستدراج والإملاء يعقبهما الانتقام، وبعد أن توعد بالانتقام أوضح نوع هذا الانتقام، وهو الاستدراج لهؤلاء من حيث لا يشعرون ولا يعلمون أن هذا الاستدراج سيفضي إليهم للهلاك^(١).

- التذليل:

وهو تعقب الجملة بجملة أخرى متقدة معها في المعنى تأكيداً للجملة الأولى، كما في قوله تعالى: **«إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ»** القلم: ٧ ، فقد جاءت الجملة " وهو أعلم بالمهتدin" تأكيداً لمفهوم الجملة الأولى، أي مؤكدة لمعناها، فمعرفته تعالى بمن ضل عن سبيله تقتضي معرفة المهتدin، ولكن السياق جاء مطيناً للتأكيد^(٢).

(٣) التحرير والتنوير، ص ٩٩.

(٤) روح المعاني: ٩، ص ٣٤.

(١) التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٩٩.

(٢) التحرير والتنوير، ج ٢٩/ص ٦٨.

٢. **أسرار ترتيب القرآن.** جلال الدين السيوطي، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
٣. **أيسر التفاسير.** لأبي بكر الجزائري، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
٤. **الإيضاح في علوم البلاغة.** الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العربي اللبناني، الطبعة السادسة.
٥. **البحر المحيط.** محمد بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، مكتبة ومطابعة النصر الحديثة.
٦. **البلاغة تطور وتاريخ.** شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثامنة.
٧. **البلاغة العربية أنسها وعلومها وفنونها.** عبدالرحمن حبنكة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.
٨. **البلاغة فنونها وأفاناتها.** فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الثالثة.
٩. **بلاغة القرآن.** أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
١٠. **البلاغة والتطبيق.** أحمد مطلاوب، حسن البصير، وزارة التعليم العالي، الطبعة الأولى.
١١. **البيان العربي.** بدوي طبانة، دار المنارة، دار الرفاعي، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٢. **التحريير والتنوير.** محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

وبعد دراسة سورة القلم دراسة بلاغية خرجت على ضوء هذه الدراسة ببعض

النتائج

أولاً: الدراسة البلاغية في القرآن الكريم تحتاج إلى وقت طويل للاطلاع على الجوانب المتعددة والمختلفة في مثل هذا البحث.

ثانياً: وجود رابط كبير في مثل هذه الدراسة البلاغية بين كتب التفسير وكتب البلاغة، معرفة علم النحو فالباحث يحتاج للعودة إلى التفسير والموقع النحوي لمعرفة معنى الآيات وأسباب النزول، حتى يستطيع أن يتعرف على النواحي البلاغية في النظم.

ثالثاً: أن السورة القرآنية مهما قل عدد الآيات فيها حافلة بالفن البلاغي الذي يوضح ويبين ويظهر جمال الآيات وحلوها.

خامساً: السورة الواحدة في القرآن الكريم يمكن للباحثين تناولها في دراسات مستقلة في جوانب الأعجاز القرآني المتعدد، دون أن تنقص دراسته من قيمة وأهمية الدراسات الأخرى.

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن.** جلال الدين السيوطي، علق عليه محمد شريف سكر، راجعه مصطفى قصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثالثة.

٢٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. محمد حبي الدين عبدالمجيد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية.
٢٥. شرح المفصل. موفق الدين يعيش بن علي النحوي، مكتبة المتibi، القاهرة.
٢٦. صفوۃ التفاسیر. محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالی، دمشق.
٢٧. علم المعاني. بسيوني عبدالفتاح، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.
٢٨. علم المعاني. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
٢٩. فتح القدیر الجامع بين فنی الروایة والدرایة في علم التفسیر. محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر.
٣٠. في ظلال القرآن. سید قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة والعشرون.
٣١. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل. لأبی القاسم محمد بن أحمد الغرناطي، تحقيق: محمد التونسي - إبراهيم عوض، دار الكتب الحديثة.
٣٢. كتاب الصناعتين. لأبی هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.
٣٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. محمود بن عمر الرمخشري، دار الكتاب العربي.
٣٤. لسان العرب، لأبی الفضل ابن منظور. دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
١٣. تفسیر جزء تبارك. أحمد مظهر العظمة، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٤. تفسیر جزء تبارك. محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالی، دمشق، سوريا.
١٥. تفسیر القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير. الخطيب الشربینی، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
١٦. تفسیر القرآن العظیم. إسماعیل ابن کثیر القرشی الدمشقی، دار ابن کثیر، دمشق، بيروت.
١٧. تفسیر القرآن الكريم وإعرابه وبيانه. محمد علي طه الدرة، دار الحکمة، الطبعة الأولى.
١٨. تفسیر القرآن للقرآنی. عبدالکریم الخطیب، دار الفکر العربي.
١٩. تفسیر الکریم الرحمن في تفسیر کلام المنان. عبدالرحمن بن ناصر السعدي، حققه: محمد زهري النجار، مطبعة المؤسسة السعودية بالرياض.
٢٠. التفسیر المنیر. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت.
٢١. جواهر البيان في تناسب سور القرآن. عبدالله محمد الصديق العماري، مكتبة القاهرة.
٢٢. دلائل الإعجاز. عبدالقاهر الجرجاني، علق عليه محمود شاکر، مطبعة المدنی بالقاهرة، دار المدنی بجدة، الطبعة الثالثة.
٢٣. روح المعاني في تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی. الألوysi البغدادی، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١. **منار الهدى في بيان الوقف والابداء.** أحمد عبدالكريم الأشموني، شركة ومكتبة مصطفى البابي وأولاده، الطبعة الثانية.
٤٢. **النحو الوافي.** عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.
٤٣. **نظرات حديثة في التفسير.** محمد عبدالرحمن الجديلي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.
٤٤. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.** برهان الدين أبي الحسن البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
٤٥. **النظم القرآني في سورة الرعد.** محمد بن سعد الدبل، عالم الكتب.
٣٥. **محاضرات في تفسير القرآن الكريم.** نور الدين عتر، دمشق، كلية الشريعة.
٣٦. **مفتاح العلوم.** لأبي يعقوب السكاكى، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية.
٣٧. **المفردات في غريب القرآن.** لأبي القاسم الأصفهانى. تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة.
٣٨. **المعاني في ضوء أساليب القرآن.** عبدالفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى.
٣٩. **مفهي الليبب.** لابن هشام الأنباري، تحقيق: محمد محى الدين عبدالحميد، المكتبة العربية، بيروت.
٤٠. **مقاييس اللغة.** لأبي الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

Pointing out some issues related to Surat Algalam (English Abstract)

Sarah Nijer Alotaibi

Shaqra University

Then, the wording of the Surah was overviewed: starting from the letters, putting all possible examples from it to the words and some of their types. Reasons behind selecting certain words or verbs and excluding others were mentioned.

Afterwards, the research was developed to include sentences, their types and the internal relations among them, such as switching, deletion, statements and definition.

Sentence structure was surveyed including connection and separation as well as summarization, redundancy and equality.

In this research, it was attempted to identify all sides of semantics in the Surah. Only some examples were mentioned, rather than pointing out all rhetoric evidences.

أثر الバاعث الديني في نشأة البلاغة العربية قراءة في حقبة التكوين إلى التأليف المستقل

وائل العمري

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبد العزيز

جدة - المملكة العربية السعودية

مستخلاص. نمت جذور الدرس البلاغي في أرض دينية خصبة، ميزت بلالغتها عن بلاغات بقية الأمم في ارتباط حراكها بالنص القرآني، لكن الرافد الديني لم يكن ذا موضوع واحد، وغاية واحدة، بل أثمر سياقات متعددة صقلت مباحث الدرس البلاغي لاحقاً، فكان هذا التنويع أداة إخضاب للبلاغة العربية.

حاول البحث أن يقف على ملابسات الجذور، لاستخلاص مساقات الأثر الديني في نشأة البلاغة العربية، وقد تجاوز البحث الحكايا والأخبار الشفوية ليتدنى بالمدونات المكتوبة؛ بحثاً عن دوافع التأليف وغاياته، والمعلم التي أسهمت من خلالها في رفد الدرس البلاغي، وينطلق من إرهادات التكوين ليقف عند بداية التأليف المستقل للبلاغة العربية التي انتقل بها إلى طور يقترب من المنهجية. وقد أسفرت النتائج عن كشف ثلاثة مساقات نبعت من الأثر الديني ذات علاقة باللغة وهي: التحليل والتأويل والتعليق، وهي أدوات طوّعت في التحليل لفهم النص القرآني بغية نقله من اللغة إلى الفعل، بينما أثار التأويل مسألة المواجهة بين اللغة والمعتقد، وينصرف التعليل إلى العناية بقضية الإعجاز وتبيين معالمها.

إن إعادة قراءة تاريخ العلوم مجال خلق بالبحث، وإعادة طرح السؤال، وتفكيك علاقاته، لفهم سيرورة العلوم، وأثر روافدها على مفاهيمها، وهذا ما يمكن أن يفحصه الباحثون في بقية الروافد التي أدكّت الدرس البلاغي.
الكلمات المفتاحية: نشأة البلاغة، تاريخ البلاغة، البلاغة العربية.

الأصول. وعلم البلاغة العربية واحدٌ من هذه العلوم

التي نشأت نشأةً عربيةً، وانفصلت مسائلها بعد أن مرّت بمرحلة التكوين التي شهدت انبثاق أصول هذه

مقدمة

لتاريخ العلوم أثرٌ مهمٌ في معرفة كيفية تشکل مسائل العلم وأصوله، وتعُرف هذه الأصول بتتبع سياقات النشأة، وملابسات تلك السياقات التي أنتجت

يهدف البحث إلى قراءة هذه المرحلة في ضوء الباущ الدينى الذى حفز حراك التأليف، والغايات التي أريد تحقيقها؛ لظهور الملامح الوظيفية للمنجز البلاغي في تلك الحقبة. والاعتماد على المنجز وعلى الربط بين البواعث والغايات يجعل البحث يحاول أن يسلك منحى مختلفاً عن بقية الأبحاث التي أرّخت للبلاغة العربية، على الرغم من اتفاقها في المادة المدرّسة. لذا يمكن تحديد أهداف البحث بما يأتي:

١- تحديد أثر الباущ الدينى في نشأة البلاغة العربية حتى التأليف المستقل فيها.

٢- تحديد الغايات والوظائف التي أدتها الأصول البلاغية في تلك المؤلفات، مع مراعاة سياقاتها الحضارية التي نمث فيها.

٣- معرفة مصادر الأصول البلاغية التي ساهمت في صياغة التفكير البلاغي، والتّدقيق في موثوقية نسبة الأصول إلى مصادرها.

كما تطرح الدراسة سؤالاً مركزياً: ما أثر الباущ الدينى في الاهتمام بالمسائل البلاغية في مرحلة نشأة البلاغة العربية إلى مرحلة استقلال التأليف في البلاغة؟ وما الغايات التي سعى لتحقيقها؟

وبناء على ما سبق قسم البحث إلى ثلاثة محاور تسعى إلى الإجابة عن الأسئلة السابقة، فجاء المحور الأول في الاتجاه التحليلي بحثاً عن كيفية استعمال البلاغة أداة كاشفة عن المعنى في التّدقيق والتّكليف، والمحور الثاني في الاتجاه التأويلي بإثارة

المسائل من حقوقٍ مختلفةٍ، وقد دفع إلى البحث في الأصول بواعث متعددةٍ، لتحقيق غاياتٍ مختلفةٍ. من هنا يحاول البحث أنْ يقف على أثر الباущ الدينى على نشأة البلاغة العربية من مرحلة التكوين، إلى مرحلة التأليف البلاغي المستقل الذي يمتد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وهي مرحلة انطلقت مع تأليف عبد الله بن المعتز لكتاب البديع.

يركز البحث على المنجز البلاغي المدون، أكثر من تركيزه على المراحل الشفاهية، ذلك أنَّ كثيراً من الأخبار التي تتصل بتلك المرحلة يشوبها الغموض؛ إما لعدم وجود الأدلة الكافية لثبوت هذه الأخبار؛ لوجود الانقطاعات الكبيرة في سنداتها، أو لتعارضها مضموناً ومتناً مع أصول التفكير؛ ما يجعل الباحث يتوقف في قبول هذه الأخبار مصدراً ثبني عليه أصول العلم، ولم يغفل البحث هذا الجانب كلياً، إنما حاول أن يتلافى القطع بربط الأصول بتلك الأخبار، والاعتماد على المنجز المدون. والهدف من الاقتصار على التدوين بناء تصور بلاغي له سماته التي اكتسبها من ثقافة الكتابة، من جهة، والاعتماد على منجز محس موثوق، وهو على كل حال توسيع نشأة البلاغة في طورها الكتابي (١).

(١) تناولت الباحثة نور الهدى باديس في أطروحة الدكتوراه التحولات في التفكير البلاغي بين طورين، طور الثقافة الشفاهية، وطور التدوين، وأثر ذلك على المعايير الجمالية. ينظر للاستزاد: بلاغة المنطوق وبلاجة المكتوب، دراسة في تحول الخطاب البلاغي من القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري، نور الهدى باديس.

العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) لبدي طباعة، و(دراسات حول نشأة البحث البلاغي وتطوره) لفريد النكلاوي، وأصول وتاريخ البلاغة العربية) لبنيه إبراهيم، و(تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها) لعبد العزيز عرفة، و(النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع، المصادر والقضايا) لعلي عشري زايد، وبحث بعنوان: (نشأة البحث البلاغي) لعبد الحميد الجندي.

وهذه الدراسات تقطاع مع السؤال العام جزئياً، حول نشأة البلاغة، وأبرز الجوانب التي رفت الدرس البلاغي، غير أن الاختلاف في هذه الدراسة في تركيزها على الإجابة عن الدوافع والغايات في الإطار الزمني المحدد.

٢- الدراسات الموضوعية الجزئية التي تتعلق بتبع أثر باعث أو جانب من هذه الجوانب، ومن أبرزها: (قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية) لعبد العزيز عرفة، وأثر النهاة في البحث البلاغي) لعبد القادر حسين، و(تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية) لمهدى السامرائي، و(تراث النصي والبلاغي للمعزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري) لوليد قصاب، و(إعجاز القرآن بين المعزلة والأشاعرة) لمنير سلطان. وتقطاع هذه الدراسات مع البااعث الديني جزئياً، وقد أفاد منها البحث في جزئياته، غير أن الدراسة تسعى إلى إلقاء نظرة كلية على البااعث في سياق النشأة، وهو مالا ترومته تلك الدراسات الجزئية.

سؤال المواجهة بين اللغة والمعتقد، بينما اتجه المحور الثالث إلى مساهمة البلاغة في تبيان معالم الإعجاز القرآني.

منهج البحث

يتبع البحث منهجاً نوعياً استكشافياً، يقوم على استقراء القضية في المنجزات والمدونات ذات العلاقة في الحقبة المستهدفة، محاولاً الربط بين السياق التاريخي والحضاري لهذه القضية وما أضافته لتكوين العلوم، واستدعي ذلك النظر في مقدمات الكتب، لمعرفة أسباب التأليف، والنظر في علاقة الإضافة البلاغية بمحال العلم الذي أفرزها، كما تطلب ذلك الرجوع إلى كتب الطبقات والتاريخ لمعرفة ملابسات تلك الحقبة وأبرز القضايا التي قد تمثل التوجّه نحو التأليف.

ولأن البحث يسعى إلى فحص البواعث والغايات، فلم يكن من أهدافه تتبع الأصول في تلك المؤلفات وتقسيمها، وإنما الإشارة إلى حضورها، كما لم يعن بالترتيب التاريخي لأن البواعث والغايات لم تنشأ على فكرة التعاقب المرحلتي.

الدراسات السابقة

الدراسات المنجزة في التاريخ لنشأة البلاغة كثيرة جداً، ويمكن الإلمام لبعض الأعمال المهمة مثل:

- الدراسات التاريخية التي عنيت بالرصد التاريخي لنشأة البلاغة، ومن هذه الدراسات: (البلاغة تطور وتاريخ) لشوفي ضيف، و(البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها) لعلي عشري زايد، و(البيان

فيعد بعض الدارسين كتاب البديع لعبد الله بن المعتز أول كتاب في البلاغة العربية^(١)، ويميل آخرون إلى أن كتاب الجاحظ البيان والتبيين له الأولية^(٢)، وأيا كان فإن التأليف المستقل في البلاغة لم يظهر إلا في النصف الأول من القرن الثالث الهجري^(٣). والحديث عن أولية التأليف منفك عن أولية العلم، لأن التأليف لا يظهر إلا بعد أن تستقر مسائل العلم، وتظهر ملامحه وقضياته، وأولية العلم لا تُعزى لعالم بعينه يكون الماهم أو كما يسميه كلارك "السلف المبشر"^(٤).

إذن فقد استقرت مسائل البلاغة في عهد التدوين، وهو ما جعل النظر إلى نشأة البلاغة أكثر استقراراً ومنهجية من العلوم التي نشأت أصولها الأولى في عصر الشفاهية^(٥)، وعلى الرغم من ذلك لم تسلم نشأة البلاغة من خلال تتبع أصولها ومظاهرها في العصر الشفاهي من ورود بعض الأسس التي بُنيت على الخبر والحكاية؛ إذ يعود ذلك إلى تعلق البلاغة بروافد أخرى كالشعر والنحو، ففي تاريخ البلاغة أخبار عديدة تعيد أصول البلاغة الأولى إلى

(١) ينظر: الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، ص ٦٨.

(٢) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص ٥٧.

(٣) توفي الجاحظ ٢٥٥ هـ وقد عاش نيفاً وستين سنة، أما ابن المعتز فولد سنة ٢٤٦ هـ أو ٢٤٧ هـ، وتوفي سنة ٢٩٦ هـ، ينظر: وفيات الأعيان، أحمد بن خلكان، (٢٧٣ و ٤٧٤) وقد أشار محقق البيان والتبيين عبد السلام هارون أن كتاب الجاحظ ظهر بعد عام ٢٢٣ هـ. ينظر: (مقدمة المحقق) (١٦/١).

(٤) ينظر: دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، جورج كانغيلام، ترجمة: محمد بن ساسي، ص ٥٣.

(٥) ينظر: قضية نشأة النحو العربي في آثار الدارسين، عرض ونقد، محمد ربيع الغامدي، (الهامش)، ص ٢٧٢٥.

٣- القراءات الحديثة للبلاغة العربية، وهي الدراسات التي قدمت قراءات لتاريخ البلاغة من خلال رؤية نقدية حديثة، ومن أبرزها: (التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس) لحمادي صمود، و(البلاغة العربية أصولها ومتداوتها) لمحمد العمري، وبحث بعنوان: (البلاغة العربية إعادة النظر في النشأة والتطور) لمنذر عيashi في مجلة علامات ٢٠١٤ م. العدد ٧٨. وقد بَنَى صمود دراسته على منهج البنوية التكوينية، راصداً التراث في بنائه المتعلقة بالسياق، غير أن دراسته تتبع حركة التفكير البلاغي إلى القرن السادس، مع اختلاف في الهدف الذي أراد من خلال تتبع حركة الفكر البلاغي عامة. أما دراسة العمري فتحتو نحو منهج جمالية التقلي في بعده التاريخي. أخيراً تقدم دراسة منذر عيashi تصوراً مغايراً لتاريخ البلاغة من خلال طرح أسئلة حضارية حول علاقة البلاغة بالحضارات وإمكان تقللها، وتلقى البلاغة في التراث الإسلامي، ثم النظر إلى روافدها من خلال ما سماه بلاغة الحاضرة، والممؤلفات. وتختلف هذه الدراسة عنها في تصور الإحاجة من جهة، وفي النطاق الزمني المحدد.

مدخل

تتبع ما وصلنا من المدونات البلاغية يفضي إلى أن البلاغة العربية لم تتفصل علمًا مستقلًا إلا في مرحلة متأخرة، مقارنة بالنحو والتفسير وغيرهما من العلوم.

وظف في الجانب العقائدي^(٣)، غير أن تتواء الدوافع الدينية أثرى الإضافات التي رفت بها موضوع العلم ومسائله. وظل هذا التأثير منذ وقت مبكر على العلوم الأولى كالتفسير والفقه حتى استقلت مباحث البلاغة^(٤).

وكان لنزول القرآن الكريم أثر في نفوس العرب؛ لأنَّه مسَّ مادة تفوقهم وبراعتهم، وخاض التحدي في الجنس الذي برعوا فيه، إذ تدل القصائد الجاهلية - صحيحة النسبة - إلى أنَّ العرب كانت لهم عناية فائقة بمسالك التصوير والبيان. لذا كان بيان القرآن مادة دارت حولها العديد من المناقشات، اتجه بعضها إلى محاولة فهم ما غمض عليهم منه، أو ما أشكل تأويله، واتجهت مناقشات أخرى إلى نقله من حيز اللغة إلى الفعل من خلال استبطاط مسائل التكليف، كما اتجهت نظرات أخرى إلى محاولة إثبات أصول الدين^(٥). كل تلك المحاولات كانت تعالج مسائل اللغة وهي تحاول الإجابة عن المقصود والغاية.

(٣) العقدي هو النافي الغطري الأول للعقيدة الذي أسس معتقد المسلم كما نزل به القرآن، بينما شكل العقائد طوراً تاليًا تدخلت فيه الأنساق الفكرية، لتفرض أفكارها على حقوق المعرفة، وهي فترة الجدل العقائدي، الذي وظف فيه النص القرآني لتشريع مقولاتها. ينظر: العقائدية وتفسير النص القرآني، المناهج، الدوافع، الإشكالات، المدونات، دراسة مقارنة، ياسر المطرفي، ص٤١.

(٤) ينظر: البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها، ص١٨.

والبيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ص٤١.

(٥) ينظر: تأثير الفكر الدينى في البلاغة العربية، مهدي السامرائي، ص١٧.

ملاحظات الشعراء الجاهليين في مجالسهم وأسواقهم، كما أن بعض مسائل البلاغة وتصنيف مستوياتها يُنادي على حكاية كقصة الفيلسوف الكندي مع المبرد التي بني عليها تصنيف أضراب الخبر.

وبعد استبعاد فكرة الأولية، واستبعاد الاعتماد على الحكايا التي لا تخلو من ضعف في تصور هذه الحكايا أو لأجل التحيز المذهبى^(١)، أو أثر الصنعة السردية أحياناً، بقي الالتفات إلى صورة تكون العلم من خلال الانفصال عن العلوم، إذ تبدأ هذه المسائل في مدونات علوم أخرى ثم تميل للاستقلال^(٢)، مع الأخذ بالاعتبار أن هذه الجذور قد تسبقها مراحل أخرى يلفها الغموض قبل أن تستقر في المدونات.

من هنا أراد البحث أن يقف على جذور الدرس البلاغي، بدراسة الدوافع التي بعثت إلى العناية بأطراف هذه المسائل، والغايات التي سعت إلى تحقيقها، وال المجالات التي ساهمت تلك الجذور في بلورتها، لتسقط بعد ذلك بالتأليف.

الباعث الدينى:

كان البااعث الدينى من أكثر البواعث تأثيراً في نشأة العلوم التي دارت حول النص القرآنى، وعلى الرغم من أن هذه العلوم لم تنشأ في حقبة واحدة، ولم تكن دوافعها واحدة حتى داخل البااعث الدينى نفسه، فكان من هذه البواعث ما تعلق بالجانب العقدي، ومنها

(١) ينظر: التفكير البلاغي، حمادي صمود، ص٢٠-١٩.

(٢) ينظر: البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها، عشري زايد، ص١٧ و١٨.

النص القرآني بغية الكشف عن المعنى الذي يخفى أحياناً، فيتجهون إلى اللغة ومسائلها لكشف هذا الخفاء، وقد "كان تفسيرهم لغويًا في المرحلة الأولى، وتأويلًا لما في القرآن من أمر ونهي، وإشارة وحدود" (٢).

كان المدخل اللغوي لتفسير القرآن الكريم واضحاً خاصة في المؤلفات الأولى، ويظهر أن هذا المسار لم يكن في عهد الصحابة (٣)؛ لوجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم، فيرجعون إليه لتبيان ما أشكل عليهم؛ ولأنَّ هذا الجيل لم يحدث فيه من العجمة ما حدث بعد أن بَعْدَ العهد بذلك الجيل؛ فلم تكن الحاجة ماسة لأن يتولى أحد تقريب معاني القرآن، أو توضيح أساليبه، يستثنى من ذلك بعض المواقف التي لا تتشكل على ندرتها منهاجاً في تلك الحقبة (٤). وكتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٤٢٠ هـ) يعد من بواكير الكتب التي اتجهت للنص القرآني، ولمقاربة علاقته هذا العمل بالدرس البلاغي هناك ثلاثة مداخل: عنوان الكتاب (مجاز القرآن)، وقصة تأليف الكتاب، ومضمونه أو طريقته.

(٢) بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، (مقدمة المحقق) ص ٣٧.

(٣) هناك العديد من الحكايا والأخبار التي تنسب لابن عباس ولعمر بن الخطاب في هذا الصدد، ومن أشهرها مسائل نافع بن الأزرق مع ابن عباس، وقد انتقدت هذه الأخبار، ورُفضت دراسة حديثية في سندها ومنتها، وخلص بعض الباحثين إلى عدم ثبوتها، أو عدم ثبوت كثير منها. ينظر: مسائل نافع بن الأزرق في ميزان النقد، عبد الرزاق هرماس، ١٣-٦١، والشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، عبد الرحمن الشهري، ص ٢٥٥ وما بعدها.

(٤) ينظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، ص ٢٤٥ وما بعدها.

تأسيساً على ما سبق، كان لأثر الدوافع الدينية التي دفعت علماء القرون الأولى للتعامل مع اللغة أن ظهرت ثلاثة اتجاهات:

- الاتجاه التحليلي: يعني هذا الاتجاه بتحليل اللغة وصولاً إلى المعنى، أو وصولاً إلى تأسيس القاعدة الفقهية أو الحكم الشرعي، وغايتها الفهم، ويدخل تحت هذا الاتجاه المؤلفات التي اعتمدت بالتفسير والفقه.

- الاتجاه التأويلي: و تستعمل فيه اللغة وطبيعتها محوراً للنقاش العقدي والمذهبي، وغايتها إثبات اتساق التصور بين اللغة والمعتقد.

- الاتجاه التعليلي: يحاول هذا الاتجاه البحث عن علة الإعجاز من خلال اللغة، وغايته إثبات الإعجاز والتدليل على التميز والتفارقة بين الكلام البشري والكلام الإلهي.

أ. الاتجاه التحليلي

• التفسير

تعد البلاغة مستوى من مستويات التفسير (١)، لأنَّ البلاغة والتفسير يتراولان نصاً بغية الوصول إلى فهمه، ففي حين يقصد التفسير المستوى العام الذي يتحقق به مراد قائله، تتجاوز البلاغة هذا المستوى إلى البحث عن مناط التأثير في الأسلوب، والبحث عن مستويات المعنى الذي يتفاوت وضوها وخفاء، ومن هنا كانت مسائل التفسير تتعرض لما استقر بعد في علم البلاغة، حين أخذ المفسرون يحللون

(١) ينظر: البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها، ص ٤.

الصفات: ٦٥، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقلت: إنما كلامهم الله تعالى بما يُعرفون، وعلى كلام العرب، أما سمعت قول أمرى القيس:

أيقلاني والمشريفي مضاجعي

ومسنونة زرق كأنىاب أغوال

وهم لم يروا الغول ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أودعوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسن السائل، فعزمت مذ ذلك الوقت أن أضع كتاباً لمثل هذا وأشباهه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته كتاب المجاز، وسألت عن الرجل فقيل: هو من كتاب الوزير وجلسائه يقال له إبراهيم بن إسماعيل بن ذاود الكاتب العبراني^(٣).

وعلى الرغم من ذيوع هذه القصة في المدونات الأدبية والبلاغية إلا أن ثمة نقداً موجهاً للقصة يقلل من موثوقية علاقة القصة بسبب تأليف الكتاب، من هذه النقادات^(٤):

١ - عند البحث عن موضع الشاهد المذكور في القصة في قوله تعالى: {طَلَعْهَا كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} لم يتوقف المؤلف عند هذه الآية في كتابه المطبوع عن نسخ متعددة، ولم يذكر النكتة البلاغية المتعلقة بالآية سبب التأليف، ومحال أن تبني فكرة

أما عنوان الكتاب فيبدو ظاهرياً علاقته بالبلاغة، إذ ينص فيه على مصطلح من مصطلحات البلاغة، غير أن قراءة الكتاب وال الوقوف عند الأساليب التي استعمل فيها كلمة المجاز أو ما اشتقت منها؛ تفيد أن أبي عبيدة لم يستعمل المجاز هنا بالمعنى الاصطلاحي الذي استقر عند البلاغيين بعد، وإن كان يتقاطع معه، فهو يستعمل المجاز ليدل على المعنى والتفسير والطرق التي يسلكها القرآن في التعبير^(١)، وقد حصر أحد الباحثين هذه الاستعمالات فوجدها إجمالاً تدور في خمسة حقوق: "تدخل الضمائر وتبادلها المواقع، واختلاف أوجه الإعراب والقراءات، واستعمال اللفظ في غير موقعه المتوقع ومخالفة ظاهر القول، والزيادة والنقصان في تركيب الكلام، والنقل والإلحاق الدلالي"^(٢). وهذا يعني أن عنوان الكتاب لا يمثل العلاقة في مستوى الاصطلاح البلاغي.

أما قصة تأليف الكتاب فقد نقلتها العديد من المصادر الأدبية، وأقدم ما تيسر الوقوف عليه ما نقله الثعالبي (٥٤٢٩) عن الصولي بإسناد إلى أبي عبيدة يحكي فيه لقاءه بالفضل بن ربيع، وما سُئل عنه في مجلسه من أحد جلساء الفضل إذ استشكل مسألة في التشبيه في القرآن، فيقول: قال الله عز وجل: {طَلَعْهَا كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [سورة

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٧٧.

(٤) ينظر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب بيومي، ص ٤٤ و ٤٥.

(١) ينظر: مجاز القرآن، معمر بن المثنى، تحقيق: فؤاد سيف زكين، (مقدمة المحقق)، ص ١٩.

(٢) البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ص ٩٦.

موضع آخر على التشبيه في قوله تعالى: {وَمَنْ أَنْهَا كُفَّارُوا كَمَثَلَ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ} [سورة البقرة: ١٧١]، يقول: "إنما الذي ينعق الراعي، ووقع المعنى على المنعوق به وهي الغنم تقول: كالغنم التي لا تسمع التي ينبع بها راعيها والعرب تريد الشيء فتحوله إلى شيء من سببه، يقولون: أعرض الحوض على الناقة وإنما تعرض الناقة على الحوض، ويقولون: هذا القميص لا يقطعني، ويقولون: أدخلت القلسوة"^(٣)، ومن اللافت في هذه النصوص^(٤) غياب المصطلح البلاغي، وحضور المفهوم، وهو منسجم مع طبيعة المرحلة التي تشكل فيها ملامح الدرس البلاغي.

ومن كتب التفسير المبكرة، كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (ت ٥٢٠٧ هـ)، وقد انتهى من إملاء كتابه كما ذكر في المقدمة سنة ٤٢٠ هـ^(٥)، وقد تعرض الفراء لبعض المسائل البلاغية في تعليقه على بعض الآيات، وإن لم يسم الأسلوب، بل حلها تحليلًا يكشف عن موضع المزية البلاغية، من ذلك وقوفه عند قوله تعالى: {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [سورة

الكتاب على فائدة لم تذكر حين ورود موضعها في الكتاب.

- لم يذكر أبو عبيدة هذه القصة في مقدمة كتابه، وعادة المؤلفين أن يشيروا إلى سبب تأليف الكتاب أو أن يشيروا إلى ذلك في أي موضع منه، وقد خلا الكتاب من ذلك.

إذن بقي النظر في مضمون الكتاب لإدراك الصلة بين عمله والبلاغة العربية، وقد سبقت الإشارة إلى أن المقصود بالمجاز الوارد في عنوان الكتاب الطريقة التي سلكها التعبير القرآني، وهو بهذا معنى بالأسلوب الذي أصل له بالرجوع إلى الشعر الذي يعده من كلام العرب الذي نزل القرآن موافقاً لأساليبهم فيه إذ يقول: "فلم يتح السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرباً للأنس، فاستغفروا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب، والمعاني"^(٦). واهتمام أبي عبيدة بالأسلوب ظاهر في ورود صور متعددة من العدول ككتبيه إلى الالتفات في قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ وَجَرِيَّنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طِيفٍ} [سورة يونس: ٢٢]. قال: أي بكم، وحدد صورته بالانتقال من مخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب^(٧). ويعلق كذلك في

(٣) السابق، ٦٢/١.
(٤) الإشارات التي وردت فيها اللفتات البلاغية في كتاب مجاز القرآن متنوعة وممتدة الموارد، واستقصاء ذلك ليس موضع البحث، والمراد الإشارة إلى ورود هذه اللفتات في مرحلة مبكرة.

(٥) ينظر: معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، ١/١.

(٦) مجاز القرآن، ٨/١.

(٧) ينظر: السابق، ١١/١.

في ملاحظة الظاهرة اللغوية ومقارنتها بين الآيات كما عند الفراء. كما يلحظ في هذه المرحلة حضور المفهوم وغياب المصطلح، وهي ملاحظة تتسمج مع طبيعة مرحلة التكوين والنشأة.

• الفقه وأصوله

يعد علم أصول الفقه من العلوم التي اعتنى بالجانب اللغوي، لأنَّه يُثْغِي به الفهم ومعرفة طرق الاستدلال على الحكم الشرعي^(٤)، لذا لزم الباحث الأصولي أن يتعرض لتحليل النص الشرعي، وفحص دلالته، ومن هذا الباب قدم علماء الأصول مادة بлагوية عميقه ومميزة^(٥)، وعلى الرغم من محدودية تأثير هذه المادة في الحقبة التي يدرسها البحث، إلا أنه من اللافت ما قدمه الشافعي (ت ٤٢٠ هـ) في هذا الجانب، إذ بدت له عناية بالجانب الدلالي الذي يتقاطع مع المجاز وعلم البيان عموماً.

ذكر الشافعي في عرضه لأنواع البيان: باب ما نزل من الكتاب عام الظاهر، يراد به كله الخاص، وساق في تعليقه على قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ صَرِبْ مَثَلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيئًا لَا يَسْتَقْدِمُو مِنْهُ} صَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبُ [سورة الحج: ٧٣]

أن لفظ الناس هنا وإن كان عاماً

الأعراف: ١٤١]، تحدث الفراء عن ما استقر عند البلاغيين في مبحثي الفصل والوصل^(١)، مقارنا بين مواضع المتشابه الفظي لهذه الآية فيقول: "وقوله هاهنا: وَيُذَبِّحُونَ، وفي موضع آخر (يذبحون) بغير واو، وفي موضع آخر (يقتلون) بغير واو. فمعنى الواو أَنَّه يَمْسِهِمُ العذابُ غير التذبيح. كأنه قال: يعبدونكم بغير الذبح وبالذبح. ومعنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب. وإذا كَانَ الخبر من العذاب أو الثواب مُجْمَلًا في كلمة ثُمَّ فسرته فاجعله بغير الواو. وإذا كَانَ أَوْلَهُ غَيْرَ آخِرِهِ فِي الْوَالَوْ" (٢)، فالقراء هنا ينبع إلى أصل بлагوي بنى عليه مبحث الفصل والوصل بين الجمل، ويكشف عن قيمة العطف بالواو في المعنى، وقيمة طرحها، إذ يضفي العطف مزية المغايرة، بينما يكون المعنى في طرحها على اتصال كلام واحد مفسّر، ولعل اعتبار اشتغال الفراء بال نحو هو ما دفعه إلى هذه التحليلات البلاغية، فعلم المعاني تحديداً ثمرة الدرس النحوي، والأمثلة على تلك التعليقات متعددة في المعاني والبيان^(٣)، والمراد الإشارة إلى وجود هذه اللفتات في تفسيره. وخلاصة هذه الجهود المبكرة أنها قد تظهر في تحليلهم اللغوي عند مقارنة التعبير بصورة الكلام المثالية المفترضة كما في مجاز القرآن، أو التعمق

(١) ينظر: أثر النحوة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص ١٤٥.

(٢) معاني القرآن، ٦٨/١-٦٩.

(٣) ينظر: من جهود اللغويين والمفسرين في البحث البلاغي، عبد الله هنداوي، ص ١٣٣-١٥٨. وأثر النحوة في البحث البلاغي، ص ١٣٣-١٧١.

(٤) ينظر: المحسول، فخر الدين الرازي، تحقيق: طه العلواني، ١/٤٢.

(٥) ينظر: تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، ص ٣٨.

بـ الاتجاه التأويلي

ظهر في القرن الثالث اتجاه في الدراسات التي عنيت بالنص القرآني، يجمع بين ما كتب في هذا الاتجاه التحور حول النص القرآني أولاً، ثم الانطلاق من موقع الدفاع عن النص القرآني، إثباتاً لإعجازه، أو تعليلاً لوجه الإعجاز. والمقصود بإثبات إعجازه أي أن يتخد المؤلف موقف الدفاع عن إعجاز النص القرآني رداً على الطاعنين فيه من الملحدين، أو من غير المسلمين، بينما اتجه المسار الآخر إلى تعليل وجه الإعجاز ببلاغة نظمه. ولكل مسار من هذين المسارين سياقه التاريخي الدافع إلى العناية فيه والتأليف.

التأليف في المسار الأول إثباتي، فهو يتمحور حول إثبات قضية الإعجاز في وجه من ينفيها كلياً، ففي هذا الاتجاه لا يكون النزاع بين تقديم وجه ورد آخر، إنما يكون في ثبوت الإعجاز للقرآن الكريم أو رفضه. ويمثل هذا الاتجاه كتاب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في (تأويل مشكل القرآن)، وتتنزل هذه المسألة في الجانب العقدي، الذي دفع ابن قتيبة إلى الدفاع عن ما يعتقد فيقول " وقد اعرض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا {مَا تَشَاءُبَةَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [سورة آل عمران: ٧]." بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله. ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحال، واللحن، وفساد النّظم، والاختلاف. وأدلو في ذلك بعلم ربما أمالت

فالملخص به بعض الناس^(١)، وهو واضح الاتصال بما استقر عند البلاغيين في المجاز المرسل. وينظر الشافعي في باب آخر وهو الصنف الذي يبين سياقه معناه في قوله تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبَّتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَاتِهِمْ يَوْمَ سَبِّتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِّتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسَدُونَ} [سورة الأعراف: ١٦٣]، تعليقاً على سؤال القرية أن السياق دال على أن المقصود سؤال أهل القرية، وقد استقر عند البلاغيين المتأخرین في إيجاز الحذف^(٢). أما علماء الأصول في القرون التالية فقد أضافوا إلى مباحث الدلالة، الحديث عن المباحث البلاغية المتعلقة بعلم المعاني، خاصة ما يتعلق بالأمر والنهي.

وبهذا يكون إسهام الاتجاه التحليلي في مسارين: مسار تعلق بفهم النص القرآني، عن طريق الإشارة إلى الأسلوب، والمعنى، وهو متعلق بالتفسير وكتب معاني القرآن، ومسار متعلق بتحليل النص بغية فهم طريقة الاستدلال، وهو متعلق بالفقه وأصوله. وقد أفادت هذه الجهود المبكرة بلورة الدرس البلاغي وإن كانت بأقدار متفاوتة.

(١) ينظر: الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، ٦٠/١.

(٢) ينظر: السابق، ٦٣/١.

قراءة ظاهرة لم تستوعب مستويات العدول في كلام العرب فيقول: "أَمَا الطَّاعُونُ عَلَى الْقُرْآنِ" (٣) (بالمجاز) فإنهم زعموا أنه كذب؛ لأن الجدار لا يريد، والقرية لا تسأل" (٤). وفي هذا السياق يذكر ابن قتيبة الاستعارة، وهو في تحليله لمواضعها في القرآن ينحو بها إلى المنحى التأويلي المشار إليه. وهكذا يصل إلى نتيجة يقررها بقوله: "وبكل هذه المذاهب نزل القرآن" (٥). إذ تكمن الموازنة هنا في دراسة الأساليب في ضوء منطقين: صدور هذه الأساليب على طريقة العرب في كلامها، واتباعها سنن اللغة المتواضع عليها، بينما تتميز في الوقت ذاته عن الكلام البشري، وكأنها مستويات من الإبانة يعلو بعضها بعضاً في اتجاه الخروج عن النسق المأثور (٦).

إذن كان كتاب (مشكل تأويل القرآن) من الروايد التي طغى على مادتها المباحث البلاغية، من خلال التفصيل في أنواع المجاز، بمفهومه اللغوي العام، وإن وظفت تأويلياً في سياق الدفاع عن القرآن الكريم، فكانت مدفوعة بالبعد الديني.

(٣) من الملاحظ أن هذه الآراء لم تتنسب لأصحابها، ولا لمؤلف معين، وهو ما يطرح سؤالاً أمام الباحث، أكان ذلك الصوت له حضوره في التأليف، ثم غيب قصداً، أم كان يرد في مناظرات، فيردد غير المتعمق في هذه العلوم، وهو ما تتبعني قراءته في سياقه السياسي والفكري والاجتماعي لتلك الحقبة.

(٤) تأويل مشكل القرآن، ص ١٣٢.

(٥) السابق، ص ٢١.

(٦) ينظر: التفكير البلاغي، ص ٢٩٧.

الضعف العم، والحدث الغر، واعتبرت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور... فأحببت أن أنصح عن كتاب الله، وأرمي من ورائي بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسو" (١)، وهذا النص يكشف عن عدة أمور:

- سياق تأليف الكتاب، فهو موجه إلى من وصفهم بالملحدين.
 - القضايا الملتبسة التي دفعته للتأليف بشأنها وهي التحريف، والحكم بالتناقض، واللحن، وفساد النظم.
 - الغاية من التأليف وهي دفع التهم لأجل الحفاظ على الضعف والحدث من التسليم لهذه الشبه. وهو ما يقود إلى ملاحظة مهمة بشأن البلاغة في هذا التطور، إذ أصبحت علمًا تأويلياً (٢) لصون المعتقد. ولهذا وظف ابن قتيبة البلاغة العربية في دفع التهم المتعلقة بالمستوى اللغوي خاصة.
- أما أهم المسائل التي أثرت الدرس البلاغي في هذا المؤلف فهي قضية المجاز، إذ يؤصل لهذه المسألة من نصوص متعددة من الإنجيل والزبور ثم ينتقل الكلام العربي، وحديث ابن قتيبة عن المجاز بمفهومه العام جاء في سياق الدفاع عن القرآن الكريم، بمعرفة طبيعة أساليب العرب في كلامها، وهو ينطلق في هذا الاتجاه من موقف تأويلي للنصوص التي قرئت
-
- (١) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، ص ٢٢ و ٢٣.
- (٢) ينظر: موسوعة البلاغة، توomas A. Sloman، ترجمة: نخبة بإشراف: عماد عبد اللطيف، ١٣٠/١ و ١٣١.

للبلاغة، وقد ارتبط ببعد ديني على مستوىين: مستوى يعود بالأسلوب والتركيب إلى أصله الافتراضي، لدفع التناقض العقلي عن العبارة، من خلال إياضح العدول والتغيرات التي طرأت على العبارة، ومستوى آخر وظفت فيه البلاغة في الاتساق العقدي، بالحمل على الممكن في اللغة.

ج. الاتجاه التعليبي

ينحو هذا الاتجاه إلى البحث عن مناط الإعجاز في القرآن الكريم، والعلة التي تفرد بها، فأصبح في طبقة من الكلام تعلو الكلام البشري، وهذا المستوى من الإثبات ظل يناقش داخل دائرة الإقرار بإعجاز القرآن الكريم، لذا فهو يختلف عن المستوى السابق. ومن الملاحظ أن البحث في علة الإعجاز من هذا الوجه لم يكن له حضوره الواضح إلى نهاية القرن الثالث الهجري- على الأقل فيما وصلنا-، ويجد تسجيل ملحوظتين في هذا الجانب:

- ١- لم يصل من كتب هذه المرحلة شيء على الرغم من تدوين أصحاب الفهارس لمؤلفات في هذين القرنين كالمقولات عن: واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)، والفوطي (ت ٢٣٠هـ)، وعبد المعتملي وكتاب الواسطي (ت ٣٠٦هـ) والجاحظ وغيرهم^(٤).
- ٢- أن مقولة الصرفة كانت من المقولات التي اقيمت حضوراً بارزاً في كتب الإعجاز، نفياً أو إثباتاً، بعد

(٤) ينظر: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منير سلطان، ص ٥٠.

وقد وظفت البلاغة في الاتجاه التأويلي في سياق آخر مذهبى، في المسائل العقدية المتعلقة بصفات الله عز وجل، عند المعتزلة خاصة، ليواجهوا بها مشكلة النصوص التي يدل منطقها على إثبات صفات الله عز وجل، وللمعتزلة موقف من تركيب الصفات على الذات، ويررون بوحدة الذات والصفات^(١)، ومن هنا سعوا إلى تأويل ماورد في ظاهر نصوص القرآن من إثبات الصفات. ومثال هذا التوظيف التأويلي تعليق الجاحظ على قوله تعالى: {مَّا نَفِدْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ} [سورة لقمان: ٢٧]، قال: "والكلمات في هذا الموضع، ليس يزيد بها القول والكلام المؤلف من الحروف، وإنما يزيد النعم والأعاجيب"^(٢)، ويدل على ارتباط هذا المبحث بالمبالغة استدراك الجاحظ في تأويل قوله تعالى: {أَخْرَجْنَا لَهُمْ ذَائِبَةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ} [سورة النمل: ٨٢] بعد أن اعتمد في تأويله على رأي لابن عباس قال: "وقال الآخرون: لا ندع ظاهر اللفظ والعادة الدالة في ظاهر الكلام، إلى المجازات، قالوا: فقد ذكر الله الدابة بالمنطق، كما ذكروا في الحديث كلام الذئب لأهبان بن أوس. وقول الهدى مسطور في الكتاب بأطول الأقصيص، وكذلك شأن الغراب".^(٣).

مما سبق يتبيّن أن مبحث المجاز كان من أوضح مباحث البلاغة حضوراً في التوظيف التأويلي

(١) ينظر: التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة، وليد قصاب، ص ٨٢.

(٢) الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢٠٩/١.

(٣) السابق: ٥٠/٧.

ببرهان ولا دلالة^(٣)، فالكتاب كما يظهر من كلامه فيه رد على النظام في نفيه لحجية نظم القرآن، أي أن الجاحظ يحتاج في هذا الكتاب على أن نظم القرآن والمقصود به هنا التأليف بين كلماته وجمله وأياته مشكلة السورة التي كانت الحد الأدنى للتحدي^(٤). وللجاحظ عدة لفقات في هذا الاتجاه فقد أشار إلى دقة استعمال الكلمة القرآنية في السياقات التي ترد فيها، وإلى اطراد استعمال بعض المفردات القرآنية في سياق معين، كاطراد استعمال الجوع في موضع العقوبة، والفقر، والعجز، واستعمال المطر في موضع الانتقام على أن العامة لا تميز في استعمال ذلك^(٥). ويشير الجاحظ إلى استعمال المجاز في قوله تعالى: {أَكَلُونَ لِسُختِ} [سورة المائدة: ٤٢]، وفي قوله تعالى: {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَارًا} [سورة النساء: ١٠]^(٦)، كما أنه يتعقب في تحليل بعض الأساليب القرآنية مثلما فعل في قوله تعالى: {طَلَعَهَا كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} ، فقد حل التشبيه في ضوء الصورة الذهنية للمجتمع، ولطبع الإنساني حين

(٣) رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢٨٧/٣.

(٤) يقول الجاحظ في رسائله: "لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغاتهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبيّن له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلاها. ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها. وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين... وهذا كله في القرآن، غير أنه متفرق غير مجتمع؛ ولو أراد أنطق الناس أن يولف من هذا الضرب سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه، ولو استعن بجميع قحطان ومعد بن عدنان" ٢٢٩/٣.

(٥) ينظر: البيان والتبيين ٢٠/١.

(٦) ينظر: الحيوان: ٢٥/٥.

القرن الثالث الهجري^(١). وعلى الرغم من أن مسألة الصرف ونسبتها لنظام يكتفها غموض يكاد يشكك في نسبتها إليه^(٢) على النحو الذي نقل عنه، إلا أنها أثرت الدرس البلاغي.

ويبدو أن كتاب الجاحظ المفقود (الاحتجاج لنظم القرآن)، ذو علاقة بهذا البعد، من ظاهر عنوان الكتاب الذي يرد فيه الإشارة إلى النظم، ويعضده نص آخر له يشير إلى الكتاب فيقول: "فكتبت لك كتاباً، أجهدت فيه نفسي، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن، والرد على كل طعن. فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديسي، ولا لحسوبي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق معموم، ولا لأصحاب النظام، ولم نجم بعد النظام، ممن يزعم أن القرآن خلق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس

(١) ينظر مثلاً: ثالث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وبعد القاهرة الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سالم. فكلها ناقشت مقولته الصرف.

(٢) ذكر بعض الباحثين عدداً من الشكوك حول نسبة القول بالصرف على الوجه المنسب لنظام من أنه يرى أن مناط الإعجاز في صرف العرب عن معارضته القرآن الكريم مع قدرتهم عليه. ووجه ذلك أنه لم يصلنا مؤلف عن النظام بثبت هذه المقوله له، وأن ما وصلنا عن عصريه الجاحظ لم يثبت له سوى إثبات الإعجاز بالمعنى الغيبية، ونفيه أن يكون في نظميه، مع ما لحظه أبو الحسين الخياط (ت ٣١١هـ) في كتاب الانتصار من تفرد الجاحظ بنقل بعض الآراء عن النظام لايوافقه عليها ولا يوافقه أصحاب النظام كذلك. ولعل أول من أضاف هذه الزيادة أبو الحسن الأشعري (ت ٣٤٤هـ) وهو لم يدرك النظام وبينهما نحو ربع قرن. فهل كانت هذه الإضافة مما فهمه الأشعري؟ أو نقله مما لم يصل إلينا؟ مع الأخذ بعين الاعتبار الشك والنقد في نقل مقالة المخالفين للمذهب. ينظر: إعجاز القرآن الكريم بالصرف، دراسة ناقدة، محمود توفيق محمد سعد، ص ٢٣-١٦. وإعجاز القرآن بين المعزلة والأشاعرة، ص ٥٤.

القرن الثالث، وبالنظر إلى سياقاتها خلص البحث إلى الوقوف على ثلاثة مساقات شكلت مركبات نظر في تشكيل علاقة اللغة بالقرآن الكريم وهي التحليل، والتأويل، والتعليق. وقد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- يلحظ في الدراسات المبكرة التي أثر فيها الバاعث الديني حضور المصطلح بمفهومه اللغوي العام، وقد يختلف في مفهومه عن مرحلة استقرار المصطلح لاحقاً.
- في سياق البااعث الديني ظهر على تناول المؤلفين حضور خلفياتهم اللغوية.
- كانت الغاية الرئيسة من البااعث الديني محاولة الفهم بتحليل الأسلوب، وصولاً إلى فهم المعنى، أو معرفة طبيعة الدلالة، ليقتربن باستبطاط الحكم الشرعي.
- استعملت البلاغة علمًا تأويلياً لغرضين: تنزيه القرآن الكريم عن الطعون والتحريف، وتنزيه الله سبحانه وتعالى، وكان مبحث المجاز من أقرب المباحث التأويلية في هذا السياق.
- استعملت البلاغة في السياق المذهبي وسيلة للتأويل للمواءمة بين اللغة والمعتقد.
- تأخر إثارة سؤال المزية والعلة في إعجاز القرآن الكريم في الحقبة موضوع الدراسة.
- والحمد لله رب العالمين.

يقول: "كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشّياطين، واستسماجه وكراهته، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك - رجع بالإيحاش والتّنفير، وبالإخافة والتّقريع، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم" (١). وبهذا نخلص إلى أن هذا الاتجاه كان من أقل الاتجاهات حضوراً في ما نقل إلينا إلى نهاية القرن الثالث.

إذن كان الدافع الديني سبباً في تعدد زوايا النظر إلى النص القرآني، فقد دفع تحليل المفسرين والفقهاء إلى التعرف على طبيعة هذا النص، وطبيعة معانيه بغية فهمه أولاً، ثم العمل بموجبه. وقد دفعت الشبهات والشكوك حول القرآن الكريم إلى أن توظف البلاغة تأويلياً لدفع الطعون التي تحاول أن تشكيك في استقامة لغته، أو مآلاته معانيه. وانسحب هذا التأويل إلى الصراع المذهبي فجعلت البلاغة في خدمة المعتقد. وقد أتاحت المناظرات المذهبية أن يتولد نظر آخر إلى النص القرآني باعتبار المفارقة بينه وبين الكلام البشري قائم في اللغة، وإثبات علة هذه المفارقة نشطت مباحث الإعجاز البلاغي.

الخاتمة

عرض البحث لأثر البااعث الديني على نشأة البلاغة من مرحلة النشأة والتّكوين إلى مرحلة التأليف المستقل، من خلال إلماحة إلى المنجز حتى نهاية

(١) السابق: ٤/٣٩.

٢٠٠٨/

تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء دار التراث، القاهرة، ط١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م.

إعجاز القرآن الكريم بالصرف، دراسة ناقدة، محمود توفيق محمد سعد. بحث منشور على الشبكة. التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥ هـ ١٤٠٥ م.

التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود، الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط٣، ٢٠١٠ م.

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعرفة، القاهرة، ط٤. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، القاهرة، د.ت.

الحيوان، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥ هـ ١٣٨٤ م.

خطوات التفسير البیانی للقرآن الکریم، محمد رجب بیومی، مجمع البحوث الإسلامية، السنة الثالثة، الكتاب الثاني والأربعون، ١٩٧١ هـ ١٣٩١ م.

دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، جورج كانغيلام، ترجمة: محمد بن ساسي، المنظمة العربية للترجمة،

المصادر والمراجع

أثر النهاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨ م.

إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منير سلطان، منشأة المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٦ م.

بديع القرآن، ابن أبي الإسباع المصري، تحقيق: حفني شرف، نهضة مصر، القاهرة، د.ت. البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩ م.

البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، منهجها، علي عشري زايد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٦، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ /

البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة التاسعة.

بلاغة المنطق وبلاغة المكتوب، دراسة في تحول الخطاب البلاغي من القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري، نور الهدى باديس، تونس، مركز النشر الجامعي، ط١، ٢٠٠٥ م.

البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م.

البيان والتبيين، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.

تأثير الفكر الدينى في البلاغة العربية، مهدي السامرائي، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٨ هـ

علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، ط٣، ٢٠٠٧م. بيروت، ط١، ١٩٨٣هـ/٤٠٣م.

من جهود اللغويين والمفسرين في البحث البلاغي، عبد الله هنداوي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، دمشق. د.ت.

موسوعة البلاغة، توماس أ. سلوان، ترجمة: نخبة، بإشراف: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.

وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت. د.ت.

الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، عبد الرحمن الشهري، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

العقائدية وتفسير النص القرآني، المناهج، الدوافع، الإشكالات، المدونات، دراسة مقارنة، ياسر المطرفي، الرياض، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، ٢٠١٥م، ص١٤.

قضية نشأة النحو العربي في آثار الدراسين، عرض ونقد، محمد ربيع الغامدي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ٢٠١٠م، مج٥، ع٢، ٢٦٧٥-٢٧٣٧.

مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة. د.ت.

المحصول، لفخر الدين الرازي، دراسة وتحقيق: طه العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧هـ/٤١٨م.

مسائل نافع بن الأزرق في ميزان النقد، د. عبد الرزاق هرماس، حلية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر. ١٤١٩هـ، ع١٦، ٦١-٦٣.

معاني القرآن، أبو زكريا يحيى الفراء، تحقيق: محمد

The Impact of Religious Motivation in the Emergence of Arabic Rhetoric A Reading in the Era of Composition to Independent Authorship

Wael Omar Alomari

*King Abdulaziz University -Faculty of Arts and Huminities
Saudi Arabia, Jeddah*

Abstract .The roots of the rhetorical lesson grew in a fertile religious land. They characterized its rhetoric from the rhetoric of the rest of the nations as it was connected with the Qur'anic text. However, the religious stream did not have only one subject and one goal. It produced multiple contexts that refined the teachings of the rhetorical lesson later on. This diversity was a fertile tool for Arabic eloquence.

The research sought to discuss the details of the roots, to extract the courses of religious influence in the emergence of Arabic rhetoric. The research has gone beyond the oral news and stories to begin with the written diaries, in search of the author's motivations and his aims, and of the milestones that contributed to the reading of the rhetorical lesson. It emanated from the signs of the composition, so the limits of the research stopped at the beginning of the independent composition of Arabic rhetoric and moved to a stage approaching the methodology. The research revealed three courses that stemmed from the religious influence which were related to language. These three courses are analysis, interpretation and explanation. They were tools that were used in the analysis that aimed to understand the Qura'nic text in order to transfer it from language to practice. The interpretation, on the other hand, raised the question of compatibility between language and belief. The explanation tried to deal with the issue of miracles and clarifying its features.

The re-reading of the history of science is an area that can research, re-ask the question, and disassociate its relations, to understand the process of science, and the impact of their tributaries on their concepts. This is what researchers can examine in the rest of the tributaries that have fueled the rhetorical lesson.

المشكلات التي تواجه الطالب الجامعية المتزوجة في المجتمع السعودي

د. خليل عبد المقصود عبد الحميد ابراهيم

أستاذ الخدمة الاجتماعية بجامعة أم القرى

نجلاء بنت فهد بن محمد الشيباني

ماجستير خدمة اجتماعية جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مستخلاص. تهدف هذه الدراسة إلى تحديد المشكلات الاجتماعية ، الاقتصادية ، التعليمية الخاصة بالطالبات المتزوجات بالمجتمع السعودي وبالذات طالبات جامعة الإمام محمد بن سعود وبخاصة منطقة الرياض، وتهدف الدراسة كذلك إلى وضع المقترنات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات هذا النوع من الزواج و الدراسة وصفية، إعتمدت على منهج المسح الاجتماعي ، بالعينة ، لطالبات السنة التحضيرية (مسار العلوم الإنسانية) وبلغ حجمها (١٠٢) طالبة. وتم تطبيق الأداة (الاستبانة) ، لتحديد مشكلات الزواج هؤلا الطالبات. وقد توصلت الدراسة إلى أن مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة هي: كثرة الألعاب المنزلية التي تؤثر على دراسة الطالبة.

وأكّدت الدراسة على أن أهم مشكلات الزواج الاجتماعية خارج الأسرة هي: عدم تفهم أهل الزوج لمسؤوليات الطالبة الخاصة بدراستها. وبينت الدراسة أن أهم مشكلات الزواج الاقتصادية هي: كثرة طلبات المدرسین من: بحوث، وأعمال مكتبية مكثفة. وأكّدت الدراسة على أن أهم مشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات هي: عدم مراعاة أنظمة الجامعة، لظروف الطالبة المتزوجة. وانتهت الدراسة إلى وضع مجموعة من المقترنات، لتفعيل دور الخدمة الاجتماعية (لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات).

الكلمات المفتاحية :

الجامعه _ الخدمة الاجتماعية_ الأسرة_ الطالبة الجامعية المتزوجة _ المشكلات الزوجية_ نظرية الدور .

المقدمة

في حياة الإنسان واستمرارها. ويختلف الزواج لدى

الإنسان قياساً إلى الكائنات الحية. فالزواج لدى

الإنسان: نظام اجتماعي، وأعراف، وعادات، وتقاليـد،

الزواج هو الركيزة الأساسية التي تقوم عليه الأسرة

في المجتمعات، ويمثل ضرورة بيولوجية واجتماعية

ومساحتها (في مواجهة تلك المشكلات وتذليل الصعوبات التي تعيق أداء وظائفهن الاجتماعية).

أولاً: مشكلة الدراسة:

استقرار أي مجتمع سبب رئيسي في تطور حال أفراده، وصلاح شأنه، ورقي حضارته، ومسايرته للعالم من حوله. وإن استقرار حياة المجتمع، يتوجه أفراده نحو العمل الجاد المثمر. وهذا يمكن القول إن استقرار المجتمع يؤدي إلى التنمية.(العمري ،٤٣٤، هـ، ص.٢٢٥).

وتحتل دراسة الأسرة مكاناً بارزاً في الفكر الاجتماعي المعاصر. وقد حظيت باهتمام كبير-منذ أزمنة بعيدة- باعتبارها النظام الأساسي الذي انبثقت منه الأنظمة الاجتماعية الأخرى. فهي البيئة التي تهيئ حدوث التواصل الاجتماعي، ونقل التراث الثقافي والحضاري عبر الأجيال المختلفة. وهي مركز إشباع كافة الحاجات المادية، والنفسية، والاجتماعية، بالصورة التي يرضى عنها المجتمع. ولهذا قد تواجه الأسرة ماتعرض حياتها من ظروفًا متعددة تؤثر على قدرتها، في أداء وظائفها المختلفة. (محمد، ٢٠٠٩م، ص.٧).

والزواج وبناء الأسرة له مكانته على مر العصور واختلاف المجتمعات فثمة محاولات للإصلاح وإعادة حالة التوازن. وقد يتعرض هذه الزواج لمشكلات

ويختلف الزواج من مجتمع لآخر. والمجتمع السعودي - بوصفه- مجتمعاً إسلامياً يعتبر الزواج: مكملاً لنصف الدين وواجب دينياً. كما أنه يعتبره إحساناً للرجل ، والمرأة ، ضد الخطأ. لذلك تحرص الأسر السعودية على تزويج أبنائها في مراحل مبكرة من مراحل التعليم. ولذلك عادة ما تواجه الطالبة الجامعية هذا الزواج خلال (مسيرتها في الجامعة) عدداً من المشكلات التي قد تؤثر على طموحها.

فالحياة الزوجية لا تكون على وتيرة واحدة، بل تمر بتغيرات عديدة. لذلك تبع تعليم الزوجة ومشاركتها للزوج في الخروج من المنزل القصور في بعض شؤونها المنزلية وأصبح الزوج يمارس أدواراً خاصةً الزوجة. وحدث نتيبة لذلك- صراع في الأدوار. وهذا قد يؤثر على العلاقات الزوجية ، ويؤدي إلى مشكلات معينة ، مما يتطلب التدخل المهني.

ومن هنا، يأتي دور مهنة الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الزواج التي تتعرض لها الطالبة الجامعية، وتهدف تلك المهنة إلى: تحسين الأداء الاجتماعي، ومواجهة المشكلات التي تتعرض لها الطالبة الجامعية. وفي هذه الدراسة، سوف نحاول إلقاء الضوء على دور الخدمة الاجتماعية

بلغهن ١٨ عاماً ووفقاً لتقديرات هناك أكثر من ٦٠ مليون امرأة في عمر ٢٠ - ٢٤ عاماً تزوجن قبل بلوغهن ١٨ عاماً ، وذكرت إحصائية أجريت في لبنان أنه تم استخدام اثنين من المؤشرات لتقدير النسبة المئوية للنساء الواتي تزوجن قبل سن ١٥ عاماً والنسبة المئوية للنساء الواتي تزوجن قبل سن ١٨ عاماً فنجد أن ٢,١ % من النساء الواتي يبلغن من ١٥ إلى ٤٩ عاماً قد تزوجن قبل سن ١٥ عاماً في حين ١٣,٤ % من النساء الواتي يبلغن من ٢٠ إلى ٤٩ عاماً قد تزوجن قبل سن ١٨ عاماً. (إدارة الإحصاء المركزي ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة - اليونيسيف ، ٢٠٠٩ م. ص ٦٥).

وتمثل ظاهرة الزواج المبكر تحدي يواجه طالبات الجامعات اللاتي يجدن صعوبة كبيرة في متابعة الدراسة والتفوق الأكاديمي وبين تحمل الزواج. (أبو النيل ، ٢٠١١م، ص ٦).

حيث يؤدي الزواج المبكر إلى حدوث اضطرابات في شخصية الفتاة وفي العلاقات الجنسية بين الزوجين بفعل عدم إدراك الفتاة لطبيعة العلاقة، مما ينتج عنه عدم نجاح العلاقة، وصعوبتها وقلق واضطرابات عدم التكيف جراء المشاكل الزوجية، وعدم تفهم الزوجة لما يعنيه الزواج ومسؤولية الأسرة والسكن والمودة. (خميس وآخرون ، ٢٠١٤م، ص ٢٨).

تارةً، وقد تعود تارةً أخرى، وقد تزداد بشكل ملحوظ الأمر الذي تصبح معه استمرار الحياة الأسرية أمراً مستبعداً، وتنتهي الحياة بالفتك إما بالهجر، أو الزواج بأخرى، أو الطلاق. (حسين ، ٢٠٠٤، ص ١٤). وحتى يكون الاستقرار والنجاح ملازماً للحياة الأسرية، فلا بد من توزيع الأدوار بين أفرادها، بحيث يعرف كل واحد منهم دوره في الأسرة : فيقوم به، ويحاسب عليه. وبالنظر إلى دور الزوجة -وجه عام- نجد إنها هي الأساس الأهم: لبقاء الأسرة، واستقرار أمورها، ورغم عيشها، واستقامة ذريتها، وصلاحهم. وبنظرية أدق، إلى دور الطالبة المتزوجة (والتي لا تزال تواصل تعليمها الجامعي)، نجد أنها يضاف إليها أدواراً وأعباءً جديدة، تضاف إلى دورها العادي المتوقع منها كطالبة، أدواراً جديدة كزوجة لها أسرة. وبالتالي ستواجه الطالبة المتزوجة العديد من المشكلات.

كما يعد زواج الطالبات الجامعيات في عمر (١٨ - ٢٠) سنة زواج مبكر، فالزواج المبكر هو كل زوج في عمر أقل من ١٨ سنة بالنسبة لفتاة التي لم تبلغ بعد النضج الكامل لأعضائها في هذه المرحلة. (أبو ياسين ، ٢٠١٠م، ص ١).

وتشير الإحصائيات في منظمة الأمم المتحدة للطفولة - اليونيسيف إلى زواج فتيات كثيرات قبل

وفي كثير من الأوقات يقع الطلاق نتيجة الجهل، سواء كان ذلك للزواج المبكر بين المتزوجين لصغر سن الزوجين أم لصغر سن الزوجين، أم للجهل بأمور الحياة الزوجية أو العادات والتقاليد أو أية قضية لها علاقة بجهل الآخر أو الجهل في المحيط الاجتماعي. (السدهان وآخرون ، ٢٠١٠م، ص٦٧).

وتأتي مشكلة الدراسة الراهنة منبثقة من الإحصاءات التي تتحدث عن تزايد مشكلات الزواج وحالات الطلاق، وكذلك كثرة تردد الناس على المحاكم لحل المشكلات الزوجية المختلفة التي ت تعرض طريق حياتهم الزوجية. فقد أكد ذلك الإحصائيات الصادرة عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية لعام ١٤٣٣هـ بلغ إجمالي صكوط الطلاق والخلع والفسخ المنبثة في محاكم المملكة (٣٤٤٩٠) صكًا بمعدل (٩٦) صك يومياً منها (٣٠٠٣٠) حالة طلاق بنسبة (%)٨٧ و (١١٣٥) حالة خلع بنسبة (%)٣ و (٣٣٢٥٩) حالة فسخ نكاح بنسبة (%)١٠ من إجمالي الطلاق. (الكتاب الإحصائي لوزارة العدل، ١٤٣٣هـ، ص٢٣١).

لذلك حاول أن نقف عند دراسة هذه الظاهرة حيث أن مثل هذا النوع من الزواج قد يولد اثراً تتعكس بصورة سلبية على المجتمع وعلى الفتاة ذاتها ممثلاً بحرمانها من مواصلة تعلمها وممارسة أدوارها، وبالرغم من أهمية الحياة الزوجية وسعي كل من

ويزيد التعليم ومتطلباته من الضغوط على الزوجة وبالتالي ظهر العديد من المشكلات المتزايدة فالطالبة المتزوجة تقع عليها مسؤوليات كثيرة كالقيام بشؤون الزوج وتربية الأبناء بالإضافة إلى مسؤوليات الدراسة الجامعية وكذلك مطلوب منها أن تؤدي عدة أدوار منها أداء دروها في حياتها الدراسية كطالبة وحياتها الزوجية كأم مما يعرضها لضغوطات تؤدي إلى مشكلات زوجية وهذا ما أكدته دراسة "أمل، ٢٠٠٧م" من أن الطالبة المتزوجة تتعرض لضغط عديدة ومن مصادر متباعدة كالبيئة الاجتماعية في محيط الجامعة والمتطلبات الدراسية وأعباء الامتحانات بالإضافة إلى المشكلات والصراعات الزوجية. وبالفعل تواجه الطالبة المتزوجة مشكلات منها التعليمية، والاجتماعية والتي تنقسم إلى مشكلات اجتماعية داخل الأسرة وأخرى خارجها، وكذلك قد تواجه الطالبة المتزوجة مشكلات اقتصادية.

وفي سياق متصل كشفت نتائج العديد من الدراسات في المملكة العربية السعودية عن صغر سن المترددين على محاكم الضمان والأنكحة للقيام بإجراءات الطلاق، مما يعكس أن معظم حالات الطلاق تحدث خلال السنوات الأولى من الزواج،

مواجهة المشكلات التي قد تعرّضهن في حياتهن الجامعية والأسرية.

ثانياً: أهمية الدراسة:

١) حق المرأة في التعليم باعتبارها تمثل نصف المجتمع وإعطائها الفرصة لإثبات ذاتها والتعبير عن رأيها وتطوير نفسها وقدراتها والإتجاه بها نحو بناء مجتمع ونحو حياة أفضل لها ولأسرتها.

٢) قد تفيد الدراسة الحالية القائمون على مراكز حماية الأسرة ورعايتها ومنظمات المجتمع في فهم طبيعة المشكلات التي تعاني منها الأسرة حديثة الزواج

٣) أهمية دور الخدمة الاجتماعية في إعداد وتأهيل الفتاة للقيام بوظيفتها كزوجة وأم وطالبة.

٤) تمثل أهمية الدراسة الحالية في كونها تعالج مشكلة اجتماعية منتشرة في المجتمع السعودي ولها آثارها السلبية على المجتمع وعلى الفتاة بشكل خاص وتوضيح مشكلات الزواج التي تواجه الطالبة الجامعية وتعيقها عن أدائها لأدوارها بالمجتمع ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها.

٥) تفيد القائمون بالجامعة على وضع السياسات والخطط الدراسية وفقاً لأولويات محددة لتحسين الواقع بحيث يعمل على إشباع حاجات الطالبات وحل مشكلاتهم.

٦) تقديم تصور مقترن لدور الخدمة الاجتماعية يساهم في التغلب على مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٧) إثراء الجانب المعرفي والعلمي للخدمة الاجتماعية بصفة عامة والخدمة الاجتماعية في المجال الأسري بصفة خاصة والإرشاد الزواجي.

٨) الاستفادة من نتائج الدراسة في تفعيل البرامج الإرشادية على المستوى الوقائي، بمعنى تبصير

الزوجين لحفظها ومحاولتها كل ما يمكن أن يعكر صفوها وبخاصة في بداية الزواج إلا أن هناك بعض المشكلات التي لا يمكن الزوجان من حلها مما يضطرهم إلى طلب مساعدة المختصين للتخلص من هذه المشكلات. (الزعبي ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٢٥). لذلك يتطلب تدخل المهنيين ومن هنا تبرز أهمية ممارسة الخدمة الاجتماعية.

والخدمة الاجتماعية تمثل إحدى المهن التي تهتم بمواجهة تلك المشكلات وتوعية الطالبات الجامعيات وأيضاً تعديل أفكارهن وتصحيح انفعالاتهن التي ممكن أن تؤدي إلى الطلاق، حيث تسعى مهنة الخدمة الاجتماعية جاهدة للتعامل مع ضغوط الحياة فهي "إحدى المهن التي تستهدف تدعيم ومساندة القدرات وتحسين الأداء الاجتماعي للأفراد والأسر والجماعات من خلال تنمية القدرة على تحديد الضغوط المرتبطة بالجانب الاجتماعية مع تقديم الخدمات الوقائية والعلاجية والتنمية المناسبة". (هنا ، ١٩٩٩ م ، ص ٦-٥).

وبناء على ماسبق من نتائج الدراسات السابقة وانطلاقاً من إهتمام الخدمة الاجتماعية بصفة عامة بالأسرة ومواجهة مشكلاتها بصفة خاصة تقوم الدراسة الحالية بمحاوله لتحديد المشكلات التي تعاني منها الطالبات الجامعيات المتزوجات والتي تمثل في المشكلات التعليمية والإقتصادية والاجتماعية سواء كانت داخل الأسرة أو خارجها في محاولة لوضع مجموعة من المقترنات التي يمكن أن تساهم في تعزيز دور الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات مما ينعكس على زيادة قدرة الطالبات المتزوجات على القيام بالأعباء الملقاة عليهم وزيادة قدرتهن على

أعمال، وما يقوم به الآخرون في الموقف ومشاعره وأحساسه ومشاعر الآخرين وأحساسهم والتفاعل الذي يتم بين الشخص والآخرين وتختلف الأدوار باختلاف شخصية الفرد ومتطلبات الدور ذاته، ومدى اتفاق الفرد أو اختلافه مع الآخرين في موقف التفاعل". (الصديقي، ١٩٩٨م، ص ٢٧٤).

٢_ مفهوم مشكلات الزواج:

عرفت المشكلة لغويًا: **مُشَكَّلة** [مفرد]: جمع مشكلات ومشاكل: وهي صعوبة يجب تذليلها للحصول على نتيجة ما. (عمر، ٢٠٠٨م، ص ١٢٢٩). بينما الزوج في اللغة: يعني اقتران الزوج بالزوجة أو الذكر بالأثنى. (بن منظور، د.ت، ص ٢٩).

وتتفق الدراسة الراهنة مع تعريف (عبد العزيز) "لل المشكلات الزوجية" حيث عرفها بأنها: النزاع الدائم بين الزوجين الذي يتعلق في الجوانب التالية: الاجتماعية والعاطفية والسلوكية والشرعية والشخصية والإقتصادية والصحية والنفسية والجنسية والتعليمية والوظيفية وطريقة التعامل بين الزوجين وما يتعلق بالأطفال وبتعدد الزوجات ويؤدي هذا النزاع إلى عدم تحقيق التوافق الزوجي. (الجهني، ٢٠٠٥م، ص ٦). وتعرف اجرائيًا:

- هي المشكلات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية.
- تواجه الطالبات المتزوجات بالسنة التحضيرية بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والتي تتعلق بحياتهم الزوجية.
- تعيق أداء وظائفهن داخل الأسرة.
- تعيق أداء وظائفهن التعليمية بالجامعة.

٣_ مفهوم الطالبات المتزوجات:

الطالبات في اللغة: طالب [مفرد]: جمع طالب وطالبة وطلاب، مؤنث طالبة، جمع مؤنث طالبات: وهو

الطالبة المتزوجة خاصة عند بدء التحاقها بالجامعة، بأهمية التوفيق بين حياتها الزوجية، وحياتها الدراسية.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

- ١) تحديد مشكلات الزواج الإجتماعية داخل وخارج الأسرة لدى الطالبات الجامعيات.
- ٢) تحديد مشكلات الزواج الإقتصادية لدى الطالبات الجامعيات.
- ٣) تحديد مشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات.
- ٤) التوصل إلى مقتراحات لدور الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

- ١) ما مشكلات الزواج الاجتماعية داخل وخارج الأسرة لدى الطالبات الجامعيات؟.
- ٢) ما مشكلات الزواج الإقتصادية لدى الطالبات الجامعيات؟.
- ٣) ما مشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات؟.
- ٤) ما المقتراحات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات؟.

خامساً: مفاهيم الدراسة:

١_ مفهوم الدور:
الدور لغويًا: هو دور - ج: أدوار. [دور]. (مص. دار). "انتهى دور": عملي، أي مایختص بي، ويقال: "لأدور لك في هذا العمل": لاشأن لك فيه. (أبو العزم ، د.ت، ص ١٢٢٩٤).

وتتفق الدراسة مع تعريف (سلوى) "للدور" حيث عرفته بأنه: السلوك المتوقع من يشغل مكانه أو مركزاً معيناً وذلك من خلال مجموعة من الحقوق والواجبات للشخص في موقف معين وما يقوم به من

عندما تتعارض الأدوار لدى أحد الأشخاص بينما يحدث صراع الدور المتدخل عندما لا تتفق التوقعات لدى الآخرين حول نفس الدور أما غموض الدور فينشأ من عدم التأكيد من مستلزمات دور معين.

وقد تلخصت الافتراضات التي بنيت عليها النظرية فيما يلي: (محفوظ، ٢٠٠٩، م: ٣٦)

- ينطوي على الدور الاجتماعي الواحد مجموعة واجبات يؤديها الفرد بناءً على مؤهلاته وخبراته وتجاربه وثقة المجتمع به وكتابته وشخصيته.

- تكون الأدوار الاجتماعية متكاملة في المؤسسة عندما تؤدي المؤسسة مهامها بصورة جيدة بحيث لا يكون هناك تناقض بين الأدوار.

- عند تفاعل دور مع أدوار أخرى فإن كل دور يقيم الدور الآخر، وعندما يصل تقييم الآخرين لذات الفرد فإن التقييم يؤثر على تقييم الفرد لذاته وهذا ما يؤدي إلى فاعلية الدور ومضاعفة نشاطه

- الدور هو حلقة الوصل بين الشخصية والبناء الاجتماعي .

تفسير موضوع الدراسة في إطار نظرية الدور.

يتوقع من الأخصائي الاجتماعي القائم بدور الخدمة الاجتماعية أن يؤدي الأدوار المفترضة منه بحكم المركز الاجتماعي الذي تتمتع به الخدمة الاجتماعية والقائمين عليها، وأيضاً بحكم أهمية الدور الذي تلعبه الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشاكل الزواج المختلفة التي تواجه الطالبات المتزوجات، وهو ما تحاول الدراسة الراهنة التعرف عليه، ويتوقع أيضاً من الأخصائي الاجتماعي القائم بدور الخدمة الاجتماعية أن يكون ملماً بكلفة المشكلات التي تواجه الطالبات المتزوجات والملحقات بالسنة التحضيرية بقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على اختلاف أنواع تلك المشكلات سواء نفسية أو اجتماعية أو إقتصادية،

اسم فاعل منطلباً، وهو الراغب في تحصيل العلم. (عمر، ٢٠٠٨، ص ١٤٠٧).

وتتفق الدراسة الراهنة مع تعريف أبو النيل حيث عرفت "الطالبات المتزوجات" بأنهن: الطالبات المتزوجات أثناء الدراسة بالجامعة وتقع في الفئة العمرية ما بين ١٨ سنة إلى ٢٠ سنة. (أبو النيل ٢٠١١، ص ١٦).

والتعريف الإجرائي هو:

١. الطالبات المتزوجات أثناء الدراسة بالجامعة.
٢. تقع في الفئة العمرية ما بين ١٨ سنة ٢٠ سنة.
٣. الملحقات بالسنة التحضيرية بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

النظريات الموجهة لدراسة .

أولاً: نظرية الدور : Role Theory

نظرة عامة على نظرية الدور وافتراضاتها:

تعد نظرية الدور من أكثر النظريات شيوعاً واستخداماً في ممارسة الخدمة الاجتماعية، وهي من أقرب النظريات التي ترتبط بطبيعة الخدمة الاجتماعية وال العلاقات المتبادلة بينها و إذا كانت طبيعة الحياة المعاصرة تتسق بالتعقيد وتعدد احتياجات الإنسان فإنه يجد نفسه مضطراً إلى أن يلعب العديد من الأدوار في المجتمع بحيث يسلك طريق معينة تناسب كل دور وتتلاءم مع توقعات المشاركين له في هذه الأدوار ومن هنا فضورة التكامل بين هذه الأدوار تعد أمراً حتمياً ولازماً لكي يستطيع الإنسان تحقيقاً قدرأً من التوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه والمحيطين به من الأفراد الآخرين ، وتهتم نظرية الدور بتفسير هذا التفاعل . (متولي وعبد الحميد، ١٩٩٩، ص ٣٥).

نجد أن صراع الأدوار يظهر عندما يتعارض مع الأدوار لدى مع آخر، كما يحدث الصراع المتبادل

حجم المقررات الدراسية بنسبة (٧٥،٣) دراسة (أبو النيل، ٢٠١١) التي استهدفت التعرف على مشكلات الزواج المبكر أثناء الدراسة لدى طالبات الجامعة ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، كما إستهدفت الدراسة إلى التعرف على أهم المشكلات التي تعوق دراسة الطالبات والمتمثلة في المشكلات (الاقتصادية- الاجتماعية- النفسية- الدراسية)، وكذلك التعرف على مقترحات لدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة هذه المشكلات. واتبعت الدراسة منهج المسح الاجتماعي بأسلوب الحصر الشامل لتحقيق هدف الدراسة، وقد اعتمدت الدراسة على الاستبيان كأدلة للدراسة، وتمثلت عينة الدراسة في (١٩٥) طالبة متزوجة بمعهد الخدمة الاجتماعية بالزقازيق، و(١٥٠) طالبة متزوجة بكلية الآداب جامعة الزقازيق، وعدد (٧) أخصائيين اجتماعيين من العاملين بمعهد الخدمة الاجتماعية بالزقازيق وكلية الآداب جامعة الزقازيق. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن المشكلات المتعلقة بالدراسة احتلت المرتبة الأولى بنسبة (٥٤،٢) تمثلت في عدم التوافق بين أدوارها داخل لأسرة دراستها ، عدم الموافقة بين الدراسة وأسرتها ، الانشغال بالأطفال ومسؤولياتهم وعدم إيجاد وقت للمذاكرة. دراسة (قطب، ٢٠١٢) التي استهدفت اختبار فاعلية برنامج للتدخل المهني من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية في تتميمه وعي الفتيات المقبلات على الزواج بالمشكلات التي تواجه الأسر حديثة التكوين والمتعلقة بمشكلة سوء التفاعلات بين الزوجين، وبمشكلة تدخل الآخرين في شؤون الزوجين وبمشكلة سوء التوافق الزواجي. واتبعت الدراسة المنهج شبه التجريبي تمثلت عينة الدراسة في عينة قوامها (١٧) فتاة من الفتيات المقبلات على الزواج منهن حاصلات على مؤهلات متوسطة باعتبار أنهن

كما أن الدراسة تتوقع أن يكون لمهنة الخدمة الاجتماعية دور بارز في مواجهة تلك المشكلات الزوجية وأن تتجه في مساعدة الطالبات في التغلب عليها من خلال الإرشاد الزوجي. كما أنها مطالبة بالقيام بدورها كطالبة جامعية والذي يتمثل في الذهاب إلى الجامعة والالتزام بحضور المحاضرات والقيام بالفروض والواجبات والتکالیف الجامعية، استذكار دروسها، التواصل مع أعضاء هيئة التدريس، عقد علاقات اجتماعية مع الطالبات. ومما سبق يتضح أن الطالبة الجامعية المتزوجة تتعرض إلى صراع في الأدوار بين دورها كزوجة وأم وبين دورها كطالبة، مما ينتج عنه حتماً وجود مشاكل زوجية، وهنا تهدف الدراسة الراهنة إلى التعرف على دور الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الزواج (التعليمية، الاجتماعية والاقتصادية) لدى الطالبات المتزوجات.

الدراسات السابقة:

أولاً: الدراسات العربية:

دراسة (عليان، ٢٠٠٩) استهدفت الدراسة التعرف على بعض المشكلات الاجتماعية التي تواجه الطالبات الفلسطينيات المتزوجات اللواتي يدرسن في جامعة الأقصى، إذا ما كانت تختلف هذه المشكلات حسب متغيرات الدراسة مثل التخصص، مستوى التحصيل الدراسي، المستوى التعليمي للزوج، كما هدفت إلى وضع تصور مقتراح لمعالجة المشكلات التي تعاني منها الطالبات المتزوجات بجامعة الأقصى. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق هدف الدراسة. وقد اعتمدت الدراسة على الاستبيان كأدلة للدراسة، وتكونت عينة الدراسة من (١٥٠) طالبة متزوجة. وأشارت نتائج الدراسة إلى المشكلات الأكademie بالمرتبة الأولى بنسبة (٢،٧٦) وهي الأكثر شيوعاً وتمثلت في كبر

التقليدي كربات بيوت وأمهات ودور النساء المتزوجات كما يجعل من البيت هو المهمة الكبرى، ومن المؤمل أن هذا العمل سوف ينقطع بعض من هذه المشاكل من النساء المتزوجات في جامعة ولاية إيمو أويري ووضع حل مناسب لهن، فإن هذا يساعد الطالبات المتزوجات في حل أي مشاكل ناجمة عن الجمع بين العمل في المنزل والمهام الأكاديمية في وقت واحد. دراسة (ستيفاني شتاينبرغ ، Stephanie Steinberg ٢٠١١) واستهدفت الدراسة التي أجرتها قناة CNN الشهيرة حول زواج الطلاب الجامعيين قبل تخرجهم. وكان استطلاع للرأي على الجامعيين وبلغت ٩٢٨ ،٢٠٠ عينة من قبل المركز الوطني لإحصاءات التعليم في عام ٢٠٠٨م، أفاد حوالي ١٨٪ أنها كانت متزوجة قبل التخرج من خلال الفيس بوك. وقد أشارت النتائج إلى أن متوسط معدل الطلاق أو الانفصال لبعض الأزواج للمرة الأولى قد بلغ ٤٠٪ إلى ٥٠٪، وفقاً لإحصائيات الدولة ٢٠١٠م من تقارير الإتحادات لمشروع الزواج الوطني، وكانت المتاعب المالية هي السبب الرئيسي للضوابط الزوجية والطلاق.

سابعاً : إجراءات الدراسة.

نوع الدراسة: الدراسة وصفية تحليلية
منهج الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على منهج المسح الاجتماعي بالعينة والذي يعتبر من أنساب المناهج للدراسات الوصفية، وذلك بطريقة العينة العشوائية لطالبات السنة التحضيرية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

مجالات الدراسة:

١- **المجال البشري:** الإطار العام لمجتمع البحث جميع طالبات السنة التحضيرية بجامعة الإمام

يتزوجن في سن مبكرة. وقد توصلت الدراسة إلى أن تنفيذ برنامج للتدخل المهني من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية قد أدى إلى تنميةوعي الفتيات المقبلات على الزواج بالمشكلات التي تواجه الأسر حديثة التكوين وهي مشكلة سوء التفاعلات بين الزوجين، مشكلة تدخل الآخرين في شؤون الزوجين، مشكلة سوء التوافق الزواجي.

ثانياً- الدراسات الأجنبية:

دراسة (Huebner and Others ١٩٨٢) التي استهدفت التعرف على المشكلات الحالية والسابقة للطلبة الجامعيين، بالإضافة إلى معدلات التحسن لأهم المشكلات التي تواجههم، ومصادر المساعدة في حل المشكلات. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي وقد إستخدمت الإستبيان كأداة للدراسة، حيث تكونت عينة الدراسة من (٦٣٣) طالباً وطالبة وقد أظهرت نتائج الدراسة أن المشكلات الأكademie هي أكثر المشكلات شيوعاً بين أفراد عينة الدراسة .

دراسة (Easy Topics ٢٠١٠) استهدفت الدراسة التعرف على المشاكل التي تواجه الطالبات المتزوجات في جامعة ولاية إيمو أويري، كما كان الغرض من الدراسة فحص مدى كون الطالبات المتزوجات قادرات على التعامل مع الجانب الأكاديمي. وقد إستخدمت البيانات التي جمعت باستخدام التحليل الاستقرائي، وقد تم بناء الاستبيان على مجموعة تحتوي على (١٠) طالبات خمسة منها واضحة الأهداف، والأخرى بعد هذا الاستبيان، وقد أجاب عن أسئلة الاستبيان ٢٥٠ طالبة وأشارت النتائج إلى أن إيجاد التعليم المناسب للنساء المتزوجات بدور هام يفعل في تعليمهما المهارات الالزمة للوقوف على الأدوار الزمني

٢- صدق وثبات الدراسة:

أ) صدق الاستمارة:

أ-صدق المحكمين: تم التأكيد من صدق الاستبانة من خلال عرضها على (٨) من أساتذة تخصص الخدمة الاجتماعية وذلك لتأكد من الصدق الظاهري للأستيانة

ب-الصدق الداخلي (الاتساق الداخلي)
للأدلة Internal consistently Validity: تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة لكل عبارة والدرجة الكلية للمحور الفرعي أو المحور الرئيسي الذي تتنمي إليه، وأيضاً معامل الارتباط بين كل محور من محاور الاستيانة والدرجة الكلية للاستيانة، وتم استخدام برنامج (SPSS)

أولاً: وصف مفردات عينة الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على عدد من المتغيرات المستقلة المتعلقة بالخصائص الشخصية والوظيفية لمفردات عينة الدراسة متمثلة في (العمر - عدد أفراد الأسرة - عدد سنوات الزواج - دخل الأسرة - طبيعة السكن- نوع السكن- مستوى تعليم الزوج). وفي ضوء هذه المتغيرات يمكن تحديد خصائص مفردات عينة الدراسة على النحو التالي:

محمد بن سعود الإسلامية، مسار العلوم الإنسانية والبالغ عددهن (١٠٢٨) طالبة خلال الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ١٤٣٥_١٤٣٦هـ، وقد بلغت عينة الدراسة (١٠٢) مفردة بواقع ١٠% من إجمالي عدد طالبات السنة التحضيرية مسار العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٢- المجال المكاني: أجريت الدراسة الحالية في مدينة الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية- برامج السنة التحضيرية.

٣- المجال الزمني: يتمثل المجال الزمني للدراسة في مرحلة جمع البيانات من الميدان خلال الفترة من (١٤٣٦/٢/٨) إلى (١٤٣٦/٢/٢١).

أدوات جمع بيانات الدراسة:

اعتمدت الدراسة الحالية على استماراة (الاستبيان) كوسيلة لجمع البيانات من الميدان وفيما يلي عرض لإجراءات بناء استماراة الاستبيان:

١) بناء الاستماراة: تم تصميم استماراة الاستبيان بالرجوع إلى الدراسات السابقة والإطار النظري لذلك قامت الدراسة الحالية ببناء الاستماراة لجمع البيانات من طالبات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض

جدول (١)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير العمر

العمر	العدد	النسبة المئوية
١٨ سنة	٢٨	%٢٨,٠
١٩ سنة	٣٤	%٣٤,٠
٢٠ سنة	٣٨	%٣٨,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة من عمرهم (٢٠ سنة) حيث كانت نسبتهم المئوية (%)، يليها من أعمارهن (١٩ سنة) وذلك بنسبة مئوية (%)، وأخيراً يأتي من أعمارهن (١٨ سنة) بنسبة مئوية (%). مما يدل على أن العينة في بداية مرحلة الشباب وهي المرحلة الملائمة لزيادة وعيهن حول الحياة الزوجية والمشكلات التي يمكن أن تواجههن وكيف يمكن تجنبها ويدل أيضاً على أن الزواج المبكر منتشر بين شريحة كبيرة بين الشباب السعودي.

جدول (٢)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير عدد أفراد الأسرة

عدد أفراد الأسرة	العدد	النسبة المئوية
فردان	٢٦	%٢٦,٠
ثلاثة أفراد	٢٦	%٢٦,٠
أربع أفراد	١٣	%١٣,٠
٤ أفراد فأكثر	٣٥	%٣٥,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة كانت عدد أفراد أسرهن (٤ أفراد فأكثر) حيث كانت نسبتهم المئوية (%٣٥,٠)، يليها من عدد أفراد أسرهن كل من (فردان) أو (ثلاثة أفراد) وذلك بنسبة مئوية (%) لكل منها، وأخيراً يأتي من عدد أفراد أسرهن (أربع أفراد) أعمارهن وذلك بنسبة مئوية (%١٣,٠). وهذا يشير إلى كبر حجم الأسرة حيث تزداد الأعباء المنزلية على الطالب الجامعية مما يعرض الطالبة إلى العديد من المشكلات.

جدول (٣)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير عدد سنوات الزواج

السنوات	العدد	النسبة المئوية
سنة واحدة	١٤	%١٤,٠
سنتان	١٢	%١٢,٠
ثلاث سنوات	٣١	%٣١,٠
أربع سنوات	١٦	%١٦,٠
خمس سنوات	٢٥	%٢٥,٠
ست سنوات	٢	%٢,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة كان عدد سنوات زواجهن (ثلاث سنوات) حيث كانت نسبتهن المئوية (٣١,٠)، يليهـن من كان عدد سنوات زواجهن (خمس سنوات) وذلك بنسبة مئوية (٢٥,٠)، ثم يليهـن من كان عدد سنوات زواجهن (أربع سنوات) بنسبة مئوية (١٦,٠)، يليهـن من كان عدد سنوات زواجهن (سنة واحدة) بنسبة مئوية (١٤,٠)، يليهـن مباشرةً من كان عدد سنوات زواجهن (ستة سنـان) بنسبة مئوية (١٢,٠)، وأخيراً يأتي من كان عدد سنوات زواجهن (ست سنوات) وذلك بنسبة مئوية (٢٠,٠). وهذا يتـقـعـ مع الجدول رقم (١) الخاص بالعمر حيث يتـقـعـ أن معظم مفردات البحث قد تم زواجهـها في سن ٢٠ سنة ولـكونـهمـ حـديـثـيـ الزـواـجـ وـقلـةـ خـبـرـتـهـمـ بـالـحـيـاـةـ مـاـ يـؤـدـيـ إـلـىـ تـعـرـضـهـمـ لـمـشـكـلـاتـ عـدـيدـةـ.

جدول (٤)

يبـينـ تـوزـعـ أـفـرـادـ عـيـنـةـ الـدـرـاسـةـ وـفـقـ مـتـغـيرـ دـخـلـ الأـسـرـةـ

دخل الأسرة	العدد	النسبة المئوية
أقل من ٣٠٠٠	٥	%٥,٠
من ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠	١٦	%١٦,٠
من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠	٦	%٦,٠
من ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠	٥	%٥,٠
من ٦٠٠٠ إلى ٧٠٠٠	١٧	%١٧,٠
فأكثر ٧٠٠٠	٥١	%٥١,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتـقـعـ منـ الجـدـولـ السـابـقـ أـنـ أـكـثـرـ أـفـرـادـ عـيـنـةـ كـانـ دـخـلـ أـسـرـهـنـ (٧٠٠٠ـ فـأـكـثـرـ)ـ وـذـلـكـ بـنـسـبـةـ مـئـوـيـةـ (٥١,٠)،ـ ثـمـ يـأـتـيـ منـ كـانـ دـخـلـ أـسـرـهـنـ (مـنـ ٦٠٠٠ـ إـلـىـ ٧٠٠٠ـ)ـ بـنـسـبـةـ مـئـوـيـةـ (١٧,٠)،ـ يـلـيـهـنـ مـباـشـرـةـ مـنـ كـانـ دـخـلـ أـسـرـهـنـ (مـنـ ٣٠٠٠ـ إـلـىـ ٤٠٠٠ـ)ـ حـيـثـ كـانـتـ نـسـبـتـهـنـ المـئـوـيـةـ (١٦,٠)،ـ ثـمـ يـلـيـهـنـ منـ كـانـ دـخـلـ أـسـرـهـنـ (مـنـ ٤٠٠٠ـ إـلـىـ ٥٠٠٠ـ)ـ وـذـلـكـ بـنـسـبـةـ مـئـوـيـةـ (٦,٠)،ـ وأـخـيـراـ يـأـتـيـ منـ كـانـ دـخـلـ أـسـرـهـنـ كـلـ مـنـ (أـقـلـ مـنـ ٣٠٠٠ـ أـوـ (مـنـ ٥٠٠٠ـ إـلـىـ ٦٠٠٠ـ)ـ وـذـلـكـ بـنـسـبـةـ مـئـوـيـةـ (٥,٠ـ)ـ لـكـلـ مـنـهـمـاـ.ـ وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ دـخـلـ مـعـظـمـ اـفـرـادـ عـيـنـةـ مـسـتـوـيـ مـتوـسـطـ وـعـالـيـ.

جدول (٥)

يبـينـ تـوزـعـ أـفـرـادـ عـيـنـةـ الـدـرـاسـةـ وـفـقـ مـتـغـيرـ نـوـعـ السـكـنـ

نوع السكن	العدد	النسبة المئوية
فيلا	٦٦	%٦٦,٠
شقة	٣٣	%٣٣,٠
منزل شعبي	١	%١,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن معظم أفراد العينة ممن يسكن في (فيلا) حيث كانت نسبتهن المؤدية (٦٦,٠)، ثم يأتي أفراد العينة ممن يسكن في (شقة) وذلك بنسبة مؤدية (٦٦,٠)، وأخيراً يأتي من يسكن في (منزل شعبي) وذلك بنسبة مؤدية (١١,٠).

جدول (٦)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير طبيعة السكن

طبيعة السكن	العدد	النسبة المئوية
ملك	٥٦	%٥٦,٠
إيجار	٤٤	%٤٤,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة يمتلكن سكنهن حيث كانت نسبتهن المؤدية (٥٦,٠)، يليهن أفراد العينة ممن يستأجرن سكنهن وذلك بنسبة مؤدية (٤٤,٠).

جدول (٧)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير مستوى تعليم الزوج

مستوى تعليم الزوج	العدد	النسبة المئوية
يقرأ ويكتب	١	%١,٠
متوسط	١	%١,٠
ثانوي	٢٢	%٢٢,٠
جامعي	٥٤	%٥٤,٠
دراسات عليا	٢٢	%٢٢,٠
الإجمالي	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن معظم أفراد العينة مستوى تعليم أزواجهن (جامعي) حيث كانت نسبتهن المؤدية (٥٤,٠)، ثم يأتي أفراد العينة ممن مستوى تعليم أزواجهن كل من (ثانوي) أو (دراسات عليا) وذلك بنسبة مؤدية (٢٢,٠) لكل منهما، وأخيراً يأتي من مستوى تعليم أزواجهن كل من (يقرأ ويكتب) أو (متوسط) وذلك بنسبة مؤدية (١,٠). وهذا يشير إلى ارتفاع مستوى تعليم ازواج الطالبات الجامعيات.

ثامناً: النتائج الخاصة بالتحقق من تساؤلات الدراسة.

التساؤل الأول: ما مشكلات الزواج الاجتماعية داخل وخارج الأسرة لدى الطالبات الجامعيات؟.

أ- مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة:

جدول (٨)

الرتبة	النحوين المعياري	المتوسط الحسابي	لا	إلى حد ما	نعم	المشكلات	م
١٤	٠,٧٩	١,٧٢	٤٩ ٤٩,٠	٣٠ ٣٠,٠	٢١ ٢١,٠	ت %	رفض الزوج استكمال دراسة الطالبة.
١	٠,٥٩		٥ ٥,٠	٤٦ ٤٦,٠	٤٩ ٤٩,٠	ت %	
٢	٠,٦٧	٢,٤	١٠ ١٠,٠	٤٠ ٤٠,٠	٥٠ ٥٠,٠	ت %	كثرة الأعباء المنزلية التي تؤثر على دراسة الطالبة. الانشغال بالأطفال وترتيبهم عن الوفاء بمتطلبات الدراسة.
٥	٠,٨		٢٢ ٢٢,٠	٣١ ٣١,٠	٤٧ ٤٧,٠	ت %	
١١	٠,٧١	١,٩٢	٢٩ ٢٩,٠	٥٠ ٥٠,٠	٢١ ٢١,٠	ت %	الدوام بالجامعة يؤثر سلباً على علاقة الطالبة بزوجها.
٣	٠,٧٦		١٧ ١٧,٠	٢٧ ٢٧,٠	٥٦ ٥٦,٠	ت %	
٩	٠,٧٤	٢,٠٦	٢٤ ٢٤,٠	٤٦ ٤٦,٠	٣٠ ٣٠,٠	ت %	قضاء الطالبة وقتاً طويلاً بالجامعة مما يؤثر سلباً على علاقتها بأبنائها.
٨	٠,٨٤		٣٠ ٣٠,٠	٢٩ ٢٩,٠	٤١ ٤١,٠	ت %	
١٣	٠,٧٣	١,٧٤	٤٣ ٤٣,٠	٤٠ ٤٠,٠	١٧ ١٧,٠	ت %	كثرة النزاعات بين الطالبة وزوجها بسبب نقص خبرتها الحياتية.
٤	٠,٧٨		١٩ ١٩,٠	٢٩ ٢٩,٠	٥٢ ٥٢,٠	ت %	
٧	٠,٦١	٢,١٥	١٢ ١٢,٠	٦١ ٦١,٠	٢٧ ٢٧,٠	ت %	إهمال الطالبة لدراستها بسبب الأعباء المنزلية.
١٢	٠,٨		٤٠ ٤٠,٠	٣٥ ٣٥,٠	٢٥ ٢٥,٠	ت %	
١٠	٠,٧٨	١,٩٤	٣٣ ٣٣,٠	٤٠ ٤٠,٠	٢٧ ٢٧,٠	ت %	الانشغال عنه في الدراسة.
٦	٠,٨٢		٢٦ ٢٦,٠	٣٠ ٣٠,٠	٤٤ ٤٤,٠	ت %	
		٠,٧٤	٢,١١	المتوسط العام للمحور			

- جاءت مشكلة (كثرة الأعباء المنزلية التي تؤثر على دراسة الطالبة) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٢,٤٤) وبانحراف معياري (٥٩,٠). قد يرجع إلى طبيعة دور الطالبة كأم ودورها كزوجة فكترة الالتزامات والمهام الملقة على عاتق الطالبة وأيضاً قد يرجع إلى طبيعة ثقافة المجتمع العربي عموماً الذي يرفض فيها الزوج

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول مشكلات الزوج

الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة وفيما يلي نتناول نتائج أهم مشكلات الزوج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

ما يشغل الطالبة عن مهامها الدراسية وهذا يتفق فيما جاء بالمشكلة الأولى أن الأعباء المنزلية تؤثر على دراسة الطالبة مما قد يعرضها للعديد من المشكلات. وهذا يتفق مع جدول رقم (١٠) الخاص عدد أفراد الأسرة حيث يتضح أن أكثر أفراد العينة كانت عدد أفراد أسرهن (٤ أفراد فأكثر) حيث كانت نسبتهم المئوية (٣٥,٠%).

بـ- المشكلات خارج الأسرة:

مساعدة الزوجة ومشاركتها مسؤوليات المنزل والأطفال مما يعرض الطالبة إلى العديد من المشكلات.

- جاءت مشكلة (الانشغال بالأطفال وتربيتهم عن الوفاء بمتطلبات الدراسة) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,٤٠) وبانحراف معياري (٦٧,٠). وقد يرجع إلى دور الطالبة كأم وما يتربى على ذلك الدور من وظائف وواجبات منزلية ولديهمأطفال صغار السن يحتاجون إلى عناية ورعاية خاصة،

جدول (٩)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات خارج الأسر

م	المشكلات	نعم	إلى حد ما	لا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ن	
١	عدم تفهم أهل الزوج لمسؤوليات الطالبة الخاصة بدراستها.	٦٩	٢٢	٩	٢,٦	٠,٦٥	٩,٠	
		%	٦٩,٠	٢,٠	٩,٠	٠,٦٥	٩,٠	
٢	عدم المواءمة بين الدراسة ومسؤوليات الطالبة تجاه أسرتها.	٢٧	٦٠	١٣	٢,١٤	٠,٦٢	١٣,٠	
		%	٢٧,٠	٦٠,٠	١٣,٠	٠,٦٢	١٣,٠	
٣	عدم قدرة الطالبة المتزوجة على إقامة علاقات اجتماعية جيدة مع زميلاتها.	١١	٤٥	٤٤	١,٦٧	٠,٦٧	٤٤,٠	
		%	١١,٠	٤٥,٠	٤٤,٠	٠,٦٧	٤٤,٠	
٤	كثرة علاقات الطالبة الاجتماعية تؤدي إلى ضياع وقت الاستذكار.	١٣	٣٥	٥٢	١,٦١	٠,٧١	٥٢,٠	
		%	١٣,٠	٣٥,٠	١,٦١	٠,٧١	٥٢,٠	
٥	اختلاف معاملة زميلات للطالبة المتزوجة عن الطالبة غير المتزوجة في الفاعات الدراسية.	١٦	٢٧	٥٧	١,٥٩	٠,٧٥	٥٧,٠	
		%	١٦,٠	٢٧,٠	١,٥٩	٠,٧٥	٥٧,٠	
٦	معارضة أهل الزوج لاستكمال دراسة الطالبة بالجامعة.	٤١	٢٢	٣٧	٢,٠٤	٠,٨٩	٣٧,٠	
		%	٤١,٠	٢٢,٠	٢,٠٤	٠,٨٩	٣٧,٠	
٧	عدم قدرة الطالبة المتزوجة على مشاركة زميلاتها مناسباتهم الاجتماعية.	٢٣	٣٧	٤٠	١,٨٣	٠,٧٨	٤٠,٠	
		%	٢٣,٠	٣٧,٠	١,٨٣	٠,٧٨	٤٠,٠	
٨	ضعف العلاقات الاجتماعية بين الطالبة المتزوجة وزميلاتها في الجامعة.	٧	٥٤	٣٩	١,٦٨	٠,٦	٣٩,٠	
		%	٧,٠	٥٤,٠	١,٦٨	٠,٦	٣٩,٠	
٩	عدم قدرة الطالبة على الوفاء بالتزاماتها تجاه عائلة زوجها.	١١	٣٦	٥٣	١,٥٨	٠,٦٨	٥٣,٠	
		%	١١,٠	٣٦,٠	١,٥٨	٠,٦٨	٥٣,٠	
١٠	عدم قدرة الطالبة على مشاركة أفراد عائلتها مناسباتهم الاجتماعية.	١٠	٤١	٤٩	١,٦١	٠,٦٧	٤٩,٠	
		%	١٠,٠	٤١,٠	١,٦١	٠,٦٧	٤٩,٠	
المتوسط العام للمحور								
٠,٧٠								

ومن الجدول أعلاه نذكر أهم المشكلات خارج الأسرة من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

-جاءت مشكلة (عدم الموائمة بين الدراسة ومسئوليّات الطالبة تجاه أسرتها) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢١٤) وبانحراف معياري (٠٦٢). وتعكس هذه النتيجة صراع الأدوار الذي تعاني منها طالبات المتزوجات للموائمة بين إلتزاماتها كزوجة وأم، فالطالبة الجامعية المتزوجة تتعرض إلى صراع في الأدوار بين دورها كزوجة وأم وبين دورها كطالبة، مما ينبع عندها حتماً وجود مشاكل زوجية. وهو ما أكدت عليه دراسة (إسماعيل، ٢٠٠٧) التي أظهرت إرتفاع المعاناة من صراع الأدوار لطالبات الجامعة المتزوجات المنجبات وغير المنجبات في أدائهن لأدوارهن المتعددة.

-جاءت مشكلة (عدم تفهم أهل الزوج لمسئوليّات الطالبة الخاصة بدراساتها) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٦٢) وبانحراف معياري (٠٦٥). ويعزو ذلك إلى طبيعة المجتمع السعودي ، فالمجتمع اعتاد على وجود المرأة بالمنزل للإهتمام بالزوج والأبناء ويرفض المجتمع أن تقضي الزوجة وقتاً طويلاً خارج المنزل. حيث تدخل الأسرة ضمن النسق القرابي فالأسرة تعتبر نسق مكون من فاعلين لهم مراكز وأدوار وقيم متفق عليها من أجل الحفاظ على بقاء الأسرة. يرفض المجتمع عاده التغيير في المراكز والأدوار .

وتعكس هذه النتيجة أنه على الرغم من التغيرات الحاصلة في قيم وعادات الأسرة السعودية التي سمحت للمرأة بمزاولة الدراسة والوصول إلى مستويات عليا، لكن مازالت في بدايتها مما يعرض الطالبة للعديد من المشكلات.

السؤال الثاني: ما مشكلات الزواج الاقتصادية لدى طالبات الجامعيات؟

جدول (١٠)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لرأيهم حول مشكلات الزواج الاقتصادية لدى طالبات الجامعيات

م	المشكلات	نعم	ما هي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي
١	زيادة تكلفة المواصلات	٢٧	لا	٠,٨٦	١,٧٥
		٢٧,٠	ما هي	٥٢,٠	٥٢,٠
٢	عدم القدرة على شراء ما يلزم من ملابس ملائمة للدراسة بالجامعة	١٢	لا	٠,٧	١,٥
		١٢,٠	ما هي	٦٢,٠	٦٢,٠
٣	عدم القدرة على شراء الكتب لارتفاع ثمنها	٢١	لا	٠,٨	١,٧١
		٢١,٠	ما هي	٥٠,٠	٥٠,٠
٤	عدم رغبة الزوج في الإنفاق على دراستي	١٣	لا	٠,٧٢	١,٤٩
		١٣,٠	ما هي	٦٤,٠	٦٤,٠
٥	ارتفاع أسعار المأكولات المشروبات بكافيتريا الجامعة	٢٠	لا	٠,٧٩	١,٦٨
		٢٠,٠	ما هي	٥٢,٠	٥٢,٠

١	٠,٨٧	٢,٣٣	٢٦ ٢٦,٠	١٥ ١٥,٠	٥٩ ٥٩,٠	ت %	كثرة طلبات المدرسين من بحوث وأعمال مكتبة مكلفة	٦
٤	٠,٨٤	١,٧٨	٤٨ ٤٨,٠	٢٦ ٢٦,٠	٢٦ ٢٦,٠	ت %		٧
			٤٤ ٤٤,٠	١٥ ١٥,٠	٤١ ٤١,٠	ت %	عدم كفاية المكافأة لتغطية نفقات شراء المراجع	٨
٣	٠,٨١	١,٨٣	٤٢ ٤٢,٠	٣٣ ٣٣,٠	٢٥ ٢٥,٠	ت %		٩
			٠,٨١	١,٧٨	المتوسط العام للمحور			

يتضح من الجدول أعلاه أهم مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي :

- جاءت مشكلة (كثرة طلبات المدرسين من بحوث وأعمال مكتبة مكلفة) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٢,٣٣) وبانحراف معياري (٠,٨٧). وهو مؤشر على أن طلبات المدرسين يمثل هاجس يؤرق الطالبات في الجامعات ، خاصة للطالبات ذات الدخل المحدود ماديا و تقل عاتق رب الأسرة سواء كان الزوج أو الأب ، فهناك من يطلب أموراً مبالغ فيها . وهنا توصي الدراسة الحالية بضرورة التبيه على المدرسين بعدم المبالغة في كثرة الطلبات، وعدم تحمل الأسرة أعباء مالية .

وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (عليان، ٢٠٠٩ م) والتي أظهرت أن مشكلة كثرة طلبات المدرسين من بحوث وأعمال كتابية مطبوعة في المرتبة الخامسة وبمتوسط حسابي ٤,٣ .

- جاءت مشكلة (عدم كفاية المكافأة لتغطية نفقات شراء المراجع) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (١,٩٧) وبانحراف معياري (٠,٩٣) يرجع إلى أن الطالبة الجامعية تستلم ٩٩٠ ريال مكافأة كونها طالبة في إحدى الكليات الصحية أو العلمية أو ٨٤٠ ريال كونها طالبة في كلية نظرية أو إنسانية ، فإذا كانت المكافأة لاتغطي تكاليف الكتب الدراسية . فكيف بباقي الاحتياجات . وهذا يفرض على الزوج تحمل باقي النفقات الدراسية للزوجة ، مما يمثل عبءً إضافياً على الزوج، وقد يدفع به إلى رفض تحمل تلك النفقات أو رفض إستكمال الطالبة لدراستها .

السؤال الثالث: المشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات ؟.

جدول (١١)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول المشكلات الزوج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات

م	المشكلات	نعم	إلى حد ما	لا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نوع	
١	كثرة غياب الطالبة عن حضور المحاضرات بسبب المسؤوليات الأسرية	٦٨	٢٥	٧	٢,٦١	٠,٦٢	٪	
		٦٨,٠	٢٥,٠	٧,٠			%	
٢	سوء علاقة الطالبة بأستاذاتها بسبب تصريح الطالبة في واجباتها الدراسية	٤٢	٢٩	٢٩	٢,١٣	٠,٨٤	٪	
		٤٢,٠	٢٩,٠	٢٩,٠			%	
٣	عدم قدرة الطالبة على المشاركة في الأنشطة التعليمية بالجامعة	٣٦	٤١	٢٣	٢,١٣	٠,٧٦	٪	
		٣٦,٠	٤١,٠	٢٣,٠			%	
٤	تكرار تأخر الطالبة عن مواعيد المحاضرات بسبب التزامها تجاه أبنائها	٤٢	٤٠	١٨	٢,٢٤	٠,٧٤	٪	
		٤٢,٠	٤٠,٠	١٨,٠			%	
٥	عدم قدرة الطالبة على مراجعة دروسها بسبب انشغالها مع زوجها وأبنائهما	٤٤	٥١	٥	٢,٣٩	٠,٥٨	٪	
		٤٤,٠	٥١,٠	٥,٠			%	
٦	عدم قدرة الطالبة على التردد على مكتبة الجامعة للاطلاع في مجال تخصصها بسبب ضيق وقتها.	٤٥	٤٢	١٣	٢,٣٢	٠,٧	٪	
		٤٥,٠	٤٢,٠	١٣,٠			%	
٧	قد تضطر الطالبة إلى عدم حضور الاختبارات بسبب ظروفها الأسرية	٤٨	٣٧	١٥	٢,٣٣	٠,٧٣	٪	
		٤٨,٠	٣٧,٠	١٥,٠			%	
٨	عدم مراعاة أنظمة الجامعة لظروف الطالبة المتزوجة	٧٣	١٧	١٠	٢,٦٣	٠,٦٦	٪	
		٧٣,٠	١٧,٠	١٠,٠			%	
٩	قصور خدمات الإشراف الاجتماعي لمواجهة المشكلات الاجتماعية للطالبة المتزوجة	٦٢	٢٣	١٥	٢,٤٧	٠,٧٥	٪	
		٦٢,٠	٢٣,٠	١٥,٠			%	
١٠	قصور الإرشاد الأكاديمي في مواجهة المشكلات التعليمية للطالبة المتزوجة	٦٥	٢١	١٤	٢,٥١	٠,٧٣	٪	
		٦٥,٠	٢١,٠	١٤,٠			%	
المتوسط العام للمحور								
٠,٧١								

- يوضح الجدول السابق أهم المشكلات الزوج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات من وجهة نظر عينة الدراسة

من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

- جاءت مشكلة (عدم مراعاة أنظمة الجامعة لظروف الطالبة المتزوجة) في المرتبة الأولى ويرجع ذلك كون النظام الأكاديمي ينظر لجميع الطالبات نظرة سواسية وليس هناك فرق بين متزوجة وغير متزوجة ،ولا ينص على مراعاة الطالبات المتزوجات إلا في حالات معينة كالحمل والولادة. فالتقدير يكون بشكل موحد بين الطالبات سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، فالزواج بحد ذاته لا يعتبر حالة خاصة تعيق الطالبة عن التحصيل الدراسي أو تستوجب نوعاً خاصاً من المعاملة.

- جاءت مشكلة (كثرة غياب الطالبة عن حضور المحاضرات بسبب المسؤوليات الأسرية) في المرتبة الثانية وتفسر هذه النتيجة بوجود إلتزامات للطالبة المتزوجة والزواج خاصة وأطفالها في حال إنجابها وأهل زوجها. كما تعتبر هذه النتيجة مؤشراً لصعوبة التوفيق بين الدراسة والزواج خاصة وأن الدراسة الجامعية تحتاج إلى تركيز ذهني وراحة نفسية.

السؤال الرابع: ما المقترنات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات؟

جدول (١٢)

توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأرائهم حول المقترنات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات

الرقم	الانحراف المعياري	المتوسط الجسائي	لا	إلى حد ما	نعم	المقترنات	م
٢	٠,٥٤	٢,٧٤	٥	١٦	٧٩	ت	١
			٥,٠	١٦,٠	٧٩,٠	%	
٤	٠,٦٣	٢,٦٥	٨	١٩	٧٣	ت	٢
			٨,٠	١٩,٠	٧٣,٠	%	
١	٠,٥٤	٢,٧٥	٥	١٥	٨٠	ت	٣
			٥,٠	١٥,٠	٨٠,٠	%	
٧	٠,٦٤	٢,٥٥	٨	٢٩	٦٣	ت	٤
			٨,٠	٢٩,٠	٦٣,٠	%	
١٣	٠,٨٦	٢,٢٩	٢٦	١٩	٥٥	ت	٥
			٢٦,٠	١٩,٠	٥٥,٠	%	
٤	٠,٦٦	٢,٦٥	١٠	١٥	٧٥	ت	٦
			١٠,٠	١٥,٠	٧٥,٠	%	
١٠	٠,٧٦	٢,٤٤	١٦	٢٤	٦٠	ت	٧
			١٦,٠	٢٤,٠	٦٠,٠	%	
٨	٠,٧٣	٢,٥٢	١٤	٢٠	٦٦	ت	٨
			١٤,٠	٢٠,٠	٦٦,٠	%	
٨	٠,٧٢	٢,٥٢	١٣	٢٢	٦٥	ت	٩
			١٣,٠	٢٢,٠	٦٥,٠	%	
٦	٠,٦٧	٢,٦٤	١١	١٤	٧٥	ت	١٠
			١١,٠	١٤,٠	٧٥,٠	%	
١٥	٠,٩٤	١,٩٩	٤٤	١٣	٤٣	ت	١١
			٤٤,٠	١٣,٠	٤٣,٠	%	
١٢	٠,٧٧	٢,٣٥	١٨	٢٩	٥٣	ت	١٢
			١٨,٠	٢٩,٠	٥٣,٠	%	
١١	٠,٧٣	٢,٤١	١٤	٣١	٥٥	ت	١٣
			١٤,٠	٣١,٠	٥٥,٠	%	
٣	٠,٦٣	٢,٦٩	٩	١٣	٧٨	ت	١٤
			٩,٠	١٣,٠	٧٨,٠	%	
١٤	٠,٨	٢,٢٢	٢٣	٣٢	٤٥	ت	١٥
			٢٣,٠	٣٢,٠	٤٥,٠	%	
	٠,٧١	٢,٤٩	المتوسط العام للمحور				

فالخدمة الإجتماعية تخصص علمي ومهني وبحكم فلسفتها وركائزها وأسلوبها فهي المهنة الأنسب للتعامل مع القضايا الاجتماعية وفي علاج المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الطلاب والطالبات في مختلف مراحلهم الدراسية ، ولأهمية دور الخدمة الاجتماعية نجد في الدول الغربية أنه يُشترط في كل مدرسة وجود أخصائيين اجتماعيين متخصصين في الخدمة الاجتماعية بل أيضاً في بعض دول الخليج العربي كالكويت وعمان. كما تجد الدراسة الحالية هنا غرابة في أنه في الوقت الذي تزداد فيها حاجة إلى مهنة الخدمة الاجتماعية نتيجة للتحديات والمشكلات الاجتماعية الاقتصادية والتعليمية التي تواجه الطالبات، إلا أن هناك تجاهلاً للدور المهم الذي تضطلع به مهنة الخدمة الاجتماعية في الجامعات، حتى أنَّ وظيفة الأخصائي الاجتماعي الموجودة في السابق حُولت إلى وظيفة مرشد طلابي وأصبح يُعين في وظيفة الإرشاد الطلابي من شتى التخصصات، بل إن بعض التخصصات بعيدة كل البعد عن الجانب الاجتماعي، وربما يُعين في وظيفة الإرشاد الطلابي أفراد تتخصصهم ليس فقط التخصصية ولكن أيضاً الكفاءة والرغبة في العمل الاجتماعي، فقد يُرشح لوظيفة المرشد الطلابي مدرس يُراد التخلص منه لوجود ملاحظات على أدائه في مجال التدريس

يبين الجدول السابق أهم المقترنات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات من وجهة نظر عينة الدراسة من الطالبات الجامعيات بالتفصيل وبالترتيب التالي:

- جاء المقترن (العمل على تنظيم المحاضرات، والندوات، وورش عمل لتوسيعية الطالبات حول الضغوط الحياتية) في المرتبة الأولى
- جاء المقترن (مساعدة الطالبة في تفهم الأستاذات بالجامعة لظروف الطالبة الأسرية) في المرتبة الثانية
- جاء المقترن (التدخل المهني لمواجهة مشكلات الطالبة المتزوجة الأسرية) في المرتبة الثالثة مما يعكس أهمية المقترنات التي يقدمها الأخصائي الاجتماعي للطالبات، كما تؤكد النتائج السابقة على أهمية تخصص الخدمة الاجتماعية في مواجهة المشكلات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية التي تواجهها الطالبات عموماً والطالبات المتزوجات خصوصاً، بإستخدام الأساليب العلاجية المناسبة وتوسيعية الطالبات وإرشادهن لكيفية تجنب الوقوع في تلك المشكلات مما يؤثر بالإيجاب على قيامها بأدوارها كزوجة وأم وطالبة جامعية . وهذا ما أكدته دراسة (مرفت أبو النيل ٢٠٠٧م، من قطب) وهو فاعلية دور التدخل المهني للخدمة الاجتماعية مع التخفيف من حدة المشكلات الزوجية.

جدول (١٣)

ترتيب مشكلات الزواج حسب المتوسط العام لكل منها

م	المشكلات	المتوسط العام	التقدير	الترتيب
١	مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة	٢,١١	٢ إلى حد ما	
	المشكلات خارج الأسرة	١,٨٤		
	المحور الأول: مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات	١,٩٨		
٢	المحور الثاني: مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات	١,٧٨	إلى حد ما	٣
٣	المحور الثالث: المشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات	٢,٣٨	نعم	١

يوضح الجدول السابق أن مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات تمثل فيما يلي :

- جاءت المشكلات التعليمية في المرتبة الأولى بمتوسط عام (٢,٣٨). وتعزو الدراسة الحالية هذه النتيجة إلى أن الطالبات المتزوجات يبذلن جهداً مضاعفاً من أجل التوفيق بين متطلبات الأسرة واحتياجات بيت الزوجية، إضافة إلى الدراسة وأعبائها. بالإضافة إلى ضيق الوقت وصعوبة توزيعه بين تحقيق متطلبات الأسرة ، وخدمة الزوج و الأبناء ، ومذاكرة الدروس ، وفي الوقت نفسه الذهاب إلى الجامعة.

وتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (Huebner and Others)، هيبنر وآخرون، (١٤٠٢، ١٩٨٢م) التي خلصت إلى أن أكثر المشكلات التي تواجهها الطلبة الجامعيين تكرراً هي المشكلات الأكademie. واتفقت أيضاً مع ماتوصلت إليه نتائج دراسة (عمران علي عليان ، ٢٠٠٩ م) حيث أكدت أن المشكلات الأكademie بالمرتبة الأولى يليها المشكلات الاقتصادية يليها المشكلات الاجتماعية.

- الانشغال بالأطفال وتربيتهم عن الوفاء بمتطلبات الدراسة.

- عدم وجود مكان آمن للأبناء الرضع أثناء تواجد الطالبة بالجامعة.

وأكّدت الدراسة الحالية على أهم المشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات خارج الأسرة

هي على التوالي:

- عدم تفهم أهل الزوج لمسؤوليات الطالبة الخاصة بدراساتها

ثامناً : مستخلص النتائج:

أ- أهم النتائج المتعلقة بالمحور الأول: مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة:

أكّدت الدراسة الحالية على أهم مشكلات الزواج الاجتماعية لدى الطالبات الجامعيات داخل الأسرة

وهي على التوالي:

- كثرة الأعباء المنزلية التي تؤثر على دراسة الطالبة.

- التدخل المهني لمواجهة مشكلات الطالبة المتزوجة الأسرية.

تاسعاً : المقترنات

- مطالبة الجامعة بزيادة الدعم النفسي والاجتماعي لطالبة المتزوجة من خلال فتح دور حضانة لأبناء الطالبات المتزوجات داخل الجامعة بحيث توفر الرعاية المناسبة لهم مما يوفر استقراراً نفسياً لطالبة المتزوجة ويسهم إيجابياً على الأداء الأكاديمي للطالبات المتزوجات.

- تنظيم ندوات ومؤتمرات توعوية بدور الأخصائي الاجتماعي داخل الجامعة وذلك لبث الوعي لدى الطالبات بالجامعة من ناحية تعريفهن بأهمية وجود الأخصائي الاجتماعي كمساعد في حل المشكلات التي تواجههن

- تنظيم عدد من الدورات التدريبية والندوات واللقاءات العلمية والعملية للأخصائيات الاجتماعيات اللاتي يتم تكليفهن بالعمل داخل الجامعة وذلك لتفعيل أدائهن لأدوارهن المهنية ورفع مستوى الأداء المهني .

- توجيه الأخصائيات الاجتماعيات بإستخدام الأساليب العلاجية الحديثة (حل المشكلة، التركيز على المهام ،العلاج الأسري ، ...وغيرها) وذلك لتزويدهن بكيفية التعامل مع مختلف مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات المتزوجات .

- عدم المواءمة بين الدراسة ومسؤوليات الطالبة تجاه أسرتها.

- معارضة أهل الزوج لاستكمال دراسة الطالبة بالجامعة.

ب- أهم النتائج المتعلقة بالمحور الثاني: مشكلات الزواج الاقتصادية لدى الطالبات الجامعيات وهي على التوالي:

- كثرة طلبات المدرسين من بحوث وأعمال مكتبية مكلفة.

- عدم كفاية المكافأة لتغطية نفقات شراء المراجع.

- زيادة الإنفاق مع استهلاك سلع غير ضرورية.

ج- أهم النتائج المتعلقة بالمحور الثالث: المشكلات الزواج التعليمية لدى الطالبات الجامعيات:

- عدم مراعاة أنظمة الجامعة لظروف الطالبة المتزوجة.

- كثرة غياب الطالبة عن حضور المحاضرات بسبب المسؤوليات الأسرية.

- قصور الإرشاد الأكاديمي في مواجهة المشكلات التعليمية للطالبة المتزوجة.

د- أهم النتائج المتعلقة بالمحور الرابع: المقترنات الخاصة بدور الخدمة الاجتماعية لمواجهة مشكلات الزواج لدى الطالبات الجامعيات:

- العمل على تنظيم المحاضرات، والندوات، وورش عمل لتوسيعية الطالبات حول الضغوط الحياتية.

- مساعدة الطالبة في تفهم الأستاذات بالجامعة لظروف الطالبة الأسرية.

- مؤشرات تخطيطية لتفعيل مشاركة طالبات الجامعة المتزوجات في البرامج والأنشطة الجامعية.
- دراسة مشكلات الزواج لدى الطلاب الجامعيين

- السدحان، عبدالله بن ناصر وآخرون.(١٤٣١هـ). دليل الإرشاد الأسري(مشكلة الطلاق وكيف يتعامل معها المرشد الأسري)، ج٤، الرياض :مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الصديقي، سلوى عثمان.(١٩٩٨) أساسيات في طريقة العمل مع الحالات الفردية في الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة ، القاهرة: عالم الكتب.
- العمري، عوض بن محمد. (١٤٣٤هـ). إصلاح ذات البين ودوره في تماسك المجتمع المسلم، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- عليان ،عمران علي.(٢٠٠٩). بعض المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها الطالبات الفلسطينيات المتزوجات من وجهة نظرهن "الأسباب وأليات العلاج. رسالة ماجستير غيرمنشورة ، كلية التربية ، جامعة الأقصى.
- قطب، منى جلال.(٢٠١٢). الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية وتنميةوعي الفتيات بمشاكل الأسر حديثة التكوين ،رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم.
- متولي، ماجدة سعد وعبد المجيد ، هشام.(١٩٩٩). أصول النظرية وتطبيقاتها العلمية ، دبي : دار القلم لنشر.
- محفوظ ،ماجدى عاطف .(٢٠٠٩). نماذج نظريات في طريقة خدمة الجماعة ،القاهرة: السوق الريادي للكتاب الجامعي.
- محمد ،فرح.(٢٠٠٠). بناء نظرية علم الاجتماع الإسكندرية:منشأة المعارف.

عاشرًا : التوصيات بالبحوث المقترحة:

- مدى الحاجة إلى وجود خدمات إرشاد زوجي داخل الجامعات.
- تقويم برامج الخدمة الإجتماعية الجامعية.

المراجع

- أبو العزم ،عبد الغني. المعجم الغني ،الجزائر :مؤسسة الغني للنشر ، د.ت.
- أبو النيل، مرفت أحمد.(٢٠١١). مشكلات الزواج المبكر أثناء الدراسة لدى طالبات الجامعه الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية ،كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ع ٣١، ج ٥، أكتوبر.
- أبو ياسين ، محمود.(٢٠١٠). الزواج المبكر أسبابه ونتائجها الصحية والاجتماعية، المغرب: دار البيضاء.
- إدارةإحصاءالمركزى ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة- اليونيسيف.(٢٠٠٩). حول أوضاع النساء والأطفال.الدورة الثالثة، لبنان، بيروت .
- الجهني ،عبد العزيز بن حمدي.(٢٠٠٥م). الخلافات الزوجية في المجتمع السعودي من وجهة نظر الزوجات المتصلات بوحدة الإرشاد الاجتماعي ، رسالة ماجستير، غير منشورة ، قسم العلوم الاجتماعية ،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .
- حسين، أحمد فراج.(٢٠٠٤م).أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- هنا ، مريم إبراهيم.(١٩٩٩). العلاقة بين استخدام العلاج المعرفي في خدمة الفرد وتنمية الوعي بمشاكل الانحراف الاجتماعي لدى الأحداث المعرضين للانحراف، المؤتمر العلمي الثاني عشر، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان .
- خميس، فوزي وآخرون.(٢٠١٤).حماية القاصرات من الزواج المبكر الواقع والمرجعى، معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، الجامعة اللبنانية الأمريكية.
- الزعبي ،أحمد. (٢٠٠٧). التوجيه والإرشاد النفسي، الرياض: مكتبة الرشد.

- وزارة العدل (١٤٣٣هـ). الكتاب الإحصائي السابع والثلاثين، الرياض.

- منظمة الصحة العالمية جمعية الصحة العالمية . الخامسة والستون ج ١٣/٦٥ البند ٤-١٣. من جدول الأعمال المؤقت ٦ مارس.

المراجع الأجنبية:

- EasyTopics <http://www.myprojecttopics.com/payment118.html>.
- Huebner, L. and Others (1982): Student Interaction with Campus Help-Givers, Mapping

the Network's Efficacy, ERIC Document Reproduction Service, No. ED 223-172.

- Stephanie Steinberg: Saying 'I do' while studying at the 'U', <http://edition.cnn.com/2011/08/04/living/married-college-student>

Problems facing college student married in Saudi society (English Abstract)

Khalil Abdul maqsood Abdul Hamid

Najla Fahad Mohamed Al Shibani

Abstract .The current study aimed to identify social problems of marriage (inside and outside the family) of female university students, to also ins provide some proposals for social service to face marriage problems for female university students. This study is of descriptive studies. This study based on a sample of Social survey method on the preparatory year students of human science path for (102) student's , and questionnaire tool is applied to determine marriage problems for social, educational , and economic female university students.

The study found that the social problems of marriage for female university students within the family are:

- The frequent burdens of Family that effect on student study

This study also emphasized on the most important social problems in marriage for female university students outside the family are:

- Lack of understanding by husband's family for the responsibilities of student's study

The study also reported that the most important economic problems in marriage for female university students are:

- Frequent of requests from teachers as doing researches and expensive office work

The current study emphasized on the most important educational problems in marriage of female university students which are:

- Non – compliance of university systems to the circumferences of married student

The study also concluded with providing a set of proposals to activate the role of social service to face marriage problems for female university student

الإندماج الأكاديمي وعلاقته بالقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية ١

شروق غرم الله الزهراني

أستاذ مساعد- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز

مستخلاص. هدفت الدراسة الحالية بالتعرف على مدى شيوع الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة، ومعرفة العلاقة بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة، بالإضافة إلى معرفة مدى اختلاف كل من مستوى الاندماج الأكاديمي، والقيم النفسية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي، وتم تطبيق مقياس الاندماج الأكاديمي ومقياس القيم النفسية على عينة من طلاب جامعة الملك عبد العزيز ، (ن=٥٠٠)، منهم (٢١٥ ذكور، ٢٨٥ إناث)، وتوصلت النتائج إلى وجود شيوع للاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة، ووجود ارتباط دال بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية، وظهر عدم وجود فروق في الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية تعزيز للجنس ، في حين وجدت فروق تعزيز للتخصص الدراسي.

الكلمات الدالة : - الاندماج الأكاديمي - القيم النفسية - طلاب الجامعة

الأشياء، ومن خلال التفاعل بين الفرد ومعارفه وخبراته، ويصدر أحکامه الخاصة بالقيم سواء بالفضيل أو عدم التفضيل، ويضفي عليها صيغته الخاصة.(Schwartz,2012) والقيم التي يحملها الإنسان تعد عوامل وقائية ضد صدمات الحياة، كما أنها تمكنا في فهم الشخصية، ولذلك فالقيم تلعب دوراً مهماً في تعديل السلوك،

المقدمة

تعد القيم من أهم المتغيرات المؤثرة في فهم دوافع السلوك الانساني، فهي جزء لا يتجزأ من نسيج الخبرة الإنسانية، وذلك لتأثيرها على طموحات الأفراد وتحديد اختيارتهم واتخاذ قراراتهم المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة.(أمينة شلبي و هدى أحمد، ٢٠١٥). وفي ضوء تقدير الفرد للموضوعات او

وبالرغم من أهمية الاندماج الأكاديمي في عملية التعلم وتكوين الاتجاهات والقيم النفسية ، الا أنه نجد الدراسات اغفلت هذه الأهمية في تحسين الاتجاه نحو القيم النفسية .

وتلعب القيم دوراً مهماً في حياة الإنسان والمجتمع في الماضي والحاضر والمستقبل، فتقوم بالربط بين النظم الاجتماعية وإعطائها أساساً عقلياً يستقر في ذهن أعضاء المجتمع (عصام عبد العزيز ، ٢٠٠٧). فمنظومة القيم تمثل بناءاً نفسياً متربطاً للفرد، كما أن الالتزام بها يدعم سلوك الفرد، لذلك لابد من الإهتمام بمظومة القيم التي بدأت تتراجع، فهي التي تحدد سلوكه وتدخل في بنائه النفسي، فتجعله يختار طريقه ويفهمه جيداً وتوثر على مسيرته في المستقبل. (يوسف صالح ، ٢٠٠٢).

ولكل عصر قيمه وأفكاره التي تسيطر عليه، ومجموعة القيم هي مرآة تعكس بعض حاجات العصر ومتطلباته كما أن لكل ثقافة نسقها القيمي الذي يفصح عن نفسه من خلال مظاهر عديدة.

أسئلة الدراسة:-

- ما مدى شيع الاندماج الأكاديمي لدى عينة من طلاب الجامعة ؟
- ما مدى شيع القيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة؟
- هل توجد علاقة ارتباطية بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة؟

وتشخيص الاضطرابات النفسية وعلاجها. وتختلف القيم التي يتبعها الفرد باختلاف المرحلة العمرية التي يمر بها الفرد طبقاً للخصائص المعرفية والوجودانية والسلوكية، ويؤدي حدوث توازن في النسق القيمي إلى حدوث توافق الفرد مع القواعد والمعايير الاجتماعية والأخلاقية السائدة. (Joshanloo & Ghaedi, 2009) Dipietro, 2011 من خلال الدراسة التي قام بتطبيقها على طلاب الجامعة أن القيم تتغير مع مرور الوقت، كما أنها تتأثر بالأحداث التي يمر بها افرد والمجتمع .

ومن المتغيرات التي لها تأثير على القيم النفسية لدى الطلاب الاندماج الأكاديمي، ويعود أحد المفاهيم التي لها تأثير في دافعية الطلاب نحو عملية التعلم، كما أنه عامل جوهري وفعال في المخرجات التعليمية والاجتماعية الإيجابية، واستثمار أوسع لجهود الطلاب في عملية التعلم. (Zhou & Winne, 2012) وقد ظهر من خلال الدراسات السابقة أن الطلاب الأكثر اندماجاً أكاديمياً يركزون على التعلم، ويؤدون آداء أفضل في الاختبارات ويلتزمون بقواعد الجامعة، كما أنهم يؤدون المهام المطلوبة منهم بكل حماس واجتهاد ومثابرة. (Wang, et al., 2011) كما توصلت الدراسات أن الطلاب المندمجين أكاديمياً يسعون نحو الأنشطة العامة والتطوعية بالجامعة، ويتميزون بحب الاستطلاع والرغبة المستمرة المعرفة والتعلم.

(Fan & Willias, 2010)

- اعدا برامج ارشادية تعتمد على دعم اعضاء هيئة التدريس، والاستفادة من البرامج العلاجية النفسية في رعاية ، وزيادة الاندماج الأكاديمي لديهم.
- **أهداف الدراسة:**

تسعى الدراسة الى تحقيق الاهداف التالية:

- التعرف على مدى انتشار الاندماج الأكاديمي لدى عينة من طلاب الجامعة.
- التعرف على مدى إنتشار القيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة.
- معرفة العلاقة الارتباطية بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة.
- الكشف عن الفروق في الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي.

متغيرات الدراسة

الاندماج الأكاديمي

يعرفه باكر (Baker 2010) الاندماج الأكاديمي بأنه مشاركة الطالب في الأنشطة التعليمية المختلفة التي تتم داخل المؤسسة التعليمية وتتضمن بذل الجهد ، والمثابرة، واستثمار الطاقات والإمكانيات الداخلية المختلفة للطالب، كذلك المشاركة العاطفية لآخرين، وزيادة درجة الدافعية للتعلم.

عرف سيد حسن (٢٠١٥) الاندماج الأكاديمي بأنه عملية نفسية ذات طبيعة دافعية، تتضمن الإهتمام وبذل الجهد، والكفاءة ومشاعر الإنتماء، وردود الفعل الإيجابية واستثمار الطاقة الداخلية أثناء المشاركة في الأنشطة الأكاديمية والإجتماعية المختلفة. وتفقق

- هل يختلف الاندماج الأكاديمي، والقيم النفسية باختلاف الجنس (ذكور وإناث)، والتخصص الدراسي (علمى، نظري)؟
- **أهمية الدراسة:**

أولاً:- الأهمية النظرية

- تساهم الدراسة في القاء الضوء على أهمية الاندماج الأكاديمي، للطلاب ودوره في تطوير الاتجاه نحو النسق القيمي الايجابي لطلاب الجامعة.
- تستمد الدراسة أهميتها من عينة الدراسة وهي طلاب الجامعة ، وهم بحاجة الى الاهتمام والرعاية والمساعدة بتقديم الدعم.

- ما تسفر عنه نتائج الدراسة تساعد التربويين في عملية التخطيط لبناء العقول المفكرة وكيفية تطوير النسق القيمي لدى طلاب الجامعة.

- توجيه المؤسسات القائمة على تربية الشباب الى ما طرأ على منظومة القيم لدى الشباب من تغير حتى يمكن التصدي للمتغيرات غير المرغوبة.

- تساعد نتائج الدراسة الحالية على تشجيع أعضاء هيئة التدريس على تقديم الدعم للطلاب ومساعدتهم في تطوير استراتيجيات مواجهه ايجابية، وتبني نسق قيمي ايجابي يحسن مهارات الطلاب للتكيف لمتطلبات المهن مستقبلا.

ثانياً:- الأهمية التطبيقية

- تصميم برامج ارشادية لطلاب الجامعة لتحسين القيم النفسية وزيادة ادراكتها لدى طلاب الجامعة .

إليها، ولكن شأنها شأن جميع الأبعاد النفسية عند الفرد تتطور مع العمر ونتيجة للخبرات المتراكمة تفاعلاً مع ما هو موجود عند الإنسان من استعدادات ونوع ما يطرأ على واقعه من متغيرات.(راشد السهل ومصري حنورة، ١٩٩٨).

والقيم تتضمن تفسيراً لما هو خير، ولما هو شر، وإجراء أحكام حول الإيجابية أو السلبية، والميل وعدم الميل والإنجذاب والإحجام ، كما أن لها تأثيراً رئيسياً على السلوك. ومازالت القيم النفسية وستبقى إحدى المفاهيم التي تناولها مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية على حد سواء، فالقيم ترتبط بوجود الإنسان وتحدد معنى وجوده الفعلي، وليس الشكلي، فالعالم يعيش اليوم مرحلة خطيرة وحساسة في تاريخه، كما تشهد هذه المرحلة أيضاً نمواً في جميع التصورات في مجال تقنية المعلومات والاتصالات، كما تشهد تدهور في جميع التصورات أيضاً في مجال القيم (أي انحلال القيم) وهذا الأمر يتطلب التوقف قليلاً وإجراء بحوث تهدف إلى تطوير نظام القيم وخاصة لدى شريحة مهمة وهم طلاب الجامعة. (على كاظم، ٢٠٠٢). وترى الباحثة أن القيم هي الإطار الذي ينظم سلوك الفرد مع ذاته ومع المجتمع الذي يعيش فيه، وتساعد على حدوث توافق الفرد مع القواعد والمعايير الاجتماعية والأخلاقية السائدة.

الدراسات السابقة :-

الباحثة مع هذا التعريف للاندماج الأكاديمي الذي يشمل الاندماج على ثلاثة أشكال سلوكي: ويشمل مشاركة الطالب في الأنشطة الأكademie والإجتماعية المختلفة.

المعرفي: رغبة الطالب في استثمار جهوده لإتقان المعارف والمهارات الصعبة أثناء عملية التعلم. الإنفعالي: ويتضمن الكفاءة والإهتمام ومشاعر الإنتماء وردود الأفعال تجاه العملية التعليمية كل.

ويشير جوتسيشالج (Gottschalg&Zollo,2007) وزولو بأن الاندماج مفهوم يمثل محصلة لدافعية الخارجية التي تتمثل في المكافآت والجوائز الخارجي، والدافعية الداخلية التي تؤثر على السلوك القائم على الرضا الذاتي وتوكيده، كما أن الطلاب الأكثر إندماجاً عندم يواجهون موقف فشل يستجيبون بالإجتهاد والمثابرة، واستخدام استراتيجيات للتعلم أكثر فعالية، كما أن الطلاب المندمجين لديهم دافع قوي، كما يتأثر الاندماج الأكاديمي ببيئة التعلم، كلما كانت مهيئة لتلبية احتياجات الطلاب ومتطلباتهم النفسية والعقلية كلما دفعت إلى تحقيق أعلى درجة من الاندماج الأكاديمي.

القيم النفسية

تعد منظومة القيم هي المنظم الذاتي الموجه لسلوك الفرد، وبمثابة الإطار المرجعي لعلاقة الإنسان بالعالم الذي يعيش فيه، والنوسق القيمي لا يولد به الإنسان، وهو ليس آلة جاهزة يمكن للفرد أن يلجأ

الأكاديمية، والإندماج الأكاديمي، وينخفض مستوى الضوابط، والسلوك المضطرب لدى الطلاب . وتتناولت دراسة عمار بو جمعة(٢٠١٥) أثر العوامل الاسرية في اندماج تلاميذ السنة الثالثة الثانوي ومدى انعكاسها على التحصيل المدرسي، وقد توصلت النتائج إلى وجود ارتباط بين الاندماج المدرسي وكل من المستوى الاقتصادي للأسرة والمتمثل في (الدخل، ونوع السكن، المهنة)، وأيضاً المستوى الثقافي والعلمي للوالدين.

تناولت دراسة ويلسون وآخرون Wilson, Kim, Veilleux, Jones, Bocell, Crawford, Floyd-Smith, Bates, Plett (2015) مستويات متعددة الأشكال للمشاركة السلوكية والعاطفية بين الطلاب الجامعيين بمؤسسة STEM في الولايات المتحدة لدى عينة (١٥٠٠) من الطلاب، وأيدت الدراسة بوضوح أهمية الإنتماء للمشاركة السلوكية والعاطفية في سياق الفصول الدراسية ، ودورها في تحقيق الإنداجم الأكاديمي. وتتناولت دراسة جونسون وآخرون Jonsson, BaraLdi, Larsson(2015) إمكانية تعزيز الإنداجم الأكاديمي، ودعم شامل للابتكار ، وخلق المنافع المتبادلة سواء بالنسبة للمنظمات أو مجتمع الجامعة نفسه من خلال عدة عناصر منها: أنشطة مختارة من الجامعة ، إستراتيجية التوظيف، بناء ثقة بين جميع أصحاب المصلحة، تقديم أدوات محددة لتعزيز أثار الأنشطة الدراسية في الوسط الأكاديمي .

دراسات تناولت الإنداجم الأكاديمي:

اهتمت دراسة مسعد أبو العلا(٢٠١١) بالتعرف على النموذج البنائي للعلاقة بين توجهات الهدف وفعالية الذات والاندماج المدرسي والتحصيل الأكاديمي، وذلك على (٣٤٤) طالباً وطالبة بالصف الأول الثانوي، وتم تطبيق مقياس توجهات الهدف، ومقياس فعالية الذات والاندماج المدرسي، وتوصلت النتائج إلى وجود تأثيرات دالة لتوجهات الهدف على فعالية الذات والاندماج المدرسي، والتحصيل الأكاديمي مع اختلاف قيم التأثير، ووجود تأثير فعالية الذات على الاندماج المدرسي والتحصيل الأكاديمي مع اختلاف قيم التأثير، كما توصلت الدراسة أيضاً إلى وجود تأثير دال للاندماج المدرسي على التحصيل الأكاديمي.

وأكدت دراسة بيركمان وآخرون Perkmann, Riccardo , Michael, Ross1, Silvestri , Valentina,(2015) على عينة من طلاب جامعة كوليدج في لندن على مدى أهمية الأنشطة الدراسية على مدار اليوم الدراسي في الجامعة وتأثيرها الواضح على التحصيل الدراسي، والإندماج الأكاديمي.

أثبتت دراسة كيث وآخرون Keith , Radley , Evan, Dart, Roderick, Ohandley(2015) فعالية الغرف الدراسية الهادئة التي تحتوي على الكمبيوترات محمولة في زيادة سلوك المشاركة

المشاركة المهنية باعتبارها مساهمة هامة في التكيف وإتخاذ القرارات المهنية وتشجع الباحثين على المشاركة الأكademية.

Xavier, AXavie, Alberto, Michelle, Slivia , Rafael (2016) ٤٢٨ من طلاب جامعة تشيلي، ٣٦,٥ % ذكور، ٦٣,٥ % إناث، الذين تراوحت أعمارهم من ١٨-٤٥ عاماً، وتوصلت النتائج أن تطوير مستويات عالية من الإبداع العاطفي، والمشاعر الإيجابية مثل (الإمتنان ،والحب ، والامل) لدى الطلاب يساعد على الاندماج الأكاديمي، ويساعد الطلاب على تجنب الفشل الدراسي.

Guang, Hanchao , Kaiping (2016) وهدفت دراسة جانجيه وأخرون إلى التعرف على العلاقة بين المرونة النفسية، والإندماج الأكاديمي، وشملت الدراسة ١٢٦٠ من طلاب الجامعة منهم (٦٥٨ ذكور، ٦٠٢ أناث)، وتوصلت النتائج إلى وجود علاقة بين المرونة النفسية، والإندماج الأكاديمي.

دراسات تناولت النسق القيمي والقيم النفسية لدى طلاب الجامعة

توجهت غالبية الدراسات السابقة في موضوع الدراسة الحالية إلى التعرف على النسق القيمي الأكثر شيوعاً لدى الطلاب، وترتيب النسق القيمي، وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية ومن هذه الدراسات دراسة على كاظم (٢٠٠٢) حيث هدفت إلى ترتيب القيم النفسية لدى طلبة جامعة السلطان قابوس والعوامل الخمس

وتناولت دراسة شري حليم (٢٠١٥) الكشف عن العلاقة بين الدافعية الأكademية والاندماج المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية، والفرق في الدافعية الأكademية، والاندماج المدرسي وتعزى إلى الجنس، والอายه، ومكان السكن، وشملت الدراسة (٣٨٠)، تلميذاً وتلميذة بالمرحلة الاعدادية، واستخدم مقاييس الدافعية الأكademية والاندماج المدرسي، وظهر عدم وجود فروق في الدافعية الأكademية، والاندماج المدرسي تعزى إلى العمر والسكن، ولم تظهر فروق بين الذكور والإناث في الاندماج الأكاديمي، بينما كانت الإناث أعلى من الذكور في الدافعية الأكademية.

وشرعت دراسة سيد حسن (٢٠١٥) عينة من طلاب الصف الثاني الثانوي (ن=٢٠٠)، واستخدم مقاييس تصورات المراهقين عن المناخ الدراسي، ومقاييس الذكاء الإنفعالي، ومقاييس الإندماج الدراسي، وتوصلت النتائج إلى وجود تأثير دال للمناخ الدراسي المدرك، ودرجة الذكاء الإنفعالي على الاندماج السلوكي والإنساني والمعرفي.

Daniel, Cox, Bjornsen, Thomas, krieshok Yan(2016) بحث دراسة دينال وأخرون عن الهوية المهنية كمتغير وسيط للعلاقة بين الأداء المهني والرضا الدراسي، علاوة على ذلك تحقيق الاندماج الأكاديمي، تم اختيار عينة من (٢١٥) من الطلاب الجامعيين، وأشارت النتائج إلى أن الأداء المهني يؤدي إلى النجاح الأكاديمي، وأن الهوية المهنية تدعم هذه العلاقة، وهذه النتائج تدعم

وطالبة. وأظهرت النتائج أن قيمة الامانة تحت قمة النسق القيمي لدى الطلاب، كما اختلف ترتيب القيم بين الذكور والإناث.

وتناولت دراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي(٢٠١٣) النسق القيمي لدى عينة من طلبة الجامعة بعد ثورة (٢٥) يناير من حيث مستوياته وترتبيه، والفرق بين الجنسين، والفرق في التخصصات العلمية، والفرق الدراسية، وشملت الدراسة (٥٣٦) من طلاب الجامعة، واستخدم مقياس القيم اعداد الباحثين، وتوصلت النتائج الى وجود مستويات للنسق القيمي لدى طلبة الجامعة بدرجة مرتفعة ومتوسطة، يوجد ترتيب للنسق القيمي لدى طلبة الجامعة يبدأ بالقيم المرتبطة بالعمل، يليها القيم الدينية، ثم السياسية، والاقتصادية، والجمالية، وأخيراً الاجتماعية، كما اختلف النسق القيمي لدى طلاب الجامعة باختلاف الجنس، والتخصصات العلمية، والفرق الدراسية.

وأجريت دراسة صباح مسبل وحيد ظاظا(٢٠١٤) بهدف تحديد التفضيلات المهنية والقيم النفسية التي يتميز بها الموهوبين أكاديمياً عن غيرهم في المرحلة الثانوية، والتعرف على الفروق بين الطلبة الموهوبين والطلبة غير الموهوبين في التفضيلات المهنية والقيم النفسية، وفحص العلاقة بين التفضيلات المهنية القيم النفسية لدى الطلبة الموهوبين أكاديمياً، وشملت الدراسة (٥٨٨) طالباً وطالبة، منهم (٢١٢) من الطلبة الموهوبين،

الكبير في الشخصية لديهم، فضلاً على معرفة العلاقة بين القيم النفسية، والعوامل الخمس الكبرى في الشخصية، وشملت الدراسة(٦٣) طالب وطالبة، واستخدم مقياس القيم، وقائمة العوامل الكبرى، وكشفت النتائج عن ترتيب النسق القيمي كالتالي (الدينية، السياسية، النظرية، الإجتماعية، الاقتصادية، الجمالية)، كما ظهر وجود إرتباط بين القيم الدينية ويقظة الضمير والإنساط.

كما هدفت دراسة فؤاد الموافي وآخرون (٢٠١١) إلى التعرف على أكثر القيم شيوعاً في النسق القيمي لدى طلاب المرحلة الثانوية ذوي الشعور بالاغتراب، وشملت الدراسة(٢٠٥) طالبة تراوحت أعمارهم بين (١٤-١٥) سنة، وتم تطبيق اختبار التفكير الابتكاري اعداد ممدوح الكناني(٢٠٠٥)، ومقياس القيم اعداد ايمان الكاشف، ومقياس الاغتراب اعداد الباحث. أظهرت النتائج عدم وجود فروق بين الطلاب ذوي القيم المختلفة (جمالية، سياسية، دينية، اجتماعية، نظرية) في الاغتراب، كما ظهر وجود فروق بين متوسطات الأفراد ذوي القيم الجمالية، والقيم النظرية في الاغتراب لصالح الأفراد ذوي القيم النظرية، وكان ترتيب القيم لدى المبتكرین المغتربین هي القيم النظرية، يليها القيم السياسية، والجمالية، والاقتصادية.

كما اهتمت دراسة سادينا وآخرون Sadeghia.. et al 2012 بدراسة النسق القيمي لدى الطلاب بالمدارس العليا، وشملت الدراسة (٦٠) طالب

قيمة الفهم في المرتبة الأولى في منظومة القيم يليها طلب العلم، وبالنسبة للقيم الاجتماعية فجاء الاحترام والطاعة في المرتبة الأولى في منظومة القيم، وبالنسبة وللقيم السياسية (العدل، والامن)، وبالنسبة للقيم الاقتصادية (ترشيد الاستهلاك، الانتاجية)، والقيم الجمالية (التهذيب، تأمل الطبيعة).

وتناولت دراسة أمينة شلبي وهدى أحمد (٢٠١٥) العلاقة بين القيم التي يتبعها الفرد والوجود الأفضل، ومعرفة مدى اختلاف النسق القيمي لدى مرتادي الوجود الأفضل عن الوجود الأفضل لدى المنخفضين، وشملت دراسة (٦٩٧) طالب وطالبة بالمرحلة الجامعية بالدمام، واستخدم مسح القيم العالمي لشوارتز، ومقاييس الوجود الأفضل اعداد هدى عبد اللطيف محمد ، وأظهرت النتائج وجود ارتباط بين الوجود الأفضل والقيم التي يتبعها الفرد وهي الطاعة والامتثال، والتقاليد، والاحسان، والشمولية، كما ظهر اختلاف القيم التي يتبعها مرتادي الوجود الأفضل عن القيم التي يتبعها منخفضوا الوجود الأفضل، فهي بالترتيب لدى مرتادي الوجود الأفضل (الإنجاز، الاحسان، التوجيه، والقوه، والسيطرة، والامن والطاعة، بينما لدى منخفضوا الوجود الأفضل كان بالترتيب (التقاليد، الطاعة، الامن ، الاحسان).

وطبقت دراسة وفاء محمد (٢٠١٦) على عينة من طلاب الجامعة منهم (٢٨٠ ذكور، ١٢٠ إناث)،

و(٣٧٧) من غير الموهوبين، واستخدم مقاييس القيم للبورت وأخرون، ومقاييس التفضيلات المهنية لهولاند ومن أهم النتائج التي توصلت الدراسة والمرتبطة بالدراسة الحالية أن ابرز القيم التي تساهم في التمييز بين الطلبة الموهوبين وغير الموهوبين هي القيم (الاجتماعية، والدينية، والجمالية، والسياسية)، كما ظهر وجود فروق في جميع القيم تبعاً لحالة الموهبة حيث كانت القيم الفطرية والدينية لصالح الطلبة الموهوبين، في حين كانت القيم (الاقتصادية، الجمالية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية) لصالح الطلبة غير الموهوبين، ولم تظهر علاقة ارتباطية بين القيم النفسية والتفضيلات المهنية لدى الطلبة الموهوبين، كما ظهر عدم وجود فروق ذات دلالة في القيم النفسية تعزى لمتغير الجنس ، والصف الدراسي ، والتفاعل بينهما.

هدفت دراسة سهير ابو العلا (٢٠١٤) الى التعرف على طبيعة القيم، ومظاهر اضطراب النسق القيمي لدى الشباب، وواقع القيم وأولوياتها لدى طلبة كلية التربية بأسوان، وشملت الدراسة (٢٩٦) من طلاب الجامعة، واستخدم استبيان القيم، وتوصلت النتائج ان أولويات القيم لدى الطلبة هي بالترتيب القيم الدينية، ثم الاجتماعية، والسياسية، والعلمية، والاقتصادية، والجمالية، وبالنسبة للقيم الدينية جاءت قيمة الصدق في المرتبة الأولى في منظومة القيم يليها لي الامانة، أما بالنسبة للقيم العلمية فجاء

على التعرف على ترتيب النسق القيمي لدى الفرد مثل دراسة على كاظم (٢٠٠٢)، فؤاد المواتي وآخرون (٢٠١١)، دراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣)، صباح مسبل وحيدر ظاظا (٢٠١٤)، وفاء محمد (٢٠١٦).

- اهتمت الدراسات السابقة بمتغيرات الدراسة الحالية كل على حدة، ولم تجد الباحثة في حدود علمها دراسات متخصصة تربط بين القيم النفسية والاندماج الأكاديمي، لذلك تسعى الدراسة الحالية إلى فهم أعمق لطبيعة العلاقة بين هذه المتغيرات.

فروض الدراسة:-

- يوجد شيع الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة.

- يوجد شيع للقيم النفسية لدى عينة من طلاب الجامعة.

- توجد علاقة ارتباطية بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة.

- توجد فروق في كل من الاندماج الأكاديمي، والقيم النفسية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي؟
المنهج والإجراءات:-

عينة الدراسة

لضمان تمثيل عينة الدراسة لمجتمعها تمثيلاً صادقاً تم اختيار عينه عشوائية من طلاب كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في التخصصات الآتية (علم النفس - علم الاجتماع - اللغة العربية -

واستخدم مقياس القيم النفسية، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة انتشار القيم النفسية لدى طلاب الجامعة (الإحساس بالمسؤولية، التسامح، علاقة الإنسان بربه، الأسرة، الصداقة، الأمانة، مساعدة الآخرين).

كما هدفت دراسة حيدر ظاظا (٢٠١٧) إلى ترتيب القيم النفسية لدى طلاب جامعة الأردن ، والتعرف على العلاقة بين القيم النفسية والذكاءات المتعددة، وشملت الدراسة (٢٠٧) من طلبة كلية العلوم التربوية بالأردن، وظهر أن القيم مرتبة كالتالي (الدينية، الاجتماعية، النظرية، الإقتصادية، السياسية، وأخيراً الجمالية)، كما ظهر وجود علاقة إرتباطية بين الذكاءات المتعددة والقيم النفسية.

التعليق على الدراسات السابقة:-

يتضح من خلال العرض السابق للدراسات السابقة

- اتجهت الدراسات في بحث الاندماج الأكاديمي إلى معرفة المتغيرات النفسية التي من شأنها تحسين مستوى الاندماج الأكاديمي لدى الطالب كالدافعية الأكademie، والعوامل الأسرية، وفعالية الذات وتوجهات الهدف.

- ندرة في الدراسات التي اهتمت بالاندماج الأكاديمي لدى طلاب الجامعة بصفة عامة، وتحاول الدراسة الحالية سد ثغرة في هذا المجال.

- اتفاق الدراسات السابقة على أهمية النسق القيمي بالنسبة للفرد والمجتمع، مع تركيز معظم الدراسات

فلكلية) حيث بلغ عدد الطلاب (٢٥٠)، وبذلك بلغ عدد طلاب العينة الكلية (٥٠٠) طالب وطالبة، منهم (١٥) ذكور، (٢٨٥) إناث، ويبين جدول (١) خصائص أفراد العينة وفقاً للتخصصات والجنس.

اللغات الأوربية - الدراسات الإسلامية - التاريخ - الجغرافيا) حيث بلغ عدد الطلاب (٢٥٠)، بالإضافة إلى عينة من طلاب كلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في التخصصات الآتية (الرياضيات - الفيزياء - الكيمياء - الاحياء - الجلوجيا - علوم

جدول (١) : توزيع العينة حسب التخصص الأكاديمي(التخصصات الأدبية)

النسبة	الجنس		العدد	المتغير
	إناث	ذكور		
%٢٠	٢٠	٣٠	٥٠	الشخص
%١٤	٢٠	١٥	٣٥	
%٢٠	٣٠	٢٠	٥٠	
%٨	١٠	١٠	٢٠	
%١٢	٢٠	١٠	٣٠	
%١٤	٢٠	١٥	٣٥	
%١٢	٢٠	١٠	٣٠	
%١٠٠	١٤٠	١١٠	٢٥٠	المجموع الكلي للعينة

يتبيّن من جدول (١) أن تخصص علم النفس واللغة العربية كان بنسبة (%)٢٠) وعلم اجتماع بنسبة (%)١٤) بينما كانت أقل نسبة لطلاب تخصص اللغات الأوربية التي بلغت (%)٨) من حجم عينة الدراسة.

جدول (٢) : توزيع العينة حسب التخصص الأكاديمي(التخصصات العلمية)

النسبة	الجنس		العدد	المتغير
	إناث	ذكور		
%٢٠	٣٠	٢٠	٥٠	الشخص
%١٤	٢٠	١٥	٣٥	
%٢٠	٣٠	٢٠	٥٠	
%١٤	٢٠	١٥	٣٥	
%١٨	٢٥	٢٠	٤٥	
%١٠	٢٠	١٥	٣٥	
%١٠٠	١٤٥	١٠٥	٢٥٠	المجموع الكلي للعينة

يتبيّن من جدول (٢) أن تخصص الرياضيات والكيمياء كان بنسبة (%)٢٠) والجلوجيا بنسبة (%)١٨) بينما كانت نسبة الطلاب تخصص الفيزياء والأحياء والعلوم الفلكية (%)١٠) من حجم عينة الدراسة.

ويبين جدول (٣) خصائص أفراد عينة الدراسة وفقاً للعمر

النسبة	العدد	المتغير
%٥٢	٢٦٠	العمر
%٣٨	١٩٠	
%١٠	٥٠	
%١٠٠	٥٠٠	
المجموع الكلي		

يتبيّن من نتائج جدول (٣) أن معظم الطلاب المجبّين على المقاييس من الفئة العمرية من ٢٠ سنة لأقل من ٢٣ سنة حيث بلغت نسبتهم (%) ٥٢ بينما بلغت نسبة الطلاب بالفئة العمرية من ٢٣ سنة إلى ٢٦ سنة (%) ٣٨ وبالفئة من (٢٦ سنة لأقل من ٢٨ سنة) (%) ١٠.

ثبات المقياس بطريقة إعادة التطبيق على عينة مكونة من (١٥) من شباب الجامعات، وتراوحت معاملات الإرتباط بين (٠٥٥، ٠٦١)، كما تم حساب الصدق من خلال صدق المحكمين، كما تم حساب الإتساق الداخلي بحساب معامل الإرتباط بين درجة البند والدرجة الكلية، وبلغ معامل الإرتباط (٠٦٥). وفي الدراسة الحالية تم إعادة حساب الثبات والصدق على عينة من طلاب الجامعة ($n = ٣٠$) منهم (١٥ ذكور، و١٥ إناث) وبلغ معامل الثبات بطريقة الفاکرونباخ (٠٦٨) لمقياس الاندماج الأكاديمي، (٧٢) لمقياس القيم النفسية.

نتائج الدراسة

الفرض الأول:- يوجد انتشار للاندماج الأكاديمي لدى عينة من طلاب الجامعة . وللحصول على صحة الفرض تم استخدام المتوسطات الحسابية والنسبة والانحرافات المعيارية والجدول التالي يوضح ذلك

أدوات الدراسة

مقياس الاندماج الأكاديمي إعداد Fredericks, et all (2005) ترجمة مسعد ربيع أبو العلاء يتكون المقياس من (١٩) عبارة تتوزع على ثلاثة أبعاد للإندماج (السلوكي، الإنفعالي، المعرفي)، ويتطلب الإجابة على عبارات المقياس بالإختيار من (تطبق دائماً، تتطبق غالباً، تتطبق أحياناً، تتطبق نادراً، لا تتطبق أبداً)، وتتراوح الدرجة على كل مفردة من (١-٥) وفقاً لمدى الإنطباق، وتراوحت معاملات ارتباط ألفا في البيئة الأجنبية بين (٠٨٣، ٠٧٢)، وفي البيئة العربية تراوحت معاملات الارتباط بين درجة البند والدرجة الكلية للبعد بين (٠٨٦، ٠٧٨)، كما أن جميع معاملات الارتباط بين درجة البعد والدرجة الكلية مرتفعة حيث (٠٨٧) للاندماج السلوكي، (٠٨٩) للاندماج الإنفعالي، (٠٩٢) للاندماج السلوكي مقياس القيم النفسية إعداد وفاء محمد يتكون المقياس من مجموعة من القيم هي (الإحساس بالمسؤولية، التسامح، علاقة الإنسان بربه، الأسرة، الصداقة، الأمانة، مساعدة الآخرين)، وتم حساب

جدول رقم (٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسط النسبي لمقياس الإنداجم الأكاديمي

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط النسبي	المتوسط الحسابي	الإنداجم الأكاديمي
٣	٢,٤١	,١٨	٤,٩٠	الإنداجم السلوكي
٢	٣,٠٩	,٣٦	٥,١٥	الإنداجم الانفعالي
١	٧,٥١	,٤٥	١٠,١٢	الإنداجم المعرفي

أفضل في الاختبارات ويلتزمون بقواعد الجامعة ، كما أنهم يؤدون المهام المطلوبة منهم بكل حماس واجتهاد ومثابرة كما توصلت الدراسات أن الطلاب المندمجين أكاديميا يسعون نحو الانشطة العامة والتطوعية بالجامعة، ويتميزون بحب الاستطلاع والرغبة المستمرة المعرفة والتعلم. وترى الباحثة أن هذه النتيجة منطقية حيث تتفق مع طبيعة المرحلة التي يمر بها طلاب الجامعة في السعي نحو تحقيق الذات والجد والاجتهاد من أجل تحقيق طموحاتهم وأهدافهم.

الفرض الثاني:- يوجد انتشار لقيم النفسيه لدى عينة من طلاب الجامعة.

وللحصول على صحة الفرض تم استخدام المتوسطات الحسابية والنسبية والانحرافات المعيارية والجدول التالي يوضح ذلك

من الجدول السابق يتضح أن الإنداجم المعرفي أكثر أنواع الإنداجم الأكاديمي انتشاراً إليه الإنداجم الإنفعالي ثم الإنداجم السلوكي، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع الأطر النظرية عن الإنداجم الأكاديمي حيث يظهر بداية الإنداجم المعرفي في رغبة الطالب في استثمار جهوده لإنقاذ المعرف والمهارات الصعبة أثناء عملية التعلم، ثم يليه الإنداجم الانفعالي حيث يظهر في الإهتمام وإظهار مشاعر الإنتماء وردود الأفعال تجاه العملية التعليمية كل، وأخيراً الإنداجم السلوكي ويشمل مشاركة الطالب في الأنشطة الأكاديمية والإجتماعية المختلفة. كما تتفق نتيجة الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (Wang, et al., 2011). ونتائج دراسة (Fan&Willias, 2010) في أن الطالب الأكثر إنداجمًا أكاديمياً يركزون على التعلم، ويؤدون آداء

جدول رقم (٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسط النسبي لمقياس القيم النفسية

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط النسبي	المتوسط الحسابي	القيم النفسية
٧	٣,٠٩	١,٧٠	١١,٣٥	الإحساس بالمسؤولية
٦	٣,٥٦	٢,٦٥	١٥,٠٢	التسامح
١	٨,٤١	٤,٥٦	٣١,١٠	علاقة الإنسان بربه
٥	٤,٣٧	٢,٩٠	١٦,٧٦	الأسرة
٣	٦,١٩	٣,٨٥	٢٥,٣٣	الصداقة
٢	٧,٥٣	٤,٤٠	٢٦,٤٦	الأمانة
٤	٦,٠١	٣,٦٦	٢٠,٦٩	مساعدة الآخرين

والإحساس بالمسؤولية ، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع الأطر النظرية عن القيم التي توضح أنها تمثل إطاراً مرجعياً تدور في فلكه وتتمحور حوله وتشكل

يتضح من الجدول السابق أن أكثر القيم النفسية انتشاراً هي علاقة الإنسان بربه، يليها الأمانة، ثم الصداقة، ثم مساعدة الآخرين، ثم الأسرة، والتسامح،

و دراسة سادينا وآخرون ٢٠١٢ Sadeghia., et al ٢٠١٢ أظهرت النتائج أن قيمة الأمانة تحتل قمة النسق القيمي لدى الطلاب، ودراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣) وتوصلت النتائج الى وجود مستويات للنسق القيمي لدى طلبة الجامعة بدرجة مرتفعة ومتوسطة، يوجد ترتيب للنسق القيمي لدى طلبة الجامعة يبدأ بالقيم المرتبطة بالعمل، يليها القيم الدينية، ثم السياسية، والاقتصادية، والجمالية، وأخيراً الاجتماعية. ودراسة وفاء محمد (٢٠١٦) ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة انتشار القيم النفسية لدى طلاب الجامعة (الإحساس بالمسؤولية، التسامح، علاقة الإنسان بربه، الأسرة، الصداقة، الأمانة، مساعدة الآخرين). ودراسة حيدر ظاظا (٢٠١٧)، حيث ظهر أن القيم مرتبة كالتالي (الدينية، الاجتماعية، النظرية، الإقتصادية، السياسية، وأخيراً الجمالية)،

الفرض الثالث:- توجد علاقة ارتباطية بين الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية لدى عينة الدراسة. وللحصول على صحة الفرض تم حساب معامل الإرتباط بيرسون بين درجات مقاييس الاندماج الأكاديمي ومقاييس القيم النفسية لدى عينة الدراسة والجدول التالي يوضح ذلك

وفقا له تصورات الفرد العقلية، فهي جزء لا يتجزأ من نسيج الخبرة الإنسانية، وذلك لتأثيرها على طموحات الأفراد وتحديد اختيارتهم واتخاذ قراراتهم المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة.(أمينة شلبي و هدى أحمد، ٢٠١٥). وهذا يوضح سبب انتشار القيم النفسية لدى طلاب الجامعة. وترى الباحثة أن طلاب الجامعة في حاجة إلى تبني نسق قيمي يمثل سلوكهم ، كما ان المجتمع في حاجة إلى مجموعة من القيم والضوابط التي تحكم سلوك الأفراد، حيث أن غياب القيم عن الفرد والمجتمع يؤدي إلى اغتراب الفرد عن المجتمع، والمجتمعات التي تهدف إلى استمرار تمسكها واستقرارها تولي اهتماما خاصا بالقيم وغزره في أفرادها. وتوجهت غالبية الدراسات السابقة في موضوع الدراسة الحالية إلى التعرف على النسق القيمي الأكثر شيوعا لدى الطلاب، وترتيب النسق القيمي، مثل دراسة على كاظم (٢٠٠٢) حيث كشفت النتائج عن ترتيب النسق القيمي كالتالي القيم(الدينية، السياسية، النظرية، الإجتماعية، الإقتصادية، الجمالية)، ودراسة فؤاد الموافي وآخرون (٢٠١١) حيث كان ترتيب القيم هي القيم النظرية، يليها القيم السياسية، والجمالية، والاقتصادية.

جدول (٦) معاملات الارتباط بين درجات مقياس الاندماج الأكاديمي ودرجات مقياس القيم النفسية

الاندماج المعرفي	الاندماج الانفعالي	الإندماج السلوكي	الاندماج الأكاديمي القيم النفسية
**,٢٢١	**,٣٣٢	**,٥٣١	الإحساس بالمسؤولية
**,٤١٢	**,٤٩١	**,٤٤٩	التسامح
**,٥١٩	**,٤١٨	**,٦٥٢	علاقة الإنسان بربه
**,٣٨٢	**,٣٠١	**,٣٧٢	الأسرة
**,٦٣٧	**,٣٣١	**,٣١٠	الصداقة
**,٥١٤	**,٤٩٠	**,٥٩٥	الأمانة
**,٣٢٩	**,٥٥٢	**,٥١٣	مساعدة الآخرين

)

(**) دالة عند ٠,٠١

اغفلت هذه الاهمية في تحسين الاتجاه نحو القيم النفسية من حيث البحث والدراسة.

الفرض الرابع:- توجد فروق في كل من الاندماج الأكاديمي، والقيم النفسية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي.

وللحقيق من صحة الفرض تم حساب قيمة (ت) لدلائل الفروق بين الذكور والإإناث وأيضاً الطلاب ذوى التخصصات العلمية والتخصصات الأدبية على مقياس الاندماج الأكاديمي ومقياس القيم النفسية، والجدول التالي يوضح ذلك

يتضح من الجدول السابق وجود ارتباط دال بين درجات الطلاب على مقياس الاندماج الأكاديمي وأبعاده الفرعية ، ودرجاتهم على مقياس القيم النفسية وأبعاده الفرعية، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع الأطر النظرية التي أوضحت أن ومن المتغيرات التي لها تأثير على القيم النفسية لدى الطلاب هو الاندماج الأكاديمي، ويعد أحد المفاهيم التي لها تأثير في دافعية الطلاب نحو عملية التعلم، كما أنه عامل جوهري وفعال في المخرجات التعليمية والاجتماعية الإيجابية والاهتمام باكتساب نسق قيمي، واستثمار أوسع لجهود الطلاب في عملية التعلم.(Zhou&Winne, 2012) وبالرغم من أهمية الاندماج الأكاديمي في عملية التعلم وتكوين الاتجاهات والقيم النفسية، إلا أنه نجد الدراسات

جدول (٧) قيم ت للمقارنة بين الطلاب في الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية وفقاً للجنس والتخصص

مستوى الدلالة	قيمة (ت)	تخصصات نظرية (ن=٢٥٠)		تخصصات عملية (ن=٢٥٠)		مستوى الدلالة	قيمة (ت)	إناث (ن=٢٨٥)		ذكور (ن=٢١٥)		المتغيرات
		الإنحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	المتوسط الحسابي			الإنحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
,٠١	١١,٧٨	٤,٤١	١١,٢٥	٣,٠١	٧,٢٧	غير دالة	١,٧٩	١,٨٩	٤,٤٨	٢,٩٣	٦,٥٣	الاندماج الأكاديمي
,٠١	١٣,٧٩	٥,٨٠	١٦,٢٧	٤,٠٢	١٠,١١	غير دالة	١,٨٦	٢,٧٥	١٣,٦٩	٣,١٧	١٧,٤٤	القيم النفسية

التي تم التوصل إليها في الدراسة الحالية منطقية نظراً لنقارب العمر الزمني لأفراد العينة، وأيضاً تقارب الظروف البيئية والتعليمية والأكاديمية، مما يشير إلى تقارب متوسط الطلاب في كلاً المتغيرين. وفي حدود علم الباحثة لم يتم دراسة أثر متغير التخصص الدراسي، كمتغير ديموغرافي في الاندماج الأكاديمي أو القيم النفسية في إطار البحث السابقة سوى دراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣) كما اختلف النسق القيمي لدى طلاب الجامعة باختلاف التخصصات العلمية، والفرق الدراسية. وترى الباحثة انه يمكن تفسير ذلك في ضوء طبيعة المواد الدراسية ومستوى صعوبتها مقارنة بالممواد الأدبية ومتطلبات الكليات العملية التي تمثل اجهاداً على الطلاب مما يقلل من الإهتمام بمنظومة القيم ، فهي التي تحدد سلوكه وتدخل في بنائه النفسي. وأيضاً تخفض من اندماجه الأكاديمي.

توصيات الدراسة

- إعداد البرامج التدريبية لأعضاء هيئة التدريس لمساعدة الطلاب على تحقيق الاندماج الأكاديمي لما له من أهمية في العملية التعليمية كل.

يتضح من الجدول السابق عدم وجود فروق دالة بين الذكور والإناث في كل من الاندماج الأكاديمي والقيم النفسية، في حين ظهر أن التخصصات النظرية أعلى من التخصصات العملية في كل من الاندماج الأكاديمي، والقيم النفسية، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية فيما يختص بالفروق في الجنس في الاندماج الأكاديمي مع نتائج دراسة شري حليم (٢٠١٥) حيث أوضحت عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في الاندماج الأكاديمي. وفيما يتعلق بالفروق بين الذكور والإناث في القيم النفسية فاتفاقت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة صباح مسبل وحيدر ظاظاً (٢٠١٤) حيث توصلت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة في القيم النفسية تعزى لمتغير الجنس، والصف الدراسي، والتفاعل بينهما. في حين اختلفت نتيجة الدراسة الحالية مع نتائج دراسة سادينا وأخرون 2012 Sadeghia., et al, حيث أظهرت النتائج اختلاف ترتيب القيم بين الذكور والإناث. وأيضاً دراسة محمد اسماعيل واحسان حجازي (٢٠١٣) كما اختلف النسق القيمي لدى طلاب الجامعة باختلاف الجنس، والتخصصات العلمية، والفرق الدراسية. وترى الباحثة أن النتائج

بالجهاد الأكاديمي في ضوء متطلبات الجودة الشاملة. مجلة الارشاد النفسي، (٢٤٢ ج٣)، ٢٧١-٢٧١ .٤٤٥

- حيدر إبراهيم ظاظا(٢٠١٧). الذكاءات المتعددة وعلاقتها بالقيم النفسية لدى عينة من طلبة الجامعة الأردنية. مجلة دراسات في العلوم التربوية، الأردن، (٤٤)، ١٣٣ - ١٥٠.

- راشد على السهل ومصري عبد الحميد حنورة(١٩٩٨). مستوى الإحساس بالصدمة وعلاقته بالقيم الشخصية والإغتراب والإضطرابات النفسية عند الشباب دراسة ميدانية على عينة كويتية. المؤتمر السنوي الخامس، الإرشاد النفسي والتنمية البشرية، (١)، ١ - ٢٥.

- سهير عبد الطيف أبو العلا(٢٠١٤). النسق القيمي لدى طلبة كلية التربية بأسوان في ضوء بعض متغيرات القرن الحادي والعشرين. مجلة كلية التربية بأسيوط، (١٣٠)، ١٧٣ - ٢٦٤.

- سيد محمد حسن(٢٠١٥٩). التتبؤ بالإندماج الدراسي لدى طلاب المرحلة الثانوية من خلال المناخ المدرسي المدرك والذكاء الإنفعالي. مجلة كلية التربية بالأسكندرية، (٢٥)، ٣٩٣ - ٥٠٠.

- شيري مسعد حليم(٢٠١٥). الدافعية الأكademie وعلاقتها بالاندماج المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية. مجلة دراسات عربية في علم النفس، (١٤)، ٨٩ - ١٦٢.

- صباح فايز مسبل وحيدر إبراهيم ظاظا(٢٠١٤). التفضيلات المهنية والقيم النفسية التي يتميز بها الطلبة الموهوبين عن غيرهم في منطقة تبوك في المملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١ - ١١٩.

- العمل على تنمية القيم النفسية لدى الطلاب لتشكيل الشخصية الإنسانية لديهم .

- توجيه انتباه القائمين على العملية التعليمية على أهمية الدور الذي تلعبه القيم النفسية في تحقيق الاندماج الأكاديمي.

بحوث مقترحة:-

- التحقق من مدى فعالية برنامج إرشادي لتنمية القيم النفسية لدى طلاب الجامعة.

- التعرف على مدى فعالية برنامج تدريبي قائم على التعلم الذاتي لتحقيق الاندماج الأكاديمي لدى الطلاب.

- البحث في علاقة القيم النفسية بأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلاب.

- البحث في العوامل المنبئة بالاندماج الأكاديمي لدى الطلاب كالسمات الشخصية.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

- أمينة إبراهيم شلبي وهدى عبد اللطيف أحمد (٢٠١٥). القيم كمنبيات بالهباء الشخصي لدى طلبة المرحلة الجامعية. المؤتمر القومي السنوي التاسع عشر لتطوير التعليم الجامعي بجامعة عين شمس، (٣٠)، ١٤٤ - ١٨٤.

- بشير معمرية(٢٠٠٧). التغير في ارتقاء القيم لدى ثلاث مجموعات عمرية من الجنسين. دراسات نفسية حول طلاب المدارس والجامعات. بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، جامعة الجزائر : المكتبة العصرية.

- حنان محمد الجمال(٢٠١٥). أنماط دعم أعضاء هيئة التدريس لطلاب الدراسات العليا وعلاقتها

- محمد المري اسماعيل واحسان شكري حجازي(٢٠١٣). النسق القيمي لدى عينة من طلبة جامعة الزقازيق بعد ثورة ٢٥ يناير. مجلة دراسات نفسى، (٧٩)، ٦٦-١.
- مسعد ربيع أبو العلا(٢٠١١). نبذة العلاقة بين توجهات الهدف وفعالية الذات والاندماج المدرسي والتحصيل الأكاديمي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية. مجلة البحوث النفسية والتربوية جامعة المنوفية، (١)٢٦، ٣٠٢-٢٥٧.
- وفاء حافظ محمد(٢٠١٦). المجتمعات الإفتراضية وعلاقتها بالتحولات في القيم النفسية والاجتماعية لدى شباب الجامعات. مجلة الخدمة الاجتماعية مصر، (٥٥)، ٤٠٩، ٤٥٧.
- يوسف عبد الصبور صالح(٢٠٠٢). منظومة القيم وعلاقتها بالوعي الاقتصادي والتراكيبة النفسية للمنتج الوطني لدى طلاب كلية التربية بسوهاج. مجلة أبحاث ندوة التربية الاقتصادية والإنسانية في الإسلام مصر، ٢٨ - ١.
- عصام فريد عبد العزيز(٢٠٠٧). قيم طلاب كلية التربية بسوهاج المتأخرین دراسيا وأهم العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعيق نجاحهم الدراسي. مجلة الثقافة والتنمية مصر، (٨)، ١٣٠ - ٩٠.
- علي مهدي كاظم(٢٠٠٢). القيم النفسية والعوامل الخمسة الكبرى في الشخصية. مجلة العلوم التربوية والنفسية، البحرين، (٣)، ٤٢ - ١١.
- عمار بو جمعة(٢٠١٥). دور العوامل الاسرية في الاندماج والتحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة النهائية. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية الجزائر، (٦)، ١٤٧ - ١٦٦.
- فؤاد حامد المواتي وسعاد أحمد عبد الغفار ونداء الشربيني بسيوني ومدحود عبد المنعم الكناني(٢٠١١). النسق القيمي لدى المبتكرين ذوي الشعور بالاغتراب. مجلة بحوث التربية النوعية، (٢٣)، ١٩٦-٢٧٢.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Cowan, J(2012). Self engagement and met cognition in middle student: M.D. Mount saiant Vincent university .
- Dipietro, M. (2011). Changes in value orientations of collage students :Assessing the impact of economic and social events over the last Decade . undergrand vate research , New York.
- Daniel, W., Cox, A., Bjornsen., Thomas,S., krieshok., Yan, L.(2016) . Occupational engagement and academic major satisfaction:

Vocational identity's mediating role, The career development quarterly JUNE .(64), 169-180

- Fan, W& Williams, M.(2010). The effects of parental involvement on students' academic , self-efficacy engagement and intrinsic motivation, Educational psychology, 30(1), 53-74.

- Guang,Z., Hanchao , H., Kaiping, P.(2016). Effect of growth Mindset on school engagement and psychological well-Bing of Chinese Primary Middle School Students : The Mediating Role of Resilience , Original research published,(29), 1-8.

- Jariam, D& Kahi, D.H.(2012). Navigating the doctoral experience the rol of social support in

- successful degree completion. International journal of studies, (7), 311–329.
- Joshanloo, A.M., Ghaedi, B. G.(2009). Value priorities as predictors of hedonic and eudemonic aspects of wellbeing, journal of positive psychology, (47), 101–162.
 - Jonsson, L., BaraLdi,E., Larsson ,L.(2015). A broadened innovation support for mutual benefits: academic engagement by universities as part of technology transfer , International Journal of Technology Management & Sustainable Development ,2(14) ,71-92 .
 - Keith, C., Radley., Evan, H.,Dart, ; Roderick., Ohandley, A.(2016) The quiet classroom game: aclass-wide intervention to increase academic engagement and reduce disruptive behavior , School Psychology Review, 45(1), 93–108.
 - Perkmann,M., Riccardo ,F., Michael, J., Ross , A., Silvestri ,, Valentina, T (2015) Accounting for universities' impact: using augmented data to measure academic engagement and commercialization by academic scientists . Research Evaluation,(24) , 380–391.
 - Sadeghia, A., Shokouk, S., Alikhani, S.(2012). A survey on the hierarchy of values system of high school students interdisciplinary . Journal of contemporary research in business, 3(9), 388–494.
 - Schwartz, S. H. (2012). An overview of basic values. Psychology and Culture, 2(1), 5–12.
 - Siran, A., Koohbanai, S., Vahidi, T.(2013). The relation between social support and self-efficacy with academic a achievement and school satisfaction among female junior High school students in Brigand.Sochial and Behavioral scinces, (84), 668–673.
 - Wang, M. T& Eccles, J.S(2013). School context a achievement motivation and academic engagement. Longitudinal study of school engagement using amultimensional. Perspective learning and instruction, (28), 12–23.
 - Wilson ,D., Jones, D.,Bocell, F., Crawford J., Kim, M., Veilleux ,N., Floyd, S., Bates, R., Plett ,M.(2015) . Belonging and Academic Engagement Among Undergraduate stem Students: A multi-institutional Study. Res high educ, (56), 750–776.
 - Xavier, O ., Alberto, A ., Michelle, M ., Slivia ,C ., Rafael , M .(2016) . Emotional creativity as predictor of intrinsic motivation and academic engagement in university students: the mediating role of positive emotions . original research published,(25), 1–9 .
 - Zhou, M &Winne, P.(2012). Modeling academic achievement by self- report versus traced goal orientation. Learning and instruction.
 - Gottschalg, O&Zollo, M(2007). Interest alignment and competitive advantage. Journal of academy of management review.32(2), 418–437.

Academic engagement and its relation with psychological values in a sample of university students in the light of some demographic variables (English Abstract)

Shrooq Gharmallah Alzahrani

Assistant professor of Psychology

Faculty of Arts- king Abdelaziz university

Abstract. The aim of this current study is to identify the Prevalence of Academic engagement and psychological values, also identify the relationship between Academic engagement and psychological values to a sample of university students, As well as the differences between male and female in Academic engagement, and psychological values , This study includes a sample of university students(N=500),(215male and285 female) the researcher used Academic engagement Scale and psychological values Scale. The result showed that a Prevalence of Academic engagement and psychological values, and a relationship between them, no differences between male and female in Academic engagement, and psychological values, but there are differences led to academic specialization.

العلاقة بين الاتجاه نحو الإرشاد الأكاديمي وتقدير الذات لدى عينة من طلاب

د. أحمد نزار محمد قبيسي وأ.د. محمد سعيد الغامدي و د. عصام عبد اللطيف العقاد

جامعة الملك عبدالعزيز جامعة الملك عبدالعزيز جامعة سوهاج

مستخلص. هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الاتجاه نحو الإرشاد الأكاديمي وتقدير الذات لدى عينة من طلاب جامعة الملك عبدالعزيز، ولتحقيق هذا الهدف قام الفريق البحثي بتصميم مقاييس عمليات الإرشاد الأكاديمي والذي يمكن من استطلاع اتجاه الطالب نحو خدمات الإرشاد الأكاديمي بالجامعة، إضافة إلى استخدام مقاييس تقدير الذات لروزنبرج Rosenberg بعد ترقيبه من قبل الباحثين وتم تطبيق المقاييس على عينة عشوائية بلغت ٥٢٨ طلاب و ٢٦٣ طالبات) من يدرسون بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة عن العام الدراسي ١٤٣٧ - ١٤٣٨هـ وذلك في ضوء بعض المتغيرات الشخصية لمفردات العينة وهي (النوع - الكية - المعدل التراكمي) وقد أظهرت نتائج التحليل باستخدام عدد من الأساليب الإحصائية اتجاهها عاماً نحو إيجابية بعد خدمات الإرشاد الأكاديمي حيث جاءت استجابات عينة الدراسة في ضوء شدة الاتجاهات أن المرشد الأكاديمي يساعد في تسجيل الساعات الدراسية المتوقعة مع قدرات الطالب والنظام الجامعي وأن وجود الإعلانات الواضحة والإرشادات ساعد على الإرشاد الأكاديمي وأن تواجد المرشد الأكاديمي بمكتبة خلال الساعات المكتبية وشرحه لنقاصيل الخطة الدراسية وتعاطفه مع الطالب أسهم بشكل ملموس في رضا الطالب مما كان له عظيم الأثر على الطالب في تقديم أفضل ما لديهم، وكذلك أسفرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين الإرشاد الأكاديمي وتقدير الذات المرتفع حيث كان لدى الطلاب الشعور بأنهم يمتلكون صفات جيدة ويشعرون بالقيمة والتوجه الإيجابي نحو الذات وشعور عام بالرضا عن النفس كذلك أظهرت النتائج وجود تأثير واضح لكل من النوع والكلية على درجة إيجابية الاتجاه نحو خدمات الإرشاد الأكاديمي مما قد يدل على تفاوت في توفير تلك الخدمات من كلية لأخرى ووجود هذا التفاوت أيضاً بين شطري الطلاب والطالبات، أما المعدل التراكمي فلم يثبت له تأثير .

وقد أبدى مفردات عينة الدراسة رغبتهم في تفرغ المرشدين لعملية إرشاد الطلاب وأوصت الدراسة بضرورة زيادة فاعلية خدمات الإرشاد الأكاديمي لتكوين مفهوم إيجابي وواقعي عن الذات لدى طلاب الجامعات السعودية خاصة والعربية عامة، كما قدمت الدراسة بعض المقترنات لبحوث مستقبلية ذات العلاقة.

واقتصر الباحثون ضرورة تخصيص الدراسات في مرحلة ما بعد البكالوريوس لتدريس الإرشاد الأكاديمي وتأطيره مهنياً وتكون الجماعيات العلمية المهنية لتطوير العاملين فيه، وضرورة تطويره من أجل مواكبة التطور المهني وليكون شمولياً ليساهم في تطوير الطلاب في جميع الجوانب الحياتية.

concept questions. CBE-Life Sciences Education, 323(5910), 122–124.

U.S. Census Bureau. (2014). Educational attainment in the United States [Data file]. Retrieved from <http://www.census.gov/hhes/socdemo/education/data/cps/2013/tables.html>

Wilensky, H. L. (1964). The professionalization of everyone? American Journal of Sociology, 70(2), 137–158.

Websites:

Self-determination theory: an approach to human motivation and personality.
<http://www.psych.rochester.edu/SDT/theory.html>

<http://www.nacada.ksu.edu/About-Us/Vision-and-Mission.aspx>

<http://www.qu.edu.sa/Academic/Pages/Academic-Advising.aspx>

جامعة القصيم وحدة الإرشاد الأكاديمي

<http://www.aiu.edu.sy/ar/Page77/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D8%B4%D8%A>

7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%8A
 الجامعة العربية الدولية - سوريا
<http://www.mu.edu.sa/ar/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%83%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D8%B4%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A7%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%87%D8%AF%D9%81%D8%A9>
 المجمعه
<http://faculty.ksu.edu.sa/12535/test/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D8%B4%D8%A7%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%8A.pdf>
 جامعة فيلادلفيا كلية الحقوق

- Daler, M. (1997). The Use of Developmental Advising Models by Professional Academic Advisors, (n.p.) Master's thesis, Virginia Polytechnic Institute and State University, USA.
- Darling, R. & Woodside, M. (2007). The academic advisor as teacher: First-year transitions. In M. S. Hunter, B. McCalla-Wriggins, & E. R. White (Eds.), Academic advising: New insights for teaching and learning in the first year (Monograph No. 46 [National Resource Center]; Monograph No. 14 [National Academic Advising Association]; (pp. 5–17). Columbia: University of South Carolina, National Resource Center for the First-Year Experience and Students in Transition.
- Evets, J. (2003). The sociological analysis of professionalism: Occupational change in the modern world. *International Sociology*, 18(2), 395–415.
- Freud, S. (1920). Beyond the Pleasure Principle. Hogarth, London
- Grites, T. J., & Gordon, V. N. (2009). The history of NACADA: An amazing journey. *NACADA Journal*, 29(2), 41-45.
- Habley, W. R. (2009) Academic advising as a field of inquiry. *NACADA Journal*, 29(2), 76–83.
- Kolb, J. B. (Ed.). (2008). Encyclopedia of business ethics and society. Los Angeles: Sage.
- Klass, A. A. (1961). What is a profession? *Canad. M. A. J.*, 85, 698–701.
- Kuhn, T., & Padak, G. (2008). Is academic advising a discipline? *NACADA Journal*, 28(2), 2–4.
- Lowenstein, M. (2005). If advising is teaching, what do advisors teach? *NACADA Journal*, 25(2), 65-73.
- Lumina Foundation. (2012). A stronger nation through education. Retrieved from http://www.luminafoundation.org/publications/A_stronger_nation.pdf
- Lynch, M. L., & Stucky, K. (2000.) Advising at the millennium: Adviser roles and responsibilities. *NACADA Journal*, 21(1&2), 15–31.
- Macionis, J. J. (2007). *Sociology* (11th ed.). Upper Saddle River, NJ: Pearson Prentice Hall.
- McGillin, V. A. (2000). Current issues in advising research. In V. N. Gordon & W. R. Habley (Eds.), *Academic advising: A comprehensive handbook* (pp. 365-380). San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- Molitor, F., Kravitz, R. L., To, Y., & Fink, A. (2001). Methods in survey research: Evidence for the reliability of group administration vs. personal interviews. *American Journal of Public Health*, 91(5), 826–827.
- National Academic Advising Association (NACADA). (2014a). About NACADA. Retrieved from <http://www.nacada.ksu.edu/About-Us.aspx>
- National Academic Advising Association (NACADA). (2014b). NACADA by-laws. Retrieved from <http://www.nacada.ksu.edu/About-Us/By-Laws-Policies.aspx>
- Prather, E. E., & Brissenden, G. (2009). Clickers as data gathering tools and students' attitudes, motivations, and beliefs on their use in this application. *Astronomy Education Review*, 8(1), 010103-1, 10.387/AER2009004. Retrieved from http://www.portico.org/Portico/#!/journal/AUSimpleView/tab=HTML?cs=ISSN_15391515?ct=E-Journal%20Content?auId=ark:/27927/pgg3ztfc67p
- Shaffer, L. S., Zalewski, J. M., & Leveille, J. (2010). The professionalization of academic advising: Where are we in 2010. *NACADA Journal*, 30(1), 66–77.
- Smith, M. K., Wood, W. B., Krauter, K., & Knight, J. K. (2009). Why peer discussion improves student performance on in-class

Johnson, A., Larson, J. & Barkemeyer, J. (2015), Academic Advising Is Not a Profession: Who Knew?, *The Mentor: An Academic Advising Journal*, Penn State University, The Division of Undergraduate Studies, USA, viewed on <https://dus.psu.edu/mentor/2015/03/academic-advising-not-a-profession/>, retrieved on 10 Sept. 2015.

Kol, B. (Ed.) (2008). *Encyclopedia of business ethics and society*. Los Angeles: Sage.

Larty, S. (2003) In Living Color: an Intercultural Approach to Pastoral Care and Counseling, Kingsley, Jessica Publishers.

Leung, S. (008), The Big Five Career Theories, in Athanasou, J. & Esbroeck, E.(2008), International Handbook of Career Guidance, Springer Science - Business Media pp. 115-132.

Lowenstein M. (2014), Towards a Theory of Advising, *The Mentor: An Academic Advising Journal*, August 12, 2014, <https://dus.psu.edu/mentor/2014/08/toward-a-theory-of-advising/> viewed on 15 September 2015.

Macdonald, J. J. (2007). *Sociology* (11th ed.). Upper Saddle River, NJ: Pearson Prentice Hall.

Murray, H (1938). *Explorations in Personality*. Oxford University Press, New York.

Pedersen, P. (1990), The Multicultural Perspective as the Fourth Force in Counseling, *The Journal of Multicultural Counseling*, 12: 93-95

Shaffer, L. S., Zalewski, J. M., & Leveille, J. (2010). The professionalization of academic advising: Where are we in 2010. *NACADA Journal*, 30(1), 66–77.

Wilensky, H. L. (1964). The professionalization of everyone? *American Journal of Sociology*, 70(2), 137–158.

Adams, A. C., Larson, J. M., & Barkemeyer, J. P. (2013, May 23). Academic advising as a profession: How advisers in Utah view the occupation. *The Mentor: An Academic Advising Journal*. Retrieved from <http://www.dus.psu.edu/mentor>

Aiken-Wisniewski, S. A., Smith, J. S., & Troxel, W. G. (2010). Expanding research in academic advising: Methodological strategies to engage advisers in research. *NACADA Journal*, 30(1), 4–13.

Appleby, D. C. (2008). Advising as teaching and learning. In V. N. Gordon, W. R. Habley, T. J. Grites, and Associates, (Eds.), *Academic advising: A comprehensive handbook* (2nd ed., pp. 85–102). San Francisco, CA: Jossey-Bass.

Bunz, U. (2005). Using Scantron versus an audience response system for survey research: Does methodology matter when measuring computer-mediated communication competence? *Computers in Human Behavior*, 21(2005), 343–359.

Bureau of Labor Statistics (BLS). (2014, March 24). Employment Projections [Data file]. Retrieved from http://www.bls.gov/emp/ep_chart_001.htm

College Board. (2015). College Costs: FAQ's. Retrieved from <https://bigfuture.collegeboard.org/pay-for-college/college-costs/college-costs-faqs>

Cook, S. (2009). Important events in the development of academic advising in the United States. *NACADA Journal*, 29(2), 18–26.

Creamer, D. G. (2000). Use of theory in academic advising. In V. N. Gordon, W. R. Habley, and Associates, (Eds.), *Academic advising: A comprehensive handbook* (pp. 18–34). San Francisco, CA: Jossey-Bass.

Crookston, B. B. (1994). A developmental view of academic advising as teaching. *NACADA Journal*, 14(2), 5–9.

entitles members to professional development, career promotion and financial security in return for their professional and comprehensive academic advising.

6. The establishment of at least a professional society and a scientific journal for academic advising in Arabic language that can support academic advising professionals and help them in their pursuit of professional development.

7. the development of advising models that incorporate and improve existing models to be more culturally suitable and sensitive to that of the Arab, Gulf and Saudi cultures to ensure higher levels of effectiveness.

8. To ensure that academic advising education and professional practice include the rapidly changing and newly emerging study programs and careers for better preparation for future job markets and needs.

9. The support of research to study the following:

a. The effectiveness of academic advising policies in various Saudi universities,

b. The comparison between policies and practice of academic advising within universities, between various universities and between public and private universities.

c. The needs as well as interests in academic advising professions which may help in establishing sufficient study programs as well

as in recruiting interested and qualified people for the profession.

d. The presentation of internationally recognized academic advising models and how can they be applied in Saudi Arabia as well as in the Gulf region and the Arab world.

Acknowledgement

This project was funded by the Deanship of Scientific Research (DSR) at King Abdulaziz University, Jeddah, under grant no. **G 602 - 143 -37**. The authors, therefore, acknowledge with thanks DSR for technical and financial support.

Dr. Ahmed Nezar Kobeisy
Principal Investigator
Grant No. G 602 -143 -1437

References:

- Bureau of Labor Statistics, U.S. Department of Labor (2015), The Occupational Outlook Handbook, the Online Version, <http://www.bls.gov/ooh/community-and-social-service/school-and-career-counselors.htm> retrieved on 10 Sept. 2015
- Deci, E L and Ryan, R M (2000). The “what” and “why” of goal pursuits: human needs and the self-determination of behavior. *Psychological Inquiry*, 11, 4, 227–68.
- Deci, E L, Koestner, R, and Ryan, R (1999). A meta-analytic review of experiments examining the effects of extrinsic rewards on intrinsic motivation. *Psychological Bulletin*, 125, 627–68.
- Evetts, J. (2003). The sociological analysis of professionalism: Occupational change in the modern world. *International Sociology*, 18 (2), 395–415.

where the following statements were selected the most: (1) I feel that I am a person of worth, at least on an equal plain with others, (2)I take a positive attitude toward myself, (3) I am able to do most things as well as most other people, and (4) On the whole, I am satisfied with myself with S.D. 17.88%, 18.72%, 18.89%, 19% & 19.13% respectively.

The results indicated positive linear relationships between the constructs of both scales (i.e. the attitude towards academic advising services and Self-Esteem).

Recommendations:

Based on both, the literature and the study results, the research team recommends the following:

1. Due to the importance of self esteem in the improving the mental health and other life functioning among students, it is very important to develop the practical means including educational programs and training to develop, monitor and support the self -esteem among students from early ages in pre-college education to enhance the likelihood of securing a higher level of education and success in life in general.

2. Academic advising is very important for all developmental areas for college students. It is, therefore, very important to make certain that a high level and standardized level of academic

advising is provided for students not only after they join the university but perhaps reach out to them while in high schools before they even apply to the university. As a matter of fact, many prominent universities in the West publicize their academic advising standards and services as one of the criteria for encouraging recruitment of new and achieving students.

3. The establishment of formal profession of academic advising including the specific educational programs starting from the Master's level to graduate professional academic advisors, and to establish professional careers among universities for academic advisors which allow for promotions and career development.
4. The development of programs, conferences, workshops to improve the effectiveness of academic advising officers or providers within the KAU University which will help in the development of standards for the profession in the Kingdom, improving the quality of services and reducing the gap between various colleges and between the males and females' sections.
5. The development of specialized educational programs at the Master's level in Academic Advising thus creating a career path of Academic advising as a profession which

II. The researchers found that there are significant positive linear correlations among the constructs of the academic advising services and the self-esteem, and that the total

summated rates from all items of the measurements instrument, at significant level less than (0.001) (see table 14).

Table (14): Construct Validity for the constructs of the academic advising services and Self-esteem scale

No	Constructs	Pearson correlation coefficient	Significant level
١	academic advising services	0.811	0.001***
٢	Self-esteem scale	0.622	0.001***

*** Significant at a level less than (0.001)

Conclusion:

This study aimed at finding the relationship between the attitude toward academic advising and self esteem among a sample of King Abdulaziz University students. In order to achieve this goal, the research team developed a scale to measure the academic services at the University and used the Rosenberg's Self Esteem scale. Both instruments were applied to randomly selected sample of N=519 (256 Males & 364 Females) that represented various colleges and varying GPAs.

The scales' consistency, validity and reliability were examined and proven.

Results indicated positive attitude towards academic advising services with Mean of 2.54 and Standard Deviation of 25.95% where the most selected statements were: (1) The academic advisor helps in registering the study

hours which are most suitable for the student and the policies, (2) there are clear signs and guidelines in the Dept. that help receiving academic advising, (3) The academic advisor is available during office hours, (4) The academic advisor explains the relationship between courses and the study plan, and (5) the academic advisor encourages the student to do his/her best with S.D. of 30.47%, 31.56%, 31.91%, 33.87% and 35.18 respectively.

The variables of gender and faculty type proved to have had significant effects on the results while the GPA variable did not, thus indicating the variation in providing such services between various colleges on the one hand, and between the males and females' sections on the other.

The results also showed positive responses for self-esteem with M= 3.33, and S.D. =14.79

Table (12): F-test to measure the significant effect of GPA segments on the level of the academic advising services

GPA	MEAN	S.E	F-test	Significant level
Acceptable	٢,٤٣٩٤	0.42	٢,١٣٥	.,٠٩٦
Good	٢,٦٠٢٥	0.11		
Very good	٢,٤٣١٥	0.05		
Excellent	٢,٢٨٩٠	0.07		
Total	٢,٤٣٤٤	0.04		

As for the fourth question:

4. What is the relationship between students' view of academic advising services and students' self-esteem?

To answer this question, several steps were taken:

- I. The researchers used Pearson's Correlation Coefficient to measure the internal consistency for the constructs of the Academic Advising Services and the Self-esteem Scales (see table 13) which revealed the presence of significant

positive linear correlation between the academic advising services and the self-esteem and the level of multiple items that make up a composite score of each construct at significance less than (0.001). Furthermore, the Pearson's Correlation Coefficient for all multiple items were found to be greater than (0.50) thus allowing us to conclude that the measured variables represent or correlate with its construct.

Table (13): Internal Consistency for the constructs of the academic advising services and Self-esteem scale

Item no.	Pearson correlation coefficient	Sig.	Item no.	Pearson correlation coefficient	Sig.
academic advising services			Self-esteem scale		
١	0.650	0.001***	١	0.578	0.001***
٢	0.692	0.001***	٢	0.545	0.001***
٣	0.768	0.001***	٣	0.578	0.001***
٤	0.801	0.001***	٤	0.622	0.001***
٥	0.806	0.001***	٥	0.631	0.001***
٦	0.746	0.001***	٦	0.605	0.001***
٧	0.639	0.001***	٧	0.729	0.001***
٨	0.746	0.001***	٨	0.738	0.001***
٩	0.751	0.001***	٩	0.698	0.001***
١٠	0.818	0.001***	١٠	0.703	0.001***
١١	0.759	0.001***			

*** Significant at a level less than (0.001).

Table (11): LSD test to measure the significance of the differences between each of the two categories for the construct of the academic advising services

Faculty type	Mean Difference					
	Faculty of Computer and Information Technology	Faculty of Arts and Humanities	Faculty of Engineering	Faculty of Business Administration	Faculty of Preparatory Year	Faculty of Science
Faculty of Computer and Information Technology	---					
Faculty of Arts and Humanities	0.40*	---				
Faculty of Engineering	0.21	-0.19	---			
Faculty of Business Administration	0.18	-0.22	-0.03	---		
Faculty of Preparatory Year	0.00	-0.40*	-0.21	-0.18	---	
Faculty of Science	0.31	-0.09	0.10	0.13	0.31*	---
Other Faculties	-0.37	-0.78*	-0.59*	-0.56*	-0.38*	-0.79*

According to LSD-test it can be concluded that:

- With regard to the construct of the academic advising services, there are significant differences between Faculty of Computer and Information Technology and Faculty of Arts and Humanities, with a positive attitude towards the first faculty, at significant level less than (0.05).
- With regard to the construct of the academic advising services, there are significant differences among Faculty of Arts and Humanities, Faculty of Preparatory Year, and other faculties, with a positive attitude towards the last two categories, at significant level less than (0.05).
- With regard to the construct of the academic advising services, there are significant differences among Faculty of

Engineering, Faculty of Business Administration, Faculty of Preparatory Year, Faculty of Science, and other faculties, with a positive attitude towards the last category, at significant level less than (0.05).

With regard to the construct of the academic advising services, there are significant differences between the Faculty of Preparatory Year and the Faculty of Science, with a positive attitude towards the latter, at a significant level less than (0.05) (see table 11). As for the GPA variable, the researchers used F-test to measure the effects of the GPA on the level of perception of academic advising services. As a result, there was no significance of the GPA on any of the construct of academic advising scale (see table 12).

level of the construct of the academic advising services (See table 9).

Table (9): t-test to measure the significant effect of gender segments on the level of the academic advising services

construct	gender	MEAN	S.E	t-test	Significant level
academic advising services	male	٢,٧٣	٠,٠٤٢	٦,٨٣٣	***,..١
	female	٢,٣٥	٠,٠٢١		

*** Significant at a level less than (0.001)

II. One way analysis of variance (ANOVA) to measure the significant effect of demographic variables in terms of faculty type and grade point average on the level of the construct of the academic advising services.

It was found that there are significant effects of gender on the level of the constructs of the academic advising services with a higher level from male students at a significant level less than (0.001) (See table 10).

Table (10): F-test to measure the significant effect of faculty type segments on the level of the academic advising services

faculty type	MEAN	S.E	F-test	Significant level
Faculty of Computer and Information Technology	٢,٧٦٧٧	0.17	٩,٣٤٦	٠,٠٠١***
Faculty of Arts and Humanities	٢,٣٦٢٩	0.03		
Faculty of Engineering	٢,٥٥٣٠	0.15		
Faculty of Business Administration	٢,٥٨٥٢	0.18		
Faculty of Preparatory Year	٢,٧٦٢٩	0.05		
Faculty of Science	٢,٤٥٤٥	0.16		
Other Faculties	٣,١٤٠٥	0.32		
Total	٢,٥٤	0.03		

*** Significant at a level less than (0.001)

And to test the effect of the faculty type on the constructs, it was found that there are significant effects of faculty type segments on the level of the construct of the academic advising services, at significant level less than (0.001). Because there are significant

differences between the responses of the research sample in different categories, it became necessary to test the least significant difference to determine the significance of the differences between each of the two categories separately, as in the following (table 11):

- With regard to the view of males at King Abdul-Aziz University on the reality of academic advising services, there are significant differences between the sample's mean and population's parameter ($\mu=2.5$), at significant level less than (0.05) in terms of the construct of academic advising services. Therefore ,we reject null hypothesis that ($\mu=2.5$), according to 4- Likert Scale, and we accept alternative hypothesis that($\mu>2.5$) , Thus, we support the higher perceived value of academic advising services from the perspective of males at King Abdul-Aziz University, at the detailed level of the indicator variables and total construct.
- With regard to the view of females at King Abdul-Aziz University on the reality of academic advising services, There are significant differences between sample's mean and population's parameter ($\mu=2.5$), at significant level less than (0.05) in terms of the construct of academic advising services,

Table (8): Pearson correlation matrix to measure a significant relationship between the construct of academic advising services and the construct of Self-esteem scale

Constructs	academic advising services	Self-esteem scale
academic advising services	'	
Self-esteem scale	0.092*	'

* Significant at a level less than (0.05)

The researchers found that there are significant positive linear relationships between the constructs of academic advising services and the constructs of Self-esteem scale, at significant at a level less than (0.05).

With regard to the third question:

3. Do any of the demographic variables (e.g. gender, faculty type, and grade point average) have a significant effect on the students' view of academic advising services?

The constructs of the third research question can be classified into the following:

except for two indicator variables of (q1) and (q9). Therefore, we reject null hypothesis that ($\mu=2.5$), according to 4- Likert Scale, and we accept alternative hypothesis that ($\mu<2.5$), except for the two indicator variables of (q2) and (q7). Thus, we support the perceived lower value of academic advising services from the perspective of females at King Abdul-Aziz University, at the detailed level of the indicator variables and total construct.

With regard to the second question:

2. What is the relationship between the academic advising services and the self-esteem scale in sample units?

In order to answer this question, the researchers used Pearson correlation matrix to measure a significant linear relationship between the constructs of academic advising services and the constructs of self-esteem scale, to test the second research question, (see table 8).

A. Independent Variables: They are gender, faculty, and grade point average.

B. Dependent Variable: It is the level of the construct of the academic advising services. To answer the third research question, the researchers did the following:

to test the effect of demographic variables on the level of the construct of the academic advising services, the researcher used the following statistical techniques:

- I. T-test for two independent samples to measure the significant effect of demographic variables in terms of gender segments on the

academic advising services, if ($H_0: \mu > 2.5$), to test the first research question, as in the

following. (see T-test results in table 7):

Table (7): t-test to measure the reality of academic counseling services from the perspective of male and female at King Abdul-Aziz University- population's parameter ($\mu=2.5$)

variables	sex	MEAN	SE	t-test	Significant level
1-There are signs and directions in the Department that encourage seeking academic advising	male	2.74	0.056	4.27	0.001***
	female	2.50	0.046	0.032	0.975
2-The academic advisor helps students in registering the hours' load that is suitable for the Student's abilities and according to the University's policies.	male	2.91	0.049	8.31	0.001***
	female	2.67	0.055	3.08	0.002**
3-The academic advisor follows the student's level during the semester	male	2.61	0.075	1.85	0.105
	female	2.09	0.046	8.95	0.001***
4-The academic advisor encourages the student to improve ideas in his/her major	male	2.77	0.058	4.72	0.001***
	female	2.10	0.046	8.79	0.001***
5-The academic advisor provides students with advice and guidance throughout the whole semester	male	2.65	0.059	2.52	0.012*
	female	2.14	0.048	7.41	0.001***
6-The academic advisor explains the relationship between the courses and the details of the Department's study plan	male	2.75	0.053	4.82	0.001***
	female	2.38	0.053	2.28	0.023*
7-The academic advisor attends his/her office during the time specified for academic advising	male	2.84	0.058	5.79	0.001***
	female	2.80	0.054	5.54	0.001***
8-The student generally feels satisfied about the level of academic advising	male	2.67	0.055	3.13	0.002**
	female	2.35	0.055	2.75	0.006**
9-The student feels gratitude for the expediency and competent service provided by the academic advisor	male	2.68	0.053	3.39	0.001***
	female	2.45	0.059	0.80	0.424
10-The academic advisor encourages the student to offer at his/her best	male	2.79	0.056	5.14	0.001***
	female	2.25	0.049	5.17	0.001***
11-The academic advisor makes the student feels comfortable through sympathy and solving his/her psychological and social problems	male	2.65	0.059	2.58	0.011*
	female	2.15	0.053	6.56	0.001***
Total	male	2.73	0.042	5.49	0.001***
	female	2.35	0.036	4.07	0.001***

* Parameter is significant at the (.0*) level

** Parameter is significant at the (.0*) level

***Parameter is significant at the (.001) level

2. With regards to Self-Esteem scale (table 6):

Table (6): Descriptive statistics for the construct of Self-Esteem scale

NO.	statements	MEAN	SD	CV	RANK
١	On the whole, I am satisfied with myself	3.44	0.66	19.13	5
٢	I feel that I have a number of good qualities	3.49	0.62	17.88	1
٣	I am able to do things as well as most other people	3.49	0.66	19	4
٤	I take a positive attitude toward myself	3.51	0.66	18.89	3
٥	I feel that I'm a person of worth, at least on an equal plane with others	3.51	0.66	18.72	2
٦	I wish I could have more respect for myself	3.28	0.84	25.52	6
٧	All in all, I am inclined to feel that I am a failure	3.17	0.84	26.37	8
٨	At times I think I am no good at all	3.24	0.85	26.3	7
٩	I feel I do not have much to be proud of	3.02	0.89	29.6	10
١٠	I certainly feel useless at times	3.14	0.89	28.28	9
TOTAL		٣,٣٣	٠,٤٩	١٤,٧٩	--

According to the descriptive statistics in table (6), it can be concluded that:

- The five highest scoring variables are: (1) I feel that I have a number of good qualities, (2) I feel that I'm a person of worth, at least on an equal plane with others, (3) I take a positive attitude toward myself, (4) I am able to do things as well as most other people ,and (5) On the whole, I am satisfied with myself, with coefficient of variation (17.88%), (18.72%), (18.89%), (19%), (19.13%) respectively. These results suggest a high level of self esteem-among participants.
- On the other hand, however, the three least scoring variables are: (1) All in all, I am inclined to feel that I am a failure, (2) I certainly feel useless at times, and (3) I feel I do not have much to be proud of, with coefficient of variation (26.37%), (28.28%), (29.6%) respectively. This suggests that most participants scored high on the self-esteem. On the academic advising questionnaire, the lowest scoring despite the need for the academic advisor to be available throughout

the semester in addition to helping students deal with their social and psychological concerns.

- Because the value of the total mean for the Self-esteem scale is (٣,٣٣), and the coefficient of variation is (١٤,٧٩%), we can conclude that these results show positive Self-esteem on the scale.

To answer the research questions, the researchers found the following:

1. What is the reality of academic advising services from the perspective of both males and females among King Abdulaziz University students?

To answer this question, the researchers used one sample t-test to measure the reality of academic counseling services from the perspective of male and female students at King Abdul-Aziz University, based on the significant differences between the sample's mean and population's parameter ($H_0: \mu=2.5$) depending on 4-kikert scale, Which supports the general trend towards positive attitudes for

٤	The academic advisor encourages the student to improve ideas in his/her major	2.43	0.9	37.12	٩
٥	The academic advisor provides students with advice and guidance throughout the whole semester	2.39	0.9	37.57	١٠
٦	The academic advisor explains the relationship between the courses and the details of the department's study plan	2.56	0.87	33.87	٨
٧	The academic advisor attends his/her office during the time specified for academic advising	2.82	0.9	31.91	٧
٨	The student generally feels satisfied about the level of academic advising	2.51	0.9	35.7	٦
٩	The student feels gratitude for the expediency and competent service provided by the academic advisor	2.56	0.92	35.74	٦
١٠	The academic advisor encourages the student to offer at his/her best	2.51	0.88	35.18	٥
١١	The academic advisor makes the student feels comfortable through sympathy and solving his/her psychological and social problems	2.40	0.94	39.04	١١
TOTAL		2.54	0.66	25.95	--

According to the descriptive statistics in table (5), it has been found that:

- The five most homogeneous variables are: the academic advisor helps students in registering the hours' load that is suitable for the Student's abilities and according to the University's policies, there are signs and directions in the Department that encourage seeking academic advising, the academic advisor attends his/her office during the time specified for academic advising, the academic advisor explains the relationship between the courses and the details of the department's study plan, and, the academic advisor encourages the student to offer his/her best, with coefficient of variation (30.47%),

(31.56%), (31.91%), (33.87%), (35.18%) respectively.

- On the other hand, the four most heterogeneous variables are: the academic advisor follows the student's progress during the semester, the academic advisor encourages the student to improve ideas in his/her major, the academic advisor provides students with advice and guidance throughout the whole semester, and, the academic advisor makes the student feels comfortable through sympathy and solves his/her psychological and social problems, with coefficient of variation (37.05%), (37.12%), (37.57%), (39.04%) respectively.

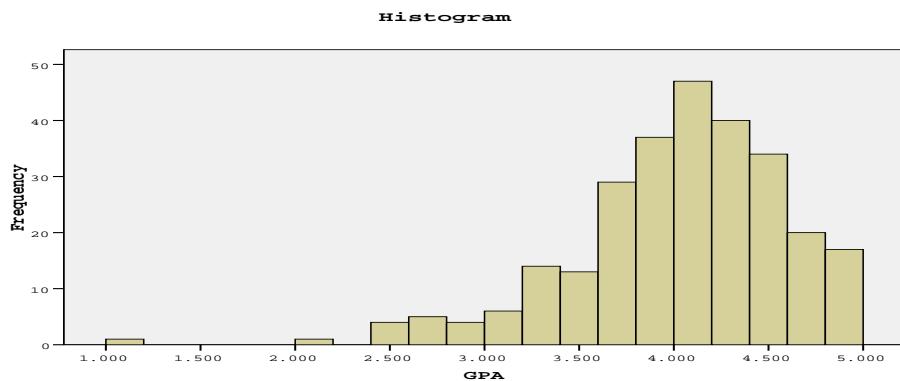


Figure (1): histogram of GPA

Research variables:

1- Respondents' demographic variables:

- Gender.
- Faculty.
- Academic year.
- Grade point average.

2- Dependent Variables:

- Evaluation of the academic advising services.
- Self-esteem scale.

Results and Discussion:

1. With regards to Students' view of academic advising (table 5):

Table (5): Descriptive statistics for the construct of an evaluation of the academic advising services

NO.	statements	MEAN	SD	CV	RANK
١	There are signs and directions in the department that encourage seeking academic advising	2.62	0.83	31.56	٢
٢	The academic advisor helps students in registering the hours' load that is suitable for the Student's abilities and according to the university's policies	2.79	0.85	30.47	١
٣	The academic advisor follows the student's progress during the semester	2.34	0.87	37.05	٤

5	Faculty (students) of Preparatory Year	181	35,1	٢
6	Faculty of Science	22	4,3	٣
7	Other Faculties	11	2,2	٤
	Total	510	100	--

The second Academic year represents (35.1%), while third Academic year represents (34.5%), first Academic year represents

(17.9%), and finally the Fourth Academic year represents (11.9%) from the total sample (see table 3).

Table (3): Distribution of the Sample Members according to Academic year

No	Academic year	Freq.	%	Rank
1	First year	10	17.9	٣
2	second year	30	35.7	١
3	third year	29	34.0	٢
4	Fourth year	10	11.9	٤
	Total	84	100	--

The grade point average of the sample ranged as follows: the grade "Very Good" represents (58.1%), while "Excellent" represents (20.7%), "Good" represents (18.8%),

"Acceptable" represents (2.2%) and "Failure" represents (0.4%) from the total sample (see table 4 and histogram 1).

Table (4): sampling distribution Members According to Grade point average

No	GPA	interval	Freq.	%	Rank
1	Failure	1-1.99	1	0.4	٥
2	Acceptable	2-2.74	6	2.2	٤
3	Good	2.75-3.74	51	18.8	٣
4	Very good	3.75-4.49	108	58.1	١
5	excellent	4.5-5	56	20.7	٢
	Total	--	272	100	--

well as the statistical techniques used in analyzing the data.

Research Material and Methods:

To achieve the objectives of this research, the researchers used the descriptive approach, which uses both the description and analysis of events and determines the differences and correlations between various variables in addition to the interpretation, analysis and comparison. The researchers used two scales to achieve the objectives of the research as follows: (1) one which was developed by the researchers to measure the sample's perception of, and satisfaction from the academic advising services which KAU students receive, and (2) the Rosenberg' self-esteem scale translated by researchers. The academic advising services measurement scale

included elements for all of the three components of attitude formation which are (a) cognitive, (b) affective, and (c) behavioral (see appendix 1).

The Population and Sample Size:

The study population included all the students of King Abdul Aziz University in Jeddah, at various colleges in the academic year 1437-1438 H, who represented the targeted population for academic advising services to find out the correlation between such services and their level of self esteem. The sample students were selected randomly on the basis of their willingness to participate in the study. The total number of the sample is 519 students with 256 males (49.3 %) and 263 females (50.7 %) (See table 1).

Table (1): Distribution of the Sample Members according to gender

No	Gender	Freq.	%	Rank
1	Male	256	49.3	2
2	Female	263	50.7	1
	Total	519	100	--

The sample represented various colleges at the KAU as follows: The faculty of Arts and Humanities represents (51.3%), followed by Faculty of Preparatory Year represents (30.1%), while the Faculty of Science

represents (4.3%), Faculty of Business Administration represents (3.1%), Faculty of Engineering represents (2.3%), finally Other Faculties represent (2.2%) from total sample units (see table 2).

Table (2): sampling distribution of respondents according to faculty:

No	faculty type	Freq.	%	Rank
1	Faculty of Computer and Information Technology	9	1.7	4
2	Faculty of Arts and Humanities	264	51.3	1
3	Faculty of Engineering	12	2.3	3
4	Faculty of Business Administration	16	3.1	2

self-esteem and attitude towards academic advising.

Daller M. (1997), used qualitative research methods (observation) in her Master's thesis, titled "The Use of Developmental Advising Models by Professional Academic Advisors" to describe and understand the process of academic advising. She recommended that academic advisors understand and be aware of the differences among students as well as of the trends and changes in the students' populations. Furthermore, academic advising should consider the specific needs for each student rather than be provided as one size fits all. Moreover, she recommended the development of existing advising models further to include the rapid changing and new features of both students and careers.

Rationale for the Topic selection:

Since the two areas namely; attitude towards academic advising and level of self esteem among Arab university students are not studied at all except in one study and not studied at all in the Gulf region nor in Saudi Arabia, the researchers felt that such a study is very important and would make great contributions to the fields of both academic advising and students' mental health counseling.

Research Objectives:

Increased understanding of the academic advising process at various colleges at King Abdulaziz University should help in the planning and improving of the educational process as well as the services at the University which can help enhance self-esteem or motivate higher levels of it. The research objective was to improve the levels of both academic advising services and students' self - esteem through the following:

1. Understanding the level of students' satisfaction from academic advising

services at their respective colleges at KAU.

2. Understanding the level of students' self esteem at KAU.
3. Understanding the relationship between the perception of academic advising and self esteem among students at KAU.

Scope and limitations of the Study:

The scope of this study includes students of both sexes at different levels of the undergraduate level at various colleges at KAU. The study aims at exploring both areas of academic advising and self esteem as perceived by KAU students. Such information will shed light on the relationship between the two areas.

This study, however, is not without limitations. One of the limitations is that it does not hold academic advising to a standard or set of standards as a professional practice or guidelines since such tasks are not offered or done by professional academic counselors who received formal education or training as outlined by NACADA or other international academic advising associations or agencies of accreditation or licensing. Another limitation is that it does not examine the causal effect between both of academic advising and self-esteem since one could cause or lead to the other or both could have reciprocal effects on each other. And finally, a third limitation could be the inability to generalize the results of the study on the students of other Saudi universities since the academic processes and services are different from one institution to another in addition to the variations among the students' populations.

Statistical analysis and its results

This section deals with the method, procedures, research methodology, the research population, the sample size and characteristics, and research tool. It also discusses the psychometric characteristics as

within two academic semesters or less. They considered these results to be very satisfactory since the academic rules allow students three regular semesters (i.e. not including the summer) to leave the academic supervision condition.

Magd, H. & Ghafri, A. (2014), In their study titled “Student Engagement and Academic Advisement Model: An Initial Journey of Excellence at the University of Buraimi”, described the University’s approach that was adopted in implementing the student engagement and academic advisement center model in support of the student learning process journey. It also summarized the challenges that were faced during the initial implementation phase.

Joseph, S. (2014), in his study titled: “An intelligent software model for an effective academic advising in blended learning environment”, he presents a model that consists of six modules. These modules are: (1) course plan, (2) communication, (3) graduate planning, (4) probation, (5) personal and (6) advising. The researcher described such model as intelligent and as having the following components: database, rule based knowledge base, inference engine and user interface. The sixth module which is advising integrates the results of all other modules and make a summary. In each module, the system will check the rules and suggest the possibility of advising.

Bany Yunus, J., Al Rayami, A. & Drosch, S. (2014). In their study titled “Academic Advising in the Establishments of Higher Education in the Sultanate of Oman: Studying the Case of the Faculties of Applied Sciences. The study describes the academic advising process including the main steps and measures taken in Ibri College during the academic year. It uses a students’ survey to outline the most serious problems which students point out either individually or collectively. The paper

offers recommendations to overcome the challenges of academic advising.

Addousary, S. (2014): The Experience of Academic Advising in the Arab Open University, the branch of Kuwait in Light of Some International Experiences. This paper describes the procedures of academic advising in the Kuwait’s branch of the Arab Open University as well as the procedures of academic advising in what the researchers label as “internationally leading universities in the process of academic advising and guidance” (p.7) which are: The Smart University of Hamdan bin Muhammad, The Princess Nourah Bint Abdulrahman’s University and the University of Malaya, Malaysia. The researcher provides suggestions and recommendations to improve the academic advising process in the Arab Open University particularly in its Kuwait’s branch. The researcher, however, does not mention the criteria used to designate leadership in academic advising to these universities and according to which report or index.

Aich, S. & ‘Ashwy, M. (2014): Attitudes of Students towards Academic Advising and its Correlation to Self-Esteem. The study measured the attitudes towards academic advising as well as the levels of self-esteem and the differences between the two samples in two universities; namely Al-Shafei University in the western region of Algeria and the Arab Open University, the Kuwait’s branch. The study showed that students from both universities have positive attitude towards academic advising although to a lesser degree in the Algerian university. They explained this difference by the absence of academic advising and the lack of clarity on the meaning of academic advising at the Algerian university unlike the Arab Open University which has a clear process of academic advising with clear and specific objectives that are communicated to students. The study also showed the presence of a correlation between

Review of Literature:

Ashwy M. & Addawwy, (2014) studied the attitudes of the Arab Open University students towards academic advising and used the results to introduce recommendations for improving the University's academic advising services. They used A. Fattah's scale (1995) which he used to examine the attitudes of a sample from the UAE students towards academic advising and its correlation with their studying adjustment. Ashwy and Addawwy added to the Scale some open ended questions to develop some qualitative understanding of the students' needs. They conducted the study among a sample of 450 male and female students of the University's branch in Kuwait where the total number of the students was about 8000 students. The areas which they examined were: the philosophy of academic advising, the importance and effectiveness of academic advising, the role of academic advising in overcoming obstacles, and the relationship between the student and the academic advisor. In the qualitative section, they were seeking students' recommendations and suggestions. The results showed positive attitudes towards all the areas of examination, and that there were no differences between students on the basis of the students' sex, educational program or the year of study.

In the Researchers' opinion, this study was limited in two ways. These are: (1) the sample of the study is very small compared to the total number of the student population in the same branch let alone the student population of the same University across the Arab world, and (2) the scale which was used was first used in 1995 with a sample of the UAE students where academic advising in the Arab world may have been a novelty at the time, in addition to the revolutionary advancement in technology that is not accounted for in the Scale.

Abbas, M. (2014) provided an overview of three academic advising models. These models

are: (1) the developmental, (2) the intrusive advising model, and (3) the traditional or prescriptive model. In the conclusion, the researcher did not recommend any one particular model. Rather, he suggested that researchers use observation and reflection rather than relying on surveying students alone.

Kumar, G. et al. (2014) described the actual advising practices at Abu Dhabi University over the previous three years. Among the challenges which the researchers pointed out was the "lack of professional training, workshops, or discussion forums to share academic advising ideas in the Gulf region" (p.8).

Al Humaid, N. (2014), described the experience of the Arab Open University in Saudi Arabia with regard to current status, obstacles, recommendations and resolutions. In her research/working paper, she linked academic advising to students' counseling.

Baloul, F. & Al'amayrah, A. (2014), described the experience of the College of Applied Sciences in Sahhar, Oman, with regards to the effects of academic advising mechanisms being used on the treatment of "academically tripping cases i.e. students who are having hard time catching up" (as translated by Kobeisy). They designed and used two Key Performance Indicators (KPIs) where the first was for the level of commitment among the academic advisors in applying the instrument, while the second was for the level of effectiveness and influence of the instrument in treating the academic failure cases. The study was conducted on 147 students; males and females. Of the sample, 44.8 % of student under study were placed under academic supervision for failure to perform satisfactorily. Those students showed improvement in their academic performance and in their GPA, and consequently were taken out of the academic supervision restriction

Introduction

Both academic advising and self esteem are recognized as essential elements for personal development as well as for institutional success for all of those who are involved in the educational process. As for academic advising, because it is considered an integral part of the academic and developmental process, it has become a recognized profession with required qualifications and specific duties that requires formal studies and degrees starting with the Master's degree. Furthermore, Professional associations are being established such as the National Academic Advising Association (NACADA) in the U.S. which provides professional membership, provides support to its members and publishes a refereed professional Journal biannually. NACADA describes its mission as "NACADA promotes student success by advancing the field of academic advising globally. We provide opportunities for professional development, networking, and leadership for our diverse membership"

(<http://www.nacada.ksu.edu/About-Us/Vision-and-Mission.aspx> accessed on 19 April 2018). As another example, the University of Liverpool in the United Kingdom describes the role of the Academic Advisor "as a fundamental component of the relationship between academic teaching staff and students. It is an important contributor to a positive student experience"

(<https://www.liverpool.ac.uk/eddev/supporting-students/academic-advising/> accessed on 19 April 2018). In the Arab world, the profession lacks specific study programs, professional classification and role articulation. In Arab universities, the practice of academic advising remains in its initial stages.

Statement of the Problem:

In spite of the importance of both the self esteem for the individual's wellbeing including academic achievement, and academic advising which is very important for the individual as well as the educational process, they remain in most Arab universities understudied as individual concepts. Furthermore, the relationship between the two remains almost unknown. This research will cover both aspects; It will examine the students' self esteem, their interest in academic advising and the relationship between the two. In this study, we try to understand just the relationship between these two issues without claiming that either one is the cause or the result of the other. Nor we can assert that the absence of one is indicative of the absence of the other.

The problem of the research has been formulated in the following questions:

1. What is the level of self esteem among King Abdulaziz University students?
2. What is the attitude of King Abdulaziz University students towards academic advising which is offered in their respective colleges and departments?
3. What is the relationship between the level of self esteem and the attitude towards academic advising among King Abdulaziz University students?

Importance of the Study:

The results of this study can help universities and academic institutions of higher education in improving their students' self esteem while promoting quality academic advising and the benefits that come with it including, but not limited to, good mental health of students, student retention and achievements and overall societal improvements.

The Correlation between the Attitude towards Academic Advising and Self Esteem among King Abdulaziz University Students

Dr. Ahmed Nezar M. Kobeisy¹

Dr. Mohammed Said Al Ghamdi²

Dr. Essam Abd Elatef Elakad³

Abstract. This study aimed at finding the relationship between the attitude toward academic advising and self esteem among King Abdulaziz University students. In order to achieve this goal, the research team used a combination of two scales; one scale which they developed to measure the KAU students' perception of academic advising services at their respective colleges, and the other is the Rosenberg's Self Esteem scale. The research team believes that students' perception of academic advising services could indicate their attitude towards such services. Both instruments were applied to a randomly selected sample totaling N=519 students (N=256 Males & N= 364 Females) who represented several faculties, varying GPAs and academic levels. Results indicated that students showed positively high on both areas; the Self-Esteem and the attitude toward academic advising services. The results also revealed that there are significant effects of gender and faculty type on the attitude towards academic advising while the GPA did not. The results also revealed that there are significant positive linear relationships among the constructs of the academic advising services and the Self-Esteem Scale. At the end of the report, the researchers provide the conclusion for the study and present recommendations for both research and practice in order to enhance the effectiveness of the academic advising services and self esteem among university students in Saudi Arabia in particular, in the Gulf region and in the Arab world in general.

Key words: Attitude – Academic Advising – Self-Esteem.

¹ The Center for Social and Humanities Research, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

² The Center for Social and Humanities Research, Dept. of Sociology and Social Work, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

³ Department of Psychology, Sohag University.

Contents

English Section

	<i>Page</i>
• Quran Style in the Wisdom of Human Mind (English Abstract) Ali bin Mohammed bin Ibrahim Shihab	31
• The Effect of Wife's Adultery on Marital Life Comparative Fiqh Study(English Abstract) Fatimah Bint Owaid Aljalsi Alharbi	67
• Disparity of Views Concerning (<i>Al-Badie</i>) book by Ibn Al-Moa'taz A Study of Contemporary Researchers' Opinions (English Abstract) Abdulla Abdorahman Banqeeb	96
• The treatise entitled “Al-ashbaah beraf AL-Eshtebah fii ‘elal al-nuhah” (The similarities in removing ambiguity in grammarians’ causes) Muhammad bin Esaa bin Kenan Al-Khalwaty (d. 1153 A. H.) (English Abstract) Ahmad Bin Nazzal Alshammari	129
• Image of the Woman in the Panegyrics of Ibn Ḥamdis (English Abstract) Anwar Yaquib	176
• Pointing out some issues related to Surat Algalam(English Abstract) Sarah Nijer Alotaibi.....	209
• The Impact of Religious Motivation in the Emergence of Arabic Rhetoric A Reading in the Era of Composition to Independent Authorship(English Abstract) Wael Omar Alomari	227
• Problems facing college student married in Saudi society(English Abstract) Khalil Abdul maqsood Abdul Hamid- Najla Fahad Mohamed Al Shibani.....	253
• Academic engagement and its relation with psychological values in a sample of university students in the light of some demographic variables(English Abstract) Shrooq Gharmallah Alzahrani.....	273
• The Correlation between the Attitude towards Academic Advising and Self Esteem among King Abdulaziz University Students Ahmed Nezar M. Kobeisy , Mohammed Said Al Ghamdi, Essam Abd Elatef Elakad.....	275

■ Editorial Board ■

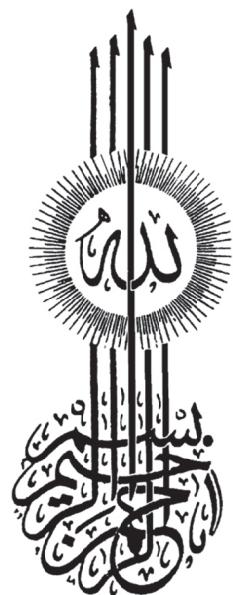
Prof. Dr. Ahmed Mohamed Azab aazab@kau.edu.sa	Editor in Chief
Prof. Dr. Mohamed Jafar Arif Marif@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Abdul Rahman Raja Allah Alsulami aralsulami@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Mohamed Salih Alghamdi msalghamdi1@kau.edu.sa	Member
Prof . Dr. Amal Yahya Alshaikh Ayalshaikh@kau.edu.sa	Member
Prof . Samia Abdallah Bukhari sbukare@kau.edu.sa	Member
Prof . Zakaria Ahmed El-sherbeny zalsherpeny@kau.edu.sa	Member
Prof . Nuha Suliman Alshurafa nalshurafa@kau.edu.sa	Member
Dr . Zainy Talal Alhazmi Zalhazmi@kau.edu.sa	Member
Dr . Suliman Mustafa Aydinn slaydinn@kau.edu.sa	Member



Journal of KING ABDULAZIZ UNIVERSITY Arts and Humanities

**Volume 27 Number 1
2019 A.D.**

**Scientific Publishing Center
King Abdulaziz University
P.O. Box 80200, Jeddah 21589
Saudi Arabia
<http://spc.kau.edu.sa>**



IN THE NAME OF ALLAH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY-GIVING